الجزء الاول من كتاب

المحاسن والمساوى

تأليف

ابراهيم بن محمد البيهقي أحد اعلام القرن الخامس

طبع على نفقة السيد محمد كامل افندى النعسانى

(سنة ١٣٢٥ هـ ١٩٠٦ م)

عنى بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعسانى الحلبي

(يباع بمحل السيد محمد امين الخانجي الكتبي وشركاه بمصر)

(طبع بمطبعة السعاده بجوار محافظة مصر)
(لصاحبها محمد اسماعيل)

﴿ فهرس الجزء الاول من كتاب المحاسن والمساوى ﴾

(تم فهرس الجزء الاول)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد النبيّ الأميّ الهاشميّ الأبطحيّ المكيّ المدنيّ الهادى المهدىّ السراج المضي والقمر المنير التقى النقيّ وعلى أهل بيته الطيبين الأخيار السادة الأطهار المقسطين الأبرار الذين خلقوا من طينة واحدة وجُبلوا على فطرته ودرجوا على حوزته ومُيزوا بحكمته وعلى مناهجه وملته وفازوا بطاعتــه وسلم تسليما كثيراً دائماً •• قال الشيخ ابراهيم بن محمد البيهقيّ قال مصعب بن الزبير ان الناس يتحدثون بأحســن ما يحفظون ويحفظون أحسن ما يكتبون ويكتبون أحسن ما يسمعون فاذا أخذت الأدب فخذه من أفواه الرجال فانك لا تسمع منهم الا مختاراً •• وقال لقمان لابنه يا بنيّ تنافس فى طلب الأدب فانه ميراث غير مسلوب وقرين غير مغلوب ونفيس حظ فى الناس مطلوب •• وقال الزهرى الأدب ذَكَر لا يحبه الا الذكور من الرجال ولا يبغضه الا مؤنثهم •• وقيل اذا سمعت أدباً فاكتبه ولو فى حائط •• قال وقال المنصور بن المهدى للمأمون أيحسن بمثلى طلب الأدب قال لأن تموت طالباً للأدب خير من أن تعيش قانعاً بالجهل قال فالى متى يحسن بي ذلك قال ماحسنت بك الحياة •• وقال الزهرى ما سمعت كلاماً أوجز من كلام عبد الملك بن مروان لولده حيث يقول اطلبوا معيشة لا يقدر عليهــا سلطان جائر قيل ماهى قال الأدب •• وقال بزرجمهر ياليت شعرى أىّ شيء أدرك من فاته الأدب أم أىّ شيء فات من أدرك الأدب ومادّته من الكتب •• وقد أهدى بعض الكُتاب الى صديق له دفتراً وكتب له هديّتي هذه أعزك الله تزكو على الانفاق وتربو على الكد لا تفســدها العوارى ولا تُخلقها كثرة التقليب وهي إنس فى الليل والنهار والســفر والحضر تصلح للدنيا والآخرة تؤنس فى الخلوة وتمتع في الوحدة مسامر

مساعد ومحدث مطواع ونديم صديق •• وقال بعضهم الكتب بساتين العلماء وقال آخر الكتاب جليس لا مؤنة له •• وقال الفضل بن سهل للمأمون وهو بدمشق بدَير مَرّان مشرف على غوطتها يا أمير المؤمنين هل رأيت لحسنها شبهاً في شيء من ملك العرب يعني الغوطة قال بلى والله كتاب فيه أدب يجلو الافهام ويزكي القلوب ويؤنس الأنفس أحسن منها •• وقال الجاحظ الكتاب نعم الذخر والعقدة ونعم الجليس والقَعدة ونعم النشر والنزهة ونعم المشتغل والحِرفة ونعم الأنيس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل ونعم الوزير والنزيل الكتاب وعاء ملئ علماً وظرف حشيَ ظُرفاً ان شئت كان أعيا من باقل وان شئت كان أبلغ من سحبان وائل وان شئت ضحكت من نوادره وان شئت بكيت من مواعظه ومن لك بواعظٍ مُلهٍ وبناسك فاتك وناطقٍ أخرس ومن لك بطبيب اعرابيّ ورومي وهندي وفارسي ويونانيّ ونديم مولد ووصيف ممتّع ومن لك بشيء يجمع الأول والآخر والناقص والوافي والشاهد والغائب والرفيع والوضيع والغث والسمين والشكل وخلافه والجنس وضده وبعد فما رأيت بستاناً يُحمل في رِدن وروضة تُنقل في حُجْر ينطق عن الموتى ويترجم عن الاحياء غيره • ومن لك بمؤنس لا ينام الا بنومك ولا ينطق الا بما تهوى آمن من في الأرض وأكتم للسر من صاحب السر وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة ولا أعلم جاراً أبرّ ولا خليطاً أنصف ولا رفيقاً أطوع ولا معلماً أخضع ولا صاحباً أظهر كفاية ولا عناية ولا أقل إملالا وإبراما ولا أبعد عن مِراء ولا أترك لشغب ولا أزهد في جدال ولا أكف عن قتال من كتاب ولا أعم بياناً ولا أحسن مؤاتاة ولا أعجل مكافأة ولا شجرة أطول عمراً ولا أطيب ثمراً ولا أقرب مجتنًى ولا أسرع ادراكاً ولا أوجد في كل إبّان من كتاب ولا أعلم نتاجاً في حداثة سنه وقرب ميلاده ورخص ثمنه وامكان وجوده يجمع من التدابير العجيبة والعلوم الغريبة ومن آثار العقول الصحيحة ومحمود الأذهان اللطيفة ومن الحِكم الرفيعة والمذاهب القديمة والتجارب الحكيمة والاخبار عن القرون الماضية والبلاد المتراخية والامثال السائرة والأمم البائدة ما يجمع من كتاب ولولا الحكم المخطوطة والكتب المدونة لبطل أكثر العلم ولغلب سلطانُ

النسيان سلطانَ الذكر ولما كان للناس مفزع الى موضع استذكار ولو لم يتم ذلك لحرمنا أكثر النفع ومن لك بمن لا يبتدئك فى حال شغلك ولا فى أوقات عدم نشاطك ولا يُحوجك الى التمحل والتذمم ومن لك بزائر ان شئت جعلت زيارته غبًّا وورده خمساً وان شئت لزمك لزوم ظلك ٠٠ والكتاب هو الجليس الذي لا يُطريك والصديق الذى لا يقليك والرفيق الذى لا يملك والمستميح الذى لا يؤذيك والجار الذى لا يستبطئك والصاحب الذى لا يريد استخراج ما عندك بالملَق ولا يعاملك بالمكر ولا يخدعك بالنفاق والكتاب هو الذى ان نظرتَ فيه أطال إمتاعك وشحذ طباعك وبسط لسانك وجوّد بيانك وفخم ألفاظك وعمر صدرك وحباك تعظيم الاقوام ومنحك صداقة الملوك يطيعك فى الليل طاعته بالنهار وفى السفر طاعته فى الحضر وهو المعلم الذى ان افتقرت اليه لم يحقرك وان قطعتَ عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة وان عُزِلت لم يدع طاعتك وان هبّت عليك ريحُ أعدائك لم ينقلب عليك ومتى كنت متعلقاً به ومتصلا منه بأدنى حبل لم تضطرّك معه وحشة الوحدة الى جليس السوء وانّ أمثلَ ما يقطع به الفُرّاغ نهارَهم وأصحابُ الكفايات ساعة ليلهم نظرة فى كتاب لايزال لهم فيه ازدياد أبداً فى تجربة وعقل ومروءة وصَون عِرض واصلاح دين ومال وربّ صنيعة وابتداء انعام ولو لم يكن من فضله عليك واحسانه اليك الا منعه لك من الجلوس على بابك ونظرك الى المارة بك مع ما فى ذلك من التعرض للحقوق التي تلزم ومن فضول النظر وملابسة صغار الناس ومن خطور ألفاظهم الساقطة ومعانيهم الفاسدة وأحوالهم الرديّة وطرائقهم المذمومة وأفعالهم الخبيثة القبيحة لكان فى ذلك السلامة ثم الغنيمة وإخزان الاصل مع استفادة الفرع ولو لم يكن فى ذلك الا انه يشغلك عن سخف المنى وعن اعتياد الراحة وعن اللعب وكل ما أشبهه لقد كان فى ذلك على صاحبه أسبغ النعمة وأعظم المنة وهو الذى يزيد فى العقل ويشحذه ويداويه ويهذّبه وينفى الخبث عنه ويفيد العلم ويصادق بينك وبين الحجة ويقودك للاخذ بالثقة ويُعمر الحال ويكسب المال وهو شبهة المورث وكنز عند الوارث غير انه كنز لازكاة فيه ولا حق للسلطان يخرج منه وهو كالضيعة التي لا تحتاج الى سقى ولا إسجال بايغار ولا الى شرط ولا اكثار وليس عليها عشرٌ للسلطان ولا خراجٌ ولولا

ما رسمت لنا الأوائل في كتبها وخلدت من عجيب حكمها ودونت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها من غاب عنا وفتحنا بها كل منغلق علينا فجمعنا في قليلنا كثيرهم وأدركنا ما لم ندركه الا بهم لقد كان بُخِس حظنا منه وأكثر من كتبهم نفعاً وأشرف منها حظاً وأحسن موقعاً كُتب الله عز وجل التي فيها الهدى والرحمة والاخبار عن كل عبرة وتعريف كل سيئة وحسنة وما زالت كتب الله جل وعلا في الألواح والصحف والمصاحف فقال جل ذكره ﴿ أم لم يُنبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وَفّى ﴾ فذكر صحف موسى الموجودة وصحف ابراهيم البائدة .. وقال ﴿ الم ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ وقال عز وجل ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ وقال ﴿ كراماً كاتبين ﴾ وقال ﴿ وأما من أوتيَ كتابَه وراء ظهره ﴾ وقال ﴿ اقرأ كتابكَ كفى بنفسك اليومَ عليكَ حسيباً ﴾ ولو لم تكن تكتب أعمالهم لكانت محفوظة لا يدخل ذلك الحفظ نسيان ولكنه تعالى جده علم ان نسخه أوكد وأبلغ وأهيب في الصدور فقال جل ذكره ﴿ إنا كنا نَستنسِخُ ما كنتم تعملونَ ﴾ ولو شاء الله أن يجعل البشارات بالمرسلين على الألسنة ولم يودعها الكتب لفعل ولكنه تبارك وتعالى علم ان ذلك أتم وأبلغ وأكمل وأجمع وفي قول سليمان عليه السلام ﴿ إذهبْ بكتابي هذا فألقه اليهم ﴾ وقد كان عنده من يبلغ الرسالة على تمامها من عفريت وانسي وغيرهما فرأى الكتاب أبهى وأحسن وأكرم وأفخم وأنبل من الرسالة ولوشاء النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يكتب الى قيصر وكسرى والنجاشي والمقوقس والى ابني الجُلَندى والي العباهلة من حمير والى هَوْذة والملوك العظماء والسادة النجباء لفعل ولوجد المبلغ المعصومَ من الخطأ والزلل والتبديل ولكنه عليه الصلاة والسلام علم أن الكتاب أشبه بتلك الحالة وأليق بتلك المراتب وأبلغ في تعظيم ما حواه الكتاب .. وحمله ان كثُرَ ورقه فليس مما يُمل لانه وان كان كتاباً واحداً فانه كتب كثيرة فان أراد قراءة الجميع لم يقصر على الباب الأول حتى يهجم على الثاني ولا الثالث حتى يهجم على الرابع فهو أبداً مستفيد ومستطرف وبعضه يكون حاثاً لبعض ولا يزال نشاطه زائداً متى خرج من أثر صار في خبر حتى يخرج من خبر الى شعر ومن الشعر الى النوادر ومن النوادر الى نتف والى مواعظ حتى يفضي الى مزح

وفكاهة وملح ومَضاحك وخرافة وكانوا يجعلون الكتاب نقراً فى الصخور ونقشاً فى الحجارة وحلقة مركبة فى البنيان وربما كان الكتاب هو الناتئ وربما كان الكتاب هو المحفور اذا كان ذلك تاريخاً لأمر جسيم أو عهداً لأمر عظيم أو موعظة يرتجى نفعها أو احياء شرف ويريدون تخليد ذكره كما كتبوا على قبة غُمْدانَ وعلى باب القَيروان وعلى باب سمرقند وعلى عمود مأرب وعلى ركن المشقّر وعلى الأبلق الفردِ من تيماء وعلى باب الرُّها يعمدون الى المواضع الرفيعة المشهورة والاماكن المذكورة ويضعون الخطّ فى أبعد المواضع من الدثور وأمنعها من الدروس وأجدر أن يراها من مرّ ولا ينسى على مرور الدهور وعمدوا الى الرسوم ونقوش الخواتيم فجعلوها سبباً لحفظ الأموال والخزائن ولولاها لدَخل على الناس الضرر الكبير ولولا خطوط الهند لضاع من الحساب أكثره ولبطلت معرفة التضاعيف ونفع الحساب معلوم والخلة فى موضع فقده معروفة قال الله عز وجل ﴿هو الذى جعلَ الشمسَ ضياء والقمرَ نوراً وقدَّرهُ منازلَ لِتعلموا عددَ السنينَ والحسابَ﴾ ولولا الكتب المدوّنة والأخبار المجلّدة والحكم المخطوطة التى تجمع الحساب وغير الحساب لبطل أكثر العلم ولولا الكتاب لم يكن يعلم أهل الرقّة والمَوْصِل وبغداد وواسط ما كان بالبصرة وحدث بالكوفة في بياض يوم حتى تكون الحادثة بالكوفة غدوة فيعلمها أهل البصرة قبل المساء وذلك مشهور فى الحمام اذا أُرْسِلَتْ وكانت العرب تعقد في مآثرها على الشعر الموزون والكلام المُقفّى وكان ذلك ديوانها على ان الشعر بقيّة فضيلة البيان على الشاعر الراغب وفضيلة لأثر على السيد المرغوب اليه وكانت العجم تقيّد مآثرها بالبنيان فبنت مثل بناء أردَشير وبناء إصطخر وبيضاء المدائن وشيرين والمدن والحصون والمناظر والجسور ثم ان العرب شاركت العجم فى البنيان وتفرّدت بالشعر فلها من البنيان غُمدانُ وكعبة نجران وقصر مأرب وقصر شَعوب والابلق الفرد وغير ذلك من البنيان وتصنيف الكتب أشدّ تقييداً للمآثر على مر الأيام والدهور من البنيان لان البنيان لامحالة يدرس وتعفو رسومه والكتاب باقٍ يقع من قرن الى قرن فهو أبداً جديد والناظر فيه مستفيد وهو أبلغ في تحصيل المآثر من البنيان والتصاوير وأهل العلم والنظر وأصحاب الفكر والعبر والعلماء بمخارج الملل وأرباب النّحل وورثة الأنبياء

وأعوان الخلفاء يكتبون كتب الظُرفاء والمُلحاء وكتب الملاهي والفكاهات وكتب أصحاب المِرَاءِ والخصومات وكتب أصحاب العَصَبيّةِ وحَمِيّةِ الجاهلية فمنهم من يفرط في العلم فى أيام جهله وخُمول ذكره وحداثة سنّه ولولا جياد الكتب وحسانها لما تحرّكت هِمَمُ هؤلاء لطلاب العلم ونازعت الى حب الأدب وأنِفَتْ من حال الجهل وأن تكون فى غمار الوحش ويدخل عليهم الضرَرُ والحقارة وسوء الحال بما عسى أن يكون لا يمكن الإخبار عن مقداره إلاّ بالكلام الكثير ولذلك قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه تفقهوا قبل أن تسودوا ٠٠ وقال بعض الحكماء ذهبت المكارم إلاّ من الكتب وقال الله عز وجل ﴿ إقرأ وربُّكَ الأكرَمُ الذي عَلَّمَ بالقلَمِ ﴾ فوصف نفسَه تعالى جدّه بانه علّم بالقلم كما وصف نفسه بالكرم واعتد بذلك في نِعَمِهِ العظام وأياديه الجسام ووضع القلم فى المكان الرفيع ونوّه بذكره واقسم به كما أقسم بما يخط به فقال ﴿ نٓ والقلَمِ وما يسطُرونَ ﴾ والقلم أرجح من اللسان لان كتابته تقرأ بكل مكان ويظهر مافيه على كل لسان ويوجد مع كل زمان ومناقلةُ اللسان وهدِيّتُه لايجاوزان مجلسَ صاحبه ومبلغَ صوته والكتاب يخاطبك من بعيد وقد قالوا القلم أحد اللسانين وقالوا كل من عرف النعمة فى بيان اللسان كان أعرف بفضل النعمة في بيان القلم وقد يعترى القلم ما يعترى المؤدّب عند ضربه وعقابه فما أكثر من يعزم على عشرة أسواط فيضرب مائة لانه ابتدأ الضرب وهو ساكن الطباع فأراه السكون ان الصواب فى الاقلال فلما ضرب تحرك دمه فأشاع الحرارة فيه وزاد فى غضبه فأراه الغضب ان الرأى في الاكثار وكذلك صاحب القلم فما أكثر من يبتدئ الكتاب وهو يريد مقدار سطرَين فيكتب عشرة وقد قيل القلم الشاهد والغائب يقرأ بكل لسان وفى كل زمان وقالوا ظاهر عقول الرجال في اختيارها ومدوّن فى أطراف أقلامها ومصباح الكلام حُسنُ الاختيار وقالوا القلم مجهِّز جيوش الكلام يخدم الارادة ولا يمل الاستزادة ويسكت واقفاً وينطق سائراً على الأرض بياضه مظلم وسواده مضيء وقال الشاعر

قَوْمٌ اذا خافوا عداوةَ مَعشرٍ — سَفكُوا الدِّما بأسنّةِ الأقلامِ
وَلَمَشْقَةٌ من كاتبٍ بمدادِهِ — أمضى وأقطعُ من صنيعِ حُسامِ

•• وقال آخر أيضاً

ماالسيفُ والسيفُ سيفُ الكَميّ — بأخوَفَ من قلَمِ الكاتبِ
لهُ غايةٌ إن تأمّلتها — ظهرتَ على سَوْءةِ الغائبِ
أداةُ المَنيّةِ في جانبَيْهِ — فمِنْ مثلهِ رهبةُ الراهبِ
سِنانُ المَنيّةِ فى جانبٍ — وسَيفُ المَنيّةِ في جانبِ
ألم تر فى صدرِهِ كالسِنانِ — وفى الرِّدفِ كالمُرهَفِ القاضب
فيجرى به الكفُ فى حالةٍ — على هيئةِ الطاعنِ الضاربِ

•• وقال آخر أيضاً مُلغزاً

وأعجفَ رجلاه فى رأسهِ — يَطيرُ حثيثاً على الأملسِ
مطاياه من تحتهِ الإصبَعا — نِ ولولا مطاياه لم يُلمسِ

•• وقال آخر سامحه الله

وأعجفَ مُنشقِ الشباةِ مُقلّمٍ — مُوَشّى القرَاطاوى الحشاأسوَدِ الفَمِ
اذا هو أضحى فى الدواةِ فأعجمٌ — ويُضحى فصيحاً فى يدَىْ غيرِ أعجَمِ
يُناجي مناجاةَ أغرَّ مُرزّأً — متى أستمع معزوفهُ يتبسّمِ

•• وقال آخر رحمه الله

لكَ القلمُ الذى لم يَجرِ يوماً — بغايَة منطِقٍ فكبا بِعِيّ
ومبتسمٌ على القرطاس يأسو — ويَجرحُ وهو ذو بال رخيٍّ
فما المقدادُ أعضَبُ من شَباهُ — ولاالصمصامُ سَيفُ المَذحِجيّ

•• وقال واجاد

أحسنُ من غفلة الرقيبِ — ولحظةِ الوعدِ من حبيبِ
والنغمِ والنقرِ من كعابٍ — مُصيبةِ العُودِ والقضيبِ
ومن بنات الكروم راحاً — فى راحتَيْ شادنٍ ربيبِ
كَتْبُ أديبٍ الى أديبٍ — طالتْ به مدة المَغيبِ
فنمّقتْ كفهُ سطوراً — تمحقُ الصبرَ في القلوب

نترك من سطرت اليه أطرب من عاشق طروب

•• وقال آخر

اذا استمدت صرفت الطرف عن يدها خوفاً عليها لما أخشى من التهم
كأنما قابل القرطاس إذ مشقت منها ثلاثة أقلام على قلم

•• وقال أشجع فى جعفر البرمكي

اذا أخذت أنامله تبين فضله القلما
تطأطأ كل مرتفع افضل الكتب مذ نجما

يقدم ويؤخر أراد اذا أخذت أنامله القلم تبين فضله* وفى الخط •• قال نظر المأمون الي مؤامرة بخط حسن فقال لله در القلم كيف يحوك وشى المملكة •• وقال يحيي بن خالد البرمكى الخط صورة روحها البيان ويدها السرعة وقدماها التسوية وجوارحها معرفة الفصول •• وقال في مثله رحمه الله تعالى

تقول وقد كتبت دقيق خطي فديتك مم تجتنب الجليلا
فقلت لها نحلت فصار خطى دقيقاً مثل صاحبه نحيلا

•• وقال علىّ بن الجهم فى صفة الكتب اذا غشيني النعاس فى غير وقت النوم تناولت كتاباً فأجد اهتزازى فيه من الفوائد والأريحية التى تعتادنى وتعتريني من سرور الاستبانة وعز التبين أشد ايقاظاً من نهيق الحمار وهدة الهدم واني اذا استحسنت كتاباً واستجدته رجوت فيه فائدة فلو ترانى ساعة بعد ساعة أنظر كم بقى من ورقه مخافة استنفاده وانقطاع المادة من قبله وان كان الكتاب عظيم الحجم وكان الورق كبير القدر •• وذكر له العتبى كتاباً لبعض القدماء وقال لولا طوله لنسخته فقال ما رغبنى الا فيما زهدت عنه وماقرأت كتاباً كبيراً فأخلاني من فائدة ولا أحصي كم قرأت من صغار الكتب فخرجت منها كما دخلت فيها •• قال ابن داحة كان عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يجالس الناس ونزل مقبرة من المقابر وكان لا يكاد يرى الا وفى يده كتاب يقرأ فيه فسئل عن ذلك وعن نزوله المقبرة فقال لم أر أوعظ من قبر ولا آنس من كتاب ولا أسلم من الوحدة وقيل لابن داحة وقد أخرج

اليه كتاب ابن الشمقمق وهو فى جلود كوفية وورقتين طابقتين بخط عجيب فقال لقد ضيع درهمه صاحب هذا الكتاب وقال والله ان القام ليعطيكم مثل ما تمطونه ولو استطعت أن أودعه سويداء قلبي وأجمله مخطوطاً على ناظريّ لفعلت •• وقال بعضهم كنت عند بعض العلماء وكنت أكتبُ عنه بعضاً وأدعُ بعضاً فقال لي اكتب كل ما تسمع فان أخس ما تسمع خير من مكانه أبيض •• وقيل

أما لو أعي كلَّ ما أسمعُ وأحفظ من ذاك ما أجمعُ
ولم أستفد غيرَ ماقد جمعتُ لَقيل هو العالمُ المُقنعُ
ولكنّ نفسي الى كل نوعٍ من العلم تسمعهُ تنزعُ
فلا أنا أحفظ ماقد جمعتُ ولا أنا من جمعه أشبعُ
ومن يكُ فى علمه هكذا يكن دهرَهُ القهقرى يرجعُ
إذا لم تكنْ حافظاً واعياً فجمعك للكتْبِ لا ينفعُ

•• وقال بعضهم الحفظ مع الاقلال أمكن ومع الاكثار أبعد وهو للطبائع مع رطوبة القضيب أقبل •• ومنها قول الشاعر

أتاني هواها قبلَ أن أعرِفَ الهوى فصادف قلبي خالياً فتمكنا

•• وقيل التعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر فسمع ذلك الأحنف فقال الكبير أكثر عقلاً ولكنه أكثر شغلا •• وكما قال

وان من أدَّبتَهُ فى الصبا كالعودِ يُسقى الماء في غرسه
حتى تراه مورقاً ناضراً بعد الذى أبصرتَ من يُبسِهِ

والصبي على الصبا أفهمُ وله آلف واليه أنزع وكذلك العالم على العلم والجاهل على الجهل وقال الله تبارك وتعالى (ولو جعلناه ملَكاً لجعلناهُ رجلاً) لأن الانسان على الانسان أفهم وطباعه بطباعه آنس ومَن التقط كتاباً جامعاً كان له غنمه وعلى مؤلفه غرمه وكان له نفعه وعلى صاحبه كدّه ومتى ظفر بمثله صاحبُ علم فهو وادعٌ جامٌّ ومؤلفه متعوب مكدود وقد كفى مؤنة جمعه وتتبعه وأغناه عن طول التفكير واستنفاد العمر كان عليه أن يجعل ذلك من التوفيق والتسديد اذا بالغ صاحبه فى تصنيفه وأجاد في اختياره ••

قال أبو هفّان

اذا آنسَ الناسَ ما يجمعونَ أنِستُ بمـا يجمعُ الدفترُ
له وطرى وبه لذّتي على الكأس والكأسُ لا تحضرُ
تدور علي الشرب محمـودةً لها الموْردُ الخِرقُ والمصدَرُ
يُغنيهـمُ ساحرُ المقلتين كشمس الضحي طرفهُ أحورُ
وريحانهمْ طيبُ أخلاقِهـمْ وعنـدهمُ الوردُ والعبهرُ
على أنّ همتنـا في الحـرو ب فتلك الصناعةُ والمتجرُ

•• قال لما قلتها عرضتُها على ابن دِهقان قال اذا سمع بها الخليفة استغنى بها عن الندماء وأنشدنا غيره

نعم المحدّثُ والرفيق كتابُ تلهوبه ان خانك الأصحابُ
لا مفشياً سرّا اذا استودعتَهُ وتنال منه حكمةً وصوابُ

•• وقال آخر

نعمَ الجليسُ بعقب قعدةِ صخرةٍ للملْكِ والأدباء والكُتّابِ
ورقٌ تضمّن من خطوط أناملٍ مرعي من الأخبار والآداب
يخلو به مَن ملّ من أصحابهِ فيقالُ خِلوٌ وهو في الأصحابِ

•• قال وأنشدنا أبو الحسن علي بن يحي النديم رحمه الله

اذا ما خـلوتُ من المؤنسـين جعلتُ المحدّثَ لي دفتري
فلم أخلُ من شاعرٍ محسنٍ ومن مضحكٍ طيّبٍ مُندِرِ
ومـن حِكَمٍ بين أثنائهـا فوائدُ للناظر المفكرِ
وان ضاق صدري بأسرارهِ وأودعتهُ السرّ لم يُظهِـرِ
وان صرّحَ الشعر باسم الحبيب لمـا احتشمتُ ولم أُحصَرِ
وان عُذتُ من ضجرتي بالهجاء ولو في الخليفة لم أحـذَرِ
فنادمتُ منه كريمَ المغيبِ لندمانه طيّبَ المحضرِ
فلستُ أرى مؤثراً ماحييتُ عليـه نديمـاً الى المحشرِ

•• وقال فى الذهن

إذا ماغدَتْ طَلاّبَةُ العلم مالها من العلمِ الاما يُخلد فى الكتبِ
غدَوتُ بتشـمير وجدٍّ عليهمُ ومِحبرَتي سمعي ودفترها قلبي

•• وقال آخر

يا أيها الطالبُ الآدابَ مبتدراً لاتسْهُ عن حَملكَ الالواحَ للأدب
فحملُها أدبٌ تحـوى به أدباً وسوفَ تنقلُ مافيها الى الكتُبِ
وليس في كل وقت ممكناً قلم ودَفترٌ ياعديمَ المثل فى الحسَبِ

وكل ماتقدم ذكره من مناقب الكتب ووصف محاسنها فهو دون ما يستحقه كتابناهذا فقد اشتمل على محاسن الاخبار وظرائف الآثار وترجمناه بكتاب «المحاسن والمساوى» لأن المصلحة فى ابتـداء أمر الدنيا الى انقضاء مدتها امتزاج الخير بالشر والضار بالنافع والمكروه بالمحبوب ولو كان الشر صرفاً محضاً لهلك الخلق ولو كان الخير محضاً لسقطت المحبة وتقطعت أسباب الفكرة ومتى بطل التخير وذهب التميز لم يكن صبر على مكروه ولا شكرٌ على محبوب ولا تعامل ولا تنافس في درجة وما توفيقنا الا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل•• وافتتحنا كتابناهذا بذكر النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين الأبرار الأخيار لما رجونا فيه من الفضل والبركة واليمن والتوفيق والحمدلله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واخوته من النبيين وآله الطيبين أجمعين

محاسن النبي صلى الله عليه وسلم

اختاره الله من خير أرومات العرب عُنصراً ومن أعلى ذوائب قريش فرعاً ومن أكرم عيدانِ قصيّ مجداً ثم لم يزل بلطفه لنبيه صلى الله عليه وسلم وآله واختياره اياه بالآباء الاخاير والأمهات الطواهر حتى أخرجه فى خير زمان وأفضل أوان تفرّع من شجرة باسقة الندى شامخة العلى عَربية الأصل قرشية الأهل منَافيةِ الأعطان هاشمية

الأغصان ثمرتها القرآن تندى بماء ينابيع العلم في رياض الحلم لا يذوى عودها ولا تجف ثمرتها ولا يضل أهلها أصلها ثابت وفرعها نابت فيالها من شجرة ناضرة خضراء ناعمة غرست في جبل قفر وبلد وعر محل ضرع غير ذي زرع عند بيتك المحرم وبلدك المكرم فهو صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الأخيار كما قال بعض الحكماء .. لئن كان سليمان عليه السلام أعطي الريح غدوها شهر ورواحها شهر لقد أعطي نبينا صلى الله عليه وسلم البراق الذي هو أسرع من الريح .. ولئن كان موسى عليه السلام أعطي حجراً تتفجر منه اثنا عشر عيناً لقد وضع أصابعه عليه وعلى آله السلام في الإناء والماء ينبع من بين أصابعه حتى ارتوى أصحابه رضى الله عنهم وما لهم من الخيل .. ولقد كان رديف عمه أبي طالب بذي المجاز فقال يابن أخي قد عطشت فقال عطشت يا عم قال نعم فثنى وركه فنزل وضرب بقدمه الأرض فخرج الماء فقال اشرب فشرب حتى روى .. ولئن كان عيسى عليه السلام أحيا النفس باذن الله لقد رفع صلى الله عليه وسلم ذراعاً الى فيه فأخبرته أنها مسمومة وكان صلى الله عليه وسلم يخبر بما في الضمائر وما يأكلون وما يدخرون .. ثم دعاؤه المستجاب الذي لا تأخير فيه وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما لقي من قريش والعرب من شدة أذاهم له وتكذيبهم إياه واستعانتهم عليه بالأموال دعا أن تجدب بلادهم وان يدخل الفقر بيوتهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف اللهم اشدد وطأتك على مضر فأمسك الله عز وجل عنهم القطر حتى مات الشجر وذهب الثمر وقلت المراعي فماتت المواشي حتى اشتووا القد وأكلوا العلهز فعند ذلك وفد حاجب بن زرارة الى كسرى يشكو اليه الجهد والأزل ويستأذنه في رعى السواد وهو حين ضمن عن قومه وأرهنه قوسه فلما أصاب مضر خاصة الجهد ونهكهم الأزل وبلغت الحجة مبلغها وانتهت الموعظة منتهاها دعا بفضله صلى الله عليه وسلم الذي كان بدأهم به فسأل ربه عز وجل الخصب وإدرار الغيث فأتاهم منهم ماهدم بيوتهم ومنعهم حوائجهم فكلموه في ذلك فقال اللهم حوالينا ولا علينا فأمطر الله ماحولهم .. ودعا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم على المستهزئين بكتاب الله عز وجل وكانوا اثني عشر رجلاً فكفاه الله جل اسمه أمرهم فقال (إنا كفيناك المستهزئين) وقصة عامر بن الطفيل ودعائه عليه وناطقه صلى الله

عليه وسلم ذئب وأظلته غمامة وحن اليه عود المنبر وأطعم عسكراً من ثريدة فى حجم قطاة وسقى جيشاً ووضأهم من ميضأة جسم صاع ورسوخ قوائم فرس سراقة بن جعشم فى الأرض واطلاقه له بعد إذ أخذموثقه وتمزيه ضرع شاة حامل فعادت كالحائل والتزاق الصخرة بيد أربد وما أراه الله عزوجل أباجهل حين أهوى بالصخرة نحو رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فظهر له فحل ليلقم رأسه فرمى بالصخرة ورجع يشتد الى أصحابه قد انتقع لونه فقالوا له مابالك فقال رأيت فحلا لم أر مثله يريد هامتي ٠٠ وأما ماأراه الله أعداءه من الآيات فأكثر من أن يحصى ٠٠ منها مارواه وهب بن منبه عن الليث بن سعد قال أتى أربد بن ربيعة وعامر بن الطفيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما للآخر أنا أشغله بالكلام حتى تقتله فوقف أحدهما على النبي صلى الله عليه وسلم فلما طال عليه انصرف فقال لصاحبه ما صنعت شيئاً قال رأيت عنده شيئاً رجله في الأرض ورأسه في السماء لو دنوت منه أهلكني فأما أربد فأصابته صاعقة وأنزل الله تعالى ﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴾ وأما عامر فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لنا أهل الوبر ولكم أهل المدر فقال صلى الله عليه وسلم لكم الأعنة فقال لأملأنها خيلا عليكم ورجلا فلما ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنيه فأخذته غدة فقتلته * وعن محمد بن عبد الله قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى إذ رآه أبو جهل فقال لنفر من قريش لأذهبن فأقتلن محمداً فدنا منه قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى ويقرأ ﴿إقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق﴾ حتى بلغ آخرها فانصرف أبو جهل وهو يقول هذا وأبيكم وعيد شديد فاتى أصحابه فقالوا له مابالك لم تقتله قال والله ان بيني وبينه رجلا له كتيت ككتيت الفحل يعدني يقول ادن ادن * وعن عبد الله أن أعرابياً جاء بعكة من سمن فاشتراها أبو جهل فأمسك العكة وأمسك الثمن فشكاه الاعرابي الى قريش فكلموه فأبى عليهم فقال بعض المستهزئين ياأعرابي أتحب أن تأخذ عكتك وثمنها قال بلى قال أترى هذا الرجل المار القه فكلمه يعنى النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه الأعرابي وشكا اليه أمر العكة فخرج صلى الله عليه وسلم

حتى وقف بباب أبي جهل فناداه باسمه فخرج اليه ترعد فرائصه فقال له أدِّ هذا عُكّتَه وثمنها فدخل أبو جهل فدفع الى الرجل العكة فخرج الاعرابي الى قريش وأخبرهم بذلك ثم خرج أبو جهل فقالت له قريش كلّمناك أن تؤدِّيَ الاعرابي حقه فأبيت ثم جاءك ابن عبد المطلب فدفعتَ اليه ذلك فقال ان معه فحلاً فاتحاً فاه ينتظر ماأقول فيلتقم رأسي فما وجدت بُدّا من اعطائه حقه * وأما أنس الوَحش به فما حدثنا به اسماعيل بن يحيى بن محمد عن سعيد بن سيف بن عمر عن أبي عمير عن الأسود عن هند بن أبي هالة أنه دخل على عائشة فقال حدثينا بأعجب مارأيت أو بلغك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كل أمره كان عجباً وأعجب ما رأيت انه كان لي ربائب وحش كنت آنسُ بهنّ وآلفهنّ فاذا كان يومه الذي يكون فيه عندي لم يزلن قياماً صوافّ ينظرن اليه ولايلهيهنّ عن النظر اليه شيء ولا ينظرن الى غيره فاذا شخص قائماً سمَوْنَ اليه بأبصارهنّ فاذا انطلق مولّياً لاحظْنَهُ النظر فاذا غاب شخصهُ عنهُنّ ضربن بأذنابهنّ وآذانهنّ وكان ذلك يُعجبُنِي * وعن عبد الملك بن عمير ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بظبية عند قانص فقالت يارسول الله ان ضرعي قد امتلأ وتركتُ خِشفَين جائعَين فخلِّني حتى أذهبَ وأرويهما ثم أعود اليك فتربطني فقال صيدُ قوم ورَبيطتُهم قالت يارسول الله فاني أعطيك عهد الله لأرجعنّ فأخذ عليها عهد الله ثم اطلقها وارسلها فما لبثت إلاّ يسيراً حتى جاءت وقد فرّغت مافي ضَرْعِها فقال صلى الله عليه وسلم لمن هذه الظبية قالوا لفلانٍ فاستوهبها منه ثم خلّى سبيلها وقال لو ان البهائم تعلم ماتعلمون من الموت ماأكلتم سميناً * وأما محاسن شهادات السباع له بالنبوّة فمن ذلك ما روى ان أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أُمية خرجا من مكة فاذا هما بذئب يكد ظبية حتى ان نفَسه كاد ان يبلغ ظهرَ الظبية أو شبيهاً بذلك إذ دخل الظبي الحرمَ فرجع الذئب فقال أبو سفيان ما أرضٌ سكنها قوم أفضل من أرض أسكنها الله إيانا أما رأيت ماصنع الذئب أعجب منه حين رجع فقال الذئب أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال أبو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت ذلك بمكة لتتركها خِلواً * وذكروا ان رافع بن عُميرة بن جابر كان يرعى غنماً إذ غار

الذئب عليها فاحتمل أعظم شاة منها فشد عليه رافع ليأخذها منه وقال عجباً للذئب يحتمل ماحمل قال فأقعي الذئب غير بعيد وقال أعجب منه أنت أخذت مني رزقاً رزقنيه الله تعالى فقال رافع ياعجبا للذئب يتكلم فقال الذئب أعجب من ذلك الخارج من تهامة يدعوكم الى الجنة وتأبون إلاّ دخول النار فأقبل الرجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد جاءه جبريل عليه السلام فأنبأه بما كان فقص النبي صلى الله عليه وسلم ما كان فآمن وصدق وقال

رَعَيْتُ الضأنَ أحميهِ بنفسي — من اللّصِّ الخفيِّ وكلِّ ذيبِ
فلما أن رأيتُ الذئبَ يعوى — وبشّرَني بأحمدَ من قريب
يُبشرُني بدينِ الحقِّ حتي — تبيَّنَتِ الشريعةُ للمُنيبِ
رَجَعْتُ لهُ وقد شمَّرْتُ ثوبي — عن الكعبين معتمِداً ركوبي
فألفَيْتُ النبيَّ يقولُ قولاً — صواباً ليس بالهزلِ الكذوبِ
ألا بلّغْ بني عمرو بن عوفٍ — وأُختَهُمُ جَديلةَ أنْ أجيبي
دُعاء المصطفى لا شكَّ فيهِ — فإنكِ إنْ تُجيبي لاتَخيبي

ومن محاسن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبركته مارواه محمد بن اسحاق عن سعيد ابن ميثا عن جابر بن عبد الله قال عملنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخندق وكانت عندى شُوَيهةٌ غير سمينة فقلت والله لو صنعت هذه الشاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأمرت امرأتي فطحنت شيئاً من شعير فصنعت له منه خبزاً وذبحتُ الشاة فشويتُها فلما أمسينا وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصراف قلت يارسول الله إني صنعت لك شُوَيهةً وشيئاً من خبز الشعير وأحب ان تنصرفَ معى الى منزلي وانما أريد أن ينصرف معى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدهُ فلما قلت له ذلك قال نعم ثم أمر بصارخ فصرخ انصرفوا الي بيت جابر فقلت إنا لله وإنا اليه راجعون وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس معه فأخرجتها اليه فسمّى ثم أكل وتواردَها الناسُ كلما فرغ قوم قاموا وجاء قوم حتى صدر أهل الخندق عنها * وروى عن محمد بن اسحاق أن ابنة لبشير بن سعد قالت دعتنى ابنة رواحة فاعطتنى حفنة تمر في ثوبي وقالت يابنية اذهبي الى أبيك بهذا ءات فأخذتها وانطلقت بها فمررت برسول الله صلى

الله عليه وسلم وأنا ألتمس أبي فقال عليه الصلاة والسلام تعالي يابنية ماهـذا معك قلت تمر بعثت به أمي الى أبي بشير بن سعد فقال هاتي به فصببته في كفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأتهما ثم أمر بثوب فبسط ثم دحا بالتمر عليه فتبدد فوق الثوب ثم قال لانسان عنده ناد في أهل الخندق أن هلموا الى الغداء فاجتمع أهل الخندق فجعلوا يأكلون منه وجعل هو يزداد حتى صدر أهل الخندق عنه وهو يسقط من أطراف الثوب •• ومن آياته صلى الله عليه وسلم مالا يعرفها الا الخاصة وهي محاسن أخلاقه وأفعاله التي لم تجتمع لبشر من قبله ولا تجتمع لأحد من بعده وذلك انالم نر ولم نسمع لأحد قط صبره وحلمه ووفاءه وزهده وجوده ونجدته وصدق لهجته وكرم عشيرته وتواضعه وعلمه وحفظه وصمته اذا صمت ونطقه اذا نطق ولا كمفوه وقلة امتنانه ولم نجد شجاعاً قط الا وقد فرّ مثل عامر فرّ عن أخيه الحكم يوم الرقم وعيينة فرّ عن أبيه يوم نسار وبسطام عن قومه يوم العظالى •• وكان له صلى الله عليه وسلم وقائع مثل أحد وحنين وغيرهما فلا يستطيع منافق أن يقول هاب حرباً أو خاف •• وأما زهده صلى الله عليه وسلم فانه ملك من أقصى اليمن الى شحر عمان الى أقصى الحجاز الى عذار العراق ثم توفي صلى الله عليه وسلم وعليه دين ودرعه مرهون في ثمن طعام أهله لم يبن داراً ولا شيد قصراً ولا غرس نخلا ولا شق نهرا ولا استنبط عيناً ولم يترك غير برديه الذين كان يلبسهما وخاتمه وكان صلى الله عليه وسلم يأكل على الأرض ويلبس العباءة ويجالس الفقراء ويمشي في الأسواق ويتوسد يده ولا يأكل متكئاً ويقتص من نفسه وكان صلى الله عليه وسلم يقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأشرب كما يشرب ولو دعيت الى ذراع لأجبت ولو أهدي اليّ كراع لقبلت ولم يأكل قط وحده ولا ضرب عبده ولم ير عليه الصلاة والسلام أدار رجله بين يدي أحد ولا أخذ بيده أحد فانتزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسلها •• وأما كرمه صلى الله عليه وسلم في فتح مكة وقد قتلوا أعمامه ورجاله وأولياءه وأنصاره وآذوه وأرادوا نفسه فكان يتلقى السفه بالحلم والأذى بالاحتمال وكان متى كان أكرم وعنهم أصفح كانوا الأم وعليه ألح والعجب انهم كانوا أحلم جيل إلا فيما بينهم وبينه فانهم كانوا اذاساروا اليه أفحشوا عليه وأفرطوا في السفه ورموه بالفرث

والدماء وألقوا على طريقه الشوك وحثوْ في وجهه التراب وكان لا يتولى هذا منه الا العظماء والأخوال والأعمام والأقرب فالأقرب فاذا كانوا كذلك كان أشد للغيظ وأثبت للحقد فلما دخل عليه الصلاة والسلام مكة قام فيهم خطيباً فحمد الله عز وجل وأثني عليه ثم قال أقول كما قال أخي يوسف (لا تثريبَ عليكم اليومَ يغفرُ الله لكم وهو أرحمُ الراحمين)* وأما محاسن قوله الحق فانه ذكر زيد بن صوحان فقال زيد وما زيد يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده يوم نهاوَند في سبيل الله ووعد أصحابه بيضاء إصطخر وبيضاء المدائن وقال لعدىّ بن حاتم لا يمنعك ما ترى يعني ضعف أصحابه وجَهدهم فكأنهم ببيضاء المدائن قد فتحت عليهم وكأنهم بالظعينة تخرج من الحيرة حتى تأتى مكة بغير خفير فأبصر ذلك كله عدي وقال لعمار بن ياسر تقتلك الفئة الباغية فكان كما قال حتى قال معاوية انما قتله من أخرجه وضلت ناقته صلى الله عليه وسلم فأقبل يسأل عنها فقال المنافقون هذا محمد يخبرنا عن خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته فصعد المنبر فحمد الله وأثني عليه ثم قال ان رجلا يقول في بيته ان محمداً يخبرنا عن خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته ألا وانى لا أعلم الا ما علمني ربى عز وجل وقد أخبرني انها في وادى كذا وكذا تعلق زمامها بشجرة فبادر الناس اليها وفيهم زيد بن أرقم وزيد بن اللَصيت فاذا هي كذلك •• ولما استأمن أبو سفيان بن حرب اليه عليه الصلاة والسلام أمر عمه العباس أن يأخذه الى خيمته حتى يصبح فلما صار في قبة العباس ندم على ما كان منه وقال في نفسه ما صنعت دفعت بيدى هكذا ألا كنت أجمع جمعاً من الأحابيش وكنانة وألقاه بهم فلعلي كنت أهزمه فناداه رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيمته اذاً كان الله يخزيك يا أبا سفيان فقال أبو سفيان يا عباس أدخلني على ابن أخيك فقال له العباس ويلك يا أبا سفيان ما آن لك ذلك فأدخله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله قد كان في النفس شئ وأنا أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله حقاً •• وقوله صلى الله عليه وسلم لما يكون من بعده مما حدث به محمد بن عبد الرحمن بن أذينة عن سَلمان بن قيس عن سلمان بن عامر عن سلمان الفارسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى رأيت على منبرى هذا اثني عشر رجلا من قريش يخطب كلهم

رجلان من ولد حرب بن أمية وعشرة من ولد أبي العاص بن أمية ثم التفت الى العباس وقال هلاكهم على يدَى ولدك •• وأما جماله وبهاؤه ومحاسن ولادته صلى الله عليه وسلم فما روى عن عثمان بن أبي العاص قال أخبرتني أمي انها حضرت آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم لما ضربها المخاض قالت جعلت أنظر الى النجوم تتدلى حتى قلت لتقعن عليَّ فلما وضعته خرج منها نور أضاء له البيت والدار حتى صرت لا أري الا نوراً قال وسمعت آمنة تقول لقد رأيت وهو فى بطني انه خرج مني نور أضاءت له قصور الشام ثم ولد صلى الله عليه وسلم فخرج معتمداً على يديه رافعاً رأسه الى السماء كأنه يخطب أو يخاطب •• وروى عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشجع الناس وأحسن الناس وأجود الناس ما مسست بيدى ديباجاً ولا حريراً ولا خزاً ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم •• وعن جابر بن سَمُرة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة البدر وعليه حُلة حمراء فجعلت أنظر اليه والى القمر فلهو أحسن من فى عيني من القمر •• وعن جابر بن زيد عن أبيه قال أتيتُ النبي صلى الله عليه وسلم فى مسجد الخَيف فناولني يده فاذا هي أطيب من المسك وأبرد من الثلج •• ومن فضله الذى أبرّ على جميع الخلائق ومحاسنه ما روى عن وهب بن منبه انه قال لما خلق الله عز وجل الأرض ارتجت واضطربت فكتب في أطرافها محمد رسول الله فسكنت •• وأما عقله عليه الصلاة والسلام فقد روى ان عقول جميع الخلائق من الأولين والآخرين فى جنب عقل رسول الله صلى الله عليه وسلم كرملةٍ من بين جميع رمال الدنيا •• ومن محاسنه صلى الله عليه وسلم الاسراء وهو ما روى عن الحسن بن أبي الحسن البصرى رحمه الله يرفعه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لنائم فى الحجر اذ جاء جبريل عليه السلام فغمزنى برجله فجلست فلم أر شيئاً ثم عدت لمضجعي فجاءنى الثانية فغمزنى فجلست وأخذ بعضدى فخرج بي الى باب الصفا واذا أنا بدابة أبيض بين الحمار والبغل له جناحان في فخذيه يضع حافره منتهى طرفه فقال لى جبريل إركب يا محمد فدنوت اليه لأركب فتنحى عنى فقال له جبريل عليه السلام يا براق مالك فوالله ماركبك خير منه قط فركبت وخرجت ومعي صاحبي لا أفوته ولا يفوتني حتى انتهى بي الى بيت المقدس

فوجدت فيه نفراً من الأنبياء قد جمعوا لي فأممتهم ثم أُتيت باناءين من خمر وابن فتناولت اللبن وشربت منه وتركت الخمر فقال جبريل عليه السلام حُدِيتَ وهُدِيتْ أمتك وحرمت عليهم الخمر ثم أصبحت بمكة فلما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ارتد كثير ممن كان آمن به وقالوا سبحان الله أذهب محمد الى الشام في ساعة من الليل ثم رجع والعير تطرد شهراً مدبرة وشهراً مقبلة فبلغ ذلك أبا بكر رضى الله عنه فأقبل حتى جلس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله مايقول هؤلاء يزعمون أنك حدثتهم بأنك قد أتيت الشام هذه الليلة ورجعت من ليلتك قال قد كان ذلك قال يا رسول الله فصف لي المسجد فجعلت أصفه لأبي بكر رحمه الله وأنا أنظر اليه فكلما حدثته عن شيء قال صدقت أشهد أنك رسول الله حتى فرغت من صفته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ فأنت الصديق يا أبا بكر ٠٠ ومن محاسنه صلى الله عليه وسلم المعراج وذلك ماحدثنا به عبدة بن أبي سلمان عن سعيد بن عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك قال أخبرنا نبي الله صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا بين اليقظان والنائم عند البيت اذ سمعت قائلا يقول أحد الثلاثة بين الرجلين فانطلق بي فشرح صدرى واستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب فيه من ماء زمزم فغسل به ثم أعيد مكانه وحشى ايمانا وحكمة ثم أتيت بدابة فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلقنا حتى أتينا السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم ففتح لنا قالوا مرحبا به ولنعم المجيء جاء فأتيت على آدم فقلت له يا جبريل من هذا قال هذا أبوك آدم فسلمت عليه فقال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح وانطلقنا حتى أتينا السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم ففتح لنا وقالوا مرحباً به ولنعم المجيء جاء فأتيت على يحيي وعيسى فقلت يا جبريل من هذان قال عيسى ويحيي قال فسلمت عليهما فقالا مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الثالثة فكان مثل قولهم الأول فأتيت على يوسف فسلمت عليه فقال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الرابعة فأتينا على إدريس عليه السلام فسلمت عليه فقال مرحباً

بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم أتينا السماء الخامسة فأتيت على هارون فسلمت عليه فقال مثل ذلك ثم أتينا السماء السادسة فأتيت على موسى عليه السلام فقال مثل ذلك ثم أتينا السماء السابعة فأتيت على ابراهيم عليه وعلى آله السلام فقال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفع لنا البيت المعمور فقلت يا جبريل ما هذا قال البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك اذا خرجوا منه لا يعودون فيه ثم رفعت لنا سدرة المنتهى فاذا أربعة أنهار يخرجن من أسفلها فقلت ياجبريل ما هذه الأنهار قال أما النهران الظاهران فالنيل والفرات وأما الباطنان فنهران فى الجنة ثم أتيت باناءين من خمر ولبن فاخترت اللبن فقيل لى أصبت أصاب الله بك أمتك على الفطرة وفرضت عليّ خمسون صلاة فأقبلت بها حتى أتيت على موسى عليه السلام فقال بم أمرت قلت بخمسين صلاة كل يوم قال أمتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك عز وجل فاسأله التخفيف قال فرجعت الى ربى فحط عنى خمساً فأتيت على موسى عليه السلام فقال بم أمرت فأنبأته بما حط عنى فقال مثل مقالته الأولى فما زلت بين يدى ربي جل وعز أستحط حتى رجعت الى خمس صلوات فأتيت على موسى عليه السلام فقال بم أمرت فقلت بخمس صلوات كل يوم قال أمتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك جل ذكره واسأله التخفيف فقلت لقد رجعت الى ربى تبارك وتعالى حتى استحييت لا ولكني أرضى وأسلم فلما جاوزت نوديت انى قد خففت عن عبادى وأمضيت فريضتي وجعلت بكل حسنة عشراً أمثالها .. وانظر الى رونق ألفاظه عليه الصلاة والسلام وصحة معانيه وموضع ذلك من القلوب مع قلة تعمقه وبعده من التكلف كقوله صلى الله عليه وسلم زويت لى الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى مازوى لى منها قوله — زويت — جمعت ومثله ان المسجد لينزوى من النخامة كما تنزوى الجلدة فى النار ولا يكون الانزواء الا بانحراف مع تقبض .. وقال ان منبرى هذا على ترعة من ترع الجنة وهي الروضة تكون في المكان المرتفع .. وقال ان قريشاً قالت انى صنبور وهى النخلة تبقى منفردة ويدق أصلها تقول انه فرد ليس له ولد فاذا مات انقطع ذكره .. وقال فى أبي بكر رضي الله عنه ما أحد من الناس عرضت عليه الاسلام الا

كانت له كبوة غير أبي بكر فانه لم يتلعثم أى لم ينتظر ولم يمكث ــ والكبوة ــ مثل الوقعة •• وقال فى عمر رحمه الله لم أر عبقرياً يَفرى فريّه أى يعمل عمله •• وقال فى علىّ بن أبي طالب رضوان الله عليه ان لك بيتاً فى الجنة وانك ذو قرنيها يريد انه ذو طرفيها •• وقال فى الحسين بن على رحمهما الله حين بال عليه وهو طفل فأخذ من حجره لا تزرموا ابني ــ الازرام ــ القطع يقال للرجل يقطع بوله ازرم •• وقال فى الانصار انهم كِرْشى وعَيبتى ولولا الهجرة لكنت أمرءً منهم أى من الأنصار ــ الكرش ــ الجماعة ــ والعيبة ــ أى هم موضع سرى ومنه أخذت العيبة •• وقال صلى الله عليه وسلم لعن الله النامصة والمتنمصة والواشرة والموتشرة والواصلة والموتصلة والواشمة والموتشمة ــ فالنامصة ــ التى تنتف الشعر من الوجه ومنه قيل للمنقاش المنماص والمتنمصة التى تفعل بها ذلك ــ والواشرة ــ التى تشر أسنانها وذلك انها تفلجها وتحددها حتى يكون لها أشر ــ والأشر ــ تحدد ورقة فى أطراف الاسنان ــ والواصلة والموتصلة ــ التي تصل شعرها بشعر غيرها ــ والواشمة ــ المرأة تغرز ظهر كفها ومعصمها بابرة حتى تؤثر فيه وتحشوه بالكحل •• وذكر أيام التشريق فقال هي أيام أكل وشرب وبعال يعني النكاح وقال يحشر الناس يوم القيامة حُفاة بُهماً وهو البهيم الذى لا يخلط لونه لون سواه من سواد كان أو غيره يقول ليس فيهم شئ من الأمراض والعاهات التى تكون فى الدنيا •• وقال فى صلح الحديبية لا إغلال ولا إسلال ــ الاسلال ــ السرقة والاغلال الخيانة •• وقال اللهم اني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب والحوْر بعد الكوْر •• الحوب اذا كان بالباء والكون اذا كان بالنون تقول يكون فى حالة جميلة فيرجع عنها واذا كانا جميعاً بالراء فهو النقصان بعد الزيادة •• وقال عليه الصلاة والسلام خمروا آنيتكم وأوكوا أسقيتكم وأجيفوا الأبواب واطفؤا المصابيح واكفتوا صبيانكم فان للشيطان انتشاراً وخطفة يعني بالليل ــ التخمير ــ التغطية ــ والايكاء ــ الشدّ واسم الخيط الذى يشدّ به السقاء الوكاء ــ واكفتوا ــ يعنى ضموهم اليكم •• وقال فى دعائه لا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ •• الجد بفتح الجيم الغنى والحظ في الرزق ومنه قيل لفلان فى هذا الأمر جدّ اذا كان مرزوقاً •• وقال ان روح القدس نفث فى رُوعي ان نفسا لا تموت حتى تستوفى أو تستكمل رزقها فاتقوا الله

واجـلوا فى الطاب قوله ــ نفث فى روعي ــ بضم الراء النفث شبيه بالنفخ ــ وروعي ــ يقول في خَلَدِي •• وقال عليه الصلاة والسلام صوموا لرؤيتـه وافطروا لرؤيته فان حال بينكم وبينه سحاب أوظلمة أو هبوة فاكملوا العدة ــ هبوة ــ يعنى غبرة •• وقال عليـه الصـلاة والسلام ان العرش على منكب اسرافيل وانه ليتواضع لله جلّ وعزّ حتى يصير مثل الوَصع ــ الوصع ــ ولد العصافير •• وقال عليه الصلاة والسلام حين سئل أين كان ربنا جلّ جلاله قبل ان يخلق السموات والارضـين فقال كان فى عماء تحته هواء ــ العماء ــ السحاب •• وقال عليه الصلاة والسلام عم الرجل صـنو أبيه يعنى ان أصلهما واحد وأصل الصنو انما هو فى النخل •• قال الله عز وجل (صِنْوانٌ وغيرُ صِنْوانٍ) الصنوان المجتمع وغير الصنوان المتفرّق •• وقال من تعلّم القرآن ثم نسيه لقى الله عزّ وجلّ وهو أجذم أي مقطوع اليد •• وقال لرجل أتاه وقال يارسول الله أيُدالِكُ الرجـل امرأته بمهرها قال لا الا أن يكون مُلْفَجا فقال له أبو بكر رضى الله عنـه بأبي وأمى أنت يارسول الله انما نشأت فيما بيننا ونحن قد سافرنا وأنت مقيم فنراك تتكلم بكلام لانعرفه ولا نفهمه فقال صلى الله عليه وعلى آله وسـلم ان الله جل وعز أدبني وأحسن أدبي وهـذا الرجل كلمنى بكلامه فأجبته على حسـبه قال أيدالك الرجل امرأته بمهرها أى يماطلها فقلت لا الا أن يكون ملفجا أى معدما •• فكلامه صلى الله عليه وسلم وأخلاقه ومذاهبه تدل على انه موافق لقول الله جل وعز (اللهُ أعلمُ حيثُ يجعل رسالته) ولقوله (ولقدِ اخترْناهمْ على عِلْمٍ على العالمينَ) •• وقال جل ذكره (خُذِ العفوَ وأمر بالعرْف وأعرض عن الجاهلين) فلما علم انه قد قبل أدبه قال (وإنّكَ لعلَى خُلُق عظيمٍ) فلما استحكم له ماأحب قال (وما آتاكم الرسولُ فخذوه وما نهاكم عنهُ فانتهوا)

مساوى من تنبي

روى ان مُسَيلمة بن حبيب الكذّاب كتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك

في آخر سنة عشر من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله أما بعد فانى قد شوركت في الامر معك وان لنا نصف الارض ولقريش نصف الارض ولكن قريشا قوم يعتدون فقدم عليه رسولان من قبل مسيلمة بهذا الكتاب فقال أما والله لولا ان الرسل لايقتلون لضربت أعناقكما ثم كتب بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذّاب السلام على من اتبع الهدى أما بعد فان الارض لله يورثها من عباده من يشاء والعاقبة للمتقين ٠٠ قيل وأتاه الاحنف بن قيس مع عمه فلما خرجا من عنده قال الأحنف لعمه كيف رأيته قال ليس بمتنبئ صادق ولا بكذّاب حاذق ٠٠ ومنهم طليحة تنبى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول ان ذا النون يأتيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد ذكر ملكا عظيما فلما كان أيام الردة بعث أبو بكر رحمة الله عليه خالد بن الوليد اليه فلما انتهى الى عسكره وجده قد ضربت له قبة من أدم وأصحابه حوله فقال ليخرج اليَّ طليحة فقالوا لاتصغّر نبياً هو طليحة فخرج اليه فقال خالد ان من عهد خليفتنا ان ندعوك الى الله وحده لاشريك له وان محمداً عبده ورسوله فقال ياخالد أشهد أن لا إله الا الله وأني رسول الله فلما سمع خالد ذلك انصرف عنه وعسكر بالقرب منه على ميل فقال عيينة بن حصن لطليحة لاأبالك هل انت مُرينا بعض نبوّتك قال نعم وكان قد بعث عيونا له حين سار خالد من المدينة مقبلا اليهم فعرفوه خبر خالد فقال لئن بعثتم فارسين على فرسين أغرين محجلين من بني نصر بن قعين أتوكم من القوم بعين فهيؤا فارسين فبعثوهما فخرجا يركضان فلقيا عينا لخالد مقبلا اليهم فقالا ماخبر خالد أو قالا ماوراءك قال هذا خالد بن الوليد فى المسلمين قد أقبل فزادهم فتنة وقال ألم أقل لكم فلما كان في السحر نهض خالد الى طليحة فيمن معه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما التقى الصفان تزمل طليحة فى كساء له ينتظر بزعمه الوحي فلما طال ذلك على أصحابه وألح عليهم المسلمون بالسيف قال عيينة بن حصن هل أتاك بعدُ قال طليحة من تحت الكساء لا والله ماجاء بعد فقال عيينة تباً لك آخر الدهر ثم جذبه جذبة جاش منها وقال قبح الله هذه من نبوة فجلس طليحة فقال له عيينة ماقيل لك قال قيل لي ان لك رحا كرحاه وأمراً لاتنساه فقال عيينة قد علم الله جل وعز أن

سيكون لك أمر لاتنساه هــذا كذّاب مابورك لنا ولا له فيما يطلب ثم هرب عيينة وأخوه فأدركوه وأسروه وأفلت أخوه وخرج طليحة منهزما وأسلمه شيطانه حتى قدم الشام فأقام عند بني جَفنة الغسانيين حتى فتح الله عز وجل أجنادين وتوفى أبو بكر وأسلم اسلاما صحيحا وقال

وإني من بعد الضلالة شاهد شهادةَ حق لستُ فيها بمُلحِدِ

ومنهم من تنبي بعد في أيام الرشيد رجل زعم انه نوح فقيل له أنت نوح الذى كان أم نوح آخر قال أنا نوح الذى لبث في قومه ألف سنة الا خمسين عاما وقد بُعثت اليكم لأفي الخمسين عاما تمام الألف سنة فأمر الرشيد بضربه وصلبه فمر به بعض المخنثين وهو مصلوب فقال صــلى الله وســلم عليك ياأبانا ماحصــل فى يدك من سفينتك الا دَقَلُها وهو الذى يكون فى وسط السفينة كجذع طويل •• ومنهم رجــل تنبي فى أيام المأمون فقال للحاجب ابلغ أمير المؤمنين انى نبي الله بالباب فأذن له فقال ثمامة مادليل نبوتك قال تحضر لى أمك فأواقعها فتحمل في ساعتها وتأتى بغلام مثلك فقال ثمامة صــلى الله عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته أهون عليّ من إحضارك أمي ومواقعتها

محاسن أبي بكر رضوان الله ورحمته عليه

روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله فقال هكذا نبعث يوم القيامة •• وقال صلي الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى أيّدنى من أهل السماء بجبريل وميكائيل ومن أهل الارض بأبي بكر وعمر ورآهما مقبلين فقال هذان السمع والبصر •• وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح بهم •• وروى عن عمر رضي الله عنه انه قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصدقة ووافق ذلك مالاً عندى فقلت اليوم أسبق أبا بكر ان سبقته فجئته بنصف مالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأبقيتَ لأهلك قلت النصف وجاء أبو بكر بكل ماله فقال له النبي صلى الله

عليه وسلم ماأبقيت لأهلك قال الله حقاً ورسوله فقلت والله لاأسبقك الى شيء أبداً
•• وعن عمر رضى الله عنه انه قال وددت انى شعرة فى صدر أبي بكر رضى الله عنه
•• وعن عطاء عن أبي الدرداء انه مشى بين يدى أبى بكر رضي الله عنه فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم أتمشى بين يدى من هو خير منك ماطلعت الشمس
ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أحد أفضل من أبى بكر •• وعن على بن أبي طالب
رضوان الله ورحمته عليه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ياعليّ هل تحب الشيخين
قلت نعم يارسول الله قال لايجتمع حبك وحبهما الا في قلب مؤمن •• وعن أبي أمامة
الباهلي •• قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أبا بكر زَوَّجني ابنته وحملني
الى دار الهجرة وعتق بلالاً من ماله •• وعن أنس عن أبي بكر رضي الله عنه قال
قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن فى الغار لوأن أحدهم نظر فى قدميه لأبصرنافقال
ياأبا بكر ماظنك باثنين الله جل وعز ثالثهما •• وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه
قال خرج علينا رسول الله فى مرضه الذى مات فيه وهو عاصب رأسه حتى صعد المنبر
فقال انى قائم الساعة على الحوض وان عبداً عرضت عليه الدنيا وزينتها فاختارالآخرة
فلم يفطن لها أحد الا أبو بكر رضي الله عنه فقال بأبى أنت وأمي بل نفديك بآبائنا
وأبنائنا وأنفسنا وأموالنا وبكي فقال لاتبك ياأبا بكر ان من أمنّ الناس علىّ في صحبته
وماله أبا بكر ولو كنت متخذاً خليلا من الناس لاتخذت أبا بكر ولكن أخى فى الاسلام
لايبقى فى المسجد باب إلا سُدّ الا باب أبي بكر فبكى أبو بكر وقال أنا ومالى لك يارسول
الله •• وعن ابن المنكدر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوا لى صاحبي
إني بُعثت وقال الناس كلهم كذبت وقال لى صدقتَ يعني أبا بكر رضى الله عنه •• وعن
محمد بن عُبيد عن إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبي حازم قال بعث رسول الله
صلي الله عليه وسلم عمرو بن العاص فى غزوة ذات السلاسل فجاء وقد ظهر فقال يارسول
الله أى الناس أحب اليك قال عائشة قال لست أسألك عن النساء قال أبوها أبو بكر
•• وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيء يوم القيامة رجل الى
باب الجنة ليس منها باب الا وعليه ملك يهتف به هلمّ هلمّ ادخل فقال أبو بكر رضى الله

عنه ان هذا لسعيد قال هو ابن أبي قحافة •• وعن سليمان بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في المؤمن ثلاثمائة وستون خصلة من الخير اذا جاء بواحدة دخل الجنة قال أبو بكر رضي الله عنه بأبي أنت وأمي أفيّ منها شيء قال هي كلها فيك ياأبا بكر •• وعن ابن عمر رضي الله عنه قال بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس وعنده أبو بكر رضي الله عنه وعليه عباءة قد خلّها في صدره بخلال اذ نزل عليه جبريل عليه السلام فقال يارسول الله مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلّها في صدره قال أنفق ماله عليّ قبل الفتح قال فاقرئه من الله عز وجلّ السلام وقل له يقول لك ربك تبارك وتعالى أراض أنت عني في فقرك أم ساخط فقال أبو بكر أعلى ربي أغضب أنا عن ربي راض •• وعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ طلع أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال عليه الصلاة والسلام هذان سيدا كهول أهل الجنة من الاولين والآخرين ممن مضى وممن بقي الا النبيين والمرسلين لاتخبرهما ياعليّ •• وعن جابر قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول يطلع علينا من هذا الفجّ رجل من أهل الجنة فطلع أبو بكر رضي الله عنه ثم قال يطلع علينا من هذا الفجّ رجل من أهل الجنة فطلع عمر رضي الله عنه ثم قال يطلع علينا من هذا الفج رجل من أهل الجنة اللهم اجعله عليًا فطلع عليّ رضي الله عنه •• وعن ابن عباس قال قال أبو بكر يارسول الله ماأحسن هذه الآية قال أيتها قال قوله تبارك وتعالى ﴿ ياأيتها النفسُ المطمئنّةُ ارجعي إلى ربّكِ راضيةً مرضيّةً فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾ فقال ياأبا بكر ان الملك سيقولها لك •• وقيل انه لما أسلم أبو أبي بكر أبو قحافة لم يعلم أبو بكر رضي الله عنه باسلامه حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ألا أبشرك يا أبا بكر بما يسرك قال مثلك يا رسول الله من يبشر بالخير فما هي قال أسلم أبو قحافة قال يارسول الله لو بشرتني باسلام أبي طالب كان أقرّ لعيني فانه أقر لعينك فبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى علا بكاؤه جزعاً لما فاته من اسلام أبي طالب وقال رحمك الله يا أبا بكر ثلاثا

محاسن عمر بن الخطاب رضوان الله ورحمته عليه

عن أبي هريرة رحمه الله قال قال النبي صلى الله عليه وسلم بينا أنا نائم اذ رأيتنى على قَليب وعليها دلو فنزعت ما شاء الله ثم أخذها منى أبو بكر أو قال ابن أبى قحافة فنزع منها ذَنوباً أو ذَنوبين وفى نزعه ضعف والله جل وعز يغفر له ثم أخذها عمر فلم أر عبقرياً من الناس يفرى فريّه حتى ضرب الناس بعطن ٠٠ وروى ان امرأة في الجاهلية تسمى عاصية أسلمت فكرهت اسمها فأتت عمر رحمه الله فقالت اني كرهت اسمي فسمني فقال أنت جميلة فغضبت وقالت سميتنى باسم الاماء ثم أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت بأبى أنت وأمي اني كرهت اسمي فسمني فقال أنت جميلة فقالت يا رسول الله اني أتيت عمر فسماني جميلة فغضبت فقال أوَ ما علمت أن الله جل وعز عند لسان عمر ويده ٠٠ وعن سعيد بن جُبير فى قوله عز وجل (وصالحُ المؤمنين) قال نزلت في عمر خاصة ٠٠ وعن عليّ رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله عمر يقول الحق وان كان مراً تركه الحق ما له من صديق ٠٠ وعن سعيد بن جبير قال ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم اقرأ على عمر السلام وأعلمه ان غضبه عزّ ورضاه حكم ٠٠ وعن عثمان بن مظعون قال مرّ بنا عمر رضي الله عنه ونحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال هذا غلق باب الفتنة لا يزال بينكم وبين الفتنة باب ماعاش هذا بين أظهركم أو ظهرانيكم فقال بيمينه وشبك بين أصابعه ٠٠ وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال جاءني جبريل عليه السلام حين أسلم عمر رحمه الله فقال لى تباشرت الملائكة باسلام عمر وعمر سراج أهل الجنة ٠٠ وعن جابر بن عبد الله الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا فى الجنة اذ رأيت داراً فأردت أن أدخلها فسألت لمن هى فقيل هي لعمر بن الخطاب فذكرت غيرته فرجعت فقال عمر يا رسول الله لستَ ممن يغار عليه ٠٠ وعن عليّ رضى الله عنه ما كنا نُبعد أن السكينة كانت تنطق على لسان عمر وعن عطاء عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية (ولقد خلقنا الانسان من سُلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين) الى قوله (ثم أنشأناه خلقاً آخر)

فقال عمر (تَبارَكَ اللهُ أحسنُ الخالقينَ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لقد ختمها الله عز وجل بما قلت ياعمر وعن سعد بن أبي وقاص رحمه الله قال استأذن عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نسوة من قريش قد علت أصواتهن فأذن له فلما دخل بادرن الحجاب فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر أضحك الله سنك بأبي أنت وأمي مم ضحكت فقال أعجب من اللواتي كنّ عندى لما سمعن صوتك بادرن الحجاب فقال أنت كنت أحق أن يَهبن يا رسول الله ثم أقبل عليهن وأغلظ لهن وقال أتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلن نعم انك أفظ وأغلظ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعمر والذى نفسى بيده مالقيك الشيطان سالكا فجاً الا سلك فجاً غير فجك

محاسن عثمان بن عفان رضي الله عنه ورحمه

عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حائط من حيطان المدينة فجاء أبو بكر رحمه الله فقال افتح له وبشره بالجنة ثم جاء عمر رحمه الله فقال افتح له وبشره بالجنة ثم جاء علىّ رضوان الله عليه فقال افتح له وبشره بالجنة فلما جاء عثمان رحمه الله ورحمهم أجمعين وقد بدت من فخذ رسول الله عليه الصلاة والسلام ناحية فقال افتح له وبشره بالجنة وغطاها فقالوا يارسول الله مالك لم تغطها حين جئنا فقال ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة •• وعن النبي عليه الصلاة والسلام قال ان الله جل وعز أمرنى أن أزوج كريمتى عثمان بن عفان رحمه الله

محاسن على بن أبى طالب رضوان الله عليه ورحمته

عن ابن حيّان التيميّ عن أبيه عن علىّ بن أبى طالب رحمه الله قال قال النبي عليه الصلاة والسلام رحم الله علياً اللهم أدر الحق معه حيث دار •• وعن على قال قال رسول

الله عليه الصلاة والسلام يامعشر قريش والله ليبعثنّ الله عليكم رجلا منكم قد امتحن الله قلبه للايمان يضرب رقابكم على الدنيا فقال أبو بكر أنا هو يا رسول الله قال لا فقال عمر أنا هو يا رسول الله قال لا ولكنه خاصف النعل وأنا أخصف لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠ وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعليّ هذا وليكم بعدى اذا كانت فتنة ٠٠ وعن مصعب عن أبيه قال سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول مالكم ولعلى من آذى علياً فقد آذاني ٠٠ وعن علي رضي الله عنه قال هلك فيّ رجلان عدو مبغض ومحب مفرط قال وقال ليحبني أقوام حتى يدخلهم حبي النار ويبغضني أقوام حتى يدخلهم بغضى النار هم الرافضة والناصبة ٠٠ وعن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايحب علياً منافق ولا يبغض علياً مؤمن ٠٠ وعن عمرو بن الأصمّ قال قلت للحسن بن عليّ رضوان الله عليهما هؤلاء الشيعة يزعمون ان علياً مبعوث الآن قال كذبوا والله ما أولئك بشيعة ولو كانوا كما يقولون ما أنكحنا نساءه ولا قسمنا ميراثه ٠٠ وعن فاطمة رضى الله عنها قالت دخل عليّ عليٌّ رضى الله عنه وأنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابشرْ يا أبا الحسن أما انك فى الجنة وان قوماً يزعمون انهم يحبونك يرفضون الاسلام يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية لهم نبزٌ يقال لهم الرافضة فان أدركتهم فقاتلهم فانهم مشركون ٠٠ قال وحدثنا رجل حضر مجلس القاسم بن المجمع وهو والى الاهواز قال حضر مجلسه رجل من بني هاشم فقال أصلح الله الأمير ألا أحدثك بفضيلة لأمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه قال نعم ان شئت قال حدثني أبي قال حضرت مجلس محمد بن عائشة بالبصرة اذ قام اليه رجل من وسط الحلقة فقال يا أبا عبد الرحمن من أفضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح فقال له فأين على بن أبي طالب رضى الله عنه قال يا هذا تستفتى عن أصحابه أم عن نفسه قال بل عن أصحابه قال ان الله تبارك وتعالى يقول ﴿ قل تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ﴾ فكيف يكون أصحابه مثل نفسه ٠٠ وعن عطاء قال كان لعلى رحمه الله موقف من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة

اذا خرج أخذ بيده فلا يخطو خطوة الا قال اللهم هذا علىّ اتبع مرضاتك فارض عنه حتى يصعد المنبر •• وحدثنا ابراهيم بن أحمد الغضائرىّ باسناد يرفعه الى أبي مالك الأشجعي رواه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هبط علىّ جبريل عليه السلام يوم حنين فقال يا محمد ان ربك تبارك وتعالى يقرئك السلام وقال ادفع هذه الأترجّة الى ابن عمك ووصيك على بن أبي طالب رضى الله عنه فدفعتها اليه فوضعتها فى كفه فانفلقت نصفين فخرج منها رَقّ أبيض مكتوب فيه بالنور من الطالب الغالب الى على بن أبي طالب •• أبو عثمان قاضى الرّى عن الأعمش عن سعيد بن جبير قال كان عبد الله بن عباس بمكة يحدث على شفير زمزم ونحن عنده فلما قضى حديثه قام اليه رجل فقال يا ابن عباس اني امرؤ من أهل الشام من أهل حمص انهم يتبرؤن من على بن أبي طالب رضوان الله عليه ويلعنونه فقال بل لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً ألبعد قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لم يكن أول ذُكران العالمين ايماناً بالله ورسوله وأول من صلى وركع وعمل بأعمال البر قال الشامي انهم والله ما ينكرون قرابته وسابقته غير انهم يزعمون انه قتل الناس فقال ابن عباس ثكلتهم أمهاتهم ان علياً أعرف بالله عز وجل وبرسوله وبحكمهما منهم فلم يقتل الا من استحق القتل قال يا ابن عباس ان قومي جمعوا لي نفقة وأنا رسولهم اليك وأمينهم ولا يسعك أن تردني بغير حاجتي فان القوم هالكون فى أمره ففرج عنهم فرج الله عنك فقال ابن عباس يا أخا أهل الشام انما مثل علىّ فى هذه الأمة فى فضله وعلمه كمثل العبد الصالح الذى لقيه موسى عليه السلام لما انتهي الى ساحل البحر فقال له ﴿ هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً ﴾ قال العالم ﴿ انك لن تستطيع معى صبراً وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً ﴾ •• قال موسى ﴿ ستجدنى ان شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً ﴾ قال له العالم ﴿ فان اتبعتنى فلا تسألني عن شئ حتى أُحدث لك منه ذكرا فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها ﴾ وكان خرقها لله جل وعز رضىً ولاهلها صلاحاً وكان عند موسى عليه السلام سخطاً وفساداً فلم يصبر موسى عليه السلام وترك ماضمن له فقال ﴿ أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً ﴾ قال له العالم ﴿ ألم أقل انك

لن تستطيع معي صبراً ﴾ قال موسى ﴿لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقنى من أمري عسراً ﴾ فكشف عنه العالم ﴿فانطلقا حتى اذا لقيا غلاماً فقتله﴾ وكان قتله لله جل وعز رضىً ولأبويه صلاحاً وكان عند موسى عليه السلام ذنباً عظيما قال موسى ولم يصبر ﴿ أقتلتَ نفساً زكيةً بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً ﴾ قال العالم ﴿ ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبراً قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدُنى عُذراً فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيّفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه﴾ وكانت اقامته لله عز وجل رضى وللعالمين صلاحاً فقال ﴿لو شئت لاتخذت عليه أجراً قال هذا فراق بيني وبينك﴾ وكان العالم أعلم بما يأتي من موسى عليه السلام وكبر على موسى الحق وعظم اذ لم يكن يعرفه هذا وهو نبي مرسل من أولى العزم ممن قد أخذ الله جل وعز ميثاقه على النبوة فكيف أنت يا أخا أهل الشام وأصحابك ان علياً رضى الله عنه لم يقتل الا من كان يستحل قتله واني أخبرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عند أم سَلمة بنت أبي أمية اذ أقبل عليّ عليه السلام يريد الدخول على النبي صلى الله عليه وسلم فنقر نقراً خفياً فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم نقره فقال يا أم سلمة قُومي فافتحي الباب فقالت يا رسول الله من هذا الذى يبلغ خطَرُه ان استقبله بمحاسني ومعاصمي فقال يا أم سلمة ان طاعتي طاعة الله جل وعز قال ﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ قومي يا أم سلمة فان بالباب رجلا ليس بالخرق ولا النزق ولا بالعجل فى أمره يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يا أم سلمة انه إن تفتحي الباب له فلن يدخل حتى يخفى عليه الوطء فلم يدخل حتي غابت عنه وخفي عليه الوطء فلما لم يحس لها حركة دفع الباب ودخل فسلم على النبي عليه الصلاة والسلام فرد عليه السلام وقال يا أم سلمة هل تعرفين هذا قالت نعم هذا على بن أبي طالب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم هذا علي سيط لحمه بلحمي ودمه بدمي وهو مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدى يا أم سلمة هذا على سيد مبجل مؤمّل المسلمين وأمير المؤمنين وموضع سرى وعلمي وبابي الذي يؤوى اليه وهو الوصي على أهل بيتي وعلى الأخيار من أمتي وهو أخي فى الدنيا والآخرة وهو معي في السناء الأعلى إشهدى يا أم سلمة ان علياً يقاتل الناكثين

والقاسطين والمارقين .. قال ابن عباس وقتلهم لله رضيً وللأمة صلاح ولاهل الضلالة سخط قال الشامي يا ابن عباس من الناكثون قال الذين بايعوا علياً بالمدينة ثم نكثوا فقاتلهم بالبصرة أصحاب الجمل والقاسطون معاوية وأصحابه والمارقون أهل النهروان ومن معهم فقال الشامي يا ابن عباس ملأت صدري نوراً وحكمة وفرجت عني فرج الله عنك أشهد أن علياً رضي الله عنه مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة .. ويروى أن ابن عباس رحمه الله قال عقم النساء أن يجئن بمثل علي بن أبي طالب رضي الله عنه مارأيت له مُخزياً يزَنّ به لرأيته يوم صِفّين وعلى رأسه عمامة بيضاء وكأن عينيه سراجا سليطٍ وهو يقف على شرذِمة من الناس يعظهم ويحضهم ويحرضهم حتى انتهى اليَّ وأنا في كنف من الناس فقال معاشر المسلمين استشعروا الخشية وأكملوا اللأمة وتجلببوا السكينة وغضوا الأصوات وآلحظوا الشزر واطعنوا الوجر وصلوا السيوف بالخُطى والرماح بالنبل فانكم بعين الله ومع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاتلون عدو الله عليكم بهذا السواد الأعظم والرواق المطنّب فاضربوا ثَبَجه فان الشيطان راكس في كسره مفترش ذراعيه قد قدم للوثبة يداً وأخّر للنكوص رجلا فصمداً صمدا حتى يجلي لكم الحق وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم .. وعن ابن عباس انه قال لقد سبق لعلي رضي الله عنه سوابق لو أن سابقة منها قسمت على الناس لوسعتهم خيراً .. وعنه قال كان لعلي رضي الله خصال ضوارس قواطع سِطةٌ في العشيرة وصهرٌ بالرسول وعلم بالتنزيل وفقه في التأويل وصبر عند النزال ومقاومة الأبطال وكان ألدّ اذا أعضل ذا رأى اذا أشكل .. قيل ودخل ابن عباس على معاوية فقال يا ابن عباس صف لي علياً قال كأنك لم تره قال بلى ولكني أحب أن أسمع منك فيه مقالا قال كان أمير المؤمنين رضوان الله عليه غزير الدمعة طويل الفكرة يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن يدنينا اذا أتيناه ويجيبنا اذادعوناه وكان مع تقربته ايانا وقربه منا لانبدأه بالكلام حتى يبتسم فاذا هو تبسم فعنْ مثل اللؤلؤ المنظوم أما والله يامعاوية لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وهو قابض على لحيته يبكي ويتململ تململ

السليم وهو يقول يا دنيا اياى تغرين أمثلي تشوقين لا حان حينك بل زال زوالك قد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها فعيشك حقير وعمرك قصير وخطرك يسير آه آه من بعد السفر ووحشة الطريق وقلة الزاد قال فأجهش معاوية ومن معه بالبكاء .. وقال خزيمة ابن ثابت ذو الشهادتين يصف محاسن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومن حضره كرم الله وجهه في قصيدة له

رأوا نعمةً لله ليستْ عليهمُ عليكَ وفضلاً بارعاً لا تنازَعهْ
فعضوا من الغيظِ الطويلِ أكفهم عليك ومن لم يرضَ فالله خادعه
من الدينِ والدنيا جميعاً لكَ المنى وفوقَ المنى أخلاقهُ وطبائعهْ

وروى أن عديّ بن حاتم دخل على معاوية بن أبي سفيان فقال ياعديّ أين الطَرَفات يعني بنيه طريفاً وطارفاً وطَرَفة قال قتلوا يوم صِفّين بين يدى على بن أبي طالب رضي الله عنه فقال ما أنصفك ابن أبي طالب اذ قدم بنيك وأخّر بنيه قال بل ما أنصفت أنا علياً إذ قتل وبقيت قال صف لي علياً فقال ان رأيت أن تعفيني قال لا أُعفيك قال كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول عدلا ويحكم فصلا تتفجر الحكمة من جوانبه والعلم من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته وكان والله غزير الدمعة طويل الفكرة يحاسب نفسه اذا خلا ويقلب كفيه على ما مضى يعجبه من اللباس القصير ومن المعاش الخشن وكان فينا كأحدنا يُجيبنا اذا سألناه ويُدنينا اذا أتيناه ونحن مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه لهيبته ولا نرفع أعيننا اليه لعظمته فان تبسم فعن اللؤلؤ المنظوم يعظم أهل الدين ويتحبب الى المساكين لا يخاف القويّ ظلمه ولا ييأس الضعيف من عدله فأقسم لقد رأيته ليلة وقد مَثَل في محرابه وأرخى الليل سرباله وغارت نجومه ودموعه تتحادر على لحيته وهو يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين فكأني الآن أسمعه وهو يقول يادنيا إليّ تعرّضت أم إليّ أقبلت غرّي غيري لا حان حينك قد طلقتُك ثلاثاً لا رجعة لي فيك فعيشك حقير وخطرك يسير آه من قلة الزاد وبُعد السفر وقلة الأنيس قال فوكفت عينا معاوية وجعل ينشفهما بكمه ثم قال يرحم الله أبا الحسن كان كذلك فكيف صبرك عنه قال كصبر من ذبح ولدها في حجرها فهي لا ترقأ دمعتها

ولا تسكن عَبرتها قال فكيف ذكرك له قال وهل يتركني الدهر ان أنساه وهذا الخبر أتم من خبر ابن عباس رحمه الله

محاسن من أمسك عن الوقوع فى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

قال قدم عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان فقال له يحيى بن الحكم عمّ عبد الملك بن مروان ما تقول فى على وعثمان قال أقول ما قال من هو خير منى فيمن هو شر منهما ﴿ ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ﴾ عِصام ابن يزيد قال كنت عند حمزة حتى أتاه رجل فسأله عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسألونَ عما كانوا يعملون ﴾ •• وروى انه كتب اسماعيل بن على الى الأعمش أن اكتب لنا بمناقب على ووجوه الطعن على عثمان رضي الله عنهما فكتب لو أن علياً لقى الله جل وعز بحسنات أهل الدنيا لم يزد ذلك فى حسناته ولو لقيه عثمان رضى الله عنه بسيئات أهل الأرض لم ينقص ذلك من سيئاته •• وعن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر قال كان إياس بن معاوية لي صديقاً فدخلنا على عبد الرحمن بن القاسم بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما وعنده جماعة من قريش يتذاكرون السلف ففضل قوم أبا بكر وقوم عمر وآخرون علياً رضي الله عنهم أجمعين فقال اياس ان علياً رحمه الله كان يرى انه أحق الناس بالأمر فلما بايع الناس أبا بكر ورأى انهم قد اجتمعوا عليه وان ذلك قد أصلح العامة اشترى صلاح العامة بنقض رأى الخاصة يعنى بني هاشم ثم ولى عمر رحمه الله ففعل مثل ذلك به وبعثمان رضي الله عنه فلما قتل عثمان رحمه الله واختلف الناس وفسدت الخاصة والعامة وجد أعواناً فقام بالحق ودعا اليه •• وقيل انه حضر مجلس عمر بن عبد العزيز رحمه الله جماعةٌ من أهل العلم فذكروا علياً وعثمان وطلحة والزبير رضى الله عنهم أجمعين وما كان بينهم فأكثروا وعمر ساكت قال القوم ألا تتكلم يا أمير المؤمنين فقال لا أقول شيئاً تلك دماء طهر الله منها كفى فلا أغمس فيها لسانى

مساوى تلك الحروب ومن تنقّص علي بن أبي طالب

(رضوان الله ورحمته وبركاته عليه)

أبو نعيم قال حدثنا عبد الجبار بن العباس الهمداني عن عمار الدهني عن سالم بن أبي الجعد قال ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بعض أمهات المؤمنين فضحكت عائشة رضى الله عنها فقال انظرى يا حميراء أن لا تكوني أنت هي ثم التفت الى عليّ رضوان الله عليه فقال انظر يا أبا الحسن ان وليت من أمرها شيئاً فارفق بها ٠٠ وقال الزهرى لما سارت عائشة ومعها طلحة والزبير رضي الله عنهم فى سبعمائة من قريش كانت تنزل كل منزل فتسأل عنه حتى نبحتها كلاب الحَوْأَب فقالت ردوني لا حاجة لي فى مسيرى هذا فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاني فقال كيف أنت يا حميراء لو قد نبحت عليك كلاب الحوأب أو أهل الحوأب فى مسيرك تطلبين أمراً أنت عنه بمعزل فقال عبد الله ابن الزبير ليس هذا بذلك المكان الذى ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ودار على تلك المياه حتى جمع خمسين شيخاً قسامةً فشهدوا انه ليس بالماء الذي تزعمه انه نهيت عنه فلما شهدوا قبلت وسارت حتى وافت البصرة فلما كان حرب الجمل أقبلت فى هودج من حديد وهي تنظر من منظر قد صير لها فى هودجها فقالت لرجل من ضبّة وهو آخذ بخطام جملها أو بعيرها أين ترى على بن أبي طالب رضى الله عنه قال هاهوذا واقف رافع يده الى السماء فنظرت فقالت ما أشبهه بأخيه قال الضبي ومن أخوه قالت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فلا أراني أقاتل رجلا هو أخو رسول الله عليه الصلاة والسلام فنبذ خطام راحلتها من يده ومال اليه ٠٠ وعن الحسن البصرى رحمه الله ان الأحنف بن قيس قال لعائشة رحمها الله يوم الجمل يا أم المؤمنين هل عهد اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المسير قالت اللهم لا قال فهل وجدتيه فى شئ من كتاب الله جل ذكره قالت ما نقرأ الا ما تقرؤن قال فهل رأيت رسول الله عليه الصلاة والسلام استعان بشئ من نسائه اذا كان فى قلة والمشركون فى كثرة قالت اللهم لا قال الأحنف فاذاً ما هو ذنبنا ٠٠ قال وقال الحسن البصرى تقلدتِ سيفي وذهبت لأنصر أمّ المؤمنين فلقيني الأحنف

فقال الى أين تريد فقلت أنصر أم المؤمنين فقال والله ما قاتلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين فكيف تقاتل معها المؤمنين قال فرجعت الى منزلى ووضعت سيفى

مساوى من عادى على بن أبي طالب رضى الله عنه

قال ولما فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من قتال أهل الجمل دخل عليه عبد الله ابن الكواء وقيس بن عبادة اليشكرى فقالا يا أمير المؤمنين أخبرنا عن مسيرك هذا الذى سرت يضرب الناس بعضهم رقاب بعض أرأياً رأيته حين تفرقت الأمة واختلفت الدعوة فان كان رأياً رأيته أجبناك في رأيك وان كان عهداً عهده اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنت الموثوق به المأمون فيما حدثت عنه فقال والله لئن كنت أول من صدق به لا أكون أول من كذب عليه أما أن يكون عندى عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فلا والله لو كان عندى ما تركت أخا تيم وعدي على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن نبينا عليه الصلاة والسلام لم يقتل قتلا ولم يمت فجأة ولكنه مرض ليالى وأياماً فأتاه بلال ليؤذنه بالصلاة فيقول إيت أبا بكر وهو يرى مكانى فلما قبض صلى الله عليه وسلم نظرنا فى الأمر فاذا الصلاة عَلَم الاسلام وقوام الدين فرضينا لدنيانا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا فولينا أمورنا أبا بكر فأقام بين أظهرنا الكلمة واحدة والدين جامع أو قال الأمر جامع لا يختلف عليه منا اثنان ولا يشهد منا أحد على أحد بالشرك وكنت آخذ اذا أعطاني وأغزو اذا أغزاني وأضرب الحدود بين يديه بسيفى وسوطى على كراهة منه لها وود أبو بكر لو أن واحداً منا يكفيه فلما حضرت أبا بكر رحمه الله الوفاة ظننت أنه لا يعدل عنى لقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسابقتى وفضلى فظن أبو بكر ان عمر أقوى منى عليها ولو كانت اثرة لآثر بها ولده فولى عمر على كراهة كثير من أصحابه فكنت فيمن رضي لا فيمن كره فوالله ما خرج عمر من الدنيا حتى رضى به من كان كرهه فأقام عمر رحمه الله بين أظهرنا الكلمة واحدة والأمر واحد لا يختلف عليه منا اثنان فكنت آخذ اذا أعطانى وأغزو اذا أغزاني وأضرب الحدود

بين يديه بسوطي وسبقي أتبع أثره اتباع الفصيل أمه لا يعدل عن سبيل صاحبه ولا يحيدُ عن سنتهما فلما حضرت عمر رضى الله عنه الوفاة ظننت انه لا يعدل عنّي لقرابتي وسابقتي وفضلي فظن عمر انه ان استخلف خليفة فعمل بخطيئة لحقته في قبره فأخرج منها ولده وأهل بيته وجعلها شورى في ستة رهط منهم عبد الرحمن بن عَوف فقال هل لكم أن أدع لكم نصيبي على أن اختار لله ولرسوله قلنا نعم فأخذ ميثاقنا على ان نسمع ونطيع لمن ولاه وأخذنا ميثاقه على أن يختار لله ولرسوله فوقع اختياره على عثمان رضي الله عنه فنظرت فاذا طاعتي قد سبقت بيعتي واذا ميثاقي قد أخذ لغيري فاتّبعت عثمان وأدّيت اليه حقه على أثرة منه وتقصير عن سنة صاحبيه فلما قُتل عثمان رضى الله نظرت فكنت أحق بها من جميع الناس فقالا صدقت وبررت فأخبرنا عن طلحة والزبير بما استحللت قتالهما وقد شركاك في الهجرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الشورى من عمر رحمه الله فقال قد شركاني في الهجرة وفي الشورى ولكنهما بايعاني بالحجاز وخلعاني بالعراق ولو فعلا ذلك بأبي بكر وعمر لقاتلاهما فقالا صدقت وبررت وأنت أمير المؤمنين

•• قال ولما كان حرب صِفّين كتب أمير المؤمنين رضوان الله عليه الى معاوية بن أبي سفيان مالك يُقتل الناس بيننا ابرز لي فان قتلتني استرحتَ مني وان قتلتك استرحتُ منك فقال له عمرو بن العاص أنصفك الرجل فابرز اليه قال كلاّ يا عمرو وأردت أن أبرزله فيقتلني وتثب على الخلافة بعدي قد علمت قريش ان ابن أبي طالب سيدها وأسدُها ثم أنشأ يقول

يا عمرو قد أسَرْتَ تهمةَ غادرٍ ... برضاك لي تحتَ العَجاجِ برازي
ما للمُلوك وللبرازِ وانما ... حتفُ المبارزِ خطفةٌ من بازي
ان الذي مَنتْكَ نفسُك خالياً ... قتلي جزاكَ بما نويتَ الجازي
فلقد كشفتَ قناعها مذمومةً ... ولقد لبستَ لها ثياب الخازي

•• فأجابه عمرو بن العاص

مُعاويَ إنّي لم أجنِ ذنباً ... وما أنا بالذي يُدعى بخازي
فما ذنبي بأنْ نادى عليٌّ ... وكبشُ القوم يُدعى للبرازِ
فلوْ بارَزْتَهُ للقيت قِرْناً ... حديدَ الناب شهماً ذا اعتزازِ

أجبناً في العشيرة ياابن هند   وعند الباءِ كالتيس الحجازى

ثم كتب معاوية الى علي رحمه الله أما بعد فانا لو علمنا ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض وان كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقى لنا ما نرمّ به ما مضى ونصلح ما بقى وقد كنت سألتك الشام على أن تلزمنى لك طاعة فأبيت ذلك علىّ وأنا أدعوك اليوم الى مادعوتك اليه أمس وانك لا ترجو من البقاء الا ما أرجو ولا تخاف من الفناء الا ما أخاف وقد والله رقّت الأجناد وذهبت الرجال ونحن بنو عبد مناف ليس لأحد منا على أحد فضل نستذل به عبداً أو نسترق به حراً ٠٠ فأجابه عليٌّ من على ابن أبي طالب الى معاوية بن أبى سفيان أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر انك لو علمت أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض وانا وإياك لم نلتمس غاية لم نبلغها بعد فأما طلبك الشام فانى لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك عنه أمس وأما استواؤنا فى الخوف والرجاء فلستَ بأمضى على الشك منى على اليقين وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة وأما قولك إنا بنو عبد مناف فكذلك نحن وليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كأبى طالب ولا الطليق كالمهاجر ولا المحق كالمبطل فى أيدينا فضل النبوة التي قتلنا بها العز ونفينا بها الخزى ٠٠ عن الشعبى ان عمرو بن العاص دخل على معاوية وعنده ناس فلما رآه مقبلا استضحك فقال ياأمير المؤمنين أضحك الله سنك وأدام سرورك وأقرّ عينك ما كل ماأرى يوجب الضحك فقال معاوية خطر ببالى يوم صِفّين يوم بارزت أهل العراق فحمل عليك على بن أبى طالب رضى الله عنه فلما غشيك طرحت نفسك عن دابتك وأبديت عورتك كيف حضرك ذهنك فى تلك الحال أما والله لقد واقفت هاشمياً منافياً ولو شاء أن يقتلك لقتلك فقال عمرو يا معاوية ان كان أضحكك شأنى فمن نفسك فاضحك أما والله لو بدا له من صفحتك مثل الذى بدا له من صفحتى لأوجع قذالك وأيتم عيالك وأنهب مالك وعزلَ سلطانك غير انك تحرزت منه بالرجال في أيديها العوالى أما انى قد رأيتك يوم دعاك الى البراز فاحولّت عيناك وازبد شدقاك وتنشّر منخراك وعرق جبينك وبدا من أسفلك ما أكره ذكره فقال معاوية حسبك حيث بلغت لم نرد كل هذا ٠٠ قال وذكر ان أمير

المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه قال زعم ابن النابغة إنى تلعابة تمزاحة ذو دُعابة أُعافِس وأُمارس لا رأى لى فى الحروب هيهات يمنعني من العفاس والمراس ذكر الموت والبعث فمن كان له قلب ففى هذا عن هذا واعظ أما وشر القول الكذب انه ليحدث فيكذب ويعد فيخلف فاذا كان البأس فأعظم مكيدته أن يمنح القوم أسته ‥ قال وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله يوم صفين تبين لى هل ترى على بن أبى طالب رضى الله عنه قال عبد الله فنظرت فرأيته فقلت ياأبت هاهو ذاك على بغلة شهباء عليه قباء أبيض وقلنسوة بيضاء قال فاسترجع وقال والله ما هذا بيوم ذات السلاسل ولا بيوم اليرموك ولا بيوم اجنادين وددت أن بينى و بين موقفى بعد المشرقين فنزل سعد بن أبي وقّاص وعبد الله ابن عمرو وقالا والله لئن كان صواباً انه لعظيم مشكور ولئن كان خطأ انه لصغير مغفور فقلت له يا أبت فمن يمنعك من الذى فعلا فو الله ما يحول بينك و بين ذلك أحد فقال

إن يرجع الشيخُ ولم يُعذَر   إذ نزل القومُ بضَنك فانظر

* ثم تأمّلْ بعد هذا أو ذَر *

‥ قال بعض الشعراء في معاوية ومحاربته أمير المؤمنين على بن أبي طالب

قدسرتَ سير كُليب في عشيرته   لو كان فيهم غلامٌ مثلُ جَسّاسِ

الطاعنُ الطعنةَ النجلاء عاندها   كطرّةِ البردِ أعيي فتقُها الآسى

عبد الله بن السائب قال جمع زيادٌ أهل الكوفة يحرضهم على البراءة من علي كرم الله وجهه فملأ منهم المسجد والرحبة قال فغفوت غفوةً فاذا أنا بشيء له عنق مثل عنق البعير أهدل أهدب فقلت له من أنت فقال أنا النقاد ذو الرقبة بُعثت الى صاحب القصر فانتبهت فزعاً فما كان بأسرع من ان خرج علينا خارج من القصر فقال انصرفوا فان الأمير في شغل عنكم اليوم فاذا هو قد فُلِجَ فقال عبد الله في ذلك

ما كان مُنتهياً عما أرادَ بنا   حتى تَناوله النقّادُ ذو الرقبه

فأسقطَ الشِقّ منه ضربةٌ ثبتت   لما تناولَ ظلماً صاحبَ الرَّحبَه

أراد علياً لأنه قُتل في رحبة المسجد ‥ الأصمعي قال سمع عامر بن عبد الله بن الزبير ابنه ينال من علي رضى الله عنه فقال يا بني اياك وذكر على رضى الله عنه فان بني أمية تنقصته

ستين عاماً فما زاده الله بذلك الا رفعة •• قال وقال عبد الملك بن مروان للحجّاج ابن يوسف جنبني دماء آل أبي طالب فاني رأيت بني حرب لما قتلوا الحسين عليه السلام نزع الله مُلكهم

محاسن الحسن والحسين بني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين

روى أنس بن مالك أنه قال لم يكن في أهل بيت النبي صلى الله وسلم أحد أشبه به من الحسن عليه السلام وكان قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ابني هذا سيد لعل الله جل وعز أن يصلح به بين فئتين من المسلمين وكان بينه وبين أخيه الحسين عليه السلام طهرٌ واحد وكان أسخى أهل زمانه وذكروا انه أتاه رجل في حاجة فقال اذهب فاكتب حاجتك في رُقعة وارفعها الينا نقضها لك قال فرفع اليه حاجته فأضعفها له فقال بعض جلسائه ما كان أعظم بركة الرقعة عليه يا ابن رسول الله فقال بركتها علينا أعظم حين جعلنا للمعروف أهلا أما علمت أن المعروف ما كان ابتداء من غير مسألة فأما من أعطيته بعد مسألة فانما أعطيته بما بذل لك من وجهه وعسى أن يكون بات ليلته متململا أرقاً يميل بين اليأس والرجاء لا يعلم لما يتوجه من حاجته أبكآبة الرد أم بسرور النجح فيأتيك وفرائصه ترعد وقلبه خائف يخفق فان قضيت له حاجته فيما بذل لك من وجهه فان ذلك أعظم مما نال من معروفك •• قيل وكان لرجل على ابن أبي عتيق مال فتقاضاه فقال له إئتني العشية في مجلس الولاية فسلني عن بيت قريش فوافاه الغريم في ذلك المجلس فقال له انّا تلاحينا في بيت قريش ورضينا بك حكما فقال آل حربٍ قال ثم من قال آل أبي العاص والحسن بن علي رضي الله عنه حاضر فشق ذلك عليه فقال الرجل فأين بنو عبد المطلب فقال لم أكن أظن أن تسألني عن غير بيت الآدميين فأما اذا صرت تسألني عن بيت الملائكة وعن رسول الله رب العالمين وسيد كل شهيد والطيار مع الملائكة فمن يساوي هؤلاء فخراً الا وهو منقطع دونهم قال فانجلى عن الحسن عليه السلام ثم قال اني لأحسب أن لك حاجة قال نعم يا ابن رسول الله لهذا عليّ كذا وكذا فاحتملها عنه ووصله بمثلها •• قال وأتاه رجل آخر فقال يا ابن رسول الله اني عصيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال بئس ما صنعت فبماذا عصيته قال قال عليه الصلاة والسلام شاوروهن وخالفوهن واني أطعت صاحبتي فاشتريت غلاماً فأبق قال له اختر واحدة من ثلاث ان شئت ثمن الغلام قال بأبي أنت وأمي قف على هذه ولا تجاوزها قال أعرض عليك الثلاث فقال حسبي هذه فأمر له بثمن الغلام •• وذكروا ان رجلين أحدهما من بني هاشم والآخر من بني أمية قال هذا قومي أسمح وقال هذا قومي أسمح قال فسل أنت عشرة من قومك وأنا أسأل عشرة من قومي فانطلق صاحب بني أمية فسأل عشرة فأعطاه كل واحد منهم عشرة آلاف درهم وانطلق صاحب بني هاشم الى الحسن بن على رضى الله عنه فأمر له بمائة وخمسين ألف درهم ثم أتي الحسين عليه السلام فقال هل بدأت بأحد قبلى قال بدأت بالحسن قال ما كنت أستطيع أن أزيد على سيّدى شيئاً فأعطاه مائة وخمسين ألفاً من الدراهم فجاء صاحب بني أمية يحمل مائة ألف درهم من عشرة أنفس وجاء صاحب بني هاشم يحمل ثلاثمائة ألف درهم من نفسين فغضب صاحب بني أمية فردها عليهم فقبلوها وجاء صاحب بني هاشم فردها عليهما فأبيا أن يقبلاها وقالا ما كنا نبالي أخذتها أم ألقيتها في الطريق •• وكان الحسن بن على رضوان الله عليهما أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من صدره الى قدمه •• وكان أيضاً أحد الأجواد دخل على أسامة بن زيد وهو يجود بنفسه ويقول واكرباه واحزناه فقال وما الذى أحزنك يا عمّ قال يا ابن رسول الله ستون ألف درهم دَين علىّ لا أجد لها قضاء قال هي علىّ قال فكّ الله رهنك يا ابن النبي صلى الله عليه وسلم الله أعلم حيث يجعل رسالته

مساوى قتلة الحسين بن على رضوان الله عليهما

حدثنا عبد الله بن أحمد بن ابراهيم عن يحيي بن مَعين عن الحجّاج عن أبي معشر قال لما مات معاوية بن أبي سفيان وذلك في النصف من رجب سنة ستين ورد خبره على أهل المدينة في أول شعبان وكان على المدينة يومئذ الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان وكان غلاماً حَدَثاً يتحرّج فلما جاءه ماجاءه ضاق به صدره فأرسل الى مروان بن الحكم وهو

الذي صُرف به مروان عن المدينة وكان فى مروان حدّة فقال له الوليد يا أبا عبد الملك انه قد جاءنا اليوم شيء لم نكن نستغنى معه عن استشارتك قال وما هو قال موت أمير المؤمنين قال انا لله وانا اليه راجعون مات رحمه الله قال نعم قال أتطيع أمرى قال نعم قال ارسل الى الحسين بن على والى عبد الله بن الزبير فان بايعا فخل سبيلهما وان أبيا فاضرب أعناقهما فأرسل الى الحسين رضوان الله عليه والى عبد الله بن الزبير رحمه الله وبدأ بالحسين عليه السلام فمرّ الحسين فى المسجد فأشار اليه ابن الزبير وهو قائم يصلى فأتاه فقال للحرَسِىّ تأخر أيها العبد فتأخر الحرسي فقال له يا أبا عبد الله أتدرى لأى شيء دُعيت قال لا قال مات طاغيتهم فدعوك للبيعة فلا تبايع وقل له بالغداة على رؤس الملأ قال فدخل الحسين عليه السلام فقال له الوليد يا أبا عبد الله دعوناك لخير قال أى شيء هو قال مات أمير المؤمنين وقد عرفتم ولىّ عهدكم ومفزعكم وقد بايع أهل الشام والناس فادخل فيما دخل فيه الناس قال نعم بالغداة ان شاء الله قال لا بل الساعة قال ومثلى يبايع فى جوف البيت بالغداة على رؤس الناس قال لا بل الساعة قال ما أنا بفاعل وخرج من عنده فأرسل الى ابن الزبير فقال يا أبا بكر دعوناك لخير قال وما هو قال مات أمير المؤمنين فقال انا لله وانا اليه راجعون رحمة الله عليه قال فجعل يردد الترحم عليه وقد نظر ابن الزبير قبل ذلك الى مروان وهو يناجى الوليد فتلا هذه الآية ﴿ فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين ﴾ فقال يا أبا بكر قد عرفتم ولي عهدكم ومفزعكم وقد بايع أهل الشام والناس فادخل فيما دخل فيه الناس قال نعم بالغداة ان شاء الله قال لا بل الساعة قال ومثلى يبايع في جوف البيت أبايعك على رؤس الملأ قال لا بل الساعة قال ما أنا بفاعل فقال مروان للوليد ما تصنع أطعني واضرب أعناقهما لئن خرجا من البيت لا تراهما أبداً الا فى شر وكان الوليد متحرّجا فقال ما كنت لأقتلهما فقال ابن الزبير لمروان يا ابن الزرقاء أو تقدر على قتلنا فقال مروان انه والله لو أطاعنى ماخرجت ولا صاحبك من البيت حتى تُضرب أعناقكما قال فدعا الحسين عليه السلام برواحله فركب يتوجه نحو مكة على المنهج الأكبر وركب ابن الزبير رحمه الله دوابّ له وأخذ طريق الفُرْع فأتى الحسين عليه السلام عبدالله بن مُطيع

وهو على بئره فنزل اليه وقال يا أبا عبد الله أين تريد قال العراقَ مات معاوية وجاءنى أكثر من حملِ صحفٍ قال لا تفعل فوالله ما حفظوا أباك وكان خيراً منك ووالله لئن قتلوك لاتبقى حرمة بعدك الا استُحلت فر الحسين عليه السلام حتى نزل مكة فأقام بها هو وابن الزبير رحمه الله وقدم عمرو بن سعيد بن العاص فى رمضان أميراً على المدينة وعلى الموسم وعزل الوليد بن عُتبة فلما استوى على المنبر رعف فقال اعرابى مه جاء والله بالدم قال فتلقاه رجل بالعمامة فقال مه عم الناس والله ثم قام يخطب وبيده عصا لها شُعبتان فقال تشعب الناس والله ثم خرج الى مكة فقدمها قبل التروية بيوم وخرج الحسين عليه السلام فقيل له خرج الحسين فقال اركبوا كل بعير وفرس بين السماء والأرض في طلبه فاطلبوه قال فكان الناس يتعجبون من قوله هذا فطلبوه فلم يدركوه فأرسل عبد الله بن جعفر ابنيه عَوناً ومحمداً ليردّا الحسين فأبى الحسين أن يرجع وخرج بابني عبد الله معه ورجع عمرو بن سعيد الى المدينة وبعث بجيش يقاتلون ابن الزبير وقدّم الحسين عليه السلام مسلم بن عَقيل الى الكوفة ليأخذ عليهم البيعة وكان على الكوفة حين مات معاوية النعمان بن بشير بن سعد الانصاري فلما بلغه خبر الحسين عليه السلام قال لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبّ الينا من ابن بنت بَحْدَل فبلغ ذلك يزيد فأراد أن يعزله فقال لأهل الشام أشيروا عليّ من أستعمل على الكوفة فقالوا أترضى برأى معاوية قال نعم قالوا فان العهد بأمارة عُبيد الله بن زياد على العراقَين قد كتب في الديوان فاستعمله على الكوفة فقدم الكوفة قبل أن يقدم الحسين عليه السلام وقد بايع مسلم بن عقيل أكثر من ثلاثين ألفاً من الرجال من أهل الكوفة فخرجوا معه يريدون عبيد الله بن زياد فجعلوا كلما انتهوا الى زقاق انسلّ ناس منهم حتى بقى في شرذمة قليلة وجعل الناس يرمونه بالآجرّ من فوق البيوت فلما رأى ذلك دخل دار هانئ بن عُروة المرادى وكان له فيهم رأى فقال له هانئ ان لى من ابن زياد مكانا وسوف أتمارض فاذا جاء يعودني فاضرب عنقه فقيل لابن زياد هانئ بن عروة شاكٍ يقئ الدم وكان شرب المغرة فجعل يقيئها فجاء ابن زياد يعوده وقال هانئ لمسلم اذا قلت اسقوني ولو كانت فيه نفسي فاضرب عنقه فقال اسقوني فأبطؤا عليه فقال ويحكم اسقوني ولو كانت فيه نفسي قال فخرج ابن

زياد ولم يصنع الآخر شيئاً وكان أشجع الناس ولكن أخذته كبوة فقيل لابن زياد والله ان في البيت رجلا متسلحاً فأرسل ابن زياد الى هانئ فدعاه فقال انى شاك فقال ائتونى به وان كان شاكياً قال فأسرجت له دابة فركب وكانت معه عصاً وكان أعرج فجعل يسير قليلا قليلا ثم يقف ويقول مالى ولابن زياد فما زال حتى دخل عليه فقال ياهانئ ماكانت يد زياد عندك بيضاء قال بلى قال فيدى قال بلى فتناول العصى التي كانت فى يد هانئ فضرب بها وجهه حتى كسر جبهته ثم قدمه فضرب عنقه ثم أرسل الى مسلم بن عقيل فخرج عليهم بسيفه فما زال يُناوشهم ويقاتلهم حتى جُرح وأسر فعطش وقال اسقوني ماء ومعه رجل من آل أبي مُعَيط ورجل من بني سُليم فقال شَمِر بن ذي جَوْشَن والله لا نسقيك الا من البئر وقال المَعيطي والله مانسقيه الا من الفرات فأتاه غلام له بابريق من ماء وقدَح قوارير ومنديل فسقاه فتمضمض فخرج الدم فما زال يمج الدم ولا يسيغ شيئاً حتى قال أخره عني فلما أصبح دعاه عبيد الله وهو فى قصر له فقدم ليضرب عنقه فقال له دعنى أوصي فقال اوص فنظر فى وجوه الناس فقال لعمرو بن سعد ما أرى هاهنا أحداً من قريش غيرك فادن مني حتى أكلك قال فدنا منه فقال له هل لك أن تكون سيد قريش قال نعم قال ان حُسيناً ومن معه وهم تسعون انساناً بين رجل وامرأة فى الطريق فارددهم واكتب اليه بما أصابني ثم أمر عبيد الله فضرب عنقه فقال عمر أتدرى ماقال قال اكتم على ابن عمك قال هو أعظم من ذاك قال اكتم على ابن عمك قال هو أعظم من ذاك قال أي شئ هو قال أخبرنى ان حسيناً قد أقبل ومعه تسعون انساناً بين رجل وامرأة فقال أما والله لو الىّ أسرّ لرددتهم لا والله لا يقاتلهم أحد غيرك فبعث معه جيشاً وجاء الحسين عليه السلام الخبر وهو بشراف فهم أن يرجع ومعه خمسة من بني عُقيل فلقيه الجيش على خيولهم بوادي السباع فقال بنو عقيل أترجع وقد قتل أخونا فقال الحسين عليه السلام مالى عن هؤلاء من صبر يعني بني عقيل فأصاب أصحابه العطش فقالوا يا ابن رسول الله اسقنا فأخرج لكلّ فرس صحفة من ماء فسقاهم بقدر مايمسك رمق أحدهم ثم قالوا سر بنا وأخذوا به على الجُرْف حتى نزلوا كربلاء فقال هذا كربٌ وبلاء فنزلوا وبينهم وبين الماء يسير قال فأراد الحسين عليه السلام وأصحابه الماء فحالوا بينهم وبينه فقال

له شمر بن ذي جوشن لاتشربون أبداً حتى تشربون من الحميم فقال العباس بن علي للحسين عليه السلام يا أبا عبد الله ألسنا على الحق قال نعم فحمل عليهم فكشفهم عن الماء حتى حتى شربوا واستقوا ثم بعث عبيد الله بن زياد الى عمر بن سعد أن قاتلهم فقال الحسين عليه السلام ياعمر اختر مني احدى ثلاث تتركني أرجع كما جئت وان أبيت هذه فسيّرني الى الترك أقاتلهم حتى أموت وان أبيت هذه فابعث بي الى يزيد لأضع يدي في يده وأرسل الى ابن زياد بذلك فهم أن يسيره الى يزيد فقال له شمر بن ذي جوشن قد أمكنك الله منه أو قال من عدوك وتسيّره الى الأمان لا إلاّ أن ينزل على حكمك فأرسل اليه بذلك فقال لا حباً ولا كرامة انزل على حكم ابن سُمية وكان مع عمر بن سعد قريب من ثلاثين رجلا من أهل الكوفة فقالوا يعرض عليكم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثلاث خصال لا تقبلون منها شيئاً فتحولوا مع الحسين عليه السلام فقاتلوا حتى قُتلوا وقتل الحسين رضي الله عنه وجميع من معه رحمهم الله وحمل رأسه الى عبيد الله بن زياد فوضع بين يديه على ترس فبعث به الى يزيد فأمر بغسله وجعله فى حريرة وضرب عليه خيمة ووكل به خمسين رجلا فقال واحد منهم نمتُ وأنا مُفكر فى يزيد وقتله الحسين عليه السلام فبينما أنا كذلك اذ رأيت سحابة خضراء فيها نور قد أضاءت مابين الخافقين وسمعت صهيل الخيل ومناد ينادى يا أحمد اهبط فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جماعة من الأنبياء والملائكة فدخل الخيمة وأخذ الرأس فجعل يقبله ويبكي ويضمه الى صدره ثم التفت الى من معه فقال انظروا الى ما كان من أمتي فى ولدى ما بالهم لم يحفظوا فيه وصيتي ولم يعرفوا حقي لاأنالهم الله شفاعتى قال واذا بعدة من الملائكة يقولون يا محمد الله تبارك وتعالى يقرئك السلام وقد أمرنا بأن نسمع لك ونطيع فمرنا أن نقلب البلاد عليهم فقال صلى الله عليه وسلم خلوا عن أمتى فان لهم بُلْغةً وأمداً قالوا يامحمد ان الله جل ذكره أمرنا أن نقتل هؤلاء النفر فقال دونكم وما أمرتم به قال فرأيت كل واحد منهم قد رمى كل واحد منا بحربة فقتل القوم فى مضاجعهم غيرى فانى صحت يامحمد فقال أو أنت مستيقظ قلت نعم قال خلوا عنه يعيش فقيراً ويموت مذموماً فلما أصبحت دخلت على يزيد وهو منكسر مهموم فحدثته بما رأيت فقال امض على وجهك وتب الى

ربك ٠٠أبو عبد الله غلام الخليل رحمه الله قال حدثنا يعقوب بن سليمان قال كنت في ضيعتي فصلينا العتمة وجعلنا نتذاكر قتل الحسين عليه السلام فقال رجل من القوم ما أحد أعان عليه الا أصابه بلاء قبل أن يموت فقال شيخ كبير من القوم أنا ممن شهدها وما أصابني أمر كرهته الى ساعتي هذه وخبا السراجُ فقام يصلحه فأخذته النار وخرج مبادراً الى الفرات وألقى نفسه فيه فاشتعل وصار فحمة ٠٠ قيل ودخل سنان بن أنس على الحجاج بن يوسف فقال أنت قتلت الحسين بن على فقال نعم قال أما انكما لن تجتمعا في الجنة فذكروا انهم رأوه موسوساً يلعب ببوله كما يلعب الصبيان ٠٠ قال وقال محمد بن سيرين ما رُؤيت هذه الحمرة فى السماء الا بعد ما قتل الحسين عليه السلام ولم تطمث امرأة بالروم أربعة أشهر الا أصابها وضح فكتب ملك الروم الى ملك العرب قتلتم نبياً أو ابن نبي ٠٠ وروي انه لما قتل رضى الله عنه احمرت آفاق السماء واقتسموا ورساً كان معه فصار رماداً وكانت معه إبل فجزروها فصارت جمرة فى منازلهم

مساوي الحرّة

قال ولما كان من أمر الحسين عليه السلام ما كان قدم عمرو بن حفص بن المغيرة وكان تزوج يزيدُ بن معاوية ابنته وأعطاه مالا كثيراً فلما قدم المدينة جاءه محمد بن عمرو ابن حَزم وعُبيد الله بن حنظلة وعبد الله بن مُطيع بن الأسود وناس من وجوه أهل المدينة قالوا ننشدك الله رب هذا البيت ورب صاحب هذا القبر الا أخبرتنا عن يزيد فقال انه ليشرب الخمر وينادم القِرَدة ويفعل كذا ويصنع كذا فقالوا والله مالنا بأهل الشام من طاقة ولكن ما يحل لنا أن نبايع رجلا على هذه الحال فقال محمد بن عمرو لأهله هاتوا درعي ثم خرج فخرج أهل المدينة وخلعوا يزيد وأخرجوا عثمان بن محمد بن أبي سفيان وبني أمية من المدينة وكان عثمان والى المدينة ثم قال محمد بن أبى جهم لأهل المدينة أطيعوا أمري اليوم واعصوني الدهر اقتلوا سبعة عشر رجلا من بني أمية لا تروا شراً أبداً فأبى أهل المدينة أن يقتلوهم وأخذوا عليهم المواثيق أن لا يرجعوا الى المدينة مع جيش أبداً

فبعث عثمان بن محمد بن أبي سفيان قميصه مشقوقاً الى يزيد وكتب اليه وا غَوْثاه ان أهل المدينة أخرجوا قومنا من المدينة وشقوا ثوبي وارتكبوا مني .. قال أبو معشر حدثنا رجل قال خرج علينا يزيد بعد العتمة ومعه شمعتان شمعة عن يمينه وشمعة عن يساره وعليه معصفرتان كانهما قطرتا دمٍ وإزار ورداء وقد نقّش جمته كانها بِرْسٌ فصعد المنبر فحمد الله وأثني عليــه ثم قال أما بعد يا أهل الشام فانه كتب اليّ عثمان بن محمد بن أبي سفيان ان أهل المدينة أخرجوا قومنا من المدينة ووالله لأن أتقع الخضراء على الغبراء أحب اليّ من هذا قال وكان معاوية أوصى يزيد ان رابك من قومك ريب أو انتقض عليك منهم أحدٌ فعليــك بأعور بني مرة فاستشره يعني مسلم بن عقبة فلما كان تلك الليــلة قال أين مسلم بن عقبة فقام فقال ها أنا ذا قال كن مني فجعل يزيد يعبي الجيوش وكان ابن سـنان نازلا على مسلم فقال له ان أمير المؤمنين قد بعثني الى المدينة ومكة قال استعفه قال لا قال فاركب فيلاً أو فيلة وتكنَّ أبا يكسوم فمرض مسلم قبل خروجه من الشام فدخل عليه يزيد بن معاوية فقال قد كنت وجهتك لهذا البعث وأراك مدنفاً فقال يا أمير المؤمنين أنشدك الله أن لا تحرمني أجراً ساقه الله اليّ انما هو أمرخفيف وليس علي من بأس قال فلم يطق من الوجع أن يركب بعيراً ولا دابة قال فوضع على سرير وحمله الرجال على أعناقهم حتى جاؤا به مكانا يقال له البتراء فاراد النزول به فقال ما اسم هــذا المكان قيــل البتراء قال لا تنزلوا به فنزلوا بقهر ثم ارتحلوا حتى نزلوا الحرة فأرسل الى أهل المدينــة ان أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول أنتم الأصل والعشيرة فاتقوا الله واسمعوا وأطيعوا فان لكم في عهد الله وميثاقه عطاءين في كل سنة عطاء في الشتاء وعطاء في الصيف ولكم عندي في عهد الله أن أجعل سعر الحنطة عندكم سعر الخَبَطِ والخبط يومئذ سـبعة آصع بدرهم فقالوا نخلعه كما نخلع عمائمنا ونعالنا فقاتلهم فهزمهم وقتل عبد الله بن حنظلة وابن حزم وبضعة عشر رجلا من الوجوه وتسعون رجلا من قريش وبضعة وسبعون رجــلا من الأنصار وقتل من سائر الناس نحو أربعة آلاف رجل وقتل ابنان لعبد الله بن جعفر وقتل أربعة من ولد زيد بن ثابت وقال مسلم لعبد الله بن جعفر اخرج عن المدينة لا يقع بصري عليك وأنهبَ المدينة ثلاثا فقتــل

الناس وضجت النساء وذهبت الأموال فلما فرغ مسلم من القتال انتقل الى قصر ابن عامر فدعا أهل المدينة ليبايعوه وكان ناس منهم قد تحصنوا فى عَرصة سعيد منهم محمد بن أبى جهم ونفر معه فدعاهم للبيعة فقال تبايعون لعبد الله يزيد أمير المؤمنين على انكم خَوَله مما أفاء الله عليه بأسياف المسلمين ان شاء وهب وان شاء أعتق وان شاء استرق فبايعه ناس منهم على ذلك وجاء عمرو بن عثمان بيزيد بن عبد الله بن زَمعة وجدته أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكان عمرو بن عثمان قال لأم سلمة ارسلى معى ابن ابنتك ولك منى عهد الله وميثاقه أن أرده اليك كما أخذته منكِ فجاء به الى مسلم فجلس عمرو ابن عثمان على طرف سريره فلما تقدم يزيد بن عبد الله قال تبايع ليزيد أمير المؤمنين على انك من خوله مما أفاء الله عليه بأسياف المسلمين ان شاء وهب وان شاء أعتق وان شاء استرق فقال لا أنا أقرب الى أمير المؤمنين منك فقال والله لا أستقيلها منك أبداً فقال عمرو ابن عثمان أنشدك الله فانى أخذته من أم سلمة بعهد الله وميثاقه أن أرده اليها قال فركله ورمى به من فوق السرير فقال لو قلتها ما أقلتك فقُتل يزيد بن عبد الله ثم أُتى بمحمد ابن أبي جهم فقال له أنت القائل اقتلوا سبعة عشر رجلا من بني أمية لا تروا شراً أبداً قال قد قلتها ولكن لا يطاع لقصير أمرٌ ارسل يدى من غُلّى وقد بَرئت منى الذمة قال لا حتى أقدمك الى النار فضرب عنقه ثم جاؤه بمعقل بن سِنان وكان جالساً في بيته فأتاه مائة رجل من قومه فقالوا اذهب بنا الى الأمير حتى نبايعه فقال انى قد قلت له كلمة وانى أتخوفه قالوا لا والله لا يصل اليك أبداً فلما بلغوا الباب أدخلوا معقلا وغلقوا الباب فلما نظر اليه مسلم قال انى أرى الشيخ قد لغب اسقوه من الثلج الذى زوّدنيه أمير المؤمنين قال فخاضوا له ثلجاً بعسل فشربه وقال أشربت قال نعم قال والله لا تبولُه من مثانتك أبداً أنت القائل اركب فيلا أوفيلة وتكنّى أبا يكسوم قال أما والله لقد تخوفت ذلك منك ولكن غلبتنى عشيرتى قال فجعل يفزر جُبة عليه من برود ويقول أما والله يا أعداء الله ما شققتها جزعاً من الموت ولكني أخشى أن تسلبوا منها فضربت عنقه ثم سار الى مكة حتى اذا بلغ قفا المُشلل دَنف فدعا بحُصين بن نُمير الكندى فقال يا برذعة الحمار والله ما خلق الله أحداً هو أبغض اليّ منك ولولا ان أمير المؤمنين أمرني أن

أستخلفك مااستخلفتك أتسمع قال نعم قال لا يكون الا الوقاف ثم الثقاف ثم الانصراف لاتمكن قريشا من أذنيك ثم مات مسلم لا رحمه الله فدفن بقفا المشلل وكانت أم يزيد ابن عبدالله بن زمعة بأسناده فخرجت اليه فنبشته وأحرقته بالنار وأخذت أكفانه فشققتها وعلقتها بالشجرة •• قال أبو معشر أقبلت من مكة حتى اذا كنت بقفا المشلل عند قبر مسلم اذا رجل من أهل الشام ممن حضر وقعة الحرة يسايرني فقلت له هذا قبر مسلم بن عقبة فقال أحدثك بالعجيب كان مع مسلم رجل من أهل الشام يقال له أبو الفراء فاذا نصف شعره أسود ونصفه أبيض فقلت له ما شأنك قال لما كانت ليلة الحرة جئت قُباء فدخلت بيتاً فاذا فيه امرأة جالسة معها صبيٌّ لها وليس عليها شيءٌ الا درع وقد ذُهب بكل شيءٌ لها فقلت لها هل من مال قالت لا والله لقد بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على اني لا أزني ولا أسرق ولا أقتل ولدي قال فأخذت برجل الصبي فضربت به الحائط فنُثر دماغُه فخرجت فاذا نصف رأسي أبيض ونصفه أسود كما ترى

محاسن ما قيل فيهم من الأشعار

•• قال كعب بن زُهير في الحسين بن عليّ رحمة الله عليهما

مَسحَ النبيُّ جبينَه فلهُ بياضٌ في الخدُودِ
وَبوجهِهِ ديباجةٌ كرَمُ النبوةِ والجدُودِ

•• قال وأنشد الحِميَريّ في الحسن والحسين

أتى حَسَناً والحسَين الرَّسولُ وقد برَزَا ضَحْوَةً يلعَبانِ
فضَمَّهما وتفَدَّاهُما وكانا لديه بذاكَ المكانِ
ومرّ وتحتهما عاتِقَاهُ فنعم المطيّة والرَّاكبان

•• قال وقال المأمون أنصف شاعر الشيعة حيث يقول

إنا وَإياكم نموتُ فلاَ أفلحَ بعدَ المماتِ مَن ندِما

•• وقال المأمون

وَمِنْ غاوٍ يَعُضُّ عليَّ غيظاً ... اذا أدنيتُ أولادَ الوَصيِّ
يُحاوِلُ أنَّ نورَ الله يُطفَى ... ونورُ اللهِ فى حصنِ أبيِّ
فقلتُ أليسَ قد أوتيتَ علماً ... وبانَ لكَ الرشيدُ من الغويِّ
وعُرِّفتَ احتجاجي بالمثانى ... وبالمعقول والأثرِ القويِّ
بأيَّةِ خَلَّةٍ وبأىِّ معنًى ... تفضِّلُ مُلحدينَ على عليِّ
عليٌّ أعظمُ الثقلَين حقًّا ... وأفضلُهم سوى حقِّ النبى

•• وقال غيره وأجاد

انَّ اليهودَ بحبها انبيها ... أمِنَتْ معرَّةَ دهرِها الخوَّانِ
وذوُوالصليب بحب عيسى أصبحوا ... يمشون زَهْواً فى قرى نجرانِ
والمؤمنون بحبِّ آل محمدٍ ... يُرْمَوْنَ فى الآفاقِ بالنيرانِ

•• وقال آخر سامحه الله

يالكِ مِن مَتجَرَةٍ كاسِدَه ... بين شَياطينَ عَتَتْ مارِدَه
اذا تذَكَّرْتَ بني أحمدٍ ... تنافرُوا كالإبلِ الشارِدَه
فقلْ لمنْ يَلْحاكَ فى حُبهمْ ... خانَتْكَ فى مَوْلِدِكَ الوالِدَه

•• وقال دِعْبل رحمه الله تعالى

قُلْ لِابنِ خائنةِ البُعولِ ... وابن الجوَادةِ والبخيلِ
إنَّ المذَمَّةَ للوَصيِّ ... هيَ المذَمَّةُ للرَّسولِ
أتذُمُّ أولادَ النبيِّ ... وأنتَ من ولدِ النَّغولِ

الموْصِليّ النصرانيّ

عَدِيٌّ وتُيَمٌ لاأُحاولُ ذِكرَهُمْ ... بسوء ولكنى مُحبٌّ لهاشمِ
وهل تأخُذُنى فى عليٍّ وحُبهِ ... اذا لمْ أعِشْ يوماً ملامةُ لائمِ
يَقولون مابالُ النصارى تُحبهُ ... وأهلِ التقى من مُعربٍ وأعاجِمِ
فقلتُ لهمْ إنى لأحسبُ حُبهُ ... طوَاهُ إلهى فى قلوب البهائمِ

٠٠وفي بني أمية قيل دخل خالد بن خليفة الأقطع على أبي العباس وعنده على بن هشام ابن عبد الملك فأشار الى أبي العباس وهو يقول شعراً

ان تعاقبهمُ على رِقَّةِ الديـ ـنِ فقد كان دِينُهُم سامِرِيّاً
كانَ لحلاً زمانهم يرحُ النا سَ فأضحي الزمانُ مِنهم خصيّاً

محاسن السبق الى الاسلام

روى عن عائشة رضي الله عنها قالت خرج أبو بكر رضى الله عنه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الاسلام وكان له صديقاً في الجاهلية فلقيه فقال يا أبا القاسم فقدت فى مجالس قومك واتهموك بالعيب لآبائها وأديانها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني رسول الله أدعوك الي الله فما كان الا أن سمع أبو بكر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرح الله صدره فأسلم فانصرف عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بين الاخشبين أحداً أكثر سروراً باسلام أبى بكر رضي الله عنه منه ومضى أبو بكر حتي أتي طلحة ابن عبيد الله والزبير بن العوّام وسعد بن أبي وقّاص فدعاهم الى الاسلام فأسلموا ثم عثمان بن مظعون وأبو عُبيدة بن الجرّاح وعبد الرحمن بن عوف وأبو سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن أبى الأرقم مع أبى بكر فأسلموا ٠٠ وأما اسلام عمر رضي الله عنه فان قريشاً بعثت بعمر رضى الله عنه ليقتل النبى صلى الله عليه وسلم فخرج عمر متقلداً سيفه فى أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ فى دار في أصل الصفا فلقيه نُعيم بن عبد الله بن أسيد وقد أسلم فقال يا عمر أين أراك تريد قال اريد محمداً هذا الذى سفّه عقولنا وشتم آلهتنا وخالف جماعتنا لأقتلنه قال نعيم لبئس المشى والله مشيت يا عمر ولقد أفرطت وأردت هلكة عديّ بن كعب بعداوتك بني هاشم أوَ ترى انك آمن من أعمامه وبني زُهرة وقد قتلت محمداً فتحاورا حتى ارتفعت أصواتهما فقال له عمر والله لأظنك قد صبوت ولو أعلم ذلك منك لبدأت بك فلما رأى نعيم انه غير منتهٍ قال أما ان أهلك قد أسلموا وتركوك وما أنت عليه فلما سمع ذلك نفر وقال أيهم قال خَتَنُك وابن عمك وأختُك

فانطلق الى أخته وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع عليه طائفة من ذوى الفاقة من اصحابه فقال لأولي السعة يافلان فليكن عندك فلان فوافق ابن عم عمر وختنه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قد دفع اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خبّاب بن الأرتّ مولى أم أنمار حليف بني زهرة وقد أنزلت سورة طه فأقبل عمر حتى انتهى الى باب دار أخته ليتعرّف مابلغه فاذا خبّاب عند أخته يدرس عليها سورة طه واذا الشمس كورت فلما دخل عمر حذرته أخته وعرفت الشرّ فى وجهه وخبأت الصحيفة وراغ خبّاب فدخل البيت فقال عمر لأخته ما هذه الهَينَمَةُ قالت حديث تحدّث به بيننا فحلف أن لا يبرح حتى يتبين شأنها فقال له زوجها انك لا تستطيع أن تجمع الناس على هواك ياعمر وان كان الحق سواه فبطش به عمر ووطأه وطأً شديداً فقامت أخت عمر تحجزُ بينهما فنفحها بيده فشجها فلما رأت الدم قالت هل تسمع ياعمر أرأيت كل شئ بلغك عنى مما يذكر من تركي آلهتك وكفرى باللات والعزّى فهو حق وأنا أشهد أن لااله الا الله وأن محمداً رسول الله فأتم أمرك واقض ماأنت قاض فلما رأى عمر ذلك سُقط في يده فقال لأخته أرأيت ما كنت تدرسين آنفاً أعطيك موثقاً لا أمحوه حتى أرده اليك ولا أخونك فيه فلما رأت أخته حِرْصَهُ على الكتاب رجت أن يكون ذلك لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت انك نجسٌ ولا يمسه الا المطهرون فقام واغتسل من الجنابة وأعطاها موثقاً فاطمأنت به ودفعت اليه الصحيفة فقرأ طه حتى بلغ ﴿ ان الساعة آتيةٌ أكادُ أُخفِيها لتُجزَى كلُّ نفسٍ بما تسعى فلا يصُدَّنك عنها مَن لا يؤمنُ بها واتَّبَعَ هوَاهُ فتردَى ﴾ وقرأ ﴿ اذا الشمسُ كُوِّرتْ ﴾ حتى انتهى الى قوله ﴿ علمت نفسٌ ما أحضرَتْ ﴾ فأسلم عند ذلك وقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وخلع الأنداد وكفر باللات والعزّى فخرج خبّاب وكان داخلا في البيت مكبراً وقال ابشر بكرامة الله يا عمر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا أن يعزّ الله بك الاسلام فقال عمر دلونى على المنزل الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له خبّاب هو فى الدار التى فى أصل الصفا فأقبل عمر وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمر يطلبه ليقتله ولم يبلغه اسلامه فلما انتهى عمر الى الباب ليستفتح رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم متقلداً سيفه فأشفقوا

منه فلما رآه حمزة وحده قال افتحوا فان كان الله يريد بعمر خيراً اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدّقه وان كان غير ذلك قتلناه بسيفه ويكون قتله علينا هيناً فابتدره رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يوحى اليه فسمع صوت عمر فخرج ليس عليه رداء حتى أخذ بمجمع رداء عمر وقميصه وقال له أما والله ما أراك تنتهي يا عمر حتى يُنزل الله جل وعز بك من الزجر ما أنزله بالوليد ابن المُغيرة ثم قال اللهم اهد عمرَ فضحك عمر وقال يارسول الله أشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وأنك محمد عبده ورسوله فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها من وراء الدار والمسلمون يومئذ بضعة وأربعون رجلا وإحدى عشرة امرأة ثم قال عمر يارسول الله نحن بالاسلام أحق أن ينادى مناد بالكفر فليظهرنّ دين الله عزوجل بمكة فخرج عمر وجلس فى المسجد وصلى علانية وأظهر الاسلام فلم يزل الدين عزيزاً مُنذ أسلم عمر رضي الله عنه ٠٠ وأما اسلام عثمان فانه روى ان عثمان بن عفان رحمه الله قال دخلت على جدتي بنت عبد المطاب أعودها فاني لعندها اذجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودها فجعلت أنظر اليه وقد نشر من شأنه حينئذ شيئاً فأقبل عليّ فقال ماشأنك يا عثمان فجعل لي الى الكلام سبيلا فقلت أعجب منك ومن مكانك فينا وفى قومك وما يقال عليك فقال لااله الا الله فالله يعلم انى اقشعرَرتُ ثم قال ﴿ وفى السماء رزقكم وما توعدون فورَبّ السماء والأرض انه لحقٌّ مثل ماأنكم تنطقون ﴾ فقام فقمت في أثره عليه الصلاة والسلام فأسلمت

مساوى من ارتد عن الاسلام

منهم جبلة بن الأيهَم الغسّاني لما افتتحت الشام ونظر جبلة الى هَدْي المسلمين ووقارهم أحب الدخول فى الاسلام فسار نحو المدينة الى عمر بن الخطاب رحمه الله فلما بلغ عمر قدومه قال للمهاجرين استقبلوه وأظهروا تعظيمه وتجيله فانه قريب العهد بالملك

فاستقبله الناس وأظهروا برّه وأقبل جبلة حتى دخل على عمر رضي الله عنه فقرّب مجلسه وأدناه ووعده من نفسه خيراً فأسلم وأقام بالمدينة حتى اذا حضر أوان الموسم حجّ عمر رحمه الله وخرج معه جبلة فبينا هو يطوف بالبيت مُحرِما وعليه إزاران قد ارتدى بواحد واتّزَرَ بالآخر اذ وطئ رجل طرف ازاره فانحلّ عنه حتى بدت عورته فغضب ووثب على الرجل فلطمه فتعلق به الرجل وجماعة معه وانطلقوا به الى عمر رضى الله عنه وشهدوا عليه فقال عمر أَقِدِ الرجل أو استوهب منه فقال جبلة وكذلك هذا الدين لايفضل فيه شريف على وضيع ولا ملك على سوقة قال عمر قال الله تعالى وقوله الحق (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) ان الناس شريفهم ووضيعهم فى الحق سواء فانصرف جبلة فلما جن عليه الليل خرج فى حشمه وعياله حتى لحقوا بأرض الشام مرتداً عن الاسلام فكتب عمر الى أبي عبيدة بن الجراح يأمره ان يستتيب جبلة فان تاب والا ضرب عنقه وبلغ ذلك جبلة فخرج من أرض الشام حتى دخل أرض الروم وأتي الملك فأخبره بأمره ورجوعه الى النصرانية فسُرّ الملك بقدومه واستخلفه على ملكه وجعله جائز الامر فى سلطانه فأقام عنده فلماولي معاوية بن أبي سفيان بعث رجلا من الانصار يقال له تميم بن بشر الي قيصر ملك الروم فى بعض أموره قال تميم فلما دخلت على قيصر أبلغته الرسالة وجلست عنده فحدّثني ملياً ثم قال هل لك في لقاء رجل من العرب من أهل بيت الملك فقلت ومن هو قال جبلة بن الأيهم قلت ان لى فى ذلك أملاً واني لرجل من قومه فبعث معى رجلا حتي أدخلنى عليه وهو فى مجلس له يغشى العيون حسنه وكثرة تصاويره مطليّة حيطانه بماء الذهب والفضة يتلألأ تلألؤاً وحوله نفر من بطارقة الروم فسألنى من أنا فانتسبت له فقال حيّاك الله فانما بنو عم ثم أمر جلساءه فخرجوا من عنده وخلا بى يسألنى عن العرب وأماكنها فخبّرته بجميع ماسألنى عنه فبكى حتى خضّلت لحيته الدموع ثم أنشأ يقول

تَنَصَّرْتُ بعدَ الدين مِنْ عارِ لَطْمَةٍ ... وَما كانَ فيها لَوْ صَبَرْتُ لها ضَرَرْ

تكنّفَنى منها اللَجاجُ ونَخوَةٌ ... فبعتُ بها العينَ الصحيحةَ بالعَوَرْ

فيالَيْتَ أُمي لم تلدني وليتني ... ثَوَيْتُ أسيراً فى ربيعةَ أوْ مُضَرْ

ويا ليتنى أرعى المخاض بقفرة ولم أنكر القول الذي قاله عمر
ويا ليت لى بالشام أدنى معيشة أجالس قومي في العشيات والبكر
أدين لما دانوا به من شريعة وقد يجلس العير الضجور على الدبر

قال ثم دعا بغدائه فتغدينا فلما فرغنا خرجت علينا جاريتان في يد احداها بربط وفى يد الأخرى مزمار فجلستا ثم خرجت علينا جاريتان فى يد احداهما جام فيه مسك مسحوق وفى يد الأخرى جام مملوء ماء ورد ثم أقبل طائران كانا شبيهين بطاوسين أو تدرجين فسقطا فى الجام واحتملا المسك بجناحيهما فرشاه علينا .. وقال جبلة للمغنيتين غنيانا فغنتاه

لمن الدار أقفرت بمعان بين أعلى اليرموك فالمسربان
ذاك مغنى لآل جفنة فى الدهـر وحق تصرف الازمان
قد أرانى هناك حقاً مكيناً عند ذى التاج مقعدى ومكاني

قال ثم بكي حتى اخضلت دموعه لحيته ثم قال غنياني فغنتا

لله در عصابة نادمتهم يوما بجلق فى الزمان الأول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل
يغشون حتى ماتهر كلابهم لايسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

ثم قال لى مافعل ابن الفريعة يعنى حسان بن ثابت قلت حي الا انه كف بصره فوجد من ذلك وجداً شديداً وبكى وقال لخادم له انطلق فأتني بأربعمائة دينار فأتاه بها فناولنيها وقال أوصلها الى حسان ثم ودعته وخرجت حتى أتيت معاوية فأخبرته بجواب رسالة قيصر ثم سرت من الشام حتي أتيت المدينة ولقيت حسانا ودفعت اليه الدنانير .. فقال

ان ابن جفنة من بقية معشر لم يغذهم آباؤهم باللوم
لم ينسنى بالشام إذ هو ربها يوما ولا متنصراً بالروم

يُعطي الجزيلَ فما يراهُ عنده الا كبعض عطيّةِ المذموم
ماجئتهُ الا وقرّبَ مجلسي ودعا بأفضلِ زادهِ المطعوم

محاسن المفاخرة

•• قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر •• وقال يوسف عليه السلام (آجعلني علي خزائن الأرض اني حفيظٌ عليمٌ) •• قيل وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ينشد

اني امرؤٌ حميريٌّ حين تنسُبُني لامن ربيعةَ آبائي ولا مُضر

فقال ذلك ألأم لك وأبعد من الله ورسوله •• وقال صلى الله عليه وسلم اذا اختلف الناس فالحق مع مُضر وقال

اذا مضرُ الحمراءُ كانت أرُومتي وقام بنصري خازمٌ وابن خازمِ
عَطَسْتُ بأنفي شامخاً وتناولتْ يدايَ الثريّا قاعداً غيرَ قائم

شعيب بن ابراهيم قال حدثني سيف بن عمر عن علي بن يزيد عن عبد الله بن الحارث عن المطلب بن ربيعة قال مر العباس بنفر من قريش وهم يقولون انما مثل محمد صلى الله عليه وسلم في أهله كمثل نخلة نبتت في كناسة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد منه وخرج حتى قام فيهم خطيباً فقال أيها الناس من أنا قالوا أنت رسول الله قال فأنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ان الله عز وجل خلق خلقه فجعلني من خير خلقه ثم جعل الخلق الذي أنا منهم فرقتين فجعلني من خير الفرقتين ثم جعلهم شعوبا فجعلني من خيرهم شعبا ثم جعلهم بيوتا فجعلني من خيرهم بيتاً فأنا خيركم بيتاً وخيركم والداواني مباه قمْ ياعباس فقام عن يمينه ثم قال قم ياسعد فقام عن يساره ثم قال ليقرب امرؤ من الناس عما مثل هذا أو خالا مثل هذا •• حدثنا سنان بن الحسن التستري قال حدثنا اسماعيل بن مِهران اليشكري قال حدثنا أحمد بن محمد عن أبان بن عثمان عن عكرمة عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه •• قال لما أمر رسول الله

صلى الله عليه وسلم ان يعرض نفسه على القبائل خرج وأنا معه ومعه أبو بكر وكان أبو بكر عالما بانساب العرب فدفعنا الي مجلس من مجالس العرب عليهم الوقار والسكينة فتقدم أبو بكر وسلم عليهم فردوا عليه السلام فقال ممن القوم فقالوا من ربيعة فقال أمن هامتها أم من لهازمها قالوا بل من هامتها العظمى قال وأي هامتها قالوا ذُهل قال أذُهل الاكبر أم ذهل الاصغر قالوا بل ذهل الاكبر قال أمنكم عوف الذى كان يقال لاحرّ بوادى عوف قالوا لا قال أفنكم بسطام بن قيس صاحب اللواء ومنتهى الاحياء قالوا لا قال أفنكم جساس بن مرة حامى الذمار ومانع الجار قالوا لا قال أفنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة قالوا لا قال فأنتم أخوال الملوك من كندة قالوا لا قال فأصهار الملوك من لخم قالوا لا قال فلستم من ذهل الاكبر اذاً أنتم من ذهل الاصغر فقام اليه غلام اعرابى حين بقل وجهه فأخذ بزمام ناقته ورسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته يسمع مخاطبته فقال

لنا على سائلنا أن نسأله والعبء لن نعرفه أو نحمله

ياهذا انك سألتنا أي مسئلة شئت فلم نكتمك شيئاً فأخبرنا ممن أنت فقال أبو بكر رضى الله عنه من قريش قال بخ بخ أهل الشرف والرياسة فأخبرني من أي قريش أنت قال من تيم بن مرة قال أفنكم قصي بن كلاب الذى جمّع القبائل من فهر فكان يقال له مجمعاً قال أبو بكر لا قال أفنكم هاشم الذي قال فيه الشاعر

عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

قال أبو بكر لا قال أفنكم شيبة الحمد الذى كان وجهه كالقمر يضىء ليلة الظلمة الداجية مطعم طير السماء قال لا قال أفمن المفيضين بالناس أنت قال لا قال أفمن أهل الرفادة أنت قال لا قال أفمن أهل السقاية أنت قال لا قال أفمن أهل الحجابة أنت قال لا قال أما والله لو شئت لاخبرتك انك لست من أشراف قريش فاجتذب أبو بكر زمام ناقته منه كهيئة المغضب فقال الاعرابى

صادف دَرَّ السيل درٌّ يدفعه في هضبةٍ ترفعهُ وتضعه

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم .. قال علي فقلت ياأبا بكر انك لقد وقعت من هذا الاعرابى على باقعة فقال أجل ياأبا الحسن مامن طامة الا فوقها طامة وان

البلاء موكل بالمنطق

محاسن كلام الحسن بن علي رضوان الله عليهما

قيل وأتي الحسن بن عليّ رضى الله عنهما معاوية بن أبي سفيان وقد سبقه ابن عباس فأمر معاوية فانزل فبينا معاوية مع عمرو بن العاص ومروان بن الحكم وزياد ابن أبي سفيان يتحاورون فى قديمهم وحديثهم ومجدهم فقال معاوية أكثرتم الفخر فلو حضركم الحسن بن عليّ وعبد الله بن عباس لقصرا من أعنتكما ماطال فقال زياد وكيف ذلك ياأمير المؤمنين مايقومان لمروان بن الحكم فى غرب منطقه ولا لنا فى بواذخنا فابعث اليهما فى غدٍ حتى تسمع كلامنا فقال معاوية لعمرو ماتقول قال هكذا فابعث اليهما فى غدٍ فبعث اليهما معاوية ابنه يزيد فأتياه ودخلا عليه وبدأ معاوية فقال انى أجلكما وارفع قدركما عن المسامرة بالليل ولا سيما أنت ياأبا محمد فانك ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة فشكرا له فلما استويا في مجلسهما وعلم عمرو ان الحدة ستقع به قال والله لابد أن أقول فان قهرتُ فسبيل ذلك وان قُهرتُ أكون قد ابتدأت فقال ياحسن انا تفاوضنا فقلنا ان رجال بني أميّة اصبر عند اللقاء وامضى فى الوغي وأوفي عهداً وأكرم خيما وأمنع لما وراء ظهورهم من بني عبد المطلب ثم تكلم مروان فقال وكيف لانكون كذلك وقد قارعناكم فغلبناكم وحاربناكم فملكناكم فان شئنا عفونا وان شئنا بطشنا ثم تكلم زياد فقال ماينبغي لهم ان ينكروا الفضل لأهله ويجحدوا الخير في سلطانه نحن أهل الحملة فى الحروب ولنا الفضل على سائر الناس قديماً وحديثاً فتكلم الحسن رضى الله عنه فقال ليس من العجز ان يصمت الرجل عند ايراد الحجة ولكن من الإفك ان ينطق الرجل بالخنا ويصور الباطل بصورة الحق ياعمرو افتخاراً بالكذب وجراءة على الافك مازلت أعرف مثالبك الخبيثة أبديها مرة وأمسك عنها أخرى فتأبى الا انهماكا فى الضلالة أتذكر مصابيح الدجى وأعلام الهدى وفرسان الطراد وحتوف الافران وأبناء الطعان وربيع الضيفان ومعدن النبوة ومهبط

العلم وزعمتم انكم أحمى لما وراء ظهوركم وقد تبين ذلك يوم بدر حين نكصت الابطال وتساورت الاقران واقتحمت الليوث واعتركت المنية وقامت رحاها على قطبها وافترّت عن نابها وطار شرار الحرب فقتلنا رجالكم ومنّ النبي صلى الله عليه وسلم على ذراريكم فكنتم لعمري فى هذا اليوم غير مانعين لما وراء ظهوركم من بني عبد المطلب ثم قال وأما أنت يامروان فما أنت والاكثار فى قريش وأنت طليق وأبوك طريد يتقلب من خزاية الى سوأة ولقد جيء بك الى أمير المؤمنين فلما رأيت الضرغام قد دميت براثنه واشتبكت أنيابه كنت كما قال

ليثٌ اذا سمع الليوثُ زئيرَهُ بَصْبَصْنَ ثم قذفْنَ بالأبعار

•• ويروى رمين بالابعار فلما منّ عليك بالعفو وأرخى خناقك بعد ماضاق عليك وغصصت بريقك لم تقعد معنا مقعد أهل الشكر ولكن تساوينا وتجارينا ونحن ممن لايدركنا عار ولا يلحقنا خزاية ثم التفت الى زياد فقال وما أنت يازياد وقريشاً لاأعرف لك فيها أديماً صحيحاً ولا فرعا نابتا ولا قديما ثابتا ولا منبتاً كريما بل كانت أمك بغياً تداولها رجال قريش وفجار العرب فلما ولدتَ لم تعرف لك العرب والداً فادعاك هذا يعنى معاوية بعد ممات أبيه مالك افتخار تكفيك سُمَيّةُ ويكفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى عليّ بن أبي طالب سيد المؤمنين الذى لم يرتد على عقبيه وعمي حمزة سيد الشهداء وجعفر الطيار وأنا وأخي سيدا شباب أهل الجنة ثم التفت الى ابن عباس فقال ياابن العم انما هي بغاث الطير انقضّ عليها أجدل فاراد ابن عباس ان يتكلم فاقسم عليه معاوية ان يكف فكف ثم خرجا فقال معاوية أجاد عمرو الكلام لولا ان حجته دحضت وتكلم مروان لولا انه نكص ثم التفت الى زياد وقال مادعاك الى محاورته ماكنت الا كالحجل فى كف البازى فقال عمرو ألا رميت من ورائنا قال معاوية اذاً كنت شريككم في الجهل أفاخر رجلا رسول الله جده وهو سيد من مضى ومن بقى وأمه فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ثم قال لعمرو والله لئن سمع به أهل الشام لهي السوءة السوآء فقال عمرو لقد أبقى عليك ولكنه طحن مروان وزيادا طحن الرحا بثفالها ووطئهما وطيء البازل القُراد بمنسمه فقال زياد قد والله فعل ولكن معاوية يأبى الا الاغراء بيننا وبينهم لاجرم

والله لاشهدت مجلساً يكونان فيه الا كنت معهما على من فاخرهما فخلا ابن عباس بالحسن فقبل بين عينيه وقال أفديك يا ابن عم والله ما زال بحرك يذخر وأنت تصول حتى شفيتني من أولاد البغايا ثم ان الحسن رضى الله عنه غاب أياماً ثم رجع حتى دخل على معاوية وعنده عبد الله بن الزبير فقال معاوية يا أبا محمد انى أظنك تعباً نصباً فائت المنزل فأرح نفسك فيه فقام الحسن فلما خرج قال معاوية لعبد الله بن الزبير لو افتخرت على الحسن فانك ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته ولأبيك فى الاسلام نصيب وافر فقال ابن الزبير أنا له فرجع وهو يطلب ليلته الحجج فلما أصبح دخل على معاوية وجاء الحسن فحياه معاوية وسأله عن مبيته فقال خير مبيت وأكرم مستفاض فلما استوى فى مجلسه قال ابن الزبير لولا انك خوّار فى الحرب غير مقدام ما سلمت لمعاوية الأمر وكنت لا تحتاج الى اختراق السهوب وقطع المفاوز تطلب معروفه وتقوم ببابه وكنت حريّاً أن لا تفعل ذلك وأنت ابن علىّ فى بأسه ونجدته فما أدرى ما الذى حملك على ذلك أضعف رأى أم وهن نحيزة فما أظن لك مخرجاً من هاتين الخلتين أما والله لو استجمع لى ما استجمع لك لعلمت انى ابن الزبير وانى لا أنكص عن الأبطال وكيف لا أكون كذلك وجدتي صفية بنت عبد المطلب وأبي الزبير حواريّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشد الناس بأساً وأكرمهم حسباً فى الجاهلية وأطوعهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالتفت اليه الحسن وقال أما والله لولا ان بني أمية تنسبني الى العجز عن المقال لكففت عنك تهاوناً ولكن سأبين ذلك لك لتعلم انى لست بالعيّ ولا الكليل اللسان اياي تعير وعلىّ تفتخر ولم يكن لجدك بيت فى الجاهلية ولا مكرمة فزوّجته جدّتى صفية بنت عبد المطلب فبذخ على جميع العرب بها وشرف بمكانها فكيف تفاخر من هو من القلادة واسطتها ومن الأشراف سادتها نحن أكرم أهل الارض زنداً لنا الشرف الثاقب والكرم الغالب ثم تزعم اني سلمت الامر فكيف يكون ذلك ويحك كذلك وأنا ابن أشجع العرب وقد ولدتني فاطمة سيدة نساء العالمين وخير الاماء لم أفعل ذلك ويحك جبناً ولا ضعفاً ولكنه بايعني مثلك وهو يطلبني بترة ويداجيني المودة ولم أثق بنصرته لأنكم أهل بيت غدر وكيف لا يكون كما أقول وقد بايع أبوك أمير المؤمنين ثم

نكث بيعته ونكص على عقبيه واختدع حشية من حشايا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضل بها الناس فلما دلف نحو الأعنة ورأى بريق الاسنة قتل مَضِيعةً لاناصر له وأتي بك أسيراً قد وطئتك الكماة بأظلافها والخيل بسنابكها واعتلاك الأشتر فغصصت بريقك وأقعيت على عقبيك كالكلب اذا احتوشته الليوث فنحن ويحك نور البلاد وأملاكها وبنا تفخر الأمة والينا تُلقى مقاليد الأزمة أتصول وأنت تختدع النساء ثم تفتخر على بني الأنبياء لم تزل الأقاويل منا مقبولةً وعليك وعلى أبيك مردودة دخل الناس في دين جدي طائعين وكارهين ثم بايعوا أمير المؤمنين رضي الله عنه فسار الى أبيك وطلحة حين نكثا البيعة وخدعا عرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل أبوك وطلحة وأتي بك أسيراً فبصبصت بذنبك وناشدته الرحم أن لا يقتلك فعفا عنك فأنت عتاقة أبي وأنا سيدك وسيد أبيك فذق وبال أمرك فقال ابن الزبير اعذر يا أبا محمد فانما حملني على محاورتك هذا وأحب الاغراء بيننا فهلا اذ جهلتُ أمسكت عني فانكم أهل بيت سجيتكم الحلم والعفو فقال الحسن يامعاوية انظر هل أكيعُ عن محاورة أحد ويحك أتدرى من أي شجرة أنا والي من أنتمي انتهِ قبل أن أسمك بميسم تتحدث به الركبان في الآفاق والبلدان فقال ابن الزبير هو لذلك أهل فقال معاوية أما انه قد شفا بلابل صدري منك ورمي مقتلك فصرت كالحَجَل في كف البازي يتلاعب بك كيف أراد فلا أراك تفتخر على أحد بعدها •• وذكروا ان الحسن بن علي دخل على معاوية فقال متمثلا

فيمَ الكلام وقد سبقتُ مبرّزاً ... سبْق الجواد من المَدى والمِقيسِ

•• فقال معاوية إياي تعني أما والله لأنبئنك بما يعرفه قلبك ولا ينكره جلساؤك أنا ابن بطحاء مكة أنا ابن أجودها جوداً وأكرمها جدوداً وأوفاها عهوداً انا ابن من ساد قريشاً ناشئاً وكهلا فقال الحسن أجل إياك أعني افعليّ تفتخر يامعاوية انا ابن ماء السماء وعروق الثرى وابن من ساد اهل الدنيا بالحسب الثابت والشرف الفائق والقديم السابق انا ابن من رضاه رضى الرحمن وسخطه سخط الرحمن فهل لك اب كأبي وقديم كقديمي فان قلت لا تُغلب وان قلت نعم تكذب فقال معاوية أقول لا تصديقاً لقولك فقال الحسن

اَلحقّ اَبلَجُ ماتخونُ سَبيلُهُ ... والصدقُ يعرفهُ ذوو الألبابِ

ماتخون أي ما تخون من سلكها • قال وقال معاوية ذات يوم وعنده أشراف الناس من قريش وغيرهم اخبروني بخير الناس أباً وأماً وعماً وعمة وخالا وخالة وجداً وجدة فقام مالك ابن العجلان فأومأ الى الحسن فقال ها هو ذا ابوه على بن ابي طالب رضوان الله عليه وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمه جعفر الطيار فى الجنان وعمته أم هانئ بنت ابى طالب وخاله القاسم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب وجده رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدته خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فسكت القوم ونهض الحسن فأقبل عمرو بن العاص على مالك فقال احب بني هاشم حملك على ان تكلمت بالباطل فقال ابن العجلان ما قلت الا حقاً وما أحد من الناس يطلب مرضاة مخلوق بمعصية الخالق الا لم يعط أمنيته فى دنياه وختم له بالشقاء فى آخرته بنو هاشم أنضرهم عوداً وأوراهم زنداً كذلك يا معاوية قال اللهم نعم •• قيل واستأذن الحسن بن على رضى الله عنه على معاوية وعنده عبد الله بن جعفر وعمرو بن العاص فأذن له فلما أقبل قال عمرو قد جاءكم الافه العى الذي كان بين لحييه عقلة فقال عبد الله بن جعفر مه فوالله لقد رمت صخرة ململمة تنحط عنها السيول وتقصر دونها الوعول ولا تبلغها السهام فإياك والحسن إياك فانك لا تزال راتعاً فى لحم رجل من قريش ولقد رميت فما برح سهمك وقدحت فما أوري زندك فسمع الحسن الكلام فلما أخذ الناس مجالسهم قال يا معاوية لا يزال عندك عبد راتعاً في لحوم الناس اما والله لو شئت ليكونن بيننا ما تتفاقم فيه الأمور وتحرج منه الصدور ثم انشأ يقول

أتأمرُ يامعاوىُ عبدَ سهمٍ	بشتمى والملاَ منَّا شهودُ
إذا أخذت مجالسها قريشٌ	فقد علمت قريشٌ ماتريدُ
قصدتَ الىَّ تشتمني سفاهاً	لضغن مايزولُ وما يبيدُ
فمالكَ من أبٍ كأبى تسامي	به من قد تسامى أو تكيدُ
ولا جدٌّ كجدّى يا ابن هندٍ	رسول الله ان ذُكر الجدودُ
ولا أُمٌّ كأمي من قريشٍ	إذا ما حُصِّلَ الحسبُ التليدُ
فما مثلي تُهكَّمَ يا ابنَ هندٍ	ولا مثلى تجاريهِ العبيدُ

فهلاً لا تُهِجْ منا أموراً يشيبُ لهولها الطفلُ الوليدُ

وذكروا ان عمرو بن العاص قال لمعاوية ذات يوم ابعث الى الحسن بن على فمره أن يخطب على المنبر فلعله يحصر فيكون ذلك مما نُعَيِّره به فبعث اليه معاوية فأصعده المنبر وقد جمع الناس فحمد الله وأثني عليه ثم قال يا أيها الناس من عرفني فأنا الذى يعرف ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن على بن أبي طالب ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم أنا ابن البشير النذير السراج المنير أنا ابن من بعث رحمة للعالمين وسخطاً على الكافرين أنا ابن من بعث الى الجن والانس أنا ابن المستجاب الدعوة أنا ابن الشفيع المطاع أنا ابن أول من ينفض رأسه من التراب أنا ابن أول من يقرع باب الجنة أنا ابن من قاتلت معه الملائكة ونصر بالرعب من مسيرة شهر فافتنّ في هذا الكلام ولم يزل حتى أظلمت الدنيا على معاوية فقال يا حسن قد كنت ترجو أن تكون خليفةً ولست هناك فقال الحسن انما الخليفة من سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل بطاعة الله وليس الخليفة من دان بالجور وعطّل السنن واتخذ الدنيا أباً وأماً ولكن ذاك مَلِك أصاب مُلكا يمتّع به قليلا وكان قد انقطع عنه واستعجل لذته وبقيت عليه تبعته فكان كما قال الله جل وعز ﴿ وإن أدرِى لعلهُ فتنةٌ لكم ومتاعٌ إلى حينٍ ﴾ ثم انصرف فقال معاوية لعمرو والله ما أردت الا هتكي ما كان أهل الشام يرون ان أحداً مثلى حتى سمعوا من الحسن ماسمعوا . . قيل وقدم الحسن بن على رضوان الله عليه على معاوية فلما دخل عليه وجد عنده عمرو بن العاص ومروان بن الحكم والمغيرة بن شُعبة وصناديد قومه ووجوه اليمن وأهل الشام فلما نظر اليه معاوية أقعده على سريره وأقبل عليه بوجهه يريه السرور بمقدمه فلما نظر مروان الى ذلك حسده وكان معاوية قال لهم لا تحاوروا هذين الرجلين فلقد قلداكم العار وفضحاكم عند أهل الشام يعنى الحسن بن على رضي الله عنه وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال مروان يا حسن لولا حلمُ أمير المؤمنين وماقد بنى له آباؤه الكرام من المجد والعلاء ما أقعدك هذا المقعد ولقتلك وأنت له مستوجب بقودك الجماهير فلما أحسست بنا وعلمت أن لا طاقة لك بفرسان أهل الشام وصناديد بني أمية أذعَنْتَ بالطاعة واحتَجَزْت بالبيعة وبعثت تطلب الأمان أما والله لولا ذلك

لأريق دَمك وعلمت أنا نعطي السيوف حقها عند الوغى فاحمد الله اذ ابتلاك بمعاوية فعفى عنك بحلمه ثم صنع بك ما ترى فنظر اليه الحسن فقال ويحك يا مروان لقد تقلدت مقاليد العار في الحروب عند مشاهدتها والمخاذلة عند مخالطتها نحن هَبِلتك الهوابل لنا الحجج البوالغ ولنا ان شكرتم عليكم النعم السوابغ ندعوكم الى النجاة وتدعوننا الى النار فشتان ما بين المنزلتين تفخر ببنى أمية وتزعم انهم صُبُر في الحروب أُسد عند اللقاء ثكلتك أمك أولئك البهاليل السادة والحُماة الذادة والكرام القادة بنو عبد المطلب أما والله لقد رأيتهم وجميع من في هذا البيت ماهالتهم الأهوال ولم يحيدوا عن الأبطال كالليوث الضارية الباسلة الحنقة فعندها وليت هارباً وأخذت أسيراً فقلدت قومك العار لأنك في الحروب خوار أيراق دمي زعمت أفلا أرقت دم من وثب على عثمان في الدار فذبحه كما يذبح الجمل وأنت تثغو ثغاء النعجة وتنادى بالويل والثبور كالأمة اللكعاء ألا دفعت عنه بيدٍ أو ناضلت عنه بسهم لقد ارتعدت فرائصك وغُشى بصرك فاستغثت بي كما يستغيث العبد بربه فأنجيتُك من القتل ومنعتك منه ثم تحث معاوية على قتلي ولو رام ذلك معك لذبح كما ذُبح ابن عفان أنت معه أقصر يداً وأضيق باعاً وأجبن قلباً من أن تجسر على ذلك ثم تزعم اني ابتُليت بحلم معاوية أما والله لهو أعرف بشأنه وأشكر لما وليناه هذا الأمر فمتى بدا لهُ فلا يُغضِينّ جفنه على القذَى معك فو الله لأُعقّبن أهل الشام بجيش يضيق عنه فضاؤها ويستأصل فرسانها ثم لاينفعك عند ذلك الهرب والروغان ولا يرد عنك الطلبَ تدريجك الكلام فنحن من لا يجهل آباؤنا القدماء الأكابر وفروعنا السادة الأخيار انطق ان كنت صادقاً فقال عمرو ينطق بالخنا وتنطق بالصدق .. ثم أنشأ يقول

قد يَضرُطُ العَيرُ والمِكواةُ تأخذهُ لايضرُطُ العَيرُ والمكواةُ في النارِ

ذق وبال أمرك يا مروان وأقبل عليه معاوية فقال قد كنت نهيتك عن هذا الرجل وأنت تأبى الا انهماكا فيما لا يعنيك اربع على نفسك فليس أبوك كأبيه ولا أنت مثله أنت ابن الطريد الشريد وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكريم ولكن رُب باحث عن حتفه وحافر عن مِديته فقال مروان ارم من دون بيضتك وقم بحجة عشيرتك

ثم قال لعمرو وطعنك أبوه فوقيت نفسك بخصييك فلذلك تحذره وقام مغضباً فقال معاوية لا تجار البحور فتغمرك ولا الجبال فتبهرك واسترح من الاعتذار ٠٠ قيل ولقي عمرو بن العاص الحسن بن عليّ رحمه الله في الطواف فقال يا حسن أزعمت ان الدين لا يقوم الا بك وبأبيك فقد رأيت الله جل وعز أقامه بمعاوية فجعله راسياً بعد ميله وبيّناً بعد خفائه أفرضي الله قتل عثمان أم من الحق أن تدورَ بالبيت كما يدور الجمل بالطحين عليك ثياب كغِرْقئ البيت وأنت قاتل عثمان والله انه لألمّ للشعث وأسهل للوعث أن يوردك معاوية حياض أبيك فقال الحسن عليه السلام ان لاهل النار علامات يعرفون بها وهي الالحاد لاولياء الله والموالاة لاعداء الله والله انك لتعلم ان علياً رضي الله عنه لم يتريَّب في الامر ولم يشك في الله طرفة عين وأيم الله لتنتهينَّ يا ابن أم عمرو أو لأقرعن جبينك بكلام تبقى سمته عليك ما حييت فاياك والابراز عليّ فاني من قد عرفت لستُ بضعيف الغمزة ولا بهشّ المشاشة ولا بمريء المأكلة واني من قريش كأوسط القلادة يعرف حسبي ولا أدّعي لغير أبي وقد تحاكمت فيك رجال قريش فغلب عليك ألأَمُهم نسباً وأظهرهم لعنة فاياك عني فانك رجس وأما نحن بيت الطهارة أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيراً ٠٠ قيل واجتمع الحسن بن علي وعمرو بن العاص فقال الحسن قد علمت قريش بأسرها اني منها في عز أرومتها لم أطبع على ضعف ولم أُعكس على خسف أعرف بشبهي وأدّعي لأبي فقال عمرو قد علمت قريش انك من أقلها عقــلا وأكثرها جهلا وان فيك خصالا لو لم يكن فيك الا واحدة منهن لشملك خزيها كما شمل البياضُ الحالكَ لعمرُ الله لتنتهين عما أراك تصــنع أو لأَكبسنَّ لك حافة كجلد العائط أرميك من خللها بأحر من وقع الاثافي أعرك منها أديمك عرك السلعة فانك طال ماركبت صعب المنحدر ونزلت في أعراض الوعر التماساً للفرقة وارصاداً للفتنة ولن يزيدك الله الا فظاعة فقال الحسن عليه السلام أما والله لو كنت تسمو بحسبك وتعمل برأيك ما سلكت فج قصدٍ ولا حللت رابية مجدٍ وأيم الله لو أطاعني معاوية لجعلك بمنزلة العــدو الكاشح فانه طال ماطويت على هــذا كشحك وأخفيته في صدرك وطمح بك الرجاء الى الغاية القصوى التي لا يُورق لها غصنك ولا يخضر لها مرعاك أما والله ليوشكنَّ يا ابن العاص أن تقع بين لحيي ضرغام من قريش

قوى متمنع فروسٍ ذى لبــد يضغطك ضغط الرحا للحبّ لا يخيلك منه الروغان اذا التقت حلقتا البطان

محاسن كلام عبد الله بن عباس رضي الله عنه

أبو المنذر عن أبيــه عن الشعبي عن ابن عباس انه دخل المسجد وقــد سار الحسين بن على رضي الله عنه الى العراق فاذا هو بابن الزبير فى جماعــة من قريش قد استعلاهم بالكلام فجاء ابن عباس حتى ضرب بيده بين عضُدى ابن الزبير وقال أصبحت والله كما قال الاول

يا لكِ من قُبَّرَةٍ بمَعمَرِ   خلالكِ الجُوُّ فبيضي واصفرى
وَنقِّرى ماشئتِ أن تُنقّرى   قد رُفِعَ الفخ فماذا تحذَرى

.. خلَت الحجاز من الحسين بن على وأقبلت تهدر فى جوانبها فغضب ابن الزبير وقال والله انك لترى انك أحق بهذا الامر من غــيرك فقال ابن عباس انما يرى من كان فى حال شك وأنا من ذلك على يقين فقال وبأى شيء تحقق عندك انك أحق بهذا الامر منى قال ابن عباس لأَنا أحق ممن يدلّ بحقه وبأى شيء تحقق عندك انك أحق بها من سائر العرب الا بنا فقال ابن الزبير تحقق عندى انى أحق بها منكم لشرفى عليكم قديماً وحديثاً فقال أنت أشرف أم من قد شرفت به فقال ان من شرفتُ به زادنى شرفاً الى شرف قد كان لي قديماً وحديثاً قال أفنى الزيادة أم منك قال بل منك فتبسم ابن عباس فقال يا ابن عباس دعنى من لسانك هــذا الذى تقلبه كيف شئت والله لا تحبوننا يا بني هاشم أبداً قال ابن عباس صدقت نحن أهلُ بيت مع الله عز وجل لانحب من أبغضه الله تعالى فقال يا ابن عباس ما ينبغي لك أن تصفح عن كلمة واحدة قال انما أصفح عمن أقر وأما عمن هرّ فلا والفضل لأهل الفضل قل ابن الزبير فأين الفضل قال عندنا أهل البيت لا تصرفه عن أهله فتظلم ولا تضعه فى غير أهله فتندم قال ابن الزبير أفلستُ من أهله قال بلي ان نبذت الحسد ولزمت الجدد وانقضى حديثهما وقام القوم فتفرقوا .. وروي عن

ابن عباس انه قال قدمت على معاوية وقد قعد على سريره وجمع أصحابه ووفود العرب عنده فدخلت فسلمت وقعدت فقال من الناس يا ابن عباس فقلت نحن قال فاذا غبتم قلت فلا أحد قال ترى انى قعدت هذا المقعد بكم قلت نعم فبمن قعدت قال بمن كان مثل حرب بن أمية قلت بل بمن أكفأ عليه إناءه وأجاره برداءه قال فغضب وقال وار شخصك عني شهراً فقد أمرت لك بصلتك وأضعفتها لك فلما خرج ابن عباس قال لخاصته ألا تسألوني ما الذى أغضب معاوية انه لم يلتق أحد من رؤساء قريش فى عقبة ولا مضيق مع حرب الا لم يتقدمه أحد حتى يجوزه فالتقى حرب بن أمية مع رجل من بني تميم فى عقبة فتقدمه التميمي فقال حرب أنا حرب بن أمية فلم يلتفت اليه وجازه فقال موعدك مكة فبقى التميمي دهراً ثم أراد دخول مكة فقال من يجيرني من حرب بن أمية فقالوا عبد المطلب قال عبد المطلب أجل قدراً من أن يجير على حرب فأتى ليلا دار الزبير بن عبد المطلب فدق عليه فقال الزبير لعبده قد جاءنا رجل إما طالب حاجة واما طالب قِرًى واما مستجير وقد أعطيناه ما أراد قال فخرج اليه الزبير .. فقال

لاقيتُ حرباً فى الثنيّةِ مُقبلاً والصبحُ أبلجَ ضوءُه للسارِى

فدعا بصوتٍ واكتنى ليروعني ودعا بدعوته يُريدُ فخارِى

فتركتُه كالكلب يَنبحُ وحدَهُ وأتيتُ أهل معالم وفخارِ

لَيثاً هِزَبْراً يُستجار بقربهِ رَحْبَ المباءة مكرماً للجار

ولقد حلفتُ بزمزم وبمكةٍ والبيتِ ذى الأحجار والاستارِ

إنّ الزبير لَمانِعِى من خوفِهِ ما كبّرَ الحُجاجُ فى الامصارِ

فقال تقدم فانا لا نتقدم من نجيره فتقدم التميمي فدخل المسجد فرآه حرب فقام اليه فلطمه فحمل عليه الزبير بالسيف فعدا حتى دخل دار عبد المطلب فقال أجرني من الزبير فأكفأ عليه جفنة كان هاشم يطعم فيها الناس فبقى هناك ساعة ثم قال له أخرج فقال كيف أخرج وتسعة من ولدك قد احتبَوْا بسيوفهم على الباب فألقى عليه رداء كان كساه اياه سيف بن ذى يزن له طرّتان خضراوان فخرج عليهم فعلموا انه قد أجاره فتفرقوا عنه .. قال وحضر مجلس معاوية عبد الله بن عباس وابن العاص فأقبل عبد الله بن جعفر

فلما نظر اليه ابن العاص قال قد جاءكم رجل كثير الخلوات بالتمني والطربات بالتغني محبٌّ للقيان كثير مزاحه شديد طِماحهُ صدوفٌ عن السنان ظاهر الطيش ليّن العيش أخّاذ بالسلف منفاق بالسرف فقال ابن عباس كذبت والله أنت وليس كما ذكرت ولكنه لله ذكور ولنعمائه شكور وعن الخنا زجور جواد كريم سيد حليم ماجد لِهميمٌ ان ابتدأ أصاب وان سئل اجاب غير حصر ولا هيّاب ولا فحّاش عياب حلّ من قريش فى كريم النصاب كالهِزَبر الضرغام الجرئ المقدام فى الحسب القمقام ليس يدّعي لدعيّ ولا يدنو لدنيّ كمن اختصم فيــه من قريش شرارها فغلب عليه جزّارها فأصبحَ ألأمَها حسباً وادناها منصباً ينوء منها بالذليل ويأوى منها الى القليل يتذبذب بين الحيين كالساقط بين الفراشين لا المضطر اليهم عرفوه ولا الظاعن عنهم فقدوه وليت شعرى بأى قدم تتعرض للرجال وبأي حسب تبارز عنــد النضال أبنفسك فأنت الوغد الزنيم أم بمن تنمى اليه فأهل الســفه والطيش والدناءة فى قريش لا بشرف فى الجاهلية شهروا ولا بقديم فى الاسلام ذكروا غير انك تتكلم بغير لسانك وتنطق بغير أركانك والله لكان أبين للفضل وأظهر للعدل ان ينزلك معاوية منزلة البعيد السحيق فانه طال ماسلس داؤك وطمح بك رجاؤك الي الغاية القصوى التى لم يخضرّ بها رعيــك ولم يورق بها غُصنك قال عبد الله بن جعفر أقسمت عليك لما أمسكت فانك عنى ناضلت ولى فاوضت قال ابن عباس دعني والعبــد فانه قد كان يهدر خالياً اذ لا يجد مُرامياً وقد أُتيح له ضيغم شرس وللاقران مفترس وللارواح مختلس فقال عمرو بن العاص دعنى يا أمير المؤمنين أنتصف منه فوالله ماترك شيئاً قال ابن عباس دعه فلا يُبقى المبقى الا على نفسه فوالله ان قلبي لشديد وان جوابي لعتيد وبالله الثقة فاني كما قال نابغة بنى ذُبيان

وقبلَك ماقُذِعتُ وقاذَعونى ... فما نزَرَ الكلامُ ولا شجانى
يصدُّ الشاعر العرّافُ عــني ... صدُودَ البكرعن قرمٍ هجان

محاسن كلام غانمة بنت غانم في شرف بني هاشم وفخرهم

قيل ولما بلغ غانمة بنت غانم سبّ معاوية وعمرو بن العاص بني هاشم قالت لأهل مكة أيها الناس ان قريشاً لم تلد من رَقم ولا رُقم سادت وجادت ومُلّكت فملكت وفضلت ففضلت واصطُفيت فاصطفت ليس فيها كدر عيب ولا أفن ريب ولا حشروا طاغين ولا حادوا نادمين ولا المغضوب عليهم ولا الضالين ان بني هاشم أطول الناس باعاً وأمجد الناس أصلاوأحلم الناس حلماًوأكثر الناس عطاء منا عبد مناف الذى يقول فيه الشاعر

كانت قريشُ بيضةً فتفلّقت فالمخّ خالصُها لعبدِ مَنافِ

وولده هاشم الذى هشم الثريد لقومه •• وفيه يقول الشاعر

هشمَ الثريد لقومهِ وأجارهُمْ ورجالُ مكةَ مُسنتونَ عِجافُ

ثم منا عبد المطلب الذي سُقينا به الغيث وفيه يقول الشاعر

ونحنُ سِنيَّ المَحلِ قامَ شفيعنا بمكةَ يدعو والمياهُ تغورُ

وابنه أبو طالب عظيم قريش •• وفيه يقول الشاعر

آتيتهُ مَلكاً فقامَ بحاجتى وترى العُلَيّجَ خائباًمذموماً

ومنا العباس بن عبد المطلب أردفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه ماله •• وفيه يقول الشاعر

رديفُ رسول الله لم أر مثلَهُ ولا مثلُهُ حتى القيامةِ يُوجدُ

ومنا حمزة سيد الشهداء وفيه يقول الشاعر

أبا يعلَى لكَ الأركانُ هُدَّتْ وأنتَ الماجدُ البرُّ الوَصولُ

•• ومنا جعفر ذو الجناحين أحسنُ الناس حسناً وأكملهم كمالا ليس بغدارٍ ولا ختارٍ بدّله الله جل وعز له بكل يدٍ له جناحاً يطير به فى الجنة •• وفيه يقول الشاعر

هاتوا كجعفرِنا ومثلَ عليّنا ألسنَا أعزّ الناسِ عندَ الحقائق

•• ومنا أبو الحسن على بن أبي طالب رضى الله عنه أفرس بني هاشم وأكرم من احتفى وتنعل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن فضائله ما قصُرعنكم أنباؤها ••

وفيه يقول الشاعر

وهذا عليٌّ سيدُ الناسِ فاتقُوا عَلياً باسلامٍ تقدّمَ من قبلُ

•• ومنا الحسن بن على رضي الله عنه سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة •• وفيه يقول الشاعر

ومن يك جده حقاً نبياً فان له الفضيلة فى الأنام

•• ومنا الحسين بن عليّ رضوان الله عليه حمله جبريل عليه السلام على عاتقه وكفى بذلك فخراً •• وفيه يقول الشاعر

نفى عنه عيبَ الآدميين ربُّهُ ومَنْ مجدُهُ مجدُ الحسين المطهر

ثم قالت يا معشر قريش والله ما معاوية بأمير المؤمنين ولا هو كما يزعم هو والله شانيء رسول الله صلى الله عليه وسلم انى آتية معاوية وقائلة له بما يعرق منه جبينه ويكثر منه عويله فكتب عامل معاوية اليه بذلك فلما بلغه ان غانمة قد قربت منه أمر بدار ضيافة فنظفت وألقى فيها فرش فلما قربت من المدينة استقبلها يزيد فى حشمه ومماليكه فلما دخلت المدينة أتت دار أخيها عمرو بن غانم فقال لها يزيد ان أبا عبد الرحمن يأمرك أن تصيرى الى دار ضيافته وكانت لا تعرفه فقالت من أنت كلأك الله قال يزيد بن معاوية قالت فلا رعاك الله يا ناقص لست بزائد فتمعّر لون يزيد فأتى أباه فأخبره فقال هي أسن قريش وأعظمهم فقال يزيد كم تعدّ لها يا أميرالمؤمنين قال كانت تعد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة عام وهي من بقية الكرام فلما كان من الغد أتاها معاوية فسلم عليها فقالت على المؤمنين السلام وعلى الكافرين الهوان ثم قالت من منكم ابن العاص قال عمرو ها أنا ذا فقالت وأنت تسبّ قريشاً وبني هاشم وأنت أهل السبّ وفيك السب واليك يعود السبّ يا عمرو انى والله لعارفة بعيوبك وعيوب أمك واني أذكر لك ذلك عيباً عيباً ولدت من أمة سوداء مجنونة حمقاء تبول من قيام ويعلوها اللئام اذا لامسها الفحل كانت نطفتها أنفذ من نطفته ركبها في يوم واحد أربعون رجلا وأما أنت فقد رأيتُك غاوياً غير راشد ومفسداً غير صالح ولقد رأيت فحل زوجتك على فراشك فما غرت ولا أنكرت وأما أنت يامعاوية فما كنت فى خير ولا ربيت فى خير فمالك ولبنى هاشم

أنساء بني أمية كنسائهم أم أعطي أمية ما أعطى هاشم في الجاهلية والاسلام وكفى فخراً برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاوية أيتها الكبيرة أنا كافّ عن بني هاشم قالت فاني أكتب عليك عهداً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ربه أن يستجيب لي خمس دعوات فاجعل تلك الدعوات كلها فيك فخاف معاوية وحلف لها أن لا يسب بني هاشم أبداً فهذا آخر ما كان بين معاوية وبني هاشم من المفاخرة والله أعلم

محاسن مجالس أبي العباس السفاح في المفاخرة

قيل كان أبو العباس يطيل السهر وتعجبه الفصاحة ومنازعة الرجال فسهر ذات ليلة وعنده أُناس من مُضر وفِهر وفيهم خالد بن صَفوان بن الأهتم التميمي وناس من اليمن فيهم ابراهيم بن مَخرمة الكندي فقال أبو العباس هاتوا واقطعوا ليلتنا بمحادثتكم فبدأ ابراهيم بن مخرمة وقال يا أمير المؤمنين ان أخوالكم هم الناس وهم العرب الأُوَل الذين دانت لهم الدنيا وكانت لهم اليد العليا مازالوا ملوكا وأرباباً توارثوا الرياسة كابر عن كابر وآخراً عن أول يلبس آخرهم سرابيل أولهم يعرفون بيت المجد ومآثر الحمد منهم النعمانات والمنذرات والقابوسات ومنهم غسيل الملائكة ومنهم من اهتزّ لموته العرش ومنهم مكلم الذئب ومنهم من كان يأخذ كل سفينة غصباً ويحوي في كل نائبة نهباً ومنهم أصحاب التيجان وكماة الفرسان ليس من شئ وان عظم خطره وعرف أثره من فرس رائع وسيف قاطع أو مِجَنّ واقٍ أو درع حصين أو درة مكنونة الا وهم أربابها وأصحابها ان حل ضيف قرَوه وان سألهم سائل أعطوه لا يبالغهم مكاثر ولا يطاولهم مطاول ولا مفاخر فمن مثلهم يا أمير المؤمنين البيت يمانٍ والحجر يمان والركن يمان والسيف يمان فقال أبو العباس ما أرى مُضر تقول بقولك هذا وما أظن خالداً يرضى بذلك فقال خالد ان أذن أمير المؤمنين وأَمِنتُ الموجَدَة تكلمتُ فقال أبو العباس تكلم ولا ترهب أحداً فقال خالد يا أمير المؤمنين خاب المتكلم وأخطأ المتقحم اذ قال بغير علم ونطق بغير صواب أو يفخر على مضر ومنها النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء من أهل بيته وهل أهل اليمن

يا أمير المؤمنين إلا دابغ جلد أوقائد قرد أوحائك برد دل عليهم الهدهد وغرقهم الجُرَذ وملكتهم أم ولد من قوم والله يا أمير المؤمنين مالهم ألسنة فصيحة ولا لغة صحيحة ولا حجة تدل على كتاب ولا يعرف بها صواب وانهم منا لعلي خلتين ان حازوا ما قصدوا أكلوا وان حادوا عن حكمنا قُتلوا ثم التفت الى الكندي فقال أفتخر بأكرم الانام وخيرها محمداً صلى الله عليه وسلم وبه افتخر من ذكرت فالمن من الله عز وجل عليكم ان كنتم أتباعه وأشياعه منا نبي الله المصطفى وخليفة الله المرتضى ولنا السؤدد والعلى وفينا الحلم والحِجا ولنا الشرف المقدم والركن المكرم والبيت المعظم والجناب الأخضر والعدد الأكثر والعز الأكبر ولنا البيت المعمور والمشعر المشهور والسقف المرفوع وزمزم وبطحاؤها وجبالها وصحراؤها وحياضها وغياضها وأحجارها وأعلامها ومنابرها وسِقايتها وحجابتها وسدانة بيتها فهل يعدلنا عادل ويبلغ فخرنا قائل ومنا أعلم الناس ابن عباس أعلم البشر الطيبة أخباره الحسنة آثاره ومنا الوصي وذو النور ومنا الصديق والفاروق ومنا أسد الله وسيف الله ومنا سيد الشهداء وذو الجناحين ومنا الكماة والفرسان ومنا الفقهاء والعلماء بنا عُرف الدين ومن عندنا أتاكم اليقين فمن زاحمنا زحمناه ومن عادانا اصطلمناه ومن فاخرنا فخرناه ومن بدّل سُنتنا قتلناه ثم التفت الى الكندى وقال كيف علمك بلغات قومك قال أنا بها عالم قال ما الجمجمة في لغتكم قال العين قال فما الميزم قال السن قال فالشناتر قال الأصبع قال فالصنانير قال الآذان قال فما القلوب قال الذئب قال فما الزب قال اللحية قال أفتقرأ كتاب الله عز وجل قال نعم قال فان الله عز وجل يقول ﴿ إنا أنزلناهُ قرآنا عربياً ﴾ وقال ﴿ بلسان عربيٍّ مبينٍ ﴾ وقال جل ذكره ﴿ وما أرسلنا من رسولٍ إلاّ بلسان قومهِ ﴾ وقال عز وجلّ ﴿ العَينَ بالعينِ ﴾ ولم يقل بالجمجمة بالجمجمة وقال ﴿ يَجعلوا أصابعَهم في آذانهم ﴾ ولم يقل شناترهم في صنانيرهم وقال ﴿ السنّ بالسنِّ ﴾ ولم يقل الميزم بالميزم وقال ﴿ فأكله الذئب ﴾ ولم يقل القلوب وقال ﴿ لا تأخذ بلحيتي ﴾ ولم يقل بزبي وأنا سائلك يا ابن مخرمة عن ثلاث خصال فان أنت أقررت بها قُهرت وان جحدتها كفرت وان أنكرت قُتلت قال وما هي قال أتعلم أن فينا نبيّ الله المصطفى صلى الله عليه وسلم قال اللهم نعم قال أتعلم أن فينا كتاب الله تعالى قال

اللهم نعم قال أفتعلم أن فينا خليفة الله المرتضى قال اللهم نعم قال فأي شيء يعدل هذه الخصال قال أبو العباس أكفف عنه فوالله ما رأيت غلبة أنكر منها والله ما فرغت من كلامك يا أخا مضر حتى ظننت انه سيعرج بسريري الى السماء ثم أمر لخالد بمائة الف درهم

•• وعن ابي بكر الهذلي قال اجتمعنا عند ابي العباس اهل البصرة واهل الكوفة ولم يكن من اهل البصرة غيري وكان من اهل الكوفة الحجاج بن أرطاة والحسن بن زيد وابن ابي ليلى فتذاكروا اهل الكوفة واهل البصرة فقال ابن ابي ليلى نحن والله ياامير المؤمنين خير منهم فقلت وكيف يكون ذلك ولنا السند والهند وكرمان ومكران والفرض والعرض والديار وسعة الأنهار فقال ابن أبي ليلى نحن أعلم منهم علماً وأكثر منهم فهماً يقر بذلك أهل البصرة لأهل الكوفة قلت هم أكثر أنبياء وأقل أتقياء وأعظم كبرياء منهم المغيرة الخبيث السريرة وبيان وأبو بيان ومن تنسب اليهم من الانبياء والله ما أتانا الا نبي واحد قال الحسن بن زيد أنتم أصحاب على يوم سرنا اليـه لنقتله فكف الله أيدينا عنه وسار الى الكوفة فقتلوه فأينا أعظم ذنباً فقال الحجاج والله يا أمير المؤمنين لقد بلغني ان أهل البصرة كانوا يومئذ عشرين ألفاً وكان أهل الكوفة خمسة آلاف فلما التقت حلقتا البطان وأخذت الرجال أقرانها شدت خيلهم في صعيد واحد فقلت وكيف يكون ذلك وخرجت ربيعة سامعة مطيعة تعين علياً وخرج الأحنف بن قيس فى سعد والرباب وهم السنام الأعظم والجمهور الاكبر يعين علياً ولكن سل هؤلاء يا أمير المؤمنين كم كانت عدتهم يا أمير المؤمنين يوم استغاثوا بنا فلما التقينا كانوا كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف فقال ابن أبي ليلى والله ياأمير المؤمنين إنا لاشرف منهم أشرافاً وأكثر منهم أسلافاً قلت معاذ الله يا أمير المؤمنين هل كان فى تميم الكوفة مثل الأحنف بن قيس في تميم البصرة الذى فيه يقول الشاعر

اذا الأبصارُ أبصرتِ ابن قيسٍ ظللن مهابة منه خشوعَا

وهل كان فى قيس الكوفة مثل قتيبة بن مسلم فى قيس البصرة الذى يقول فيه الشاعر

كل عامٍ يحوي قُتيبةُ نهباً ويزيدُ الأموال مالاجديدَا

دوّخَ الصغد بالقبائل حتى ترَكَ الصغدَ بالعَراء قُعودَا

باهليٌّ تعصَّبَ التاجَ حتى شبنَ منه مفارق كنّ سودَا

وهل كان فى أزد الكوفة مثل المهلّب بن أبي صفرة فى أزد البصرة الذي يقول فيه الشاعر

اذا كان المهلّب من ورائي هدا لَيلى وقرّ لهُ فُؤادي

ولم أخشَ الدَّنيّة من أُناسٍ ولوْ صالوا بقوّةِ قوم عادِ

وهل كان في بكر الكوفة مثل مالك بن مِسمَعٍ فى بكر البصرة الذى يقول فيه الشاعر

إذا ماخَشِينا من أميرٍ ظلامةً أمرنا أبا غسّانَ يوماً فعسكرا

وهل كان فى عبد قيس الكوفة مثل الحكم بن المنذر بن الجارود فى عبد قيس البصرة الذى يقول فيه الشاعر

ياحكمَ بنَ المنذرِ بنِ الجارودْ أنتَ الجوادُ ابن الجوادِ المحمودْ

فضحك أبو العباس حتى ضرب برجله وقال والله ما رأيت مثل هذه الغلبة قط

محاسن الافتخار بالنبي صلى الله عليه وسلم

قيل كان على بن عبد الله بن العباس رضى الله عنه عند عبد الملك بن مروان إذ فاخره عبدالملك فجعل يذكر أيام بني أمية فبينا هو كذلك اذ نادى المنادى للأذان فقال أشهد أن لا اله الا الله وان محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليّ لعبد الملك

تلكَ المكارمُ لاقَعبانِ من لَبنٍ شِيبَا بماء فعادَا بعدُ أبوالاَ

.. فقال عبد الملك الحق فى هذا أبين من أن يكابَر .. عليّ بن محمد النديم قال دخلت على المتوكل وعنده الرضيّ فقال ياعلى من أشعر الناس فى زماننا قات البحتُريّ قال وبعده قلت ولد مروان بن أبى حفصة خادمك وعبيدك فالتفت الى الرضيّ وقال يا ابن عم من أشعر زماننا قال على بن محمد العلويّ قال وما تحفظ من شعره قال قوله

لقد فاخرَتنا من قريشٍ عصابةٌ بمطّ خدودٍ وامتدادِ الاصابعِ

فلما تنازعنا القضاء قضى لنا عليهم بما نهوَى نِداء الصوامعِ

يعني المساجد قال المتوكل وما معنى نداء الصوامع قال أشهد أنْ لا اله الا الله وان محمداً

رسول الله قال وأبيك انه لأشعر الناس

***

محاسن ما قيل في ذلك من الشعر

•• قال علي بن محمد العلوي

عَصَيتُ الهوى وهجرتُ النساء وكنتُ دواءً فأصبحتُ داء
وما أنسَ لا أنسَ حتى المماتِ نَزيبَ الظباءِ تجيبُ الظباء
دَعيني وصبري على نائباتٍ فبالصبر نلتُ الثرى والثواء
وإن يكُ دهري لوى رأسَهُ فقد لقيَ الدهرُ مني التِواء
ليالي أروى صدورَ القَنا وأروى بهنّ الصدورَ الظماء
ونحنُ إذا كان شربُ المُدامِ شَربنا على الصافناتِ الدماء
بلغنا السّماء بأنسابنا ولولا السماء لجزنا السماء
فحسبك من سؤددٍ أننا بحسن البلاء كشفنا البلاء
يَطيبُ الثناء لآبائنا وذكرُ عليّ يَزين الثناء
اذا ذُكرَ الناسُ كنّا ملوكاً وكانوا عبيداً وكانوا إماء
هجانيَ قومٌ ولم أهجُهُمْ أبَى اللهُ لي أن أقولَ الهجاء

•• وقال غيره

وإني من القومِ الذين عرفتُهم اذا ماتَ منهمْ سيدٌ قامَ صاحبُه
نجومُ سماءٍ كلما انقضّ كوكبٌ بدا كوكبٌ تأوي اليه كواكبُه
أضاءت لهم أحسابُهُمْ ووجوهُهُمْ دُجى الليلِ حتى نظّمَ الجزعَ ثاقبُه
فلا تُوعِدنّي ياشُرَيحُ فإنني كليثِ عرينٍ فرّ عنهُ ثعالبُه
يُمشّي بأوصالِ الرجالِ اذا سَتا قداحمرَّ من نضحِ الدماءِ مخالبُه

•• وقال آخر

حُلماء حِينَ يقولُ قائلُهُمْ بيضُ الوجوهِ مقاولٌ لُسُنُ

لا يَفطُنونَ لعَيبِ جارِهِم وهمُ لحفظِ جوارِهِ فُطُنُ

•• وأحسن من ذلك كله قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أتاه اعرابيّ فقال بأبي أنت وأمي يارسول الله من أكرم الناس حسباً فقال أحسنهم خُلقاً وأفضلهم تقوى فانصرف الاعرابي فقال ردوه ثم قال يا اعرابي لعلك أردت نسباً قال نعم قال يوسف الصديق صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحاق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله فأين مثل هؤلاء الآباء في جميع الدنيا ما كان مثلهم أبداً •• وقال الشاعر

ولم أرَ كالأسباطِ أبناء والدٍ ولا كأبيهمْ والداً حين ينسبُ

•• ودخل عُيينة بن حصن الفزاريّ على النبي صلى الله عليه وسلم فانتسب اليه ثم قال أنا ابن الاشياخ الأكارم فقال صلى الله عليه وسلم أنت اذاً يوسف صدّيق الله ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحاق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله •• وقال صلى الله عليه وسلم خير البشر آدم عليه السلام وخير العرب محمد صلى الله عليه وسلم وخير الفرس سلمان وخير الروم صُهيب وخير الحبشة بلال رحمهم الله أجمعين

مساوى الافتخار

روى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفخروا بآبائكم في الجاهلية فو الذى نفسى بيده لما يُدحرجُ الجُعَلُ برجله خير من آبائكم الذين ماتوا فى الجاهلية •• قيل وكان الحسن البصرى يقول ابن آدم لمَ تفتخر وانما خرجت من سبيل بولين نطفة مشجت بأقذار •• وقال بعضهم لرجل يتبختر ياهذا ان أولك نطفة قذرة وآخرك جيفة قذِرَة وأنت فيما بينهما وِعاء عَذِرَةٍ فما هذه المشية •• قال وقيل لعامر بن قيس ما تقول فى الانسان قال ما أقول فيمن ان جاع ضَرَع وان شبع طغى •• وروى عن ابن عباس انه قال يتفاضلون في الدنيا بالشرف والبيوتات والإمارات والعتاق والجمال والهيئة والمنطق ويتفاضلون فى الآخرة بالتقوى واليقين فأتقاهم أحسنهم يقيناً وأزكاهم عملا وأرفعهم درجة ••وقيل فى ذلك

يزينُ الفتى فى الناسِ صحةُ عقلِهِ   وان كان محظوراً عليهِ مكاسبُهُ
يَشِينُ الفتى فى الناسِ قلةُ عقلِهِ   وان كَرُمَتْ آباؤه ومناسِبُهُ

.. وقال بعض الحكماء لا يكون الشرف بالنسب ألا ترى ان أخوين لأب وأم يكون أحدهما أشرف من الآخر ولو كان ذلك من قبل النسب لما كان لأحدهم على الآخر فضل لأن نسبهما واحد ولكن ذلك من قبل الأفعال لأن الشرف انما هو بالفضل لا بالنسب .. وقال الشاعر فى ذلك

أبوكَ أبي والجدُّ لاشكَّ واحدٌ   ولكننا عودانِ آسٌ وخِرْوَعُ

.. وبلغنا عن المدائنى انه قال ليس السؤدد بالشرف وانما ساد الأحنف بن قيس بحلمه وحُصين بن المنذر برأيه ومالك بن مِسمع بمحبته فى العامة وسُوَيد بن منجوف بعطفه على أرامل قومه وساد المهلب بن أبى صُفرة بجميع هذه الخصال .. قيل وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو خليفة صوتا ولفظاً بالباب فقال لبعض من عنده اخرج فانظر من كان من المهاجرين الأولين فأدخله فخرج الرسول فأدخل بلالا وصُهيباً وسلمان وكان أبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو فى عصابة من قريش جلوساً بالباب فقال أبو سفيان يامعشر قريش أنتم صناديد العرب وأشرافها وفرسانها بالباب ويدخل حبشىٌ وفارسى ورومي فقال سهيل ياأبا سفيان أنفسكم فلوموا ولا تلوموا أمير المؤمنين دعي القوم فأجابوا ودُعيتم فأبيتم وهم يوم القيامة أعظم درجات وأكثر تفضيلا فقال أبو سفيان لاخير فى مكان يكون فيه بلال شريفاً

مساوى أصحاب الصناعات

قال المأمون وذكر أصحاب الصناعات السوقة سفل والصناع أنذال والتجار بخلاء والكتاب ملوك على الناس .. وقال المأمون الناس أربعة ذو سيادة أو صناعة أو تجارة أو زراعة فمن لم يكن منهم كان عِيالا عليهم .. وذكروا ان أباطالب كان يعالج العطر والبزّ وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه بزازاً وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه

بزازاً وكان عبدالرحمن بن عوف بزازاً وكان سعد بن أبي وقّاص رحمه الله يأبر النخل وكان أخوه عتبة رحمه الله نجاراً وكان العاص بن هشام أخو أبي جهل بن هشام جزاراً وكان الوليد بن المغيرة حداداً وكان عُقبة بن أبي معيط خماراً وكان عثمان بن طلحة صاحب مفتاح البيت خياطاً وكان أبو سفيان بن حرب يبيع الزيت والأُدم وكان أمية ابن خلف يبيع البُرم وكان عبد الله بن جُدعان نخّاساً وكان العاص بن وائل أبو عمرو بن العاص يعالج الخيل والابل وكان جرير بن عمرو وقيس أبو الضحاك بن قيس ومعمر ابن عثمان وسيرين أبو محمد بن سيرين كلهم حدادين وكان المسيب أبو سعيد زياتا وكان ميمون بن مِهران بزّازاً وكان مالك بن دينار ورّاقاً وكان أبو حنيفة صاحب الرأي خزاراً وكان مجمّع الزاهد حائكا ٠٠ قيل واتخذ يزيد بن المهلب بستاناً في داره بخراسان فلما ولي الأمر قتيبة بن مسلم جعله لابله فقال له مرزبان مَرْو هذا كان بستاناً وقد اتخذته لابلك فقال قُتيبة كان أبي شتُربان وكان أبو يزيد بستانبان [١] فمهما صار ذلك كذلك

محاسن النتاج

ذكروا ان جرهم من نتاج ما بين الملائكة وبنات آدم وان الملاك من الملائكة كان اذا عصى ربه في السماء أهبطه الى الأرض في صورة رجل في طبيعته مافي طبيعة بني آدم كما صنع بهاروت وماروت في خبرهما مع الزهرة حتى كان من شأنهما ما كان فعصى بعض الملائكة ربنا جل ذكره فأهبطه الى الارض في صورة رجل فتزوج أم جرهم فولدت منه جرهما فقال شاعرهم

لاهُمَّ ان جُرْهُما عِبادُ كا   الناس طِرْفٌ وهمُ تِلادُ كا

وكان ذو القرنين أمه فيرى آدمية وكان عيرى من الملائكة وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا ينادي ياذا القرنين فقال فرغتم من أسماء الأنبياء فارتقيتم الى أسماء الملائكة ٠٠ وزعموا ان التناكح والتلاقح قد يقع بين الجن والانس لقوله جل وعز (وشارِكهم

---

(١) ـ شتربان ـ أي جمّال ـ وبستانبان ـ أي صاحب بستان

فى الأموالِ والاولادِ) ولأن الجنيات انما يعرضن لصرعي رجال الانس على جهة العشق وطلب السفاد وكذلك رجال الجن لنساء بني آدم ومن زعم ان الصرع من المِرَّة فقد رد قول الله عزّ وجل (انّ الذين يأكلونَ الربا لا يقومونَ الا كما يَقومُ الذي يتخبطهُ الشيطانُ منَ المسّ) وقال جل ذكره (وشاركهمْ فى الأموال والاولاد)وقال عزّ وتعالى (لم يطمثهنّ إنسٌ قبلهم ولا جانٌّ) وكان عبد الله بن هلال سبط ابليس من قِبل أمهاته ٠٠وروى أبو زيد النحوي ان سِعلاةً أقامت فى بني تميم حتى ولدت فيهم ورأت ذات يوم برقاً من شق بلاد السعالي فحنت الى وطنها وطارت اليهم ٠٠ وقد قيل ان الواق واق من نتاج ما بين بعض النبات وبعض الحيوان ٠٠ وقد قيل ان الثعلب يسفد الهرة الوحشية فيخرج من بينهما ولد فيه مشابَهةٌ منهما ٠٠ قال حسان

أبوكَ أبوكَ وأنت ابنهُ وبئس البنيّ وبئس الأبُ
وأُمك سوداء نُوبيّةٌ كأنّ أناملها الحُنظُبُ
يبيتُ أبوكَ بها مُغدِفاً كما ساورَ الهرَّة الثعلبُ

٠٠ وقد يولد من بين الكلاب والثعالب هذه الكلاب السلوقية الماهرة بالصيد ٠٠ وقيل انه يخرج من بين الذئب والكلبة ولد يسمى الدَّيسم ٠٠ قال بشار

أدَيسمُ يا ابن الذئب من نجل زارعٍ أتَروِي هجائى سادراً غيرَ مُقصِرِ

ـوزارع ـ اسم كلب يعرف بزارع ٠٠ وزعموا انه يخرج من بين الذئب والضبع ولد يسمى السمع كالحية لا يعرف العلل ولا يموت الا بعرَض يعرض له وانه أشد عدواً وأسرع من الريح ٠٠ قال الشاعر

مُشبلٌ فى الحيّ أحوى رِفَلٌّ فاذا يَغدُو فسِمْعٌ أزلٌّ

٠٠ ومن عجائب التركيب فوالجُ البُخت اذا ضربت فى إناث البخت لم يخرج الحُوار الا قصير العنق لا ينال كلأً ولا ماء واذا ضربت الفوالج فى العراب جاءت هذه الجوامز والبخت الكريمة ومتى ضربت فحول العراب فى اناث البخت جاءت هذه الابل القبيحة المنظر ٠٠ وقد قيل فى الابل ان فيها عرقاً من سفاد الجنّ وان فيها إبلا وحشية هي من بقايا إبل وَبار لما أهلكهم الله جل وعز بقيت إبلهم وان الجمل منها ربما صار الى أعطان

الابل فضرب فى ناقة فتجيء منه هذه المهرية والعسجدية التي تسمى الذهبيّة •• وزعموا ان ببلاد الحبشة ذكر الضباع يعرض للناقة من الوحش فيسفدها فتلقح بولد على خلقة الناقة والضبع فان كان أنثي يعرض لها الثور الوحشي فيضربها فيصير الولد زرافةً ويسمى بالفارسية شتركاو بانك أى خرج من بين الجمل والثور والضبع وقد جحد الناس أن يكون الزرافة الأنثى تلقح من الزرافة الذكر •• وأما النعامة فانها لا تقع إلا من ذكر النعام وإناثها •• ومن نتاج الطير ما رواه بعضهم انه رأى طائراً له صوت حسن زعموا انه من نتاج ما بين القمريّ والفاختة •• وقنّاص الطير يزعمون ان أجناساً من الطير تلتقي على المياه فتتسافد وانهم لا يزالون يرون اشكالا لم يروها قط فيقدّرون انها من تلاقيح تلك المختلفة

مساوى النتاج

فأما من يخرج من بين بني آدم فانه اذا تزوج خراسانى بهندية خرج من بينهما الذهب الابريز غير انه يحتاج ان يحرس ولدهما اذا كان أنثي من زناء الهند واذا كان ذكراً من لواط رجال خراسان •• ومن خبث النتاج ابن المذكرة من النساء والمؤنث من الرجال يكون أخبث نتاجاً من البغل وأفسد أعراقاً من السِمع وأكثر عيوباً من كل خلق وأنه يأخذ بأسوأ خصال أبيه وأردى خصال أمه فتجتمع فيه خصال الدواهي وأعيان المساوى وانه اذا خرج كذلك لم يجع فيه أدب ولم يطمع فى علاجه طبيب وقد رأينا في دور ثقيف فتى اجتمعت فيه هذه الخصال فما كان فى الارض يوم الا وهم يحدثون عنه بشيءٍ يصغر فى جنبه أكبر ذنب كان ينسب اليه •• والخِلاسِيّ من الناس الذى يخرج من بين الحبشيّ والبيضاء •• والبيسريّ من الناس الذى من بين البيض والهند ويكون من أحسن الناس وأجملهم

*

محاسن الوفاء

قيل في المثل هو أوفى من فُكَيهة وهي امرأة من قيس بن ثعلبة كان من وفائها انّ السلَيك بن السلكة غزا بكر بن وائل فخرج جماعة من بكر فوجدوا أثر قدم على الماء فقالوا والله ان هذا لأثر قدم ترد الماء فقعدوا له فلما وافى حملوا عليه فعدا حتى ولج قبة فكيهة فاستجار بها فأدخلته تحت درعها فانتزعوا خمارها ونادت اخوتها فجاؤا عشرة فمنعوه منهم قال فكان سليك يقول كأني أجد خشونة استها على ظهري حين أدخلتني درعها .. وقال

لعمر أبيك والأنباء تنمي لَنِعمَ الجارُ أختُ بني عُوارَا
منَ الخَفِراتِ لم تفضح أخاها ولم ترفعْ لوالدِها شَنارَا
فما ظلمت فُكَيهَةُ حين قامت لنَصْلِ السيفِ وانتزعوا الخِمارَا

.. وقيل أيضاً هو أوفى من أمّ جميل وهي من رهط أبي هريرة من دَوس وكان من وفائها ان هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي قتل أبا أُزَيهر رجلا من الازد فبلغ ذلك قومه بالسراة فوثبوا على ضِرار بن الخطاب ليقتلوه فعدا حتي دخل بيت أم جميل وعاذ بها فقامت في وجوههم ونادت قومها فمنعوه لها فلما قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالأمر ظنّت انه أخوه فأتته بالمدينة فلما انتسبت عرف القصة وقال اني لست بأخيه الا في الاسلام وهو غازٍ وقد عرفنا منتك عليه فأعطاها على انها بنت سبيل .. ويقال هو أوفى من السمَوْءل بن عاديا وكان من وفائه ان امرأ القيس بن حُجْر الكندي لما أراد الخروج الى قيصر ملك الروم استودع السموءل دروعاً له فلما مات امرؤ القيس غزاه ملك من ملوك الشام فتحرز منه السموءل فأخذ الملك ابناً له ذكروا انه كان متصيداً فصاح به يا سموءل هذا ابنك في يدي وقد علمتَ أن امرأ القيس ابن عمي وأنا أحق بميراثه فان دفعتَ اليّ الدروع والا ذبحت ابنك فقال أجّلني فأجله فجمع أهل بيته وشاورهم فكلّ أشار عليه أن يدفع الدروع وان يستنقذ ابنه فلما أصبح أشرف فقال ليس الى دفع الدروع سبيل فاصنع ما أنت صانع فذبح الملك ابنه وهو ينظر اليه وكان يهودياً

فانصرف الملك ووافى السموءل بالدروع الموسم فدفعها الى ورثة امرىء القيس ٠٠ وقال فى ذلك

وَفيتُ بأدرُعِ الكندىّ إنّى ... اذا ما خانَ أقوامٌ وَفيتُ
وقالوا عندَه كنزٌ رغيبٌ ... فلاوأبيك أغدرُ ما مَشيتُ
بنى لي عادِيا حصناً حصيناً ... وبئراً كلما شئتُ استقيتُ

٠٠ وقال الأعشى فى ذلك

كُنْ كالسموءل اذ سار الهمامُ له ... فى جحفلٍ كسوادِ الليلِ جرّارِ
خيّرهُ خطّتي خسفٍ فقال لهُ ... إذبح أسيركَ إنى مانع جارِى

٠٠ وقيل هو أوفى من الحارث بن عُباد وكان من وفائه انه أسر عدى بن ربيعة ولم يعرفه فقال دلني على عدي فقال ان أنا دللتك على عدىّ أتؤمننى قال نعم قال فأنا عدىّ فخلاه ٠٠ وقال فى ذلك

لهفَ نفسي على عَدِىّ وقد أسْـ ... ـقَبَ للموْتِ واحتوَتهُ اليدَان

ويقال هو أوفى من عَوف بن محلّم وكان من وفائه ان مروان القَرَظِ غزا بكر بن وائل ففضّوا جيشه وأسره رجل منهم وهو لايعرفه فأتى به أمه فقالت انك لتختال بأسيرك كأنك جئت بمروان القرظِ فقال لها مروان وما ترجين من مروان قالت عظم فدائه قال وكم ترتجين من فدائه قالت مائة بعير قال مروان ذلك لك على أن تردني الي خُماعة بنت عوف بن محلّم قالت ومن لى بمائة من الابل فأخذ عوداً من الأرض فقال هذا لك بها فمضت به الى عوف فاستجار بخماعة ابنته فبعث عمرو بن هند أن يأتيه به فقال قد أجارته ابنتي وليس اليه سبيل فقال عمرو قد آليت أن لا أعفو عنه أو يضع يده فى يدى فقال عوف يضع يده فى يدك على أن تكون يدى بينهما فأجابه عمرو الى ذلك فجاء عوف بمروان فأدخله عليه فوضع يده فى يده ووضع عوف يده بين أيديهما فعفا عنه ٠٠ ويقال ان قُباذ أمر بقتل رجل من الطاعنين على المملكة فقُتل فوقف على رأسه رجل من جيرانه وصنائعه فقال رحمك الله ان كنت لتكرم الجار وتصبر على أذاه وتواسي أهل الخلة وتقوم بالنائبة والعجبُ كيف وجد الشيطان فيك مساغاً حتى حملك على عصيان

ملكك فخرجت من طاعته المفروضة الى معصيته وقديماً ما تمكن ممن هو أشد منك قوة وأثبت عزماً فأخذ صاحب الشرطة الرجل فحبسه وأنهى كلامه الى قباذ فوقع بحسن الي هذا الذي شكر احساناً تفضل به عليه وترفع مرتبته ويزاد في عطائه ٠٠ قيل ولما قتل كسرى النعمان بن المنذر كتب الي إياس بن قَبيصة يأمره أن يبعث اليه بولد النعمان بن المنذر وتَركَتِه من المال والابل والخيل والسلاح وكان النعمان أودع ذلك هانئ بن مسعود فبعث اليه اياس يعلمه بما كتب به كسرى فأبى أن يسلم شيئاً من تركة النعمان فكتب الى اياس يعلمه بما كتب به كسرى فأبى أن يسلم شيئاً من تَرِكَة النعمان فكتب اياس الى كسرى يعلمه ذلك فآلى على نفسه ليستأصلن بكر بن وائل فكتب الي إياس يأمره بالمسير اليهم لمحاربتهم فيمن معه من طيئ وإياد وغيرهم وكتب الى قيس بن مسعود الشيباني المعروف بذى الجدَّين وكان عاملا على سَفَوان يمنع العرب من دخول أطراف السواد ويأمره أن يسير بمن معه من قومه فيعين اياساً على محاربة بكر بن وائل ثم عقد كسرى لقائد من قواده يسمى الهامَرز في اثني عشر ألف رجل من أبطال أساورته ووجهه الى إياس لمعاونته ثم عقد أيضاً الهُرْمُزجرابزين وكان أعظم مرازبته في مثل ذلك وأمره أن يقفو أثر الهامرز حتى يوافى اياس بن قبيصة فسارت الجيوش الى بكر بن وائل وكانوا بمكان يسمى ذا قار منه الى مدينة الرسول خمس مراحل مما يلي طريق البصرة فاقبلت الجيوش حتى أناخت على بكر فأحدقت بهم ثم ان عظماء بكر بن وائل اجتمعوا الى هانئ بن مسعود المزدلف وقالوا ان هذه الجيوش قد أحدقت بنا من كل ناحية فما ترى قال أرى أن تجعلوا حصونكم سيوفكم ورماحكم وتوطنوا أنفسكم على الموت فقالوا نعم والله لنفعلنّ ثم ان قيس بن مسعود أقبل في سواد الليل من عسكر اياس حتى أتى هانئ بن مسعود فقال يا ابن عم انه قد حلّ بكم من الأمر ما قد ترون ففرّق خيل النعمان وسلاحه في أشداء قومك ليقوَوا بذلك على القتال فهي مأخوذة لا محالة ان قتلوا وان سلموا أمرتهم فردوها عليك وعليك بالجد والصبر واياك ثم اياك أن تخفر ذمتك في تركة النعمان حتى تقتل ويقتل معك جميع قومك قال له هانئ أوصيت يا ابن عم محافظاً وصلتك رحم وأرجو أن لا ترى منا تقصيراً ولا فتوراً فانصرف قيس ذو الجدين من

عند هانئ كئيباً حزيناً باكياً خائفاً من هلاك قومه حتي أتي عسكر اياس وكان يريه انه مجامع له على حرب قومه خوفاً أن يجد عليه كسرى فيقتله فلما أصبح هانئ بن مسعود دعا بخيل النعمان وسلاحه ففرقه فى أبطال قومه وأشدائهم فركبوا تلك الخيول وكانت ستمائة فرس وستمائة درع واستلأموا تلك الدروع وكان ذلك في العام الذي هاجر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة واتفقت بكر بن وائل أن تجعل شعارها باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم محمدُ يامنصور وذلك قبل أن يُسلموا وبذلك الاسم نُصروا وقهروا عدوهم وعمد رجل من أشراف بني عجل يقال له حنظلة بن سيار الى حُزُم رحالات النساء فقطّعها كلها أراد بذلك أن يمنع قومه من الهرب ان وقعت الهزيمة فسمي بذلك مقطّع الوضين وان اياس بن قبيصة أرسل الى بكر بن وائل يخيّرهم خصلة من ثلاث إما أن يسلموا تركة النعمان واما أن يسيروا ليلا في البراري فيعتلّ على كسرى انهم هربوا فان أبوا هاتين الخلتين خرجوا الى الحرب فتآمروا بينهم فقالوا أما أن نسلم خفارتنا فلا يكون ذلك وان نحن لحقنا بالفلاة أفضينا الى بلاد تميم فيقطعون علينا ويأخذون ما معنا ويأسروننا وليست لنا حيلة الا القتال فاختاروا القتال ووجهوا خمسمائة فارس من أبطالهم عليهم يزيد بن حارثة اليشكرى وأمروهم أن يكمنوا للعجم ثم زحف الفريقان بعضهم الى بعض وتقدم الهامرز ووقف بين الصفين ونادى بالفارسية مردا مرد فقال يزيد بن حارثة مايقول قال يدعو الى البراز رجلا لرجل فقال وأبيكم لقد أنصف ثم خرج اليه فاختلف بينهما ضربتان فضربه يزيد ضربة بالسيف على منكبه فقدّ درعه حتى أفضى السيف الى منكبه فأبانه فخرّ ميتاً فالهامرز أول قتيل بين الصفين وألقى الله عز وجل الرعب فى قلوب العجم فولوا منهزمين ولحق حنظلة بن سيار العجلىّ بهرمز جرابزين قائد العجم فطعنه طعنة خرّ منها ميتاً ودفع هانئ بن مسعود فرسه في طلب اياس بن قبيصة حتى لحقه ومعه قيس بن مسعود ذو الجدين فأراد هانئ قتل اياس فمنعه قيس وحال بينه وبين قتله واتبع العجم خمسمائة فارس من بني شيبان لا يلوون على شئ يقتلون يومهم ذلك من أدركوا منهم حتي جنهم الليل وبلغت هزيمة الأعاجم كسرى بالمدائن .. قال دغفل فذكر هذا الحديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا أول يوم انتصفت

فيه العرب من العجم وبي نصروا يعني باسمه صلى الله عليه وسلم قال وسُقِط في يد كسرى واغتاظ من ذلك غيظاً شديداً ووقعت الولولة والعويل بالمدائن فندب كسرى الجنود وفرّق فيهم السلاح والمال لمعاودة حرب بكر بن وائل ثم ان بطارقة الروم خرجوا على ملكهم قيصر فقتلوه فاشتغل به عن معاودة حرب بكر بن وائل فكان هانئ بن مسعود المزدلف أحد الأوفياء .. ومنهم الطائي صاحب النعمان بن المنذر وكان من حديثه ان النعمان بن المنذر ركب في يوم بؤسه وكان له يومان يوم بؤس ويوم سعد لم يلقه في يوم بؤسه أحد الا قتله وفي يوم سعده أحد الا حباه وأعطاه فاستقبله في يوم بؤسه اعرابي من طيئ فقال حيّ الله الملك ان لي صِبية صِغاراً لم أوص بهم أحداً فان يأذن لي الملك في اتيانهم أعطيه عهد الله اني أرجع اليه اذا أوصيت بهم حتى أضع يدي في يده فرقّ له النعمان فقال لا الا أن يضمنك رجل ممن معنا فان لم تأت قتلناه وشريك بن عمرو بن شراحيل نديم النعمان معه .. فقال الطائي

يا شَريكُ يا ابنَ عمرو هــلْ من الموت محاله

يا أخا كل مُضَـاف يا أخا مــن لا أخا له

يا أخا النعـمانِ فُكّ اليومَ عن شيخٍ غلاله

ان شيبانَ قبيـلٌ أحسنُ الناسِ فعاله

.. فقال شريك هو علي أصلح الله الملك فمر الطائي والنعمان يقول لشريك ان صــدر هذا اليوم قد ولى ولا يرجع وشريك يقول ليس لك عليّ سبيل حتي تمسي فلما أمسوا أقبل شخص والنعمان ينظر الى شريك فقال ليس لك عليّ سبيل حتى يدنو الشخص فبينا هم كذلك اذ أقبـل الطائي فقال النعمان والله ما رأيت أكرم منكما وما أدرى أيكما أكرم لا أكون والله ألأم الثــلاثة ألا انى قد رفعت يوم بؤسي وخلى سبيل الطائي .. فأنشأ يقول

ولقد دعَتني للخلافِ عشيرتي فأبيتُ عند تجهُّر الاقوال

اِني امرؤٌ مني الوَفاء خَليقةٌ وفعــالُ كلّ مُهذّبٍ بذّالِ

.. فقال النعمان ماحملك على الوفاء قال ديني وقال وما دينك قال النصرانية قال اعرضها

عليّ فعرضها عليه فتنصر النعمان •• ومنهم وزير ملك الصين وكان حديثه أن شَمِر ابن افريقيس بن أبرَهة خرج فى خمسمائة ألف مقاتل الى أرض الصين فلما قارب بلادهم بلغ ذلك ملك الصين فجمع وزراءه فاستشارهم فقال رئيسهم أيها الملك أتّرِ فىّ أثراً وخلنى ورأيي فأمر به فجدع أنفه فقام هارباً مستقبلا لشمر فوافاه على أربعة منازل بعد خروجه من مفاوز الصين فدخل عليه وقال انى أتيتك مستجيراً قال شمر ممن قال من ملك الصين لاني كنت رجلا من خاصة وزرائه وانه جمعنا لما بلغه مسيرك اليه فاستشارنا فأشار القوم جميعاً عليه بمحاربتك وخالفتهم فى رأيهم وأشرت عليه أن يعطيك الطاعة ويحمل اليك الخراج فاتهمني وقال قد ما لأتَ ملك العرب وكان منه الىّ ما ترى ولم آمنه مع ذلك أن يقتلنى فخرجت هارباً اليك ففرح به شمر وأنزله معه فى رحله وأوعده من نفسه خيراً فلما أصبح وأراد أن يرحل قال لذلك الرجل كيف علمك بالطريق قال أنا من أعلم الناس به قال فكم بيننا وبين الماء قال مسيرة ثلاثة أيام وأنا موردك اليوم الرابع على الماء فأمر جنوده بالرحيل ونادى فيهم أن لا تحملوا من الماء الا لثلاثة أيام ثم سار فى جنوده والرجل بين يديه فلما كان فى اليوم الرابع انقطع بهم الماء واشتد الحر فقال لا ماء وانما كان ذلك مكرٌ منى لأدفعك بنفسى عن ملكى فأمر به فضربت عنقه فعطش القوم وقد كان المنجمون قالوا لشمر عند مولده انه يموت بين جبلَيْ حديد فوضع درعه تحت قدمَيه من شدة الرمضاء ووضع تُرساً من حديد على رأسه من حر الرمضاء فذكر ما كان قيل له فى ولادته وقال للقوم تفرقوا حيث أحببتم فقد أورطتُكم فهلك وجميع من كان معه •• وحكي انه لما حمل رأس مروان بن محمد الجعديّ الى أبى العباس وهو بالكوفة قعد له مجلساً عاماً وجاؤا بالرأس فوضع بين يديه فقال لمن حضره أمنكم أحد يعرف هذا الرأس فقام سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة فأكبّ عليه وتأمله طويلا ثم قال هذا رأس أبى عبد الملك خليفتنا بالأمس رحمه الله وعاد الى مجلسه فوثب أبو العباس حتى خرج من المجلس وانصرف ابن جعدة وتحدث الناس بكلامه فلامه بنوه وأهله وقالوا عرضتنا ونفسك للبوار فقال اسكتوا قبّحكم الله ألستم أشرتم علىّ بالأمس بحرّان بالتخلف عن مروان ففعلت ذلك غير فعل ذى الوفاء والشكر وما كان ليغسل عار

تلك الفعلة الا هــذه وانما أنا شيخ هامة فان نجوت يومى هذا من القتل مت غداً قال وجعل بنوه يتوقعون رسل أبي العباس ان تطرقه فى جوف الليل فأصبحوا ولم يأته أحد وغدا الشيخ فاذاهو بسليمان بن مجالد فلما أبصره قال يا ابن جعدة ألا أبشرك بحسن رأى أمير المؤمنين فيك انه ذكر في هذه الليلة ما كان منك فقال أما ما أخرج هذا الكلام من الشيخ الا الوفاء ولهو أقرب بنا قرابة وأمس بنا رحماً منــه بمروان ان أحسنّا اليه قال أجل ٠٠ وذكر ان المنصور أرســل الى شيخ من أهل الشام وكان من بطانة هشام بن عبد الملك بن مروان فسأله عن تدبير هشام فى حروبه مع الخوارج فوصف الشيخ له مادبر فقال فعل رحمه الله كذا وصنع رحمه الله كذا فقال المنصور قم عليك لعنة الله تطأ بساطي وتترحم على عدوى فقام الرجل فقال وهو مولٍّ ان نعمة عدوك لقلادة فى عنق لا ينزعها الا غاســلى فقال له المنصور ارجع يا شيخ فرجع فقال أشهد أنك نهيض حرة وغراس شريف ارجع الى حديثك فعاد الشيخ فى حديثه حتى اذ فرغ دعا له بمال فأخذه وقال والله يا أمير المؤمنين مالي اليه حاجة ولقد مات عنى من كنت فى ذكره فما أحوجنى الى وقوف على باب أحد بعده ولولا جلالة أمير المؤمنين وايثاري طاعته ما لبست نعمة أحد بعده فقال المنصور اذا شئت لله أنت فلو لم يكن لقومك غيرك لكنت قد أبقيت لهــم مجداً مخلداً وعزاً باقياً ٠٠ وعن أبي دُفافة العبسي قال حدثت المنصور بحديث العجلان بن سهل وكان دخل على عبد العزيز بن القعقاع فبينا هو جالس اذ دخل رجل متلطخ الثوب بالطين فقال عبد العزيز مالك قال ركب هذا الأحول يعنى هشام بن عبد الملك فنفرت ناقتي فسقطت فانتزع العجــلان سيفه فنفحه به ووثب الرجل فأخطأه السيف ووقع في وسادة فقطّعها وقال يالُكَع أعياك أن تسميه بأمير المؤمنين وباسمه الذى سماه به أبوه أو بكنيته ونظرت الى الذى يعاب به فسميته به أما والله لوددت أن السيف أخذ منك مآخذه قال فكان المنصور يستعيدنى هــذا الخبر كثيراً ويقول كيف صنع العجلان بن سهل مع مثله يطيب الملكُ ٠٠ قال وأخبرنا عطاف قال بينا عبد الله بن طاهر مقبل من منزل عُبيد الله بن السَرى بمصر حتى اذا دنا من بابه اذا بشيخ قد قام اليــه فناوله رقعة كانت معه وقال أصلح الله الأمير نصيحة واجبة فافهمها فأخذ الرقعة ودخل

فما هو الا أن دخل وخرج الحاجب فقال أين صاحب الرقعة فقام اليه الشيخ فأخذ بيده فأدخله الى عبد الله فقال قد فهمت رقعتك هذه وما تنصحت به الينا فانصفني في في مناظرتك فقال الرجل ليقل الأمير ما أحب قال أخبرني هل يجبُ شكر الناس بعضهم لبعض قال نعم قال وبم يجب قال باحسان المحسن وبفضل المنعم قال صدقت جئت اليَّ وأنا على هذه الحال التي ترى خاتمي بفَرغانة وآخر ببَرقةَ وحكمي ونهيي وأمري جائز فيما بين هذَين الطرفين وقد جمع لي من العمل ما لم يجمع لأحد قط من ولاة المشرق والمغرب والشرطة وما خرج من هــذه الطبقة ولست ألتفت الا الى نعمة هؤلاء القوم ومنهم لا أستفيء الا بظلها ولا أعرف غيرهم سادة ولا كبراء ولا أئمة ولا خلفاء فأردت أن أكفر هذه النعمة وأجحد هذا المعروف وأبايع رجلا ما امتحن للتقوى ولا أفاد علماً للهدى ولا جرت له على مِليّ ولا ذِمّي يد سالفة ولا نعمة سائرة افترى على الله جل ذكره ولو فعلت هذا الذى دعوتني اليه كنت ترضى به في مكارم الاخلاق وشكر المنعمين قال فسكت الرجل ولم يحر جواباً وكان دعاه الى بيعة ابن طباطَبا ٠٠ وقال بعضهم انه كان دسيس المأمون برون الكبير قال وجه اليَّ المأمون وقد مضى من الليل الثلث فقال لي يابرون قد أكثر علينا أصحاب الأخبار في ان شيخاً يرِد خرابات البرامكة فيبكيهم ويندبهم وينشد أبياتاً من الشعر فاركب أنت وعلى بن محمد ودينار بن عبد الله حتى تردوا هذه الخرابات فتصيروا من وراء جدرانها فاذا رأيتم الشيخ قد ورد وبكى وأنشــد فأتوني به قال برون فركبت مع القوم حتى وردنا الخرابات واذا الخادم قد أتي ومعه زِلّيّةٌ رومية وكرسيٌّ جديد واذا شيخ وسيم جميل له صلعة وهامة فجلس يبكى ويقول

ولما رأيتُ السَّيفَ قد قدَّ جعفراً ... ونادَى مُنادٍ للخليفــةِ في يَحيي
بكيتُ على الدنيــا وأيقنتُ أنهُ ... قُصارَى الفتى يوماً مفارقة الدنيا
أجعفرُ إن تَهلِك فرُبَّ عظيمةٍ ... كشفتَ ونُعمَى قد وَصلتَ بها نُعمَى
فقل للذي أبدَى ليَحيي وجعفرٍ ... شماتتــهُ أبشر لَتأتيهم العُــقبى
لئن زال غصنُ الملك عن آل برمَكٍ ... فمازال حتي أثمرَ الغُصنُ واستعلَى
وما الدهرُ الا دولةٌ بعــد دولة ... تُبدِّلُ ذا مُلك وتُعقِبُ ذا بلوى

على انها ليست تدومُ لأهلِها	ولو أنها دامتْ لـكنتم بها أولى
بني بَرمكٍ كنتم نجوماً مضيئةً	بها يهتدى فى ظلمةِ الليل من أسرى
لِأيكمُ أبكي أَلِلفضل ذي النّدى	أم الشيخِ موسى أم لمحبوسهِ يحيى
أم الملكِ المصلوبِ من بعد عزّةٍ	أم ابكي بكاء المُعولات أم الثّكلى
لِكلكمُ أبكى بِعَينٍ غزيرةٍ	وقلب قريحٍ لا يموتُ ولا يحيى

٠٠ قال فتراءينا له ثم قبضنا عليه فجزع وفزع وقال من القوم فقال برون أنا حاجب أمير المؤمنين وهذا فلان وفلان قال وما الذى تريدون قال برون فأعلمته ما أمر أمير المؤمنين من أخذه الى مجلسه قال ذرني أوصِ فاني لا آمنه ثم تقدم الى بعض العلافين فى فرضة الفيل فأخذ بياضاً وأوصى فيه وصية خفيفة ودفعها الى الغلام وسرنا به فلما مثل بين يدى المأمون زَبَرَه وقال من أنت وبماذا استوجب البرامكة ما تفعله في دورهم قال ياأمير المؤمنين للبرامكة عندى أيادٍ خضِرة أفتأذن لي أن أحدثك فقال سديداً قال أنا ياأمير المؤمنين المنذر بن المغيرة من أهل دمشق كنت بها من أولاد الملوك فزالت عني نعمتي كما تزول عن الرجال فلما ركبتني الديون واحتجت الى بَيع مَسقِط رأسي ورؤس آبائي أشاروا عليّ بالخروج الى البرامكة فخرجتُ من دمشق ومعي نيف وثلاثون امرأة وصبياً وصبية وليس معنا ما يباع ولا ما يرهن حتى دخلت بغداد ونزلنا بباب الشام في بعض المساجد ودعوت بثويبات لي قد كنت أعددتها لأستميح بها الناس وتركتهم جياعاً وركبت شوارع بغداد فاذا أنا بمسجد مُزخرف وفيه مائة شيخ قد طبقوا طيالستهم بأحسن زى وزينة وبزّة واذا خادمان على باب المسجد فطمعتُ في القوم وولجت المسجد وجلست بين أيديهم وأنا أُقدم وأُؤخر والعرق يسيل مني لانها لم تكن صناعتي فانا لكذلك واذا أنا بخادم قد أقبل وقال للخادمين أزعجا القوم فأزعجوا القوم وأنا منهم فأدخلونا دار يحيى بن خالد ودخلت معهم فاذا يحيى جالساً على دكة له وسط بستان فسلمنا وهو يعدُّنا مائة رجل وواحداً وبين يدى يحيى عشرة من ولده واذا غلام أمرد حين عذّر خداه قد أقبل من بعض المقاصير بين يديه مائة خادم متنطقون فى وسط كل خادم منطقة ألف مثقال مع كل خادم مجمرة من ذهب ورِجل من ذهب فى كل مجمرة قطعة

من العود كهيأة الفِهر قد ضُم اليه مثله من العنبر السلطاني فوضعوه بين يدى الغــلام وجلس الغلام الى جنب يحيي ثم قال يحيي للزبرقي القاضى تكلم فقد زوجتُ ابنتى عائشة من ابن عمي هذا من بيت نار النوبهار فخطب القاضي وشهد القاضي والنفر وأقبلوا علينا بالنُّثار ببنادق المسك والعنبر فالتقطت والله يا أمير المؤمنين مِلء كُمي و نظرت واذا يحيي في الدكة ما بين المشايخ ويحيي وولده والغلام ونحن مائة رجل واثنا عشر رجلا فخرج الينا مائة خادم واثنا عشر خادماً مع كل خادم صينية فضة عليها ألف دينار شامية فوضع بين يدى كل رجل منا صينية فرأيت القاضى والمشايخ يصبون الدنانير في أكمامهم ويجعلون الصواني تحت آباطهم ويقوم الاول فالأول حتي بقيت وحدى بين يدي يحيي لا أجسرُ على الصينية فغمزني الخادم فجسرت عليها وجعلتها في كمي وأخذت الصينية وقمت وأنا أُمر طول الصحن والتفت ورائى هل يتبعنى أحد فاني لكذلك أطاول الالتفات ويحيي يلحظنى فقال للخادم ائتني بالرجل فرُددت اليه فأمر فسُلبتُ الدنانير والصينية ثم أمرني بالجلوس فجلست فقال ممن الرجل فقصصت عليه قصتي فقال عليّ بموسى فأُتيَ به فقال يا بني هذا رجل غريب فخذه اليك اخلطه بنفسك و نعمتك فقبض عليّ موسى وأخذني الى بعض دوره فقَصَف عليّ يومي وليلتي فلمــا أصبح دعا بأخيه العباس وقال له ان الوزير أمرني بالقصف على هــذا الفتى وقد علمتَ تشاغلى فى دار أمير المؤمنين فاقبض عليه وقاصِفه فلما كان من غد تسلّمني أحمد ثم لم أزل وأيدى القوم تتداولنى عشرة أيام لا أعرف خبر عيالي وصبياني فى الأموات هم أم فى الاحياء فلما كان فى اليوم العاشر دفعت في يدي الفضل فقصف عليّ فلما كان فى الحادى عشر جاءني خادم مع عشرة من الخدم فقالوا قم عافاك الله فاخرج الى عيالك بسلام فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصينية وقد تمزقت ثيابي واتّسخت وأخرج على هذه الحالة إنّا لله وانا اليه راجعون فرفع لي الستر الاول والثانى والثالث والرابع والخامس والسادس فقبل أن رفع السابع قال لي الخادم تمنّ ما شئت ورفع لى ستر عن حجرة كالشمس استقبلنى منها رائحة العود والندّ ونفحات المسك واذا أنا بصبياني يتقلبونَ فى الحرير والديبــاج وأنا قد حُمل اليّ ألف ألف درهم مبــدّرة وعشرة آلاف دينار وقَبالَتين بضَيعتين وتلك الصينية مع الدنانير

والبنادق فبقيت ياأمير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أمن البرامكة أنا أم من بيت نار النوبهار أم رجل غريب اصطنعوني فلما جاء القومَ البليّة ونزلت بهم من الرشيد النازلة قصدني عمرو بن مسعدة وألزمني من الخراج في هاتين الضيعتين مالا يفي دخلهما به فلما تحامل عليّ الدهر كنت أنظر الى خرابات القوم فأندبهم فقال المأمون عليّ بعمرو بن مسعدة فلما أُتي به قال له ياعمرو أتعرف الرجل قال نعم هو من بعض صنائع البرامكة قال كم ألزمته في ضيعته قال كذا وكذا قال رُدّ عليه كل ما استأديته اياه في سنيه وأوغرْ ضيعتيه يكونان له ولعقبه من بعده فعلا نحيب الرجل بالبكاء يرثي البرامكة فلما طال بكاؤه قال له المأمون فمّ بكاؤك وقد أحسنّا اليك قال ياأمير المؤمنين هذا أيضاً من صنائع البرامكة أرأيتك يا أمير المؤمنين لو لم آت خرابات القوم فأبكيهم وأندبهم حتى اتصل خبري بأمير المؤمنين ففعل بي مافعل من أين كنتُ أصل الى ما وصلتُ اليه قال ابراهيم بن ميمون فلقد رأيت المأمون وقد دمعت عينه واشتدّ حزنه على القوم وقال صدقت لعمري هذه أيضاً من صنائعهم فعليهم فابك واياهم فاشكر

مساوي قلة الوفاء والسعاية

يقال ان رجلا رفع رقعة الى عمر بن الخطاب رحمه الله يسعى فيها ببعض أصحابه فوقّع فيها تقربتَ الينا بما باعدك من الرحمن ولا ثواب لمن آثر عليه ٠٠ قيل ورفع متنصح رقعة الى عبد الملك بن مروان فوقع فيها ان كنت كاذباً عاقبناك وان كنت صادقاً مقتناك وان استقلتنا أقلناك فاستقاله الرجل ٠٠ قيل وكتب صاحب بريد همذان الى المأمون بخُراسان يعلمه أن كاتب البريد المعزول أخبره ان صاحبه وصاحب الخراج كانا تواطئا على اخراج مائتي الف درهم من بيت المال واقتسماها بينهما فوقع المأمون انّا نرى قبول السعاية شراً من السعاية فان السعاية دلالة والقبول إجازة وليس من دلّ على شيء كمن قَبِلَهُ وأجازه فانفِ الساعي عنك فلو كان في سعايته صادقاً لقد كان في صدقه

لئيما اذ لم يحفظ الحرمة ولم يستر على أخيه •• قال وقال المأمون لولده يابني نزّهوا أقداركم وطهروا أحسابكم عن دنس الوشاة وتمويه سعايتهم فكل جانٍ يده في فيه وليس يشي اليكم الا أحد رجلين ثقة وظنين أما الثقة فقد قيل انه لا يبلغ ولا يشين بالوشاية قدره وأما الظنين فأهل أن يُتهم صدقه ويكذّب ظنه ويرد باطله وما سعى رجل برجل الى قط الا انحط من قدره عندى مالا يتلافاه أبداً فلا تمطوا الوشاة أمانيهم فيمن يشون بهم فقد قال بعض الملوك لرجل سعى بآخر لو كنتَ أنت أنا ما كنت صانعاً به قال كنت أقتله فقال أما اذ لم تكن أنت أنا فانى غيرُ قاتِلِه ومع ذلك فلا تدَعوا الفحص عما يلقى اليكم مما تحذرون رجوع ضررِه عليكم •• عَوانة قال قام رجل الى سليمان بن عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين عندى نصيحة قال وما نصيحتك هذه قال كان فلان عاملا ليزيد والوليد وعبد الملك فخانهم فيما تولاه واقتطع أموالا جليلة فر باستخراجها منه فقال أنت شرٌّ منه وأخونُ حيث اطلعت على أمره وأظهرته ولولا اني أنفر أصحاب النصائح لعاقبتكم ولكن اختر منى خصلة من ثلاث قال اعرضهن يا أمير المؤمنين قال ان شئت فتشت عما ذكرت فان كنت صادقاً مقتناك وان كنت كاذباً عاقبناك وان شئت أقلناك قال بل تقيلنى يا أمير المؤمنين قال قد فعلت فلا تعودنّ بعدها الى أن تظهر من ذى مروءة ما كتمه الله وستره

محاسن الشكر

قال بعض الحكماء صن شكرَك عمن لا يستحقه • واستر ماء وجهك بالقناعة •• وقال الفضل بن سهل من أحب الازدياد من النعم فليشكر ومن أحب المنزلة عند سلطانه فليكفه ومن أحب بقاء عزه فليسقط دالّته ومكرَه •• ومن ذلك قول رجل لرجل شكره فى معروف

لقد ثبتتْ فى القلبِ منك محبةٌ كما ثبتَتْ فى الراحتينِ الأصابعُ

.. قال واصطنع رجل رجلا فسأله يوماً أتحبني يافلان قال نعم أحبك حباً لو كان فوقك لأظلك ولو كان تحتك لأقلك .. وقال كسرى أنو شروان المنعم أفضل من الشاكر لأنه جعل له السبيل الى الشكر واختصر حبيب بن أوس من هذا شيئاً في مصراع واحد .. فقال

* لهانَ علينا أن نقولَ ونفعلاَ *

.. وقال بشار

أُثني عليكَ ولي حالٌ تُكَذِّبُني ... فيما أقولُ وأستحيي من الناسِ
قدقُلتُ إنَّ أبا حفصٍ لأكرمُ مَنْ ... يمشي فخاصمني في ذاك إفلاسي

ولابي الهول في مثله

فإني اذ مدحتُكَ يا ابنَ معنٍ ... رآني الناسُ في رمضانَ أزني
فان أكُ أُبتُ عنكَ بغيرِ شيءٍ ... فلا تفرحْ كذلكَ كانَ ظنّي

ولآخر في مثله

لحى اللهُ قَوْماً أُمحِبتهم مدائحي ... فقالوا خفُاتاً في ملامٍ وفي عَتْبِ
أبا حازمٍ تمدحْ فقلت مُعَذِّراً ... هبوني امرأً اجرَّبت سبقي على كلب

ولبعض المحدَثين

عثمانُ يعلمُ أن الحمدَ ذُو ثمنٍ ... لكنهُ يشتهي حمداً بمجانِ
والناسُ أكيسُ من أن يحمدوا أحداً ... حتي يرَوْا قبلَهُ آثار احسانِ

.. وقال آخر

فلو كان يستغني عن الشكر سيدٌ ... لعزَّةِ مُلْكٍ أو علُوٍّ مكانِ
لما أمر اللهُ العبادَ بشكرِه ... فقال اشكروني أيُّها الثقلانِ

الباهلي عن أبي فَرْوَة قال أخبرني الحلبي قال مكتوب في التوراة اشكرْ لمن أنعم عليك وانعمْ على من شكرك فانه لازوال للنعم اذا شكرت ولا اقامة لها اذا كفرت والشكر زيادة في النعم وأمان من الغِيَر .. قيل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس يعاجل صاحبهنّ بالعقوبة البغي والغدر وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم ومعروف لايشكر ..

وفى حديث مرفوع دعاء المنعِم على المنعَم عليه مستجاب •• وقيل أنشد عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه الحُطيئةُ هذا البيت وعنده كعب الأحبار

من يفعل الخير لا يَعدَم جوازيَهُ لا يذهبُ العُرْفُ بين الله والناسِ

فقال كعب يا أمير المؤمنين هذا البيت الذى قال مكتوب فى التوراة قال عمر وكيف ذاك قال في التوراة مكتوب من يصنع المعروف لا يضيع عنـدى لا يذهب العرف بينى وبين عبدى •• قيـل ودخل أبو مسـلم صاحب الدولة على أبي العباس وأبو جعفر المنصور عنده فقال أبو العباس لأبي مسلم ياعبد الرحمن هذا أبو جعفر عبد الله بن محمد مولاك قال قد رأيت مجلسه يا أمير المؤمنين ولكن هذا مجلس لا يُقضي فيـه حق غيرك ـ فصل لكاتب فى مثله ـ ولست أقابل أياديك ولا أستديم احسانك الاّ بالشكر الذي جعله الله جل وعز للنعم حارساً وللحق موءدياً وللمزيد سبباً •• وقيل لرسول الله صلي الله عليه وسلم أليس قد غفر لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبداً شكوراً •• وفى الحديث ان رجلا قال في الصلاة خلف رسول الله صلي الله عليه وسـلم اللهم ربنا لك الحمد حمداً زاكياً طيباً مباركا فيه فلما انصرف رسول الله صلي الله عليه وسلم قال أيكم صاحب الكلمة قال أحدهم أنا يارسول الله فقال لقد رأيت بضـعة وثلاثين ملكا يبتدرون أيهم يكتبها أوّلا •• وقيل نسيان النعمة أول درجات الكفر ولابن المقفع

منَنْتُ علي قَوْمي فأبدوا عداوةً فقلتُ لهمْ كُفْوَ العداوةِ والشكر

•• وقال آخر

ألا فى سبيل الله وُدٌ بذلتُـهُ لمن لم يكن عندى لمشارِهِ أهلا

ولكن اذا فكرْتُ فيه وجدتُني بحُسنِي اليـه قد أفدتُ به عقلا

وقال أمير المؤمنين علي بن أبى طالب لاتدع المعروف لكفر من كفره فانه يشكرك عليه أشكر الشاكرين ••وقد قيل فى ذلك

يدُ المعروفِ غُنْمٌ حيثُ كانَتْ تحمَّلها شكورٌ أمْ كفورُ

فعندَ الشاكرين لهـا جزاءٌ وعند الله ما كَفرَ الكفورُ

قال بعضهم ما أنعم الله على عبد نعمة فشكر ذلك الاّ لم يحاسـبه علي تلك النعمة

٠٠وقال بعض الحكماء عند التراخي عن شكر المنعم تحل عظائم النقم ٠٠قيل وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم كثيراً ما يقول لعائشة رضى الله عنها ما فعل بيتك أو بيت اليهودىّ فتقول

يجزيك أو يُثني عليك وان مَنْ أثنى عليكَ بما فعلتَ كَمنْ جزى

فيقول عليه وعلي آله السلام قد صدق ياعائشة ان الله جل وعز اذا أجرى لرجل علي يدى رجل خيراً فلم يشكره فليس لله بشاكر ٠٠قيل وقيل لذي الرُّمّة لِمَ خصصت بلال بن أبي بردة بمدحك فقال لانه وطّأ مضجعي وأكرم مجلسي فحُقّ لكثير معروفه عندى ان يستولي على شكرى ٠٠ ومنهم من يقدم ترك مطالبة الشكر وينسبه الي مكارم الأخلاق ٠٠من ذلك ماقاله بُزُرْجمهر من انتظر بمعروفه شكراً فقد استدعى عاجل المكافأة ٠٠ وقال بعض الحكماء كما أن الكفر يقطع مادة الانعام فكذلك الاستطالة بالصنيعة تمحق الأجر ٠٠ وقال علي بن عُبيدة من المكارم الظاهرة وسنن النفس الشريفة ترك طلب الشكر على الاحسان ورفع الهمة عن طلب المكافأة واستقلال الكثير من الشكر واستقلال الكثير مما يبذل من نفسه

مساوى الشكر

قال بعض الحكماء المعروف الي الكرام يعقب خيراً والمعروف الى اللئام يعقب شراً ومَثَلُ ذلك مثل المطر يشرب منه الصدف فيعقب لؤلؤا وتشرب منه الأفاعى فتعقب سُمًّا ٠٠ وقال سفيان وجدنا أصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام ٠٠ قيل وأثار جماعةٌ من الاعراب ضبُعاً فدخلت خباء شيخ منهم فقالوا اخرجها فقال ما كنت لأفعل وقد استجارت بي فانصرفوا وكانت هَزِيلا فأحضر لها لقاحاً فجعل يسقيها حتي عاشت فنام الشيخ ذات يوم فوثبت عليه فقتلته فقال شاعرهم فى ذلك

ومن يَصنع المعروفَ فى غيرِ أهلهِ يلاقي الذي لاقى مُجيرُ أمّ عامرِ
أعدّ لها لما استجارت بقربهِ غِذَاءً من البانِ اللقاحِ الغَزَائرِ

وأسمنها حتى اذا ما تملأت فرته بأنياب لها وأظافر
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من يجود بمعروف الى غير شاكر

•• قيل وأصاب اعرابيٌّ جرو ذئب فاحتمله الى خبائه وقرّب له شاةً فلم يزل يمتصّ من لبنها حتى سمن وكبر ثم شدّ على الشاة فقتلها فقال الاعرابيّ

غذتك شويهتي ونشأت عندي فما أدراك ان أباك ذيبُ
فجعتَ نُسيّةً وصغارَ قومٍ بشاتهمُ وأنتَ لهم رَبيبُ
إذا غلبتْ طباعِ الشرّ فيه فليس لغيرها فيه نصيبُ

•• ويروى * نشأت مع السخال وأنت جرو * ويضرب المثل بسنمّار وكان بني للنعمان بن المنذر الخورنق فأعجبه فكره أن يبني لغيره مثله فأمر به فرمي من أعلاه حتى مات فقيل فيه

جزتنا بنو سعد بحُسن بلائنا جزاء سنمّار ولم يك ذا ذنبِ

ويروى وما كان ذا ذنب •• وفي المثل سمن كلبك يأكلك وقال بعضهم

وإني وقيساً كالمسمّن كلبهُ تخدّشهُ أنيابهُ وأظافرهُ

محاسن الدهاء والحيل

ذكروا انه لم يكن في ملوك العجم أدهى من كسرى أنوشروان وان الخزر كانت تغير في سلطان فارس حتى تبلغ همذان والموصل فلما ملك أنو شروان كتب الى ملكهم يخطب ابنته على أن يزوجه أيضاً ابنته ويتوادعا ويتفرّغا الى سائر أعدائهما فأجابه الى ذلك وعمد أنو شروان الى جارية من جواريه نفيسة فزفّها الى صاحب الخزر وأهدى معها ما يشبه أن يهدى مع بنات الملوك وزف صاحب الخزر الى أنو شروان ابنته فلما وصلت اليه قال لوزرائه إكتبوا الى صاحب الخزر لو التقينا وأكدنا المودة بيننا فأجابه إلى ذلك ووعده موضع الدرب فالتقيا فكانا يخلوان في لذاتهما ثم ان أنو شروان أمر قائداً من قواده أن يختار ثلاثمائة رجل من أشدّ أصحابه فاذا هدأت العيونُ أغار في

ناحيــة من عسكر الخزر ففعل ذلك فلما أصبح بعث اليه صاحب الخزر ما هذا ينهب عسكري البارحة فأنكر ذلك وقال لم تؤت من قِبَلي فأمهله أياماً ثم عاد الى مثلها ففعل ذلك ثلاث مرات في كل ذلك يعتذر اليه أنو شروان ويسأله البحث فيبحث فلا يقف على شيء فلما طال ذلك دعا صاحب الخزر بقائد من قوّاده وأمره بمثل ذلك فلما أصبح بعث اليه أنو شروان ما هذا أتستبيح عسكري البارحة فأرسل اليه ما أسرع ماضجرت قد فُعل هذا بعسكري ثلاث مرات وانما فُعل بك مرة واحدة فبعث اليه أنو شروان ان هذا عمل قوم يريدون أن يُفسـدوا بيننا وعندي رأيٌ ان قبلته فقال وما هو قال تدعني أبني حائطاً بيني وبينك وأجعل عليه باباً فلا يدخل عليك الا من تحب ولا يدخل عليّ الا من أُحبّ فأجابه الى ذلك وتحمل ومضى وأقام أنو شروان فأمر فبنى بالصخر والرصاص حائط عرضُه ثلاثمائة ذراع حتى ألحقــه برؤس الجبال وجعل عليه أبواب حديد فكان يحرسه مائة رجل بعد أن كان يحتاج الى خمسة آلاف رجل فلما فرغ من السدّ وقُيدَ القَندُ في البحر وأحكم الأمر سرّ سروراً شديداً فأمر أن ينصب على القند سريره ويفرش له عليــه ثم قام فرقى اليه وأغفى عليه فطلع طالع من البحر سد الافق بطوله وأهوى نحو القند فثار الاساورة الى قسيّهم فانتبه الملك فقال ما شأنكم امسكوا لم يكن الله جل وعز ليلهمني الشخوص عن وطني اثنتي عشرة سنةً فأسُدّ ثغراً يكون عزاً لرعيتنا وردءاً ومرتقى لعباده ثم يسلط عليه دابة من دواب البحر فتنحى الاساورة وأقبل الطالع نحو القند فذكر الموبذ ان الله جل وعز أنطق ذلك الحيوانَ فقال أيها الملك أنا ساكن من سكان هذا البحر وقد رأيت هذا القند مشدوداً سبع مرات وخراباً سبع مرات وأوحى الله جل وعز الينا معشرَ سكان هذا البحر ان ملكا عصره عصرك وصورته صورتك يبعثه الله جل وعز يسد هذا الثغر الى الأبد وأنت ذلك الملك فأحسن الله على البر معونتك ثم غاب عن بصره كانما غاب في البحر أو طار في الجو وسأل أنو شروان عند فراغه من ذلك السد عن ذلك البحر فقيل هو ثلاثمائة فرسخ في مثلها وبينه وبين بيضاء الخزَر مسيرة أربعة أشهر على هذا الساحل ومن بيضاء الخزر الى القند الذي بناه أسفَنديار مسيرة شهرين فقال أنو شروان لا بدّ من الوقوف عليه والنظر اليه قالوا أيها

الملك انه طريق لا يُطمع فى سلوكه لموضع فيه يقال له دهان شير يريد فَم الاسد وفيه دُرْدُور لا تكاد تسلم فيه سفينة قال أنو شروان لا بدّ من ركوب هذا البحر والنظر الى هذا السد فقالوا أيها الملك اتق الله فى نفسك وفيمن معك فقال أتوكل على الله الذي خالق هذا البحر وهو جل وعز يجينا من دُرْدُوره ولا أحسب انى أمسح ايران شهر شرقَه وغربَه وأعرف عدد جباله وأوديته الا بعد ركوب هذا البحر وسلوكه الى البرّ فهُيئتْ له السفن وركب معه عدة من النساك حتى لججوا فى البحر ووافوا ذلك الذى يعرف بدهان شير فدفعوا الى دردور هائل فبقوا فيه متحيرين لا يرون مناراً يجعلونه علماً لهم ولاجبلا يقيمونه امارة لمنصرفهم فرجعوا على الملك باللوم والعيب فقال أخلصوا نياتكم لله جل وعز وتضرعوا اليـــه ففعلوا ونذر أنو شروان ان نجاه الله جل ذكره ليصّدقنّ بخراج سبع سنين قال فرفعت له جزيرة تعلوها الامواج وفوق الجزيرة أسد فى عظم جبل يتشرب الماء مؤخره ويخط من فيه الى ذلك الدردور فبينا هم كذلك اذ بعث الله جل جلاله سمكة عظيمة فطفرت حتى صارت فى فم الأسد فسكن الدردور ونفذت السفينة حتى وصل الى ماأراد ثم انصرف الى دار مملكته •• حماد قال حدثني أبي قال قال الأعشى فى مدحه إياس بن قبيصة وذكره مسيره الى الروم حيث لقيه كسرى أبَرْويز بساتِيدَما وهو جبل يزعم أهل العلم انه دون الجبال وانه لا بد من أن يراق عليه دمٌ كل يوم قال الواقدىّ بل هو محيط بالدنيا وزعموا انه ليس في الأرض يوم الا ويسفك عليه دم وانما سمي ساتيدما معناه سيأتى دما فكان من خبر اياس بن قبيصة ان كسري أبرويزكان رجلا سيئ الظن وانه بعث شهربراز الى الروم فى جيش عظيم فأُعطي من الظفر ما لم يعط أحد كان قبله وهو الذى أصاب خزائن الملك التى كانت تسمى كنج باد آورد أى الكنز الذى جاءت به الريح وكانوا حملوها ليحرزوها فضربتها الريح في الجزر من خليج البحر فأخذها وبعث بها الي كسرى فحسده كسرى وحذره وبعث اليه برجل تقدم اليه فى قتـــله وكان الذى أتاه رجل من أهل أذربيجان فلما رأى جماله وهيبته قال لا يصلح قتل هذا فى غير جرم ولا حق فأخبره بما أمره به فأرسل شهربراز الى قيصر انى أريد أن ألقاك فالتقيا فقال ان هذا الخبيث قد أراد قتلى وانى والله لأريدن منه مثل

الذى أراد منى فاجعل لي ماأطمئن اليه وأعطيك مثل ذلك ولئن قتلته لتجعلنّ لي ماأغاب عليه من الكوَر وأجعل لك أن لا أغزوك أبداً ولا أتناول شيئاً من أرضك وأن أعطيك من بيوت أموال كسرى مثل ماتنفق فى مسيرك هذا فأعطاه قيصر ما سأل وسار قيصر فى أربعين ألف مقاتل وخلّف شهربراز فى أرض الروم وقد أخذ منه العهود والمواثيق ولم يعلم كسرى بذلك حتى دنا منه قيصر فلما بلغه ذلك علم ان شهربراز علم بما كان دبّره من قتله وكانت جنوده قد تفرّقت فى السواد وغيرها وكان كسرى قد أبغضه أهل مملكته وملّوه وعُرف حاله عند الناس فاحتال بحيل الرجال واستعمل المكر والدهاء فبعث الى قَس عظيم من النصارى يثق ملك الروم بقوله فقال انى أكتب معك كتاباً لطيفاً في حرير وأجعله فى قناة الى شهربراز وجائزتك عليّ ألف دينار وقد عرف كسرى ان القسّ يذهب بالكتاب الى ملك الروم فكتب الى شهربراز انى كتبت اليك وقد دنا قيصر مني وقد أحسن الله جل وعز اليّ بصنيعك ونفوذ تدبيرك وقد فرّقت لهم الجيوش وأنا تاركه حتى يدنو منى وأثِب عليه وثبة استأصل شأفته بها واذا كان ذلك اليوم وهو يوم كذا وكذا فأغِرْ أنت على من قِبلك منهم فانك تبيدهم وتهلكهم وأرجو أن تكون لملك قيصر مصطلماً فخرج القس بالكتاب حتى لقى قيصر وقد كانت صُوّرت لقيصر أرض العرب والعراق وصُوِّرت له النهروان بغير حين المَدّ فلما انتهى اليه فى المد وليس عليه جسر وقرأ الكتاب من يد القس قال هذا هو الحق ورجع منهزماً مفلولا واتبعه كسرى باياس بن قبيصة الطائي فأدركهم بساتيدَما مرعوبين مفلولين من غير لقاء ولا قتال فقتلوا قتل الكلاب ونجا قيصر فى خواص من أصحابه فمدح الأعشى اياس بن قبيصة وكان قد أصابه مرض فقال

ما تعيفُ اليومَ في الطّيرِ الرّوَحْ　　من غُرابِ البينِ أو تيسٍ بَرَحْ

جالِساً فى نفَرٍ قد أَنِسوا　　فى مَقيلِ القِدِّ من صَحْبٍ قَرَحْ

قال ابن الاعرابي وسأله حمّاد عن قوله ـ ما تعيف اليوم فى الطير الروح ـ فقال تطيّر الأعشى من مرض إياس الى الزجر والفأل فقال لنفسه ما تعيف منه أى ما تكره منه وهو آخر أمره الى السلامة فرجع قيصر وقد اتّهم شهربراز فلم يزل به حتى أمكنته

الفُرْصَةُ منه فقتله وعامّة رجاله وأفناهم ٠٠ قيل ولما تشاغل عبد الملك بن مروان بمقاتلة مُصعَب بن الزبير اجتمع وجوه الروم الي ملكهم وقالوا له قد أمكنتك الفرصة من العرب فقد تشاغل بعضهم ببعض ووقع بأسهم بينهم فالرأي أن تغزوهم في بلادهم فانك تذلّهم وتنال حاجتك منهم فنهاهم عن ذلك فأبوا عليه إلاّ أن يفعل فلما رأى ذلك دعا بكلبين فأرّش بينهما فاقتتلا قتالا شديداً ثم دعا بثعلب نخلّاه بينهما فلما رأى الكلبان الثعلب تركا ما كانا فيه وأقبلا على الثعلب حتى قتلاه فقال ملك الروم هكذا العرب تقتتل بينها فاذا رأونا وهم مجتمعون تركوا ذلك وأقبلوا علينا فعرفوا صدقه ورجعوا عما كانوا عليه ٠٠وعن بكار بن ماهويه قال قال كسرى ابرويز لمنجّمه كيف يكون أجلي فقال له تُقتَل فقال والله لأقتلنّ قاتلي فأمر بسمّ نخلط في أدوية وكتب عليه هذا دواء الجماع من أخذ منه وَزْنَ كذا جامع كذا مرّةً وصيّره في خزانة الطب فلما قتله ابنه شيرويه فتّش خزانة أبيه فمر بذلك السم فقال في نفسه بهذا كان يقوى أبي على الجماع وعلى شيرين وغيرها فأخذ منه فمات من ساعته ٠٠ وعن الهيثم عن ابن عيّاش قال كان الحجاج حسوداً لاتتم له صنيعة حتى يفسدها فوجّه عُمارة بن تميم اللخميّ الى عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث فظفر به وصنع به ماصنع ورجع الى الحجاج بالفتح فلم ير منه ما أحب وكره منافرته وكان عاقلا رفيقاً فجعل يترفّق به ويُداريه ويقول أنت أيها الأمير أشرف العرب فمن شرّفته شرُف ومن وضعته اتّضع وما ينكر لك ذلك مع رفقك ويمنك ومشورتك ورأيك وما كان هذا كله إلاّ بصنع الله عز وجل وتدبيرك وليس أحد أشكر لصنيعك منّي ومَنْ ابن الأشعث وما خطره حتى عزم الحجاج على المُضِيّ الى عبد الملك فأخرج عُمارة معه فوفد عليه وعمارة يومئذٍ على أهل فِلسطين أمير فلم يزل يلطف بالحجاج في مسيره ويعظمه حتى قدموا على عبد الملك فلما قامت الخطباء بين يديه وأثنت على الحجاج قام عمارة فقال يا أمير المؤمنين سَل الحجاج عن طاعتي ومناصحتي وبلائي فقال الحجاج يا أمير المؤمنين صنع وصنع ومن بأسه ونجدته وعفافه ومكيدته هو أيمن الناس نقيبةً وأعلمهم بتدبير وسياسة ولم يبق غايةً في الثناء عليه فقال عُمارة أرضيت يا أمير المؤمنين قال نعم فرضى الله عنك حتى قالها ثلاثا في كلها يقول قد

رضيت فقال عمارة فلا رضى الله عن الحجاج يا أمير المؤمنين ولا حفظه ولا عافاه فهو والله السيّئ التدبير الذى قد أفسد عليك أهــل العراق وألّب عليك الناس وما أُتيت إلاّ من قلة عقله وضعف رأيه وقلة بصره بالسياسة ولك والله أمثالها ان لم تعزله فقال الحجاج مه ياعمارة فقال لا مه ولا كرامة ياأمير المؤمنين كل امرأة له طالق وكل مملوك له حرٌ ان سار تحت راية الحجاج أبداً فقال عبد الملك ماعندنا أوسع لك فلما انصرف عمارة الى منزله بعث اليه الحجاج وقال أنا أعلم انه ماخرج هــذا عنك إلاّ معتبة ولك عندى الغنى ولك ولك فأرسل اليه ما كنت أظن ان عقلك على هذا أرجع اليك بعد الذى كان من طعني وقولي عند أمير المؤمنين لا ولا كرامة لك ●● وعن الهيثم بن الحسن ابن عمارة قال قدم شيخ من خُزاعة أيام المختار فنزل على عبدالرحمن بن أبزَى الخزاعي فلما رأي ماتصنع شــيعة المختار به من الإعظام له جعل يقول ياعباد الله أبالمختار يُصنع هذا والله لقد رأيته يبيعُ الإماء بالحجاز فبلغ ذلك المختار فدعا به فقال ما هــذا الذى يبلغني عنك قال الباطل فأمر بضرب عنقه فقال لا والله لا تقدر على ذلك قال ولِمَ قال أما دون ان أنظر اليك وقد فتحت مدينة دمشق ونقضتها حجراً حجراً وقتلت المُقاتِلة وسبيت الذُرِّيّة ثم تصلبني على شجرة على نهر والله إني لأعرف الشجرة الساعة وأعرف شاطئ ذلك النهر قال فالتفت المختار الى أصحابه فقال لهــم أما إنّ الرجــل قد عرف الشجرة فحبس حتى اذا كان الليل بعث اليه فقال ياأخا خُزاعة أومزاح عند القتال فقال أنشدك الله ان أقتَل ضــياعاً قال وما تطلب ههنا قال أربعــة آلاف درهم أقضي بها دَيْني قال ادفعوها اليه واياك ان تصبح بالكوفة فقبضها وخرج ●● وعنه قال كان سُراقة البارقيّ من ظرفاء أهل المدينة فأسره رجل من أصحاب المختار فأتى به المختار وقال أسرت هذا فقال كذبت والله ماأسرني هذا انما أسرني رجل عليه ثياب بيض على فرس أبلق فقال المختار أما انّ الرجل قد عاين يعني الملائكة خلوا سبيله فلما أفلت أنشأ يقول

ألا أبلغ أبا اســحاقَ انى رأيتُ الدهمَ بُلْقاً مُصمَتاتِ
أُرِى عَيْنَيّ مالم تَرَأياهُ كِلاَنا مُولَعٌ بالتُّرَّهاتِ
كَفَرْتُ بدِينِكُمْ وجعلتُ نَذراً عليَّ قتالكُمْ حتى المماتِ

وعنه قال خرج الأحوص بن جعفر المخزومي يتغدّى في دير اللُّجّ وذلك في يوم شديد البرد ومعه حمزة بن بيض وسراقة البارقيّ فلما كانا على ظهر الكوفة وعليه الوبر والخز وعليهما أطمار قال حمزة لسراقة أين يذهب بنا هذا في هذا البرد ونحن في أطمارنا قال سراقة أنا أكفيكه فبينا هو يسير إذ لقيهم راكب مقبل فحرّك سراقة دابّته نحوه وواقفه ساعة ولحق بالأحوص فقال ماخبّرك به الراكب قال زعم ان خوارج خرجت بالقُطقُطانة قال بعيد قال ان الخوارج تسير في ليلة ثلاثين فرسخاً وأكثر وكان الأحوص أحد الجُبناء فثنى رأس دابته وقال ردّوا طعامنا نتغدى في المنزل فلما حاذى منزله قال لأصحابه ادخلوا ومضي الى خالد بن عبد الله القَسْري فقال قد خرجت خارجة بالقطقطانة فنادى خالد في العسكر فجمعهم ووجّه خيلا تركض نحو دير اللُّجّ لتعرف الخبر فانصرفوا وأعلموه انه لا أصل للخبر فقال للأحوص من أعلمك هذا قال سراقة قال وأين هو قال في منزلي فأرسل اليه من أتاه به فقال أنت أخبرته عن الخارجة قال مافعلت أصلح الله الأمير فقال له الأحوص أوَتكذّبني بين يدي الأمير قال خالد ويحك اصدقني قال نعم أخرجَنا في هذا البرد وقد ظاهر الخز والوبر ونحن في اطمارنا هذه فأحببت ان أردّه فقال له خالد ويحك وهذا مما يتلاعب به وكان سراقة ظريفاً شاعراً وهو الذي يقول

قالوا سُراقةُ عِنّينٌ فقلتُ لهمْ ... أللهُ يعلم أنّي غيرُ عِنّينِ
فان ظننتمْ بيَ الشيءَ الذي زعموا ... فقرّبوني من بيتِ ابن ياميِنِ

وذكروا ان شبيب بن يزيد الخارجي مر بغلام مستنقع في ماء الفرات فقال له ياغلام اخرجْ اليّ أسائلك فعرفه الغلام فقال إنّي أخاف أفآمن أنا ان خرجت حتى ألبس ثيابي قال نعم نخرج وقال والله لا ألبسها اليوم فضحك شبيب وقال خدعني ورب الكعبة ووكل به رجلا من أصحابه يحفظه ألاّ يصيبه أحد من أصحابه بمكروه .. قال وكان رجل من الخوارج قال في قصيدة له

ومِنّا يزيدُ والبَطينُ وقَعْنَبٌ ... ومنّا أميرُ المؤمنينَ شبيبُ

فسارِ البيتُ حتى سمعه عبد الملك بن مروان فأمر بطلب قائله فأُتي به فلما وقف

بين يديه قال أنت القائل ومنّا أميرُ المؤمنين شبيب قال لم أقل هكذا ياأمير المؤمنين قال فكيف قلت قال قلت ومنّا أميرَ المؤمنين شبيب فضحك عبد الملك وأمر بتخلية سبيله فتخلّص بحيلته وفطنته لازالة الاعراب عن الرفع الى النصب ٠٠ وزعموا ان عمرو بن معدى كرب الزُبيدى هجم فى بعض غاراته على شابّة جميلة منفردة فأخذها فلما أمعن بها بكت فقال ما يُبكيك قال أبكي لفراق بنات عمي كلهن مثلي فى الجمال وأفضل مني خرجت معهنّ فانقطعنا عن الحي قال وأين هنّ قالت خلف ذلك الجبل ووددتُ إذ أخذتني أخذتهنّ فأخذ الى الموضع الذي وصفته فما شعر بشئ حتي هجم على فارس شاكٍ فى السلاح فعرض عليه المصارعة فصرعه الفارس ثم عرض عليه ضروباً من المناوشة فغلبه الفارس فى كلها فسأله عمرو عن اسمه فاذا هو ربيعة بن مكدّم فاستنقذ الجارية ٠٠ وعن عطاء ان مخارق بن عفّان ومَعْن بن زائدة لقيا رجلا ببلاد الشرك ومعه جارية لم يروا مثلها شباباً وجمالا فصاحا به ليخلّي عنها ومعه قوسٌ فرمى بها وهابا الاقدام عليه ثم عاد ليرمى فانقطع وَتَره وسلّم الجارية وأسند فى جبل كان قريباً منه فابتدرا الجارية وفى أذنها قُرط فيه درة فانتزعه بعضهما من أذنها فقالت وما قدر هذا لو رأيتما درتين معه فى قلنسوته وفى القلنسوة وتر قد أعده فنسيه من الدّهش فلما سمع قول المرأة ذكر الوتر فأخرجه وعقده في قوسه فوليا ليست لهما همة الا النجاء وخليا عن الجارية ٠٠ قيل واستودع رجل رجلا مالا ثم طالبه به فجحده فخاصمه الى اياس ابن معاوية القاضي وقال دفعت اليه مالا في مكان كذا وكذا قال فأي شئ كان فى ذلك الموضع قال شجرة قال فانطلق الى ذلك الموضع وانظر الى تلك الشجرة فلعل الله أن يوضح لك هناك ماتبين به حقك أو لعلك دفنت مالك عند الشجرة فنسيت فتذكر اذا رأيت الشجرة فمضي وقال اياس للمطلوب منه اجلس حتى يرجع صاحبك فجلس واياسٌ يقضي وينظر اليه بين كل ساعة ثم قال ترى صاحبك بلغ موضع الشجرة قال لا فقال يا عدو الله أنت أالخائن ٠٠ قال أقلني أقالك الله فأمر بحفظه حتى جاء خصمه فقال له خذه بحقك فقد أقر ٠٠ قال واستودع رجل رجلا كيساً فيه دنانير فغاب وطالت غيبته فشقّ المستودعُ الكيس منْ أسفله وأخذ الدنانير وجعل مكانها دراهم وخيّطه

والخاتم على حاله فجاء الرجل بعد ستة عشرة سنة فقال مالي وطالب به فأعطاه الكيس بخاتمه فنظر اليه واذا ماله دراهم فأحضره مجلس اياس فقال اياس للطالب ماذا تقول قال أعطيته كيساً فيه دنانير فقال منذ كم قال منذ ستة عشرة سنة قال فضّا الخاتم ففضاه فقال أنثرا ما فيه فاذا هي دراهم بعضها من ضرب عشر سنين وأكثر وأقل فأقرّ بالدنانير وألزمه اياها حتى خرج منها ٠٠ قال وأودع رجل رجلا من أمناء اياس مالا وحج فلما رجع طالبه فجحده فأتى اياساً فأخبره فقال أيعلم انك أخبرت غيري بذلك قال لا قال فهل علم انك أعلمتني قال لا قال أفنازعته بحضرة أحد قال لا قال فانصرف واكتم أمرك ثم عد اليّ ودعا اياس أمينه ذلك فقال قد حضر مال كثير وقد رأيت أن أودعك اياه وأصيّره عندك فارتد له موضعاً وأتي بمن يحمله معك فمضى الأمين وعاد الرجل الى اياس فقال له انطلق الى صاحبك فطالبه بمالك فان أعطاك والا فقل انك تعلمني فأتاه فقال له اعطني مالي والا أتيت القاضي فأعلمته فدفع اليه ماله وصار الى اياس فقال قد رد مالي عليّ وجاء الأمين الى اياس لموعده فانتهره وقال اخرج عني يا خائن ٠٠ وأراد معاوية أن يوجه ابنه يزيد الى غزو الصائفة وكره يزيد ذلك وأنشأ يقول

تجنّىَ لا تزل تَعُدّ ذنبـاً لتقطعَ وصلَ حبلك عن حِبالي
فيوشِكُ أن يُريحك من أذاتي نُزولي في المهالِكِ وارتحـالِي

وخرج وخرج الناس معه وفيمن خرج أبو أيوب الانصاري فلما قرب من قسطنطينية اشتكى أبو أيوب فأتاه يزيد عائداً فقال له ما حاجتك قال اما دنياكم فلا حاجة لي فيهـا ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدفن بجنب قسطنطينية رجل صالح وقد رجوت أن أكونه فقدّمني ما قدرت عليـه فمات فلما فرغ من جهازه ووضع على سريره قدّم الكتائب بين يديه فنظر قيصر ورأى أمراً عجيباً وشيئاً يحمل والناس بالسلاح تحته فأرسل اليه ما هذا الذي نرى قال يزيد هذا صاحب نبينا صلى الله عليه وسلم أوصى أن ندفنه الى جنب مدينتكم ونحن ننفذ وصيته أو نموت دونه فأرسل اليه العجب من الناس وما يذكرونه من دهاء أبيك وهو يبعثك في هذا البعث تدفن صاحب نبيك بجنب مدينتي فاذا وليتَ عنه نبشتُه فطرحتُه للكلاب فأرسل اليه يزيد اني ما أردت أن أجنّه

حتى أودع مسامعك كلامي وكفرت بالذى أكرمتُ له هذا الميت لئن تعرضت له لاتركت في أرض العرب نصرانياً الا سفكت دمه واستصفيت ماله وسبيت حُرمه فأرسل اليه قيصر كان أبوك أعرف بك منى واني أحلف بحق المسيح عليه السلام أن لا يحرسه سنةً أحد غيرى •• وعن بعض مشايخ المدينة قال كانت عند عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضوان الله عليهما جارية مغنية يقال لها عُمارة فلما وفد عبد الله على معاوية خرج بها معه فزاره يزيد ذات يوم وأقام عنده فأخرجها اليه فلما نظر اليها وسمع غناءها وقعت في نفسه فأخذه عليها ما لم يملك نفسه وجعل يمنعه من أن يبوح به مكان أبيه مع يأسه من الظفر بها فلم يزل يُكاتمه الى أن مات معاوية وأفضى اليه الأمر وتقلد الخلافة يزيد فاستشار بعض من يثق به في أمرها فقال ان أمر عبد الله لا يُرام وأنت لا تستجيز اكراهه ولا يبيعها بشيء أبداً وليس يغنى في هذا الأمر الا الحيلة قال اطلب لي رجلاً عاقلا من أهل العراق ظريفاً أديباً له معرفة ودراية فطلبوه فأتوه به فلما دخل عليه استنطقه فرأى بياناً وحلاوة وفقهاً فقال له انى دعوتك لأمر ان ظفرت به فهو حظوتك آخر الدهر ويدٌ أكافيك عليها ثم أخبره بأمره فقال يا أمير المؤمنين ان عبد الله بن جعفر ما يرام ما قِبَلهُ الا بالخديعة وإن يقدر على ما سألت رجل فأرجو أن أكونه والقوة بالله فأعِنّي يا أمير المؤمنين بالمال قال خذ ما أحببت فأخذ واشترى من طُرَفِ الشام وثياب مصر ومتاعها للتجارة ومن الرقيق والدواب وغير ذلك حاجته وشخص الى المدينة فأناخ بعَرْصَة عبد الله بن جعفر واكترى منزلا الى جانبه ثم توسل اليه وقال أنا رجل من أهل العراق وقدمت بتجارة فأحببتُ أن أكون في جوارك وكنفك الى أن أبيع ما جئت به فبعث عبد الله الى قهارمته وقال اكرموا جارنا وأوسعوا عليه المنزل فلما اطمأنّ العراقيّ وسلم عليه أياما وعرّفه نفسه هيأ له بغلة فارهة وثياباً من ثياب العراق والطافا وبعث بها اليه وكتب رقعة يقول فيها ياسيدى أنا رجل تاجر ونعمة الله عليّ سابغة وعندى احتمال وقد بعثت اليك بشيءٍ من اللطف وهو كذا ومن الثياب والعطر وبعثت ببغلة خفيفة العنان وطية الظهر فاتخذها لرحلك وأنا أسألك بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قبلت هديتي ولم توحشنى بردها فاني أدين الله عز وجل بحبك وحب أهل

بيتك وان أفضل ما في سفرى هذا أن أستفيد الأنس بك وأتشرف بمواصلتك فأمر عبد الله بقبض هديته وخرج الى الصلاة فلما رجع مرّ بالعراقىّ فى منزله فقام اليه وقبل يده وسلم عليه واستكثر منه فرأى أدباً وظرفاً وحلاوة وفصاحة فأعجب به وسرّ بنزوله عليه فجعل العراقىّ يبعث كل يوم بلطف الى عبد الله وبطرف فقال عبد الله جزى الله ضيفنا هذا خيراً فقد ملأنا شكراً وأعيانا عن مجازاته فانهما لكذلك اذ دعاه عبد الله ودعا بعمارة وجواريه فلما تمشيا وطاب لهما وسمع غناء عمارة تعجب وجعل يزيد في عجبه اذ رأى ذلك يسر عبد الله الى أن قال له رأيت مثل عمارة قال لا والله يا سيدى ما رأيت مثلها وما تصلح الا لك وما ظننت انه يكون فى الدنيا مثل هذه حسنَ وجهٍ وحذق عمل قال كم تساوى عندك قال مالها ثمن الا الخلافة قال تقول هذا لما ترى من رأيي فيها ولتجلب سرورى قال والله ياسيدى انى لأحب سرورك وما قلت لك الا الجدّ وبعد فانى رجل تاجر أجمع الدرهم الى الدرهم طلباً للربح ولو أعطيتها بعشرة آلاف دينار لأخذتها قال عبد الله بعشرة آلاف دينار قال نعم ولم يكن فى ذلك الزمان جارية بعشرة آلاف دينار فقال عبد الله كالمازح أنا أبيعكها بعشرة آلاف دينار قال قد أخذتها قال هي لك قال قد وجب البيع وانصرف العراقىّ فلما أصبح لم يشعر عبد الله الا وبالمال قد وافاه فقال عبد الله بعث العراقىّ بالمال قالوا نعم بعشرة آلاف دينار وقال هذه ثمن عمارة فردّها اليه وقال انما كنت أمزح معك وما أعلمك أن مثلى لا يبيع مثلها قال جعلت فداك ان الجدّ والهزل فى البيع سواء قال له عبد الله ويحك لا أعلم موضع جارية تساوى مابذلت ولو كنت بائعها من أحد لآثرتك ولكني كنت أمازحك وما أبيعها بملك الدنيا لحرمتها بى وموقعها من قلبى قال له العراقيّ فان كنتَ مازحا فانى كنت جاداً وما اطّلعت على مافى نفسك وقد ملكتُ الجارية وبعثت بالثمن وليست تحل لك وما من أخذها بد فمنعه اياها فخرج العراقيّ وهو يقول أستحلفك فى مجلس أمير المؤمنين فلما رأي عبد الله الجدّ منه قال بئس الضيف ما طرقنا طارق ولا نزل بنا ضيف أعظم بليّة علينا منك تحلفني فيقول الناس اضطهده وقهره وألجأه الى أن استحلفه أما والله ليعلمن انى سأبلى فى هذا الأمر الصبر وحسن العزاء وجميل العزاء ثم أمر قهرمانه بقبض المال وتجهيز الجارية بما

يشبهها من الثياب والخدم والطيب والمركب فجهزت بنحو من ثلاثة آلاف دينار ثم سلمها الى قهرمانه وقال أوصل الجارية اليه مع ما معها وقل هذا لك ولك عندنا عوضٌ مما ألطفتنا به فقبض العراقيُّ الجارية وخرج فلما برز من المدينة قال لها يا عمارة اني والله ما ملكتك قط ولا أنت لي ولا مثلي يشترى جارية بعشرة آلاف دينار وما كنت لأقدم على عبد الله بن جعفر فأسلبه أحب الناس اليه لنفسى ولكنى دسيس من قبل أمير المؤمنين يزيد وأنت له وفي طلبك بعثني فاستتري مني فان دخلني الشيطان في أمرك أو تاقت نفسى اليك فامتنعي ثم مضي بها حتى ورد دمشق فتلقاه الناس يحملون جنازة يزيد وقد استخلف ابنه معاوية فأقام الرجل أياما ثم تلطف للدخول عليه فشرح له القصة فقال هي لك فارتحل العراقي وقال للجارية اني قلت لك ماقلت حين أخرجتك من المدينة لأني لم أملكك وقد صرت الآن لى وأنا أشهدك انى قد وهبتك لعبد الله بن جعفر فخرج بها حتى قدم المدينة فنزل قريباً من عبد الله فدخل عليه بعض خدمه فقال هذا العراقي ضيفك الصانع بنا ماصنع لاحياه الله قد نزل فقال مه أنزلوا الرجل وأكرموا مثواه فأرسل الى عبد الله ان أذنت جعلت فداك لى فى الدخول عليك دخلة خفيفة أشافهك فيها بحاجتي وأخرج فأذن له فلما دخل عليه خبره بالقصة وحلف له بالمحرّجات من الايمان انه مارأى لها وجهاً الا عنده وهاهي ذه فأدخلها الدار فلما رآها أهل الدار والحشم تصايحوا ونادوا عُمارة فلما رأت عبدالله خرت مغشياً عليها وجعل عبدالله يمسح وجهها بكُمّه ويقول ياحبيبتى أحُلْم هذا فقال له العراقيّ بل ردّها الله اليك بوفائك وكرمك فقال عبد الله قد علم الله كيف كان الأمر فالحمد لله على كل حال ثم أمر بتبع عيرٍ له بثلاثة عشر ألف دينار وأمر بها للعراقى فانصرف الى العراق وافر العرض والمال •• أبو محارب قال قال معاوية بن أبي سفيان ان عمرو بن العاص قد احتجن عنّا خراج مصر فعزله واستعمل أبا الأعور السُلَمي فبلغ عمرا الخبر فدعا وَرْدان مولاه وقال له ويحك عزلني أمير المؤمنين قال فمن استعمل قال أبا الأعور قال دعنى وإياه أصنع له طعاماً ولا تنظر فى كتابه حتى يأكل قال نعم فلما قدم عليه أخرج الكتاب بتسليم العمل اليه فقال عمرو مانصنع بالكتاب لو جئتنا برسالة لقبلنا ذلك منك فقال وَرْدان

ضع الكتاب وكُلْ فقال أبو الأعور لعمرو أُنظر فى الكتاب قال ما أنا بناظر فيه حتى تأكل فوضعه الى جانبه وجعل يأكل فاستدار وردان فاخذه فلما فرغ أبو الأعور من غدائه طلب الكتاب فلم يجده فقال أين كتابى فقال له عمرو أو ليس جئتنا زائراً لنحسن اليك قال بل استعملنى أمير المؤمنين وعزلك قال مهلاً لا يظهرن هــذا منك فانه قبيح ونحن نصِلُكَ ونحسن اليك فرضى بالصلة وبلغ معاوية الخــبر فاستضحك وتعجب من فعله وأقر عمرا على عمله ٠٠ وعن الشعبي قال كتب المُغيرة بن شُعبة الى معاوية وكان خاف العزل قد كَبرت سنّى ورق عظمي واقترب أجلى وسفّهنى سفهاء قريش وأمير المؤمنين أولى بعمله فكتب اليه معاوية أما ماذكرت من كِبَر سـنّك فانت أكلت عمرك وأما اقتراب أجلك فلو استطيع دفع الموت عن أحد دفعتُه عن نفسي وعن آل أبي سفيان وما ذكرت من سفهاء قريش فحلماؤها أنزلتك هذه المنزلة (وأما العمل فاصبر رويداً يدرك الهيجا حمل) فاستأذنه فى القدوم عليه فأذن له فوافاه فقال له معاوية يا مغيرة كبُرت سـنّك واقترب أجلك ولم يبق منك شئ وسأستبدل بك فانصرف فرأى أصحابه الكآبة فى وجهه فقالوا مالك قال قال لي كيت وكيت قالوا له فما تريد أن تصنع قال ستعلمون قال فأتي معاوية فقال له يا أمير المؤمنين ان الانسان يغدو ويروح ولستَ في زمن أبي بكر ولا عمر فلو أنك نصبت لنا انساناً نصير اليه بعدك كان الرأى على أني قد كنت دعوت أهــل العراق الى يزيد قال يا أبا محمــد انصرف الى عملك واحكمْ هذا الأمر لابن أخيك قال فأقبل على البريد يركض وقال قد والله وضعت رجله فى ركاب طويل الركض قال فذاك هو الذي بعث معاوية على أخذ البيعة ليزيد

مساوى العي وضعف العقل

قال ثُمامة صاحب الكلام كان المأمون قد هم بلعن معاوية وأن يكتب بذلك كتاباً فى الطعن عليه قال ففثاه عن ذلك يحيي بن أكثم وقال يا أمير المؤمنين العامّة لاتحتمل هذا ولا سيا أهل خُراسان ولا تأمن أن يكون لهم نفرةٌ ونَبْوةٌ لاتستقال

ولا يُدرى مايكون عاقبتها والرأي أن تدع الناس على ماهم عليه ولا تظهر لهم انك تميل الى فرقة من الفرق فان ذلك أصلح في السياسة وآمن في العاقبة وأجرى في التدبير فركن الى قوله فلما دخلت عليه قال ياثمامة قد علمت ما كنا دبرناه في أمر معاوية وقد عارضنا رأيٌ هو أصلح في تدبير المملكة وأبقى ذكراً في العامة ثم أخبرني ان يحيي بن أكثم حذره وأخبره بنفور العامة عن مثل هذا الرأى فقلت ياأمير المؤمنين والعامة عندك في هذا الموضع الذى وضعها فيه يحيي والله لو بعثت اليها انساناً على عاتقه سوادٌ ومعه عَصى لساق اليك منها عشرة آلاف والله ياأمير المؤمنين مارضى الله جل وعز ان سوّاها بالأنعام حتى جعلها أضل سبيلا فقال تبارك وتعالى ﴿ أَمْ تَحسَبُ أَنَّ أَكثرَهُم يسمعونَ أو يعقِلُونَ إن هُمْ إلاّ كالأنعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سبيلا ﴾ والله لقد مررت ياأمير المؤمنين منذ أيام في شارع الخُلدِ وأنا أريد الدار فاذا انسان قد بسط كساءه وألقى عليه أدوية وهو قائم ينادى هذا الدواء للبياض في العين والغشاوة والظلمة وضعف البصر وان احدى عينيه لمطموسة والأخرى مؤلمةٌ وقد تألبوا عليه وانجفلوا اليه فنزلتُ عن دابتي ودخلت بين تلك الجماعة فقلت ياهذا أرى عينيك أحوج الأعين الى العلاج وأنت تصف هذا الدواء وتخبر انه شفاء فما بالك ياهذا لا تستعمله قال أنا في هذا الموضع منذ عشرين سنة مارأيت شيخاً قط أجهل منك ولا أحمق قلتُ وكيف ذاك قال يا جاهل أتدرى أين اشتكت عيني قلت لا قال بمصر فأقبل عليَّ الجماعة فقالت صدق والله أنت جاهل وهموا بي فقلت والله ما علمت ان عينه اشتكت بمصر فتخلصت منهم بهذه الحجة قال فضحك المأمون وقال مالقيت من الله جل ذكره من سوء الثناء وقبح الذكر أكثر قلت أجل .. وقيل انه كان رجل من المعتزلة وكان له جار يرى رأى الخوارج وكان كثير الصلاة والصيام حسن العبادة فقال المعتزلي لرجلين من أصحابه مُرّا بنا الي هذا الرجل فنكلمه لعل الله جل وعز ينقذه من الهلكة بنا ويهديه من الضلالة فأتوه وكلموه فأصغي الى كلامهم فلما سكتوا انتعل وقام ومعه القوم حتي وقف على باب المسجد فرفع صوته بالقراءة واجتمع اليه الناس وقعد الرجل وصاحباه فقرأ ساعة حتي بكى الناس ثم وعظ فأحسن ثم ذكر الحجاج فقال أحرق المصاحف وهدم

الكعبة وفعل وفعل فالعنوه لعنه الله فلعنه الناس ورفعوا أصواتهم ثم قال يا قوم وما علينا من ذنوب الحجاج ومن أن يغفر الله عز وجل له ولنا معه فإنا كلنا مذنبون لقد كان الحجاج غيوراً على حرم المسلمين تاركا للغدر ضابطاً للسبل عفيفاً عن المال لم يتخذ ضيعة ولم يكن له مال قد علينا أن نترحم عليه فان الله عزوجل رحيم يحب الراحمين ثم رفع يده ودعا بالمغفرة للحجاج ورفع القوم أيديهم وارتفعت الأصوات بالاستغفار ملياً قال الرجل المعتزلي وهو يلاحظني فلما فرغ وانصرف ضرب بيده الى منكبي وقال هل رأيت مثل هؤلاء القوم لعنوه واستغفروا له في ساعة واحدة انتهى عن دماء أمثال هؤلاء والله لا ساعدتهم مع كل من أعانني عليهم

محاسن التيقظ

قيل كان أردشير من أشد خلق الله فحصاً وبحثاً عن سرائر خاصته وعامته وإذكاء للعيون عليهم وعلى الرعية وكان يقول انما سمي الملك راعياً ليفحص عن دفائن رعيته ومتى غفل الملك عن تعرفه ذلك فليس له من رسم الراعي الا اسمه ومن الملك الا ذكره ويقال انه كان يصبح فيعلم كل شئ جرى فى دار مملكته من خير وشر ويمسي فيعلم كل شئ أصبحوا عليه فكان متى شاء قال لأرفعهم وأوضعهم كان عندك في هذه الليلة كيت وكيت ثم يحدثه بكل ما كان فيه الى ان أصبح وكان بعضهم يقول يأتيه ملك من السماء فيخبره وما كان ذلك إلاّ لتيقظه وكثرة تعهده لأمور رعيته .. ويقال ان الأمم كلها أولها وآخرها قديمها وحديثها لم تخف ملوكها خوفها اردشير من ملوك العجم وعمر بن الخطاب رضى الله عنه من ملوك العرب والاسلام فان عمر رضى الله عنه كان علمه بمن نأى من عماله ورعيته كعلمه بمن بات معه على مهاد فلم يكن له فى قطر من الأقطار ولا ناحية من النواحى أمير ولا عامل إلاّ وله عليه عين لا يفارقه فكانت أخبار النواحي كلها عنده كل صباح ومساء حتى ان العامل كان يتوهم على أقرب الخلق اليه وأخصهم به فساس الرعية سياسة اردشير فى الفحص عنها وعن أسرارها ثم

اقتفى معاوية فعـله وطلب أثره فانتظم له أمره وطالت فى الملك مدته .. وكذا كان زياد بن أبي سفيان يحتذى فعل معاوية كاحتذاء معاوية فعل عمر رحمه الله فى تعرّف أمور رعيته ومملكته .. وفيما يُحكي عنه ان رجلا كلمه فى حاجة له فتعرّف اليه وهو يظن انه لايعرفه فقال أصلح الله الأمير أنا فلان بن فلان فتبسم زياد وقال أتتعرف اليّ وأنا أعرف منك بنفسك والله إنى لأعرفك وأعرف أباك وأمك وجدك وجدتك وأعرف هذا البُرد الذى عليك وهو لفلان فبهت الرجلُ وأُرْعِد حتى كاد يغشى عليه .. وعلى هذا كان عبد الملك بن مروان والحجاج ولم يكن بعد هؤلاء الثلاثة أحد فى مثل هذه السياسة حتي ملك المنصور فكان أكبر الأمور عنده معرفة الرجال حتى عرف العدو من الولي والمُوادع والمسالم من المُشاغب فساس الرعية على ذلك ثم درست هذه السياسة حتى ملك الرشيد فكان أشد الملوك بحثاً عن أسرار رعيته وأكثرهم بها عناية وأحزمهم فيها أمراً .. وعلى هذا كان المأمون في أيامه والدليل على أمر المأمون رسالته الى اسحاق بن ابراهيم في الفقهاء وأصحاب الحديث وهو بالشام خبر فيها عن عيب واحدٍ واحــدٍ وعن نحلته وعن أموره التى خفيت أو أكثرها على القريب والبعيد ولم يكن أحد من ذوى السلطان الأعظم أشد فحصاً وبحثاً عن أمور الناس حتى بلغ هذا المبلغ فى الاستقصاء وجعله أكبر شغله وأكثره فى ليله ونهاره من اسحاق بن ابراهيم .. حدثني موسى بن صالح بن شيخ قال كلمته فى امرأة من بعض أهلنا وسألته النظر لهـا فقال يا أبا محمد من قصة هذه المرأة ومن فعلها قال فوالله مازال يحدثني ويخبرني عن قصتها ويصف أحوالها حتى بهتُّ .. وحــدث أبو البرق الشاعر قال كان يجري عليّ أرزاقاً فدخلت عليه فقال بعد ان أنشدته كم عيالك تحتاج فى كل شهر من الدقيق الى كذا ومن الحطب الى كذا فأخبرني بشيء من أمر منزلي جهلت بعضه وعلمه كله .. وحدث بعض من كان في ناحيته قال رفعت اليه قصة أسأله فيها أجراً وأرزاقاً فقال كم عيالك فزدت فى العدد فقال كذبتَ فبهتُّ وقلت يانفس من أين علم أنى كذبت فأقمت سـنة أخرى لا أجسر على كلامه ثم رفعت اليه القصة فقال كم عيالك فقلت كذا قال صدقت ووقع فى القصة يجري علي عياله كذا وكذا .. ويقال ان كسرى أبَرْويز كان نصب رجلا يتعهن

به من فسدت عليه نيته من رعيته وطعن فى المملكة فكان الرجل يُظهر التألهَ والدعاء الى التخلّى من الدنيا والرغبـة فى الآخرة وترك أبواب الملوك وكان يقص على الناس ويُبكيهم ويشوب كلامه في خلال ذلك بذم الملك وتركه شرائع ملّته وسنن سيرته ودينه الذى كان عليه وكان هذا الرجل يمتثل ماحدّهُ له ابرويز ليمتحن بذلك خاصته وكان من يسمى يخبر ابرويز بذلك فيضحك ويقول فلان فى عقله ضُعف وأنا أعلم انه وان كان يتكلم بما يتكلم لايقصدني بسوء ولا المملكة بما يوهنها ويظهر الاستهانة بأمره والثقة به والطمأنينة اليه ثم يوجه اليه فى خلال ذلك من يدعوه فيأبى أن يجيبه ويقول لاينبغى لمن خاف الله أن يخاف أحـداً سواه فكان الطاعن على الملك والمملكة يكثر الخلوة بهذا الرجل والزيارة له والانس به فاذا خليا تذاكرا أمر الملك فابتدأ الناسك فطعن فيه وأعانه الخائن وطابقه على ذلك وشايعه فيقول الناسك اياك وان يظهر هـذا الجبار على كلامك فانه لايحتمل لك مايحتمله لي لخفه منه على دمك فيزدادالآخر اليه استنامة وبه ثقة فاذا علم الناسك انه قد بلغ من الطعن على الملك مايستوجب به العقوبة فى الشريعة قال لمن بحضرته اني قاعد غدا مجلساً للناس أقص عليهم فاحضروه ويقول لمن هو أشد به ثقة احضر أنت فانك رجل رقيق عند الذكر حسن النية ساكن الريح بعيد الصوت وان الناس اذا رأوك قد حضرت زادت نياتهم خيراً وسارعوا الى استجابتي فيقول الرجل انى أخاف من هـذا الجبار فلا تذكره ان حضرت وكانت العلامة بينه وبين أبرويز ان أبرويز قـد كان وضع عيوناً يحضرون مني جلس فكان الناسك يقص على العامة ويزهد فى الدنيا ويرغب فى الآخرة والخائن حاضر فيأخذ الناسك فى ذكر الملك فينهض الخائن وتجيء عيون أبرويز فتخبره بما كان فاذا زال الشك عنه في أمره وجهه الي بعض البلدان وكتب الي عامله قد وجهت اليك برجل وهو قادم عليك بعد كتابي هذا فأظهر بره والانس به والثقة اليه والسكون الى ناحيته فاذا اطمأنت به الدار فاقتله قتلة تحيي بها بيت النار وتصل بها حرمة النوبهارفان من فسدت نيته بغير علة فى الخاصة والعامة لم تصلح بعلة ومن فسدت نيته بعلة صلحت بخلافها .. قال وحدثنا الوضاح بن محمد بن عبد الله قال سمعت أبا بديل بن حبيب يقول كنا اذا خرجنا من عند أبي جعفر

المنصور صرنا الى المهدىّ وهو يومئذ ولى عهدٍ فقعدنا ذلك يوماً فأبرز لى المنصور يده فانكببت عليها فقبلتها فضرب يدى بيده فعلمت أنه لم يفعل ذلك الا لشئ فى يده فوضع فى يدى كتاباً صغيراً تستره الكف فلما خرجت قرأت الكتاب فاذا فيه اذا قرأت كتابى هذا فاستأذن الى ضياعك بالرىّ فرجعت فاستأذنت فقلت يا أمير المؤمنين ضياعى بالرى قد اختلّت ولى حاجة الى مطالعتها فقال لا ولا كرامة فخرجت ثم عدت اليه اليوم الثاني فكلمته فرد علىّ مثل الجواب الأول فقلت يا أمير المؤمنين انما أردت صلاحها لأقوى بها على خدمتك فقال اذا شئت فقلت يا أمير المؤمنين فلى حاجة أذكرها قال قل قلت أحتاج الى خلوة فنهض القوم وبقى الربيع فقلت أخلنى قال ومن الربيع قلت نعم فتنحى الربيع فقال ان جحدت لى بدمك ومالك فقلت يا أمير المؤمنين وهل أنا ومالي الا من نعمتك حقنتَ دمي ووردت علىّ مالى وآثرتني بصحبتك فقال انه يهجس فى نفسى ان المرّار بن جَهْور يهم بخلعي وليس لى غيرك لما أعرف بيكما فأظهر اذا صرتَ اليه الوقيعة فىّ والتنقص لي حتى تعرف ماعنده فاذا رأيته يهمّ بخلعى فاكتب الىّ ولاتكتبنّ على بريد ولا مع رسول ولا يفوتني خبرك في كل يوم فقد نصبت لك فلانا القطان فى دار القطن فهو يوصل كتبك قال فمضيت حتى أتيت الريّ فدخلت على مرّار فقال أفلتّ قلت نعم والحمد لله ثم أقبلت أؤانسه بالوقيعة فى المنصور حتى أظهر ماكان المنصور ظنّ به فكتبت اليه بذلك فلما وصلت منه الى ما أردت أتيت ضياعى ثم رجعت اليه بعد أيام فقال نجّاك الله من الفاجر قلت نعم وأرجو أن لا تقع عينه عليّ أبداً فكنت أعرّض به فيزيدني مما عنده ثم قال لي هل لك أن تخرج الى متنزّه طيب قلت نعم فخرجت أنا وهو نتساير حتى صرنا الي موضع مُشرف قد بنيت له عليه قبـة فأحدّ النظر الى ما هناك ثم قال يا أبا بديل أترى الفاجر يظن اني أعطيه طاعة أبداً ما عشت اشهد اني قد خلعته كما خلعت خفي هذا من رجلي قال فرجعت الى منزلى وأنا فى كل يوم أكتب بخبره قال وقد كنت أعددت تسعة فرسان من بني يربوع ورجلا من بني أسد فواطأتهم أن نبطش به وكتبت الى المَصْمغان أن يأتينا فى جنده الى الموضع الذى اتفقنا عليه قال وأخذ المرّار الدواء فى ذلك اليوم وسبق اليه الأسديّ بالخبر وقال احذر فقد اتخذ لك كيت وكيت قال فدخلت

عليه فاذا هو على كرسي فعرفت الشرّ في وجهه والمكر في نظره فقال هيه يا أبا بديل مع إكرامي لك أردت أن تقتلني قال فتضاحكت وقلت بلغ من مكره ان دس اليك هذا الاسدىّ لقد عملت فيك حيلته ثم حرّكه بطنه فقام الى الخلاء وقال لا ترم فلما ولّى وثبتُ وخرجت مسرعاً فقال الحاجب أسرعت قلت نعم في حاجة للأمير وركبت فرسي فرأيت القوم قد وافوا كلهم الا الأسدىّ فعلمت انه صاحبي فلما خرج سأل عني فأخبر بمضيي فوجه خيلا في طلبي قال اليربوعيون فدفعوهم ومضيت حتى صرت الى المصّمغان وكتبت الى أبي جعفر المنصور كتاباً مكشوفاً فكتب اني قد عرفت ما وصفته وقد صح الأمر ثم كتب الى خازم بن خزيمة فصار اليه حتى أخذه •• على بن بُريهة الهاشمي قال قال صاحب عذاب أبي جعفر دعاني أبو جعفر المنصور ذات يوم واذا بين يديه جارية صفراء وقد دعالها بأنواع العذاب وهو يقول لها ويلك أصدقيني فو الله ما أريد الا الالفة ولئن صدقتيني لأصلن الرحم ولأتابعن البرّ اليه واذا هو يسائلها عن محمد بن عبد الله وهي تقول ما أعرف مكانه ودعا بالدّهق وأمر به فوضع عليها فلما كادت نفسها أن تتلف قال أمسكوا عنها وكره ما رأى وقال لأصحاب العذاب ما دواء مثلها اذا صار الى مثل حالها قالوا الطيب تشمه والماء البارد يصب على وجهها وتسقى السويق فأمر لها بذلك وعالج بعضه بيده وقال لأصحاب العذاب ألا أعلمتموني بما ينالها فأكف عنها قالوا قد علمنا انها لا تقوى على هذا ولكنا هبناك فما زالوا يرددون عليها نفسها حتى أفاقت وأعاد عليها المسئلة فأبت الا الجحود فقال لها أتعرفين فلانة الحجامة فاسود وجهها وتغيرت فقالت نعم يا أمير المؤمنين تلك في بني سليم قال صدقت هي والله أمتي ابتعتها بمالي ورزقي يجرى عليها في كل شهر وكسوة شتائها وصيفها على أمرتها أن تدخل منازلكم وتحجمكم وتتعرف أخباركم ثم قال أوَ تعرفين فلانا البقال قالت نعم هو في بني فلان قال هو والله مضاربي بخمسة دنانير أمرته أن يبتاع بها كل ما يحتاج اليه من البيوع فأخبرني ان أمة لكم يوم كذا وكذا من شهر كذا صلاة المغرب جاءت تسأله حناء وورقا فقال لها ما تصنعين بهذا فقالت كان محمد بن عبد الله في بعض ضياعه بناحية البقيع وهو يدخل الليلة فأردنا هذا لتتخذ منه النساء ما يحتجن اليه عند دخول أزواجهن من المغيب فاسقط في يدها وأذعنت

بكل ما أراد .. قيل وان أبا جعفر كتب فى حمل عبد الله بن الحسن وأهل بيته من المدينة الى حضرته فلما أخرجوا كثر عليهم البكاء فقال عبد الله أفيقوا من البكاء وأوغلوا فى الدعاء فانى أشهد الله على ما أردت من إحياء الحق وإماتة الباطل فجرى القدر بما جرى لجدى الحسن والحسين قتلا بسم وسيف فالحمد لله الذى جعل منايانا جهاداً ولم يجعلها مهاداً .. وأخبرنا ابراهيم بن السندىّ بن شاهك وكان من العلماء بأمر الدولة قال قال لى المأمون نبئت انك عالم بأمر الدولة ورجال الدعوة قلت ذلك الذى يلزمنى يا أمير المؤمنين بعد الفرض أن أعرف أيام مواليّ ومحاسن ساداتى قال فهات ما عندك ثم أنشأ يحادثني ويسائلني عن أمور خفية لم تخطر ببالى قط فكان منها أن قال ما اسم أم قحطبة بن شبيب قلت لا أعلم قال لُبابة بنت سِنان ثم قال ما اسم أبى عَوْن قلت لا أدرى قال فلان فو الله مازال يسائلنى عن خفىّ أمر الدولة ولا يجد عندى جواباً ولا يزيدنى على التبسم فكلما فعل ذلك زاد في عينيّ وضعفت عند نفسي قال فكان آخر ما قال أخبرك ان بعض أهلنا ذات يوم رأت وهي حامل متمّ كانه أتاها آتٍ فى منامها فقال لها يولد في هذه الليلة خليفة ويموت خليفة ويستخلف خليفة فمات الهادى فى تلك الليلة واستخلف الرشيد وولدت أنا .. وعن ابراهيم بن السندىّ بن شاهك قال لما اختار يحيى بن أكثم العشرة من الفقهاء وأحضرهم مجلس المأمون لمذاكرة الفقه جعل له يوماً فى الجمعة يحضرون مجلسه فقال لي المأمون يا ابراهيم احضر فلست بدون أكثرهم فكنت أحضر وكان قد اختار من أيام الجمعة يوم الثلاثاء قال فحضرت يوماً فلما أمسك المأمون عن المسائل نهض القوم وكان ذلك اذنه بانصرافهم فوثبت معهم فقال بيده مكانك يا ابراهيم فقعدت وقام يحيى وساءه تخلفى فقال لى ودخل ابراهيم بن المهدي هات ذكر من فى عسكرنا ممن يطلب ماعندنا بالرياء فقلت ما عندى وقال ابراهيم ما عنده فقال ما أرى عند أحد ما يبلغ ارادتى ثم أنشأ يحدث عن أهل عسكره حتى والله لو كان قد أقام فى رحل كل رجل حولا لما زاد على معرفته وقال انه كان مما حفظت عنه فى ثلب أصحابه انه قال تسبيح حُميد الطوسيّ وصلاة قحطبة وصيام النوشجانى ووضوء بِشر المريسى وبناء مالك بن شاهك المساجد وبكاء ابراهيم بن بريهة على المنبر وجُمع الحسين بن قريش

اليتامى وقصص مرجاً وصدقة علىّ بن هشام وحملان اسحاق بن ابراهيم في سبيل الله وصلاة أبي رجاء الضحى فقال لي رجل من عظماء العسكر حين خرجنا من الدار هل رأيت أو سمعت قط ملكا أعلم برعيته وأشد تنقيراً من هذا قلت اللهم لا فحدثت بهذا الحديث بعض أهل الخطر فقال وما تصنع بهذا وقد كتب الى اسحاق بن ابراهيم فى الفقهاء بعمائمهم رجلا رجلا حتى انه أعلم بما فى منازلهم منهم . . قال وحدثنا سليمان بن على النوفلىّ قال سمعت عمرو بن مسعدة يقول قال لنا المأمون يوماً من الأيام من أنبل من تعلمون نبلا وأعفهم عفةً قال فقلنا وأكثرنا فبعضنا مدحه وقرظه وقدمه على كل خليفة وامام وعددنا ما نعرف من مكارم الاخلاق فقال ما كمل المناقب الا لبني هاشم غير انا لم نردها ولا أردنا خلفاءها قال على بن صالح أعرف القصة فى عمر بن الخطاب رحمه الله فأشار بوجهه وأعرض وذكر كلاماً ليس من جنس هذا الكتاب فذكره ثم قال ذلك والله أبو العباس عبد الله بن طاهر دخل مصر وهي كالعروس الكاملة فيها خراجها وبها أموالها جمة ثم خرج عنها فلو شاء الله أن يخرج عنها بعشرة آلاف ألف دينار لفعل ولقد كان لي عليه عين ترعاه فكتب الىّ انه عرضت عليه أموال لو عرضت علىّ أو بعضها لشرهت اليها نفسى فما علمته خرج عن ذلك البلد الا وهو بالصفة التي قدمه فيها الا مائة ثوب وحمارين وأربعة أفراس فمن رأى أوسمع بمثل هذا الفتي فى الاسلام فالحمد لله الذى جعله غرس يدى وخريج نعمتى . . وقال بشر بن الوليد كان والله المأمون الملك حقاً ما رأيت خليفة قط كان الكذب عليه أشد منه على المأمون وكان يحتمل كل آفة تكون بالانسان الا الكذب قال فقال لي يوماً صف لى أبا يوسف القاضى فانى لم أره فوصفته له فاستحسن صفته وقال وددت أن مثل هذا بحضرتنا فنتزين به ثم أقبل علىّ وقال ما فى الخلافة شئ الا وأنا أحسن أن أدبره وأبلغ منه حيث أريد وأقوى عليه الا أمر أصحابك يعنى القضاة وما ظنك بشئ يتحرّج منه علىّ بن هشام ويتوقى سوء عاقبته ويتكالب عليه الفقهاء وأهل التصنع قال قلت ياأمير المؤمنين وما أدرى ما تقصده فأجيب عنه قال لكنى أدريه وأدريك ولا والله ما تجيبنى عنه ولا فيه بجواب مقنع ثم قال ولّينا رجلا أشرت به قضاء الأبلّة وأجرينا عليه فى الشهر ألف درهم وماله صناعة ولا

تجارة ولا كان له مال قبل ولايتنا اياه .. وولينا رجلا آخر قضاء دمشق وأجرينا عليه ألف درهم فى الشهر أشار به الىّ محمد بن سماعة فأقام بها أربعة عشر شهراً فوجهنامن يتبع أمواله فى السر والعلانية ويتعرف حاله فأخبر انه وجد ماظهر من ماله فى هـذا المقدار من دابة وغلام وجارية وفرش وأثاث قيمته ثلاثة آلاف دينار وولينا رجلاأشار به الىّ فلان نهاوَند فأقام بها أربعة وعشرين شهراً فوجهنا من يتبع أمواله فأخبرنا ان فى منزله خدماً وخصياناً بقيمة ألف وخمسمائة دينار سوى نتاج قد اتخذه فهات ماعندك من الجواب فقلت ما عنـدى يا أمير المؤمنين جواب قال ألم أعلمك ثم قال وأكبر من هذا وأطم انى فزعت الى على بن هشام فى رجل أوليه القضاء فقال قد أصبت واحداً والله يشهد انه سرّنى ورجوت أن يكون بحيث أحبّ قلت فاغدُ به علىّ قال أفعل ثم غدا فقلت أين الرجل فقال لم أجده فى الفقه بالموضع الذى يجب أن يتصل صاحبه بأمير المؤمنين قال فأنكرت عليه وأظهرت الغضب فقال يا أمير المؤمنين ان الرجل الذي ذكرتُه لك بالأمس هو علىّ بن مقاتل وكان عندى من أهل العفاف والستر فانصرفت بالأمس على أن أحضره فوجهت اليه وأنا لا أشك انه سيظهر الكراهية فى ما أراد له أمير المؤمنين وان كان يستبطن غيرها ويستعفى كفعل من يتصنع أو يكره ذلك بالحقيقـة فلما جاءني ألقيت اليه الذي أردته له فما تمالك ان وثب فقبّل رأسي فعلمت انه لا خـير عنده وانه لو كان من أهل الفضل والخير لعد الذى دُعِيَ اليه احدى المصائب فلم أر لنفسي ان أحضره ولا ان يسـتعان بمثله فقلت جزاك الله خـيراً عن امامك أحسن ماجزى امرأ عن امامه وعن ديـك ونفسك قال بشر فبهتُّ وانقطعتُ ولم آحِرْ كلمةً فقال لا ولكن انأردت العفيف النظيف الزاكي التقي الطاهر فقاضى الرّيّ هو بالحالة التي فارقتُه عليها والله ماغيّر ولا بدّل فأما قولكم فى يحيى بن أكثم فما ندري ماعيبه إلا ان ظاهره انه أعف خلق الله عن الصفراء والبيضاء حمل الينا من أموال الحشوية أربعمائة ألف دينار فأي نفس تَسخُو بهذا قال بشر فقلت ياأمير المؤمنين مالك فى الخلفاء شبيه إلاّ عمر بن الخطاب فانه كان يفحص عن عمّاله وعن دفين أسرار حُكامه فحصاً شافياً فكان لايخفى عليه ما يُفيدُ كل امريء وما ينفق وكان من نأى عنه كمن دنا منه فى بحثه

وشقيره فقال المأمون ان أهم الأمور كلها أمور القضاة والحكام إذ كانا قد ألزمناهم النظر في الدماء والأموال والفروج والأحكام فوددت إني أجد مائة حاكم وإني أجوع يوماً وأشبع يوماً ٠٠ حمدون بن اسماعيل النديم قال حضر العيد فعبى المعتصم بالله خيله تعبية لم يسمع بمثلها ولم يُرَ لأحد من ولد العباس شبيه بها وأمر بالطريق فمد من باب قصره الى المصلى ثم قسم ذلك على القوّاد وأعطى كل واحد منهم مصافّه فلما كان قبل الفطر بيوم حضر القوّاد وأصحابهم في أجمل زي وأحسن هيئة فلزموا مصافّهم منذ وقت الظهر الى ان ركب المعتصم بالله الى المصلى فكان الموضع الذي وقع لابراهيم ابن المهدي من بعد الحرّبيّ بحذاء مسجد الخوارزمي وابراهيم واقف وأصحابه في المصاف فلما أصبح المعتصم أمر القوّاد الذين لم يرتبوا في المصاف بالمصير الى المصلّى على التعبية التي حدها ولبس ثيابه وجلس على كرسي ينتظر مُضيّ القوّاد فلما انقضى أمرُهم تقدم الى الرجالة في المسير بين يديه فتقدم منهم سبعة آلاف ناشب من الموالي كل ثلاثمائة منهم في زي مخالف لزي الباقين وأربعة آلاف من المغاربة وأمر الشيعة فكانوا وراءه بالأعمدة وعدتهم أربعة آلاف وركبتُ لا أدرى منزلتى أين هي ولا أعرف مرتبتي ولم أعلم أين أسير من الموكب فلما وضع رجله في الركاب واستوى على سرجه التفت اليّ وقال ياحمدون كن أنت خلفي فلزمت مؤخر دابته فلما خرج من باب القصر تلقاه القوّاد وأصحاب المصاف يخرج الرجل من مصافه فاذا قرب نزل وسلم عليه بالخلافة فيأمره بالركوب ويمضي حتى وصل الى ابراهيم بن المهدي فنزل وسلم عليه بالخلافة فرد عليه السلام فقال كيف أنت يا ابراهيم ، كيف حالك وكيف كنت في أيامك اركب فركب فلما جاوزه التفت اليّ فقال ياحمدون قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال تذكر قلت أى والله ياسيدي وأمسك فنظرت في ماقال فلم أجدني أذكر شيئاً في ذلك الموضع مما يشبه ما كنا فيه فغص عليّ يومي وما رأيت من حسنه وسروري بالمرتبة التي أحلّني بها وقلت الخلفاء لايعاملون بالكذب ولا يجوز أن يسألني عند انصرافي عن هذا الأمر فلايكون لي عندي جواب ولاحقيقة وتخوّفتُ أن ينالني منه مكروه فلم أزل واجماً في طريقي الى وقت انصرافه ثم أجمعت على مغالطته ان أمكنني وأعمل الحيلة في التخلص ان يسألني

فلما استقر في مجلسه وبسط السماط وجلس القوّاد على مراتبهم للطعام أقبلت أخدم وأختلف ليست لي همة غير ما كان قاله لي لا أغفل عن ذلك حتى انقضى أمر السماط ورفع الستر ونهض أمير المؤمنين ودخل الحجرة ومضى الى المرقد فلم ألبث ان جاء الخادم وقال لي أجب أمير المؤمنين فمضيت فلما دخلت ضحك اليّ وقال ياحمدون رأيت قلت نعم ياسيدى قد رأيت فالحمد لله الذي بلغ بي هذا اليوم وأرانيه فما رأيت ولا سمعت لأحد من الخلفاء والملوك بأجل منه ولا أبهى ولا أحسن قال ويحك رأيت ابراهيم بن المهدى قلت نعم ياسيدى قال رأيت سلامه عليّ وردّى عليه ونزوله اليّ قلت نعم فقال انه لما كان من أمره ما كان يعني الخلافة قسم الطريق في يوم عيد من منزله الى المصلى كقسمي إياه في هذا اليوم بين قوّاده فوقع موضعي منه الموضع الذي كان به هذا اليوم فلما حاذاني نزلت فسلمت عليه فرد عليّ مثل مارددته حرفاً حرفاً على ما قال لي قال فدعوت له وانفرج عني ما كنت فيه وتخلى عني الغم والكرب ثم قال ياحمدون إني لم آكلْ شيئاً وأنا أنتظر أن تأكل معي فامض الى حجرة الندماء فانك تجد ابراهيم هنالك فاجلس اليه وعابثه وضاحكه وأجر له هذا الحديث وقل له انك رأيته في ذلك اليوم فعل بي فعلي به في هذا اليوم وانظر الى وجهه وكلامه وما يكون منه فعرفنيه على حقيقته واصدقني عنه وعجل ولا تحتبس قلت نعم ياسيدي فمضيت وقد دُفعت الى أغلظ مما كنت فيه لعلمي بان ابراهيم لو كان من حجرٍ لأثر فيه هذا القول وتغيّر وظهر منه ما يكره وخفت أن يكون يأتي بما يسفك به دمه فمضيت حتى دخلت الحجرة فجلست الى ابراهيم وفعلت ما أمرني به وأنا مبادر خوفاً من خادم يلحقني أو رسول فلا يمكنني معه تحسين الأمر وما يظهر لي منه فقلت لابراهيم كيف رأيت ياسيدى هذا اليوم أما أعجبك حسنه وما كان في تعبية أمير المؤمنين قال بلى والله انه أعجبني فالحمد لله الذي بلغنيه وأرانيه وأطنب في الدعاء للمعتصم فلما أمسك قلت ياسيدى أذكرك في أيامك وقد ركبت فعبيت شبيها بهذه التعبية وقسمت الطريق مثل هذه القسمة فوقع لأمير المؤمنين الموضع الذى وقع لك واجتزت به فنزل اليك وسلم فرددت عليه كرده عليك في هذا اليوم قال لا والله ان كان إلا أن قلتُ حتى اربدّ لونه وجف ريقه واعتقل لسانه وبقي لايتكلم بحرف ظننا

ثم قال بلسان ثقيل لكأني في ذلك الموضع فى ذلك اليوم فالحمد لله للذى رأيته لأمير المؤمنين فعل الله به وفعل قال فتغنمت ذلك وقمت وأنا ألتفت ونهضت حتى أتيت المعتصم فقال لي هيه ياحمدون فقلت يا أمير المؤمنين أتيت ابراهيم وقلت له ما أمرتني به فأظهر سروراً ودعا وقال كيت وكيت فقال والله قلت والله قال بحياتي قلت وحياتك يا أمير المؤمنين قال فكيف رأيت وجهه فلم أدر ما أقول فقلت يا أمير المؤمنين بالله لما تركتني من وجه عمك الذى لا يتبين فيه فرح ولا حزن فاستضحك ثم أمسك وتخاص ابراهيم ودعا بالطعام فأكلا ثم رقد فلما انتبه وجلس دعا بابراهيم وسائر الندماء فشرب وبر ابراهيم وألطفه

مساوى التيقظ وتركه

قيل لبعض بني أمية ماكان سبب زوال ملكهم فقال قلة التيقظ وشُغلنا بلذاتنا عن التفرغ لمهماتنا ووثقنا بكُفَاتنا فآثروا مرافقهم علينا وظَلَم عُمّالنا رعيتنا ففسدت نياتهم لنا وحُمِلَ على أهل خراجنا فقلّ دخلُنا وبطل عطاء جُندنا فزالت طاعتهم لنا واستدعاهم أعداؤنا فاعانوهم علينا وقصدنا بغاتنا فعجزنا عن دفعهم لقلة نُصّارنا وكان أول زوال ملكنا استتار الأخبار عنّا فزال ملكنا عَنّا بنا

محاسن الرسل

يقال ان ملوك العجم كانت اذا احتاجت الى أن تختار من رعيتها من تجعله رسولا تمتحنه أولا بأن توجهه الى بعض خاصتها ثم تقدم عيناً على الرسول يحضر مايؤديه من الرسالة ويكتب كلامه فاذا رجع الرسول بالرسالة جاء العين بما كتب من ألفاظه وأجوبته فقابل بها الملك ألفاظ ذلك الرسول فان اتفقت معانيها عرف بها الملك صحة عقله وصدق لهجته ثم جعله رسولا الى عدوه وجعل عليه عيناً يحفظ ألفاظه ويكتبها ثم يرفعها الى الملك فان اتفق كلام الرسول وكلام عين الملك وعلم ان رسوله قد صدقه عن عدوه ولم

يزد عليه جعله رسولا الى ملوك الأمم ووثق به ثم بعد ذلك يقيم خبره مقام الحجة ويصدّق قوله •• وكان اردشير يقول كم من دمٍ سفكه الرسول من غير حله ولا حقه وكم من جيوش قد قُتلت وعساكر قد انتهكت ومال قد انتهبَ وعهد قد نُقض بخيانة الرسول وأكاذيبه وكان يقول على الملك اذا وجه رسولا الى ملك آخر أن يردفه بآخر وإن وجه رسولين اتبعهما بآخرين وان أمكنه أن لا يجمع بينهما فى طريق ولا ملاقاة والاّ يتعارفان فيتفقا ويتواطآ فى شيء فعل ••ثم عليه ان أتاه رسول بكتاب أو رسالة من ملك فى خير أو شر أن لا يحدث حدثاً فى ذلك حتى يكتب اليه مع رسول آخر ويحكي به كتابه الاول حرفاً حرفاً فان الرسول ربما خرق ما أُمِلّ عليه وافتعل الكتب وحرض المرسل على المرسل اليه وأغراه به وكذب عليه ومنها قال أبو الأسود وقد سمع رجلا ينشد

إذا كنتَ فِى حاجةٍ مُرْسِلاً فأرسلْ حَكيما ولا تُوصِهِ

فقال قد أساء القول أيعلم الغيب اذا لم يوصه كيف يعلم ما فى نفسه ألا قال

إذا أرسلتَ فى أمرٍ رَسولاً فأفهِمْهُ وأرسِلْهُ أديبَا

ولا تـترُكْ وصيتَه بشيءٍ وان هو كان ذا عقل أريبَا

وان ضَيَّعت ذاك فلا تلمهُ على أن لم يكن عَلِمَ الغيوبا

وقال يحيى بن خالد البرمكي ثلاثة أشياء تدل على عقول الرجال الهدية والرسول والكتاب

مساوى الرسول

وحكى عن الاسكندر انه وجه رسولا الى بعض ملوك المشرق فجاءه رسوله برسالة فشك فى حرف منها فقال له الاسكندر ويحك ان الملوك لا تخلو من مقوّم ومسدّد اذا مالت بطانتها وقد جئتنى برسالة صحيحة الألفاظ بينة العبارة غير ان فيها حرفاً ينقضها أفعلى يقين أنت من هذا الحرف أو أنت شاكّ فيه فقال الرسول بل على يقين قال فأمر

الاسكندر أن تكتب ألفاظه حرفاً حرفاً وتعاد الى الملك مع رسول آخر فيقرأ عليه ويترجم له فلما قرأ الكتاب على الملك فمرّ بذلك الحرف أنكره فقال للمترجم ضع يدى على هذا الحرف فوضعها فأمر أن يقطع ذلك الحرف بسكين فقطع من الكتاب وكتب الى الاسكندر رأسُ المملكة صحة فطنة الملك وأُسّ الملك صدق لهجة رسوله اذ كان عن لسانه ينطق والى أذنه يؤدى وقد قطعت بسكينى مالم يكن من كلامي اذ لم أجد الى قطع لسان رسولك سبيلا فلما جاء الرسول بهذا الى الاسكندر دعا الرسول الأول فقال ما حملك على كلمة أردت بها فساد مَلكين فأقر الرسول ان ذاك كان لتقصير رآه من الموجه اليــه قال الاسكندر فأراك سعيت لنفسك لا لنا فلما فاتك بعض ما أملت جعلت ذلك ناراً فى الأنفس الخطيرة الرفيعة ثم أمر بلسانه فنزع من قفاه

محاسن الحجاب

يقال ان ملوك العجم كانت تأخذ أبناءها بأن يعاملوها بما تعامل به عبيدها وان لا يدخل أحد من الولد عليها الا عن اذنها وان يكون الحجاب عليهم أغلظ منهــم على من دونهم من بطانتها وخدمها لئلا تحملهم الدالّة على تعدّى ميزان الحق فانه يقال ان يزدجرد رأى بَهرام بموضع لم يكن له فقال له مررت بالحاجب قال نعم قال وعلم بدخولك قال نعم قال فاخرج اليه فاضربه ثلاثين سوطاً ونحه عن الستر ووكل بالحجاب ازاذمرد ففعل بهرام ذلك وهو اذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة ولم يعلم الحاجب فيم غضب عليه الملك فلما جاء بهرام بعد ذلك أن يدخل دفع ازاذمردُ فى صدره دفعة أوقذه منها وقال له ان رأيتك بهذا الموضع ضربتك ستين سوطاً لجنايتــك على الحاجب الاول ثلاثين وثلاثين لئلا تطمع فى الجناية علىّ فبلغ ذلك يزدجرد فدعا بازاذمرد فخلع عليه ووصله •• ويقال ان يزيد بن معاوية كان بينه وبين أبيه باب فكان اذا أراد الدخول عليه قال لبعض جواريه انظرى هل تحرك أمير المؤمنــين فجاءت الجارية حتى فتحت الباب ومعاوية قاعدٌ فى حجره مصحف وبين يديه جاريةٌ تصفح عليه فأخبرت يزيد بذلك فجاء يزيد حتى دخل

على معاوية فقال يا بني انما جعلتُ بيني وبينك باباً كما بيني وبين العامة لتدخل عليّ وقت اذنك فهل ترى أحداً يدخل عليّ من ذلك الباب قال لا قال فكذلك انت •• وذكروا أن موسى الهادي دخل على المهدي وهو خليفة فزبره الحاجب وقال إياك أن تعود الى مثلها الا باذن أمير المؤمنين لخاصته •• وذكروا ان المأمون لما اشتدّ به الوجع سأله بعض بنيه الحاجب أن يدخله عليه ليراه فقال لا والله ما الى ذلك سبيل ولكن ان شئت أن تراه من حيث لا يراك فاطلعْ عليه من ثقب في ذلك الباب فجاء حتى اطلع عليه وتأمله وانصرف •• وحكي عن إيتاخ انه بصر بالواثق في حياة المعتصم واقفاً في موضع لم يكن له أن يقرب منه ولا ان يقف به فزبره وقال تنح فوالله لولا اني لم أتقدم اليك لضربتك مائة سوط •• وكانت الاعاجم تقول ما شيء أضيع للمملكة ولا أضيع للرعية من صعوبة الحجاب ولا شيء أهيب للرعية من سهولة الحجاب لان الرعية اذا وثقت من الوالي بسهولة الحجاب أحجمت عن الظلم واذا وثقت منه بصعوبة الحجاب هجمت على الظلم وركب القويّ منهم الضعيف فخيرُ خلال السلطان سهولة الحجاب •• قال وقال خالد ابن عبد الله القسريّ لا يحجب الوالي الا لثلاث خصال اما رجل عَيّ فهو يكره أن يعرف الناس منه ذلك واما رجل مشتمل على سوءة فهو يكره أن يطلع الناس منه على ذلك واما رجل يكره مسألة الناس اياه •• قيل واستأذن أبو سفيان بن حرب على عثمان ابن عفان رحمه الله فحجبه فقيل له حجبك أمير المؤمنين فقال لا عدمت من قومي مَن اذا شاء حجبني •• قال وقال الرشيد لبشر بن ميمون لما ولاه الحجبة يا بشر صُنْ طلاقة اسمك بحسن فعلك واحجب عني من اذا قعد أطال واذا طلب أجال فكرِّهْ ولا تستخِفَّنّ بذوي المروءة والحرمة فانهم ان مُدِحوا تلبّوا وان ذُمّوا أزالوا •• وذكروا عن الربيع الحاجب ان المنصور دعا محمد بن عيسى بن عليّ الى الغداء فقال يا أمير المؤمنين قد أكلت فلما خرج أخذه الربيع وحمله على ظهر رجل وضربه كما تضرب الصبيان فظن أهل بيته ان المنصور أمره بذلك فخرج يبكي الى أبيه فجاء أبوه عيسى بن عليّ فخلع سيفه بين يدي المنصور وصاح فقال ما أمرت بذلك ولم يفعل الربيع ذلك الا لأمر فلما سئل الربيع عن ذلك قال أمرته أن يتغدى معك فقال قد أكلت وانما دعوته لتشرفه

وترفع منه ولم تدعه لتشبعه فأدبته اذ لم يؤدبه أبوه فقال المنصور أحسنت قد علمت انك لا تخطئ ٠٠ قال وقال المهدي للفضل بن الربيع حين ولاه الحجبة اني موليك ستر وجهي وكشفه فلا تجعل الستر بيني وبين الناس سبب ارافة دمائهم بعبوس وجهك في وجوههم فان لهم دالّة الحرمة وحرمة الاتصال وقدّم أبناء الدعوة وثنّ بالأولياء واجعل للعامة وقتاً اذا وصلوا أعجلهم ضيقه عن التلبث والتمكث ٠ وكان أول من حجبه الحسن بن عثمان ثم الفضل بن الربيع وكان الهادي ولى حجبته الفضل بن الربيع بعد الربيع وقال له لا تحجب عني الناس فان ذلك يزيل عني التزكية ولا تلق اليّ أمراً اذا كشفته وجدته باطلا فان ذلك يوهن الملك ويضر بالرعية ٠٠ قيل وقال الواثق لابن أبي دؤاد من أولى الناس بالحجبة فقال مولى شفيق يصون بطلاقة وجهه من ولاه ويستعبد الناس لمولاه فنظر الى إيتاخ وكان واقفاً على رأسه فقال قد ولاك أبو عبدالله الحجبة فكان ايتاخ يعرف ذلك له ويتقدم بين يديه الى أن يبلغ مرتبته ٠٠ قال وقال رجل لزياد ان حاجبك انما يبدأ بالاذن لمعارفه فقال قد أحسن المعرفة تنفع عند الكلب العقور والأسد الهصور وبين الحي البعير الصؤول كن من معارفه فقد قيل التعارف نسب وقبح الله معرفة لا تنفع ٠٠ وكان ليحيى بن خالد حاجب قبل الوزارة فلما صار الى الوزارة رأى كأنه تثاقل عن حجابته فقيل له لو اتخذت حاجباً غيره قال كلا هذا يعرف اخواني القدماء ٠٠ وقال الشاعر في مثله

هَشٌّ اذا نَزَلَ الوُفود ببابهِ   سَهلُ الحجابِ مؤدَّبُ الخدّامِ
واذا رأيتَ شقيقهُ وصديقَهُ   لم تدرِ أيهما أخو الأرحامِ

وقال خيط القنديل في محمد بن عبد الله بن طاهر

يا أيُّها الملكُ المحجوبُ آمِلُهُ   وراءَ بابكَ همٌّ غيرُ مُشترَكِ
وكم أقولُ فلا يُجدِي فينجدُني   ولا أرى مُدْنياً من قبةِ الملكِ
وقد تحصَّنَ مِني في مُحصَّنَةٍ   خلقاءَ خلفَ وشيجِ السُمْرِ والحسَكِ
أصبحتَ كالشمسِ لا تخفى على أحدٍ   لكنَّ مَطلَعَها في سُرَّةِ الفلكِ
ياليتَ ريحَ سليمانٍ مسخرَةٌ   اليهِ تحملُني أو منكِبَيْ مَلكِ

فَلَستُ دُونَ أُناسٍ كان سَهمُهُمُ سَهمَ النجيحِ فنالوا غايةَ الدَّرَكِ
فانْ ظُلمتُ ولم أُنصَفْ فقد ظُلمَتْ بِنتُ النبيِّ كما قد قيلَ في فدَكِ

مساوى الحجبة

قال ثمامة جلس المأمون يوماً وقد حضر الناس فأمر عليّ بن صالح بادخال اسماعيل ابن موسى فغلط وأدخل اسماعيل بن جعفر وكان المأمون من أشد الناس له بغضاً فرفع يده الى السماء فقال اللهم أبدلني بعليّ بن صالح مطيعاً ناصحاً فانه بصداقته لهذا آثر هواه على هواى فلما دنا قبّل يده فقال هات حوائجك فقال ضيعتي بالفتنة قُهرتها وغُصبتُ عليها فأمر بردها عليه ثم قال اذكر حاجتك فقال دينٌ كثير قد لحقني في جفوة أمير المؤمنين اياى فأمر بقضاء دينه وقال حاجتك قال يأذن لي أمير المؤمنين في الحجّ قال قد أذنا لك وحاجتك أيضاً قال وَقفُ أبي كان في يدى فأُخرج عنى قال يرد عليك ان رضى ورثةُ أبيك ثم قال الذي أمكننا في أمرك قد جدنا به ووقف أبيك الى ورثته ثم قال لعليّ بن صالح يا عبد الله مالى ولك متى رأيتني أنشط لاسماعيل بن جعفر وهو صاحبي بالأمس بالبصرة قال يا أمير المؤمنين ذهب عنى اسماعيل بن موسى قال ذهب عنك ما كان يجب عليك حفظه وحفظت ما كان يجب أن لا تحفظه فأما اذ أخطأت فلا تعلم اسماعيل بن جعفر القصة فظن انه عنى اسماعيل بن موسى فأخبر اسماعيل بن جعفر حرفاً حرفاً فأذاعها اسماعيل وبلغ المأمون فقال الحمد لله الذي وهب لي هذه الاخلاق التي أحتمل عليها عليّ بن صالح وأبا عمران الطوسيّ وحميد بن عبد الحميد ومنصور بن النعمان ٠٠ وحدثنا مسعود بن بشر عن ابن داجة قال خرج الينا يعقوب بن داود من عند المهديّ ونحن على بابه فقال ما صدر هذا البيت

* ومُحترَسٌ من مثلِهِ وهو حارِسُ *

فان أمير المؤمنين سأل عنه فلم يكن عند أحد منهم جواب فقلت أنا أخبرك قال البردخت الشاعر والبردخت الفارغ بالفارسية

أَقَلِّي عليَّ اللَّوْمَ يا أُمَّ مالكٍ   وذُمّي زماناً سادَ فيهِ الفلافِسُ

وساعٍ إلى السلطانِ ليس بناصِحٍ   ومُحتَرِسٍ من مثله وهو حارِسُ

الفلافس من بني نهشل بن دارم كوفيّ وكان على شرطة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزوميّ •• وقال الأشهب بن رميلة النهشليّ

ياحارِ ياابْنَ أبي رَبيعةَ انه   يَزْني اذا اختلط الظلامُ ويشرَبُ

جعلَ الفلافسُ حاجبين لبابِه   سبحان من جعل الفلافسَ يَحجُبُ

فدعا به الحارث وقال قد علمت انه كذب عليك ولكن لا حاجة لي فيك فاخرج عني

وقال الشاعر في مثله

سأَترُكُ هذا البابَ مادامَ إذنُهُ   على ما أرى حتى يلينَ قليلاَ

اذا لم نجدْ للاذنِ عندكَ موضعاً   وجدْنا إلي تركِ المجيءِ سَبيلا

•• وقال آخر

سأتركُ باباً أنت تملكُ إذنهُ   وان كنتُ أعمى عن جميعِ المسالكِ

فلو كنتَ بوابَ الجنانِ تركتُها   وحوّلتُ رجلي مُسرعاً نحوَ مالكِ

وكتب أبو العتاهية الي أحمد بن يوسف

لئنْ عُدتُ بعدَ اليومِ اني لظالمُ   سأصرفُ وجهي حيث تُبتغَى المكارمُ

متى يَنجحُ الغادي لديك بحاجةٍ   ونصفُكَ محجوبٌ ونصفُكَ نائمُ

وكتب رجل الى عبد الله بن طاهر

اذا كانَ الجوادُ لهُ حجابٌ   فمافضلُ الجوادِ على البخيلِ

•• فأجابه

اذا كان الجوادُ قليلَ مالٍ   ولم يقدر تعلّل بالحجابِ

وكتب عبد الله بن محمد بن أبي عُيينة الى صديق له

أتيتكَ زائراً لقضاء حقٍّ   فحالَ السِترُ دونَكَ والحِجاب

ولستُ بساقطٍ في قدرِ قومٍ   وان كَرِهوا كما يقعُ الذبابُ

وقال آخر

وأحضرُ بابَ ابراهيم جهلاً ... بما فيه وأرشو الحاجبين
فأخرج ان خرجتُ بغير شيءٍ ... وأدخلُ ان دخلتُ بدرهمين

وقال آخر

يدلُّ على انه كاتبٌ ... سوادٌ بأظفاره راتبُ
فان كان هذا دليلٌ له ... فإسكافنا كاتبٌ حاسبُ
حجابٌ شديدٌ لأبوابه ... وليس لباب استه حاجبُ

•• وقال آخر

لقلعُ ضرسٍ وضنكُ حبسٍ ... ونزعُ نفسٍ وردُّ أمسِ
وأكلُ كفتٍ وضيقُ خفتٍ ... وفقدُ إلفٍ وألفُ فلسِ
وقودُ قردٍ ونسجُ بردٍ ... ودبغُ جلدٍ بغير شمسِ
وشربُ سمٍّ وقتلُ عمٍّ ... وكلُّ غمٍّ ويومُ نحسِ
ونفخُ نارٍ وحملُ عارٍ ... وبيعُ جارٍ بربع فلسِ
أيسر من وقفةٍ ببابٍ ... يلقاك بوابُه بعبسِ

وقال أيضاً

لما رأيتك ذاهباً ... ورأيتني أجفى ببابك
عدَّيتَ رأسَ مطيتي ... وحجبتُ نفسي عن حجابك

•• وقال آخر

لئن كانَ التشرُّفُ في الحجابِ ... لقد أصبحتَ في الشرفِ اللبابِ
لقد عاتبتُ نفسي في وقوفي ... فقلتُ لها وقفتِ بأيِّ بابِ
ببابٍ تُسلبُ الموتى عليه ... ويُستَلبُ العُراقُ من الكلابِ

منصور بن باذان

أمَا وزَمْزُ ابنِ شيبَهْ ... وقُبحُ لحيةِ عُتْبَهْ
كأنما شَعرُ قردٍ ... مُلصقٌ حولَ ذَنْبَهْ
وَوجهُهُ حينَ يبدُو ... كَقُبحِ أوَّلِ شَرْبَهْ

لئنْ أطلْتَ حجابي ما أنتَ إلاّ ابنُ قحبَهْ
وكيفَ تبني المعالي يانجلَ كلبٍ لكلبَهْ
وهلْ يكونُ كريماً ياقومِ حمّالُ قِرْبَهْ

وله أيضاً

ياذا الذي قصّرَ في مجدِهِ وزادَ في عِدّةِ حُجّابِه
أقسمتُ لاأقربُ بابَ امرئٍ يحجُبني البوّابُ عنْ بابِه
فأدخلَ اللهُ رُوَيْسَ امرئٍ يحجُبُ مثلي في اُستِ بوّابِه

ولأبي عبد الله مريقة في عليّ بن أحمد المعروف بابن الحواري شاعر وكان حجبه فتعرّض له وقد ركب فقال

أسَلُ الذي صرَفَ الأعنّـةَ بالمواكبِ نحوَ بابكَ
وأراكَ نفسَكَ دائماً مالَمْ يكنْ لكَ في حسابِك
وأذَلّ موقفيَ العزيـزَ عليّ في أقصى رِحابِك
ألاّ تُطيلَ تجرعي غُصَصَ المنيّةِ من حجابِك

***

محاسن الولايات

قال ابراهيم بن السندي بعث اليّ المأمون فأتيته فقال ياابراهيم اني أريدك لأمر جليل والله ماشاورت فيه أحداً ولاأشار بك أحد فاتق الله ولاتفضحني فقلت ياسيدي لو كنت شر خلق الله ماتركت موضع قادح فكيف ونيتي في طاعة أمير المؤمنين نية العبد الذليل لمولاه قال قد رأيت ان أوليك خبر ماوراء باب داري فانظر ان تعمل بما يجب عليك لله جل وعزّ ولي ولا تراقب أحداً فقلت ياسيدي فاني أستعين بالله عز وجل على مرضاته ومرضاتك فبعثت أصحاب الأخبار في الأرباع ببغداد فرفع اليّ بعضهم ان صاحب ربع الحوض أخذ امرأة مسلمة مع رجل نصراني من تجار الكرخ فافتدى نفسه بألف دينار فرفعت اليه ذلك فدعا عبد الله بن طاهر فقال له انظر في هذا الذي

رفعه صاحب الخبر فقرأه وقال رفع يا أمير المؤمنين الباطل والزُور وأغراك بي فعمل
قوله فيّ وملأ قلبك فبعث اليّ وقال يا ابراهيم ترفع اليّ الكذب وتحاملني على عمّالي فكتبت
رُقعةً دفعتها الى فتح الخادم ليوصلها اليه قلت فيها انما يحضر الأخبار في الأرباع المرأة
والطفل وابن السبيل وغير ذلك ولو كانت الأخبار لا ترفع إلاّ بشهود عدول ما صح
خبر ولا كتب به ولكن مَجْرَى الأخبار أن يحضرها قوم على غير توطئة فان أمرني
أمير المؤمنين أن لا أكتب اليه بخبر إلاّ بعدول وبُرهان فعلت ذلك وعلى هذا فلا
يرتفع في السنة خبر واحد فلما قرأ الرقعة فكّر فيها ليلته وجاءني رسوله مع طلوع الشمس
فأتيته من باب الحمام فلما رآني قال اطمأنّ وقام فصلى ركعتين أطال فيهما ثم سلّم والتفت
اليّ وليس في المجلس غيري فقال يا ابراهيم انما قمت للصلاة ليسكن بهرك ويقوى مَتنُك
ويُفرج روعك فتمكن في قعودك وكنت قاعداً على ركبتي فقلت لا أضع قدر الخلافة
ياسيدي ولا أجلس إلاّ جلوس العبد بين يدَي مولاه ثم قام فصلّى ركعتين دون الاوليين
ثم قال هذه رقعتك تحت رأسي قد قرأتها أربع مرات وقد صدقت في ما كتبتَ به
ولكني امرؤ أداري عمّالي مداراة الخائف وبالله ما أجد الى ان أحملهم على المحجة البيضاء
سبيلا فاعمل على حَسَب ذلك وإنْ لم تَسْلَمْ منهم وفي حفظ الله اذا شئت فانصرفتُ
فدعوت أصحاب الأخبار فتقدمت اليهم في مداراة القوم والرفق بهم واللين لهم ٠٠ وعن
اسحاق بن أيوب بن جعفر بن سليمان قال دخل محمد بن واضح دار المأمون وخلفه
أكثر من خمسمائة راكب كلهم راغبٌ اليه وراهب منه وهو إذ ذاك يلي أعمالا من
أعمال السواد فدعا به المأمون فقال يا أمير المؤمنين اعفِني من عمل كذا وكذا فانه
لا قُوّة لي عليه فقال قد أعفيتُك واستعفى من عمل آخر وهو يظن انه لا يعفيه فأعفاه
حتى خرج من كل عمل في يده في أقل من ساعة وهو قائم على رجله فخرج وما في يده
شيء من عمله فقال المأمون لسلم الحوائجي اذا خرج فانظر الى موكبه واحص من معه
وكان المأمون قد رآه من مستشرف له حين أقبل فخرج سالم وقد استفاض الخبر بعزله
عن عمله فنظر فاذا لا يتبعه إلاّ غلام له بغاشية فرجع الى المأمون فأخبره فقال ويلهم
لو تجملوا له رَيثما يرجع الى بيته كما خرج منه ثم تمثل فيهم

ومَنْ يجعلِ المعروفَ فى غيرِ أهلِهِ   يُلاقِى الذى لاقَى مُجيرُ أمِّ عامرِ

ثم قال صدق رسول الله وكان للصدق أهلاً حين قال لاتنفع الصنيعة إلاّ عند ذى حَسَب أو دين •• وذكروا انه كان سبب عزل الحجاج عن الحجاز انه وفد وفدٌ منهم فيهم عيسى بن طلحة بن عبيد الله على عبد الملك بن مروان فأثنوا على الحجاج وعيسى ساكت فلما قاموا ثبت عيسى حتى خلا له وجه عبد الملك فقام وجلس بين يديه فقال ياأمير المؤمنين من أنا قال عيسى بن طلحة بن عبيد الله قال فمن أنت قال عبد الملك بن مروان قال أفجهلتنا أو تغيّرت بعدنا قال وما ذاك قال وليت علينا الحجاج يسير فينا بالباطل ويحملنا على أن نثنى عليه بغير الحق والله لئن أعدته علينا لنعصيك فان قاتلتنا وغلبتنا وأسأت الينا قطعت أرحامنا ولئن قوينا عليك لنغصبنك مُلكك قال فانصرف والزم بيتك ولا تذكرن من هذا شيئاً قال فقدم الى منزله وأصبح الحجاج غادياً على الوفد فى منازلهم يجزيهم الخير ثم أتى عيسى بن طلحة فقال جزاك الله عن خلوتك بأمير المؤمنين خيراً فقد أبدلنى بكم خيراً لي منكم وأبدلكم بى غيرى وولاني العراق •• وعن الوضّاحى عن معمر بن وهيب قال كان عبد الملك عند مااستعفى أهل العراق من الحجاج بن يوسف قال لهم اختاروا أىّ هذين شئتم يعنى أخاه محمد بن مروان أو ابنه عبد الله مكان الحجاج فكتب اليه الحجاج ياأمير المؤمنين ان أهل العراق استعفوا من سعيد بن العاص الى عثمان بن عفّان فاعفاهم منه فساروا اليه من قابل فقتلوه فقال عبد الملك صدق ورب الكعبة وكتب الى محمد وعبد الله بالسمع والطاعة له

مساوى الولايات

قال كتب عبد الصمد بن المعذّل الى صديق له ولِىَ النفّاطات فأظهر تيها

لَعَمْري لقدْ أظهرْتَ تيهاً كأنما   تولّيتَ للفضلِ بن مَرْوانَ مِنبرَا

وما كنتُ أخشَى لو وَليتَ مكانهُ   علىّ أبا العباس أن يتغيّرَا

بحفظِ عيونِ النفطِ أحدثْتَ نخوةً   فكيفَ به لو كانَ مِسكاً وعنبرَا

دَعِ الكِبرَ واستَبقِ التواضُعَ انه قبيحٌ بوَالي النَّفط ان يتكبَّرا

قال وسئل عمار بن ياسر عن الولايات فقال هي حُلوة الرضاع مرّةُ الفطام .. ولابن المعتزّ في مثله

كَمْ تائهٍ بولايةٍ وبعزْله يعدُو البريدُ
سُكرُ الولايةِ طيبٌ وخُمارُها صعبٌ شديدُ

ولغيره

لاتجزَعَنَّ فكل وَالٍ يُعزَلُ وكما عُزلتَ فمَنْ قريب يُعزَلُ
انَّ الولايةَ لاتدُومُ لواحدٍ انْ كنتَ تنكِرُهُ فأينَ الأولُ
وكذَا الزَّمانُ بما يَسُرُّكَ تارةً وبما يَسُوءكَ مرةً يتنقّلُ

...

محاسن بعد الهمة

قال حدثنا أحمد بن اسحاق التستري قال دخل أحمد بن أبي دُؤاد على الواثق فقال له الواثق بالله يا أبا عبد الله اني حنثت في يمين فما كفارتها فقال مائة ألف دينار فقال ابن الزيات والله ماسمعنا بهذا في الكفارات انما قال الله جل وعز وتلا الآية في كفارة الأيمان فقال تلك كفارة مثله في بعد همته وجلالة قدره أو مثل آبائه ثم لما تكون كفارة اليمين على قدر جلال الله من قلب الحالف بها ولا نعلم أحداً الله جل وعز في قلبه أجل من أمير المؤمنين فقال الواثق تحمل الى أبي عبد الله يتصدق بها .. قال ودعا يحيي بن خالد البرمكي ابنه ابراهيم يوما وكان يسمى دينار بن برمك لجماله وحسنه ودعا بمؤدبه وبمن كان ضُم اليه من كتّابه وأحبابه فقال ماحال ابني هذا قالوا قد بلغ من الأدب كذا وكذا ونظر في كذا وكذا قال ليس عن هذا سألت قالوا قد اتخذنا له من الضياع كذا وغلّته كذا قال ولا عن هذا سألت انما سألت عن بعد همته وهل اتخذتم له في أعناق الرجال مننا وحببتموه الى الناس قالوا لا قال فبئس العشراء أنتم والاصحاب هو والله الى هذا أحوج منه الى ماقلتم ثم أمر بحمل خمسمائة ألف درهم

اليه فتفرقت على قوم لايدرى من هم •• قال وقال المأمون لولده وعنده عمرو بن مسعدة ويحي بن أكثم اعتبروا في علو الهمة بمن ترون من وزرائي وخاصتي انهم والله مابلغوا مراتبهم عندي الا بأنفسهم انه من تبع منكم صغار الامور تبعه التصغير والتحقير وكان قليل مايفتقد من كبارها أكثر من كثير مايستدرك من الصغار فترفعوا عن دناءة الهمة وتفرغوا لجلائل الامور والتدبير واستكفوا الثقات وكونوا مثل كرام السباع التي لاتشتغل بصغار الطير والوحش بل بجليلها وكبارها واعلموا ان أقدامكم ان لم تتقدم بكم فان قائدكم لايقدمكم ولا يغني الولي عنكم شيئاً مالم تعطوه حقه وأنشد

نحنُ الذينَ اذا تخمّطَ عُصبةٌ　　من مَعْشر كما لها أنكالاَ
ونرى القُرُومَ مخافةً لقُرُومنا　　قبلَ اللقاء تقطّرُ الأبوالاَ
نرِدُ المنيّةَ لانخافُ ورودها　　تحتَ العجاجة والعيونُ تلألأ
نعطي الجزيلَ فلاَ نمنُّ عطاءنا　　قبل السؤال ونحملُ الأثقالاَ
واذا البلادُ على الأنام تزلزلت　　كنّا لزلزلةِ البلادِ جبالاَ

ولبعضهم في أبي دُلف

له هممٌ لامنتهي لكبارها　　وهمّتهُ الصغرى أجلُّ من الدهر
له راحةٌ لو أنّ معشارَ جودها　　على البر كان البرُّ أندى من البحر
ولو أنّ خلقَ الله في مسك فارس　　فبارزهُ كان الخليُّ من العمر
أبا دُلف بُوركتَ في كل وجهةٍ　　كما بُوركتْ في شهرها ليلة القدر

ولغيره

لاتهدمَنْ بنيان قوم وجدتهمْ　　بنَوا لكَ بنياناً وكُنْ أنتَ بانيا
وان زَهدَ الأقوامُ في طلب العُلي　　فسامِ بكفّيكَ الندى والمعاليا

عبد الله بن طاهر

فتًى تخصّه الله بالمكرُماتِ　　فمازَجَ منهُ الحيا والكرمْ
اذا همّةٌ قصّرتْ عن يدٍ　　تناوَلَ بالمجدِ أعلى الهِمَمْ
ولاَ ينكتُ الأرضَ عند السؤال　　ليثني زُوّارَهُ عنْ نعَمْ

بَدَا حين أَثْرَى باخوانه   فقلّلَ عنهمْ شَباةَ العدَمْ
وذَكَّرهُ الحزمُ غِبَّ الأمورِ   فبادَرَ قبلَ انتقالِ النِّعَمْ

قال وحدثنا بعض أهل ذى الرياستين قال كان ذو الرياستين يبعث بى وبأحداث من أهل بيته الى شيخ بخراسان ويقول تعلموا منه الحكمة فكنا نأتيه ونستفيد منه الآداب فلما كان بعد ذلك قال لنا أنتم أدباء وقد تعلمتم الحكمة ولكم نعمة فهل فيكم عاشق فاستحيينا من قوله وسكتنا فقال اعشقوا فان العشق يطلق لسان البليد ويسخي البخيل ويشجع الجبان ويبعث على التلطف واظهار المروءة فى المطعم والمشرب والملبس وغير ذلك وانظروا أن تعشقوا أهل البيوتات والشرف قال فخرجنا من عنده وصرنا الى ذى الرياستين فسألنا عما أفادنا فهبناه أن نخبره فقال تكلموا فقلنا انه أمرنا بكذا وكذا فقال صدق وبرّ أتعلمون من أين قال لكم ذلك قلنا يخبرنا به الوزير فقال كان بهرام جور ابنٌ قد رشحه للملك من بعده واعتمد عليه فى حياته وكان خامل المروءة ساقط الهمة فضم اليه عدة من المؤدبين والحكماء والعلماء ومن يعلم الفُروسية فبينا بهرام فى مجلسه اذ دخل عليه بعض أولئك المؤدبين المضمومين الى ابنه فسأله عن خبر ابنه وأين بلغ من الحكمة والأدب فقال أيها الملك قد كنت أرجو أن يتوجه أو يعي بعض ما ألقيته وألقيه اليه حتى حدث من امره ما آيسني منه قال وما هو قال بصر بابنة فلان المرزبان فهَوِيَها فهو الآن يهذى بها ليله ونهارَه فقال الآن رجوتُ فلاحَه اذهب فشجعه بمراسلة المرأة وخوفه بي فذهب المؤدب فانتهى الى ما أمره به وبعث بهرام الى أبي الجارية ودعاه فقال انى مزوج ابنتى ابنك فأتها ومُرها أن تراسل ابني وتطمعه فى نفسها فاذا استحكم طمعه فيها ورجا الالتقاء تجنت عليه وقالت انى لا أصلح الا للملك عظيم القدر بعيد الهمة حسن المودّة أديب النفس شجاع البطش ولستَ كذلك ولا هناك ثم عرّفني الكائن منك فى ذلك فمضى المرزبان الى ابنته فأعلمها بذلك وبما قاله له الملك فراسلت الفتى وأطمعته ثم قالت له ما أمرها به أبوها فلما سمع الفتى ذلك أنِف أَنَفاً شديداً وتقاصرت اليه نفسُه فأقبل على تعلّم الأدب والحكمة والفروسية حتى صار رأساً فى ذلك فلما بلغ الغاية التي لا بعدها رفع قصته الى أبيه يشكو تخلّف حاله وقصور يده

عما تشهيه فوقّع له أبوه بازاحة علته والتوسعة عليه ثم بعث الى المؤدّب فدعاه فقال قل لابني يرفع اليّ قصة يسألني فيها إنكاحه ابنة المرزبان فقال له المؤدّب ذلك فكتب قصة رفعها الي الملك يسأله تزويجها منه وان يصل جناحه بذلك وانها ممن تصلح لمثله فأمر الملك باحضار المرزبان وسأله أن يزوّج ابنته من ابنه ففعل وجهزها الملك بأجل مايكون من الجهاز وقال لابنه اذا أنت خلوت بها فلا تُحدِثن شيئاً حتى آتيك فلما كان ذلك الوقت دخل الملك على ابنه فقال يا بُنيّ اياك وان تصغر شأن هـذه المرأة عندك فانها من أعظم الناس منّة عليك وان الذى كان من مراسلتها اياك فانما كان عن أمرى وبإذنى وتدبيري فاعرف حقها وحق أبيها وأحسن معاشرتها وبرّها ثم خرج الملك وخلا الفتى بأهله ثم قال ذو الرياستين سلُوا الآن الشيخ عن السبب الذي حمله على ما أمركم به قال فسألناه فحدثنا بحديث ذى الرياستين

مساوى سقوط الهمة

قال وكان القاسم بن الرشيد ساقط الهمة دني النفس وكان المأمون على أن يعهد اليه ويؤكد له ما كان الرشيد جعله له من ولاية العهد وكان لا يزال يبلغه عنه ما يكره مرة في نفسه وأخرى فى حشمه قال فرفع اليه فى الخبر يوماً انه قال لقوّام حمّامه نوّروا الناس بالمجّان ففعلوا ذلك فلم يبق محتاج إلاّ جاء يتنوّر فلما علم انهم كثروا أخرج عليهم الأسد من باب كان يدخل منه الي الحمام فخرج الناس عراة مغمىً عليهم مع ماعليهم من النورة هاربين من الأسد فصاروا الى شارع قصره وقد أشرف عليهم وهو يضحك فحدثنا الحسن بن قريش قال دعاني المأمون وقال يا هذا مالى ولهذا الفتى الى كم أحتمل منه هذا الأذى قال فقلت قوّمه يا أمير المؤمنين ان رأيت في ذلك صلاحاً قال نعم فقلت ياسيدى انه عضو منك وأنت به وأولي الناس بتقويمه قال فجعل ينهاه ويأبي أن ينتهي فلما كثر هذا من فعله عزم على خلعه فكتب الى هرثمة بن أعين فى ذلك كتاباً نسخته أما بعد فان أمير المؤمنين يستوفق الله جل وعز فى جميع أموره وتسخيره فيها خاصها

وعامّها لطيفها وجليلها استخارة من يوقن ان البركة وخيرة البدء والعاقبة فى قضائه وما يلهمه من ارشاد وتسديد رأى وإثبات صواب وقد رأى أمير المؤمنين عند ما استخار الله تبارك اسمه فيه من أمر القاسم بن الرشيد فيما كان اليه من ولاية العهد تخلعه عن ذلك وصرفه عنه فأظهر ذلك فيمن بحضرتك وأمر بالكتاب الى العمال فى نواحى عملك وثغورك وولاة الأمصار فقد أمل أمير المؤمنين أن يكون ذلك توفيقاً من الله تبارك اسمه ورشداً ألهمه اياه اذ كان به توفيقه وعليه مُعوَّله واليه رجوعه فيما يبرم ويمضى فامتثل ماحدّ لك أمير المؤمنين وانته اليه واكتب بما يكون منك فيه ان شاء الله ٠٠ قال ونظر المأمون يوماً الى ابنه العباس وأخيه المعتصم فابنه العباس يتخذ المصانع ويبنى الضياع والمعتصم يتخذ الرجال فقال شعراً

يَبنى الرِجالَ وغيرُهُ يَبني القرى كَشتّان بين قُرى وبين رجالِ
قَلِقٌ بكثرةِ مالِهِ وضياعِهِ حتى يُفرِّقهُ على الأبطالِ

٠٠ وأنشد فى مثله

لما رأيتُكَ لا تجودُ بنائل وتضنُّ بالمعروفِ ظنَّ الساقطِ
ورأيتُ همتَكَ التى تعلو بها سَرطَ الثريدِ وشمَّ ريحِ الغائطِ
واذا تُكلِّفُ حاجة ضيَّعتَها بتغافل عنها كأنك واسِطِ
لا للمكارم تشرَئِبُّ بنهضة ولدَى المكاره كالحمارِ الضارطِ
أيِّستَ نفسي من رجائك دهرها ونقشتُ شِبهكَ صورة فى حائطِ

٠٠ وقال آخر سامحه الله عز وجل

اذا أنتَ لا تُرتَجى لدَفعِ مُلمّةٍ ولا أنتَ فى المعروف عندك مَطمعُ
ولا أنتَ ذو جاهٍ يعاش بجاهـهِ ولا أنتَ يومَ الحشرِ ممن يُشفِّعُ
فموتُكَ فى الدنيا وعيشك واحدٌ وعودُ خلالٍ من نوالك أنفعُ

٠٠ ولآخر سامحه الله وعفا عنه

كلما قلتُ وَيكَ للكلبِ إخسأ لحظتنى عيناكَ لحظةَ تُهمَه
أتراني أظُنُّ أنكَ كلبٌ أنتَ عندي من أبعدِ الناس همَّه

محاسن كرم الصحبة

قال ابن أبي طاهر حدثوني عن عبد الله بن مالك قال كنت أتولى الشرطة للمهدي وكان يبعث اليّ في ندماء الهادي ومغنيه اني أضربهم وأحبسهم صيانة له عنهم فبعث الهادي يسألني الرفق بهم والترفيه عنهم فلا ألتفتُ الى ذلك وأمضي الى ما يأمر به المهدي فلما ولي الهادي الخلافة أيقنت بالتلف فبعث اليّ يوماً فدخلت عليه متكفناً متحنطاً فاذا هو على كرسيّ والنطع والسيف بين يديه فسلمتُ فقال لاسلم الله عليك تذكر يوم بعثت اليك في أمر الحراني لما أمر أمير المؤمنين رضي الله عنه بضربه فلم تجبني في فلان وفي فلان وجعل يعد ندمائه ولم تلتفت الى قولي قلت نعم يا أمير المؤمنين أفتأذن لي في استيفاء الحجة قال نعم قلت نشدتك الله يا أمير المؤمنين أيسرّك ان وليتني ما ولاني أبوك وأمرتني بأمر فبعث اليّ بعض بَنيكَ بأمر يخالف أمرك فاتبعت أمره وعصيتُ أمرك قال لا قلت فكذلك أنا لك وكذا كنت لأبيك وأخيك فاستدناني فقبلتُ يده وأمر بخلع فصُبّت عليّ وقال قد وليتك ما كنت تتولاه فامض راشداً فخرجت من عنده وصرت الى منزلي مفكراً في أمره وأمري وقلت حدثٌ والقوم الذين عصيته في أمرهم ندماؤه ووزراؤه وكتابه فكأني بهم حين يغلب عليه الشرابُ وقد أزالوه عن رأيه في وحملوه في أمري على ما كنت أتخوّفه قال فاني لجالس وبين يديّ بُنيّةٌ لي والكانون بين يديّ ورقاق أشطره بكامخ وأسخنه وأطعمه الصبيّة حتى توهمت ان الدنيا قد اقتلعت بي وزلزلت لوقع حوافر الدواب وكثرة الضوضاء فقلت هاه كان والله ماظننتَ فاذا الباب قد فتح واذا الخدم قد دخلوا واذا أمير المؤمنين الهادي على حمار في وسطهم فلما رأيتهم وثبت عن مجلسي مبادراً وقبلت يده ورجله وحافر حماره فقال يا أبا عبد الله اني فكرت في أمرك فقلت يسبق الى قلبك اني اذا شربت وجاءني أعداؤك أزالوا ماحسن من رأيي فيك فأقلقك وأوحشك فصرت الى منزلك لاؤنسك وأعلمك ان السخيمة قد زالت عن قلبي فهات اطعمني ماكنتَ تأكل وافعل فيه ماكنت تفعل لتعلم اني قد تحرّمت بطعامك وأنست بمنزلك فيزول خوفك ووحشتك فأدنيت اليه ذلك الرقاقَ والسُّكُرّجَةَ التي فيها

السكامخ فأكل منها ثم قال هاتوا الزلة التى أزلتها لابي عبد الله من مجلسى فأدخل الىّ أربعمائة بغل موقورة دراهم فقال هذه زلتك فاستعن بها على أمرك واحفظ هذه البغال عندك فلعلى أحتاج اليها لبعض أسفارى وانصرف راجعاً فأخبرنى موسى بن عبد الله ان أباه أعطاه بستانه الذى كان وسط داره فبنى حوله معالف لتلك البغال وكان هو يتولى القيام عليها مدة حياة الهادى ** وحدث من حضر مجلس المأمون وقد أمر باحضار العباس صاحب الشرطة ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد فلما حضر قال يا عباس خذ هذا اليك واستوثق منه ولا يفوتنك وبكّرْ به واحذر كل الحذر قال العباس فدعوت جماعة حملوه ولم يكن يقدر ان يتحرك فقلت فى نفسي مع هذه الوصية التى أوصانى بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب الا أن يكون معى فى بيتى ثم سألته عن قصته وحاله من أين هو فقال من دمشق فقلت جزى الله دمشق وأهلها خيراً فمن أنت من أهلها قال لا تزد أن تسألنى فقلت له أتعرف فلاناً فقال ومن أين عرفت ذلك الرجل فقلتُ كانت لى قصة معه فقال ما أنا بمعرّفك خبرَه أو تعرفنى قصتك فقال ويحك كنتُ مع بعض الولاة بها فخرج علينا أهلها حتى أراد الوالي أن يُدْلَى فى زِنبيلٍ من قصر الحجاج وهرب هو وجميع أصحابه وهربت فيمن هرب فانى لفى بعض الطريق اذا جماعة يعدُون خلفى فما زلت أحاضرهم حتي مررت على هذا الرجل الذي ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت أغثنى أغاثك الله فقال لا بأس عليك ادخل الدار فدخلت فقالت لى امرأته ادخل الحَجَلة فدخلتها وأتي الرجال خلفى فما شعرت الا به وهم معه يقولون هو والله عندك فقال دونكم الدار ففتشوها حتى لم يبق الا البيت الذى كنت فيه فقالوا هاهنا فصاحت المرأة وانتهرتهم فانصرفوا وخرج الرجل فجلس على باب داره ساعة وأنا قائم فى الحجلة خائفاً فقالت المرأة اجلس لا بأس عليك فجلست فلم ألبث ان دخل الرجل وقال لا تخف فقد صرتَ الى الأمن والدّعة ان شاء الله تعالى فقلت له جزاك الله عنى خيراً ثم ما زال يعاشرني أحسن المعاشرة وأجلها ولا يفتر من القصفِ والأكل والشرب والفرح أربعة أشهر الى أن سكنت الفتنة وهدأت فقلت له أتأذن لى في الخروج لأتعرّف خبر غلماني ومنزلي فلعلى أن أقف لهم على أثر أو خبر فأخذ عليّ المواثيق بالرجوع اليه فخرجت

وطلبتُ غلماني فلم أر لهم أثراً فرجعت اليه وأعلمته الخبر وهو مع هذا لا يعرفني ولا يعرف اسمي ولا يخاطبني بغير الكنية ثم قال لي ماتَعزِم فقلت قد عزمت على الشخوص الى بغداد فان قافلة تخرج بعد ثلاثة أيام وقد تفضلت عليّ هذه المدة فأسألك أن تعطيني ما أُنفقه في طريقي وما ألبسه فقال يصنع الله عز وجل ثم قال لغلام له أسود انعل الفرس الفلاني وتقدمَ الى من في منزله باعداد السفر فقلت في نفسي ما أشك الا انه يخرج الى ضيعة له أو ناحية من النواحي فوقعوا يومهم ذلك في تعب وكد فلما كان يوم خروج القافلة جاءني في السحر وقال يا أبا فلان قمْ فان القافلة تخرج الساعة وأكره أن تنفرد عنها فقلت في نفسي ما أعطاني شيئاً مما سألته ثم قمت فاذا هو وامرأته يحملان اليّ خفَاتين مقطوعة جُدَداً وراناتٍ وآلة السفر ثم جاءني بسيف ومنطقة فشدهما في وسطي ثم قدم البغل فحمل عليه الصناديق وفوقها مِفرَشين ودفع الى نسخةً بما في الصناديق وفيها خمسة آلاف درهم وقدم الى الفرس الذي كان أنعله بسرجه ولجامه وقال اليّ اركب وهذا الغلام الأسود يخدمك ويسوس دوابك وأقبل هو وامرأته يعتذران من تقصيرهما في أمري وركب معي فشيّعني وانصرفت الى بغداد وأنا على مكافأته ومُجازاته فعاقنا عن ذلك مانحن فيه من الشغل بالأسفار واتصالها والتنقل من مكان الى مكان فلما سمع الرجل الحديث قال قد أتاك الله عز وجل بمن تريد مكافأته بلا مؤنة عليك فقلت وكيف ذلك قال أنا والله ذلك الرجل ثم قال لي أنبئك فتعرّف اليّ وأقبل يذكرني بأشياء يتعرف بها اليّ حتى أثبته وعرفته فما تمالكتُ أن قمت اليه فقبلت رأسه وقلتُ له ما الذي أصارك الى هذا؟ فقال هاجت فتنة بدمشق مثل الفتنة التي كانت في أيامك فنسبت اليّ وبعث أمير المؤمنين بجيوش فأصلحوا البلد وحملتُ اليه وأمري عنده غليظٌ جداً وهو قاتلي لا محالةَ وقد خرجت من عند أهلي بلا وصية وقد تبعني من عبيدي من ينصرف الى منزلي بخبري وهو نازل عند فلان فان رأيت أن تنعم وتبعث اليه حتى يحضر فأتقدم اليه بما أريد فاذا أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافأة لي قال فقال العباس يصنع الله ثم قال علي بحدّادين فأتوا بهم فحل قيوده وما كان عليه من أنواع الانكال ودعا بالحجام فأحضر وأخذ من شعره ثم قال عليّ بمولاه فأنفذ في طلبه من يحضره قال الرجل

فلما أن أخذ شعري أدخلني الحمام فطرح عليّ من ثيابه ما اكتفيت به ثم حضر مولاي وقعد يبكي فقال العباس عليّ بفرسي الفلانيّ والفرس الفلاني والبغل الفلاني حتى عدّ عشراً ثم قال عليّ من الصناديق والكسوة بكذا ومن صناديق الطعام بكذا ثم أمر لي ببَدْرةٍ فيها عشرة آلاف درهم وكيس فيه خمسة آلاف دينار وقال لصاحب شرطته خذه واعبُر به الى جسر الانبار فقلت له ان أمري غليظ وان أنت احتججت بأني هربت بعث أميرُ المؤمنين في طلبي كل من على بابه فأُرَدّ وأُقتل فقال انج بنفسك ودعني أدبّر أمري فقلت والله لا أبرح من بغداد أو أعلم ما يكون من خبرك فان احتجتَ الى حضوري حضرتُ فقال لصاحب الشرطة ان كان الأمر على هذا فليكنْ في موضع كذا وكذا فان سلمتُ في غداةِ غدٍ فسبيل المحبة وان قُتلت كنت قد وقيته بنفسي كما وقاني بنفسه وأنشدك الله أن تذهب من ماله شيئاً قيمته درهم وتخلصه حتى تخرجه من بغداد قال الرجل فأخذني صاحب الشرطة فصيرني في مكان يثق به وتفرّغ العباس لنفسه واغتسل وتحنط وتكفن قال العباس فلم أفرغ من ذلك حتى وافتني رُسل المأمون في السحر وقالوا أمير المؤمنين يقول هات الرجلَ فسكتُّ وأتيت الدار واذا أمير المؤمنين جالس عليه ثيابه أمام فراشه فقال الرجلَ فسكت فقال ويحك الرجلَ فقلت يا أمير المؤمنين اسمع مني فقال أعطي الله عهداً لئن ذكرت انه هرب لأضربنّ عنقك فقلت لا والله ما هرب فاسمع مني حديثي وحديثه ثم أنت أعلم بما تفعله في أمرنا قال قل فقلت يا أمير المؤمنين كان من حديثي معه كذا وكذا وقصصت عليه القصة وعرّفته اني كنت أريد مكافأته فشغلت عن ذلك حتى اذا كان البارحة عرفته وعبرت به جسر الانبار وقلت أنا من سيدي أمير المؤمنين بين أمرين إما صفح عني وإما قتلني وأكون قد كافيته ووقيته بنفسي كما وقاني بنفسه فلما سمع المأمون الحديث قال ويحك لا جزاك الله خيراً عن نفسك وعنا وعن هذا الفتى الحرّ انه فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافيه بعد المعرفة بهذا لِمَ لا عرّفتني خبره فكنت أكافيه عنك فقلت يا أمير المؤمنين انه والله ههنا قد حلف انه لا يبرح حتى يعرف سلامتي فان احتيج الى حضوره حضر قال وهذه والله منه أعظم من الاولى فاذهب اليه الآن وطيب نفسه وسكن روعه وتصير به اليّ حتى أتولى

مكافأته عنك فصرت اليه وقلت ليسكنْ روعك ان أمير المؤمنين قال كيت وكيت فقال الحمد لله الذي لا يحمد على السراء والضراء غيرُه ثم تهيأ للصلاة فصلى ركعتين ثم جئنا فلما مثل بين يدي المأمون أدناه حتى أجلسه الى جانبه وآنسه وحدثه حتى حضر الغداء ثم قال الطعامَ فأكل معه وخلع عليه وعرض عليه أعمال دمشق فاستعفاه ثم قال المأمون عليّ بعشرة أفراس بسروجها ولجمها وعشرة بغال بجميع آلتها وبعشرة بدر وبعشرة تخوت وعشرة مماليك بذواتهم وجميع آلتهم فدفع ذلك اليه وكتب الى عامله بالوصاية عليه وأوغر خراجه وكتب الى صاحب البريد أن ينفذ كتبه وصرفه الى بلده قال العباس فكان اذا ورد له كتاب في خريطة يقول لي المأمون يا عباس هذا كتاب صديقك ‥ وحدث رجل عن جعفر العطار قال بينما يحيى بن أكثم يماشي المأمون في بستان موسى والشمس عن يمينه والمأمون في الظل وقد وضع يده على عاتق يحيى وهما يتحدثان اذ رأى المأمون أن يرجع في الطريق الذى جاء منه فلما انتهى الى الموضع الذى قصده قال ليحيى انك جئت وعن يسارك الشمس وقد أخذَتْ منك فكنْ أنت الآن في منصرفك حيث كنتُ وأكون أنا حيث كنت أنت فقال يحيى والله يا أمير المؤمنين لو أمكنني أن أقيك بنفسي من هول المطلع لفعلت فكيف لا أصبر على أذى الشمس ساعة فقال لا والله لابد من أن آخذ منها كما أخذت منك وتأخذ من الظل كما أخذت منه فصار المأمون في موضعه وصار يحيى في موضع المأمون وتماشيا وأخذ بيده فوضعها على عاتقه حتى صار الى المجلس ‥ وحدث رجل من آل اسوار بن ميمون عن عمه عبد الله بن اسوار قال دخلت على يحيى بن خالد البرمكي يوماً فقال اجلس وكنت أحد كتّابه فقلت ليست معي دواة فقال ويحك في الأرض صاحب صناعة تفارقه آلته وأغلظَ لي في حرف علمت انه أراد به خطي وأراني بعض التثاقل في كتاب ظهر لي به انه أراد خطي على الأدب لا غير ثم دعا بدواة فكتبت بين يديه كتاباً منه الى الفضل ابنه ورأى مني بعض الضجر فيما كتبت فتوهم ان ذلك من أجل الكلمة التي كلمني بها فأراد أن يمحو عن قلبي ما توهمه عليّ فقال عليك دين قلت نعم قال كم دينك قلت ثلاثمائة الف درهم فوقّع بخطه الى الفضل في الكتاب

وكُلكمُ قد نالَ شبعاً لبطنه   وشبعُ الفتى لؤمٌ اذا جاع صاحبُه

ثم قال ان عبـد الله ذ كر ان عليه ديناً يخرجه منه ثلاثمائة ألف درهم فاذا نظرت في كتابي هذا وقبل أن تضعه من يدك فأقسمت عليك الا ما حملت ذلك الى منزله من أخص مال قبلك قال فحملها الفضل اليّ وما أعلم لها سبباً الا تلك الكلمة ·· وحدث ابراهيم بن ميمون قال حدثني جبريل بن بختيشوع قال اشتريت ضيعة فنقـدت بعض الثمن وتعـذر عليّ بعضه فدخلت على يحيى وعنده ولده وأنا أفكر فقال لي مالي أراك مفكراً فقلت أنا في خدمتك وقد اشتريت ضيعة بسبعمائة الف درهم ونقدت بعض الثمن وتعذر عليّ بعضه فدعا بالدواة وكتب يعطي جبريل سبعمائة الف درهم ثم دفع الكتاب الى ولده فوقّع فيه كل واحد منهم بثلاثمائة الف درهم فقلت جعلت فداك قد أدّيت عامة الثمن وانما بقي عليّ أقله فقال اصرف ذلك في بعض ما ينوبك ثم صرت الى الرشيد فقال ما أبطأ بك قلت يا أمير المؤمنين كنت عند أبيك واخوتك ففعلوا بي كذا وكذا قال فما حالي أنا ثم دعا بدابته فركب الى يحيى فقال له يا أبت خبرني جبريل بما كان فما حالي من بين ولدك فقال يا أمير المؤمنين مُرْ له بما شئت يحمل اليه فأمر بحمل مال الى جبريل ·· وكان ابراهيم بن جبريل على شرطة الفضل فوجهه الى كابُل فافتتحها وغنم غنائم كثيرة ثم ولاه سجستان فلما انصرف منها كان عنده من مال الخراج أربعة آلاف الف درهم فلما قدم بغداد وبني داره في البغويين استزار الفضلَ بن يحيى ليُريه نعمته عليـه وأعدّ الهدايا والطرَف وآنية الذهب والفضة والوُصَفاء والوَصائف والدواب والقِباب والثياب وما تهيأ لمثله ووضع الأربعة الآلاف ألف درهم في ناحية من الدار فلما تغدّى الفضل قدم اليه تلك الهدايا فأبى أن يقبل منها شيئاً وقال لم آتك لأسلبـك فقال أيها الأمير انها نعمتك عليّ قال ولك عندنا مزيد قال فلم يزل يطلب اليه فأخذ من جميع ذلك سوطاً سِجزيّاً فقال هذا من آلة الفرسان فقال ابراهيم أيها الأمير فهذا المال من مال الخراج تأمر بقبضه قال هو لك فأعاد عليه القول مراراً فقال مالك بيت يَسَعهُ فوهب له المال بعد ان كان قد صار اليه الف الف درهم ·· قال ودخل قوم من حاشية المنصور وخدمه عليـه فرأى منهم رجلا عليه سوادٌ خَلَق فقال له يا فلان مالي أرى سوادَك متقطعاً أما تقبض رزقك قال بلى يا أمير المؤمنـين ولكن أبي توفي وترك

ديناً فبعت تركته فى قضاء دينه وصرفت أكثر رزقي الى حرمته وولده من بعده فقال أعدْ عليّ ما قلت فأعدته فقال ما أحسن ما فعلت اغدُ عليّ فى غدٍ فغدا عليه فوجد الربيع جالساً على الكرسيّ فقال قد سأل عنك أمير المؤمنين فأدخل فدخل فوجده قائماً يصلّي فقضي صلاته وقال ألم آمرك أن تغدو فقال يا أمير المؤمنين ما قصرت فى الغدو عند نفسي قال خذ ما تحت تلك المضربة واذا السراج يزهر وسرير صغير فى ناحية المجلس ينام عليه فرفعت المضربة فاذا دنانير فجعلت أحثوها فى كمي ثم دعوت له وخرجت فبصر بصفرة دينار فى ضوء السراج فدعاني فقال انظر ما على السرير فاذا دينار فأخذته فقال ادن مني فدنوت منه فعرك أذني تعريكا شديداً فقال تترك ديناراً وفيه نفقة يومك قال فأخذت الدينار ووزنتُ الدنانير واذا هي الف دينار عددها تسعمائة وتسعة وتسعون ديناراً في عافية وأخذت واحداً بعرك الاذن •• قيل وقال علقمة بن لبيد لابنه يابني ان نازعتك نفسك يوماً الى صحبة الرجال لحاجتك اليهم فاصحب مَن ان صحبته زانك وان تخففت له صانك واذا نزلت بك خلة مانك وان قلتَ صدّق قولك وان صُلت به شدد صَولك اصحب من اذا مددت يدك لفضلٍ مدها وان رأى منك حسنةً عدّها وان بدت منك ثلمةٌ سدها اصحب من لاتأتيك منه البوائقُ ولا تختلف عليك منه الطرائق ولا يخذلك عند الحقائق •• وقال بعض الحكماء اذا رأيت كلباً ترك صاحبه وتبعك فارجمه بالحجارة فانه تاركك كما ترك صاحبه •• وقال آخر اصحب من خولك نفسه وملكك خدمته وتخيرك لزمانه فقد وجب عليك حقه وذمامه وكان يقال من قبل صلتك فقد باعك مروءته وأذل لقدرك عزه •• وقال بعضهم أنا أطوع لك من اليد وأذل من النعل •• وقال بعضهم أنا أطوع لك من الرداء وأذل من الحِذاء •• قيل وقال ابن أبي دؤاد لرجل انقطع الى محمد بن عبد الملك الزيات ماخبرُك مع صاحبك قال لا يقصر فى الاحسان اليّ قال يا هذا ان لسان حالك يكذب لسان مقالك

--- * * * * * ---

*

مساوى الصحبة

قال كان يوسف بن عمر الثقفي يتولى العراقين لهشام بن عبد الملك وكان مذموماً في عمله فحدّث المدائني قال وزن يوسف بن عمر درهماً فنقص حبة وكتب الى دور الضرب بالعراق فضرب أهلها مائة سوط ٠٠ قيل وخطب في مسجد الكوفة فتكلم انسان مجنون فقال يا أهل الكوفة ألم أنهكم أن يدخل مجانينكم المسجد اضربوا عنقه فضربت عنقه ٠٠ قيل وقال لهمّام بن يحيي وكان عامله يا فاسق أخربت مِهرَجانقَذَق قال اني لم أكن عليها انما كنت على ماه دينار وتقول أخربت مهرجانقذق فلم يزل يوسف يعذبه حتى قتله ٠٠ قال وقال لكاتبه ما حبسك عني قال اشتكيتُ ضرسي قال تشتكي ضرسك وتقعد عن الديوان ودعا له بالحجام وأمره بقلع ضرسين من أضراسه ٠٠ وعن المدائني قال حدثني رضيع كان ليوسف بن عمر من بني عَبس قال كنت لا أحجب عنه وعن حُرمه فدعا ذات يوم بجوار له ثلاث ودعا بخصيّ أسود يقال له حُدَيج فقرب اليه واحدةً فقال لها اني أريد الشخوص أفأخلفك أم أشخصك معي فقالت صحبة الأمير أحبّ اليّ ولكني أحسب ان مقامي وتخلفي أعفى وأخف عليّ قال أحببتِ التخلف للفجور اضرب يا حديج فضربها حتى أوجعها ثم أمره أن يأتيه بأخرى قد رأت مالقيت صاحبتها فقال لها اني أريد الشخوص أفأخلفك أم أخرجك قالت ما أعدل بصحبة الأمير شيئاً بل يخرجني قال أحببتِ الجماع ما تريدين أن يفوتكِ اضرب يا حديج فضربها حتى أوجعها ثم أمر بالثالثة أن يأتيه بها وقد رأت مالقيت المقدّمتان فقال لها أُريد الخروج أفأخلفك أم أشخصك قالت الأمير أعرف أي الأمرين أخف عليه قال اختاري لنفسكِ قالت ما عندي لهذا اختيار فليختر الأمير قال قد فرغت أنا الآن من كل شيء ومن كل عمل ولم يبق عليّ الا أن أختار لك اوجع ياحديج فضربها حتى أوجعها قال الرجل وكأنما كان يضربني من شدة غيظي عليه فولت الجارية وتبعها الخادم فلما بعدت قالت الخيرة والله في فراقك ما تقرّ والله عين أحد بصحبتك فلم يفهم يوسف كلامها فقال ما تقول يا حديج قال قالت كذا وكذا قال يا ابن الخبيثة مَن أمرك أن تخبرني ياغلام خذِ السوط من يده واوجع به رأسه فمازال

يضربه حتى اشتفيت

محاسن السخاء

روى عن نافع قال لقي يحيى بن زكرياء عليه السلام ابليس فقال له اخبرني بأحب الناس اليك وأبغض الناس اليك قال أحب الناس اليّ كل مؤمن بخيل وأبغض الناس اليّ كل منافق سخيّ قال ولم ذاك قال لأن السخاء خلق الله الأعظم فأخشى أن يطلع عليه في بعض سخائه فيغفر له .. وقال صلى الله عليه وسلم السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخيّ أحب الى الله تعالى من عابد بخيل وأدوى الداء البخل .. وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال ماأشرقت شمس إلا وبجنبتيها ملكان ينا‌ديان وانهما ليسمعان الخلائق الا الثقلين الجن والانس اللهم عجل لمنفق خلفاً اللهم عجل لممسك تلفاً وماسكان ينا‌ديان يا أيها الناس هلموا الى ربكم فان ماقلّ وكفى خير مما كثر وألهى .. وعن الشعبي قال قالت أم البنين بنت عبد العزيز أخت عمر بن عبد العزيز لو كان البخل قيصاً ما لبسته ولو كان طريقاً ما سلكته وكانت تعتق كل يوم رقبة وتحمل على فرس في سبيل الله وكانت تقول البخيل كل البخيل من بخل على نفسه بالجنة .. قيل واعتقت هند بنت المهلب في يوم واحد أربعين رقبة .. وروى عن أمّ ذرّ قالت أرسل ابن الزبير الي عائشة بثمانين ومائة الف درهم فدعت بطبق وهي يومئذ صائمة فقسمته بين الناس حتى أمست وما عندها من جميع ذلك درهم واحد فقالت ياجارية هلمي فطري فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها يا عائشة أما استطعت مما قسمت أن تشتري لحماً بدرهم فقالت لا تعنفي فلو ذكرتني لفعلت وقيل انها تصدقت بسبعين الف درهم وان درعها لمرقع .. وقال بعض الحكماء ثواب الجود خلف ومحبة ومكافأة وثواب البخل حرمانٌ واتلاف ومذمة .. وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يا عليّ كن شجاعاً فان الله جل وعز يحب الشجاع ياعلي كن سخياً

فان الله عز وجــل يحب السخاء يا علي كن غيوراً فان الله عز وجــل يحب الغيور يا علي وان سائل سألك حاجة ليس لها بأهل فكن أنت لها أهلا ٠٠ وقال صلى الله عليه وسلم السخاء شــجرة في الجنة أغصانها في الدنيا من أخذ منها بغصن قاده ذلك الغصن الى الجنة ٠٠ قيل وقال عبد العزيز بن مروان لو لم يدخل على البخلاء في بخلهم الا سوء ظنهم بالله عز وجل لكان عظيما ٠٠ وقال صلى الله عليه وسلم تجافوا عن ذنب السخي فان الله جل وعز يأخذ بيده كلما عثر ٠٠ وقال بهرام جور من أحب أن يعرف فضل الجود على سائر الأشياء فلينظر الى ما جاد الله عزوجل به من المواهب الجليلة النفيسة والنسيم والريح وما وعدهــم في الجنان فانه لولا رضاه الجود لم يصطنعه لنفسه ٠٠ قال وقال الموبذ لأبرويز أكنتم وآباؤكم تمنون بالمعروف وتترصدون عليه المكافأةَ فقال لا ولا نستحسن ذلك لخولنا وعبيدنا فكيف نرى ذلك لأنفسنا وفي كتاب ديننا ان من أظهر معروفاً خفياً ليتطاول به على المنعَم عليه فقد نبذ الدين وراء ظهره واستوجب أن لا يُعدّ في الأبرار ولا يُذكر في الأتقياء والصالحين ٠٠ قال وسئل الاسكندر ما أكثر ما سررت به من ملكك قال اقتداري على اصطناع الرجال والاحسان اليهم ٠٠ قال وقال ارسطاطاليس في رسالة له الى الاسكندر اعلم ان الأيام تأتي على كل شيء فتُخلق الآثار وتميت الأفعال الا ما رسخ في قلوب الناس فأودع قلوبَهم محبة بمآثرك يبــق بها حسن ذكرك وكريم فعالك وشريف آثارك ٠٠ قيل ولما قدّم بزرجمهر الي القتل قيل له أنت في آخر وقت من أوقات الدنيا وأول وقتٍ من أوقات الآخرة فتكلم بكلام تذكر به فقــال أي شيء أقول الكلام كثير ولكن ان أمكنك أن تكون حديثاً حسناً فافعل ٠٠ قيل وتنازع رجل من أبناء الأعاجم واعرابيٌّ في الضيافة فقال الاعرابي نحن أقرى للضيف قال وكيف ذلك قال لأن أحدنا ربما لم يملك الا بعيراً فاذا حلّ به ضيف نحره له قال العجمي فنحن أحسن مذهباً في القِرَى منكم قال وما ذاك قال نسمي الضيف مهمان ومعناه انه أكبر من في المنزل وأملكنا به ٠٠ وقال بعض الحكماء قام بالجود من قام بالمجهود ٠٠ وقيــل من لم يضن بالموجود هو الجواد ٠٠ وقال المأمون الجود بذل الموجود والبخــل سوء الظن بالمعبود ٠٠ وقيل شكا رجل الى اياس بن

معاوية كثرة ما يهب ويصل وينفق فقال ان النفقة داعية الى الرزق وكان جالساً بين بابين فقال للرجل اغلق هذا الباب فأغلقه فقال هل تدخل الريح البيت قال لا قال فافتحه ففتحه فجعلت الرياح تخترق فى البيت فقال هكذا الرزق انك اذا أغلقت الباب لم تدخل الريح وكذلك اذا أمسكت لم يأتك •• قيل ووصل المأمون محمد بن عباد المهلبي بمائة الف دينار ففرقها على اخوانه فبلغ ذلك المأمون فقال يا أبا عبد الله ان بيوت المال لا تقوم لهذا فقال يا أمير المؤمنين البخل بالموجود سوء ظن بالمعبود •• وعن أمية بن يزيد الأمويّ قال كنا عند عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية فجاءه رجل من أهل بيته فسأله المعونة على تزويج فقال له قولا ضعيفاً فيه وعدٌ وقلة طمع فلما قام من عنده ومضى دعا صاحب خزانته وقال اعطه أربعمائة دينار فاستكثرناها وقلنا كنت رددت عليه ردّاً ظننا انك تعطيه شيئاً قليلا فاذا أنت قد أعطيته أكثر مما أمل فقال انى أحبّ أن يكون فعلى أحسن من قولي •• وبحاتم يضرب المثل فى السخاء فحدثنا عن بعض رجالات طيّ قال كان حاتمٌ جواداً شاعراً وكان حيثما نزل عرف منزله وكان مظفراً اذا قاتل غلب واذا غنم أنهب واذا سئل وهب واذا ضرب بالقدح سبق واذا أسرَ أطلق وكان أقسم أن لايقتل واحدَ أُمّهِ ولما بلغ حاتماً قول المتلمس

وأعلمُ علمَ حقٍ غيرَ ظنٍّ ... وتقوى اللهِ من خيرِ العَتادِ
لَحفظُ المالِ خيرٌ من بُغاهُ ... وطَوْفٍ فى البلادِ بغيرِ زادِ
قليلُ المالِ تُصلحهُ فَيَبْقى ... ولا يَبقى الكثيرُ على الفسادِ

قال ماله قطع الله لسانه حرّض الناس على البخل أفلا قال

فلا الجودُ يُفنى المال قبلَ فَنائهِ ... ولا البخلُ فى مالِ الشحيحِ يزيدُ
فلا تَلْتَمِسْ بُخلاً بعَيشٍ مقتّرٍ ... لكلّ غدٍ رزقٌ يعودُ جديدُ
ألم ترَ أن الرزقَ غادٍ ورائحٌ ... وانّ الذى يُعطيك غيرُ بعيدِ

قيل ولما مات حاتم خرج رجل من بني أسد يعرف بابى البختريّ فى نفر من قومه وذلك قبل أن يعلم كثير من العرب بموته فأناخوا بقبره فقال والله لأحلفنّ للعرب أني نزلت بحاتمٍ وسألته القِرَى فلم يفعل وجعل يضرب برجله قبره وهو يقول

أعجل أبا سفانة قراكا ‏ فسوف أنبي سائلي ثناكا

فقال بعضهم ماتنادى إلا رمّة وباتوا مكانهم فقام صاحب القول من نومه فزعاً فقال يا قوم عليكم مطاياكم فان حاتماً أنشدني

أبا البختريّ وأنت امرؤٌ ‏ ظلومُ العشيرةِ شتّامُها
أتيتَ بصحبك تبغي القِرَى ‏ لدَى حفرةٍ صَخِبٍ هامُها
تُبَغِّي لِيَ الذمَّ عند المبيتِ ‏ وحولَك غوثٌ وأنعامُها
فإنا سنشبعُ أضيافنا ‏ ونأتي المطيَّ فنعتامُها

قيل ونزل على حاتم ضيف ولم يحضره قرًى فنحرَ ناقة الضيف وعشاه وغداه ثم قال له انك أقرضتني ناقتك فغدّيتك فاحتكم قال راحلتين قال لك عشرون أرضيتَ قال نعم وفوق الرضى قال فلك أربعون ثم قال لمن بحضرته من قومه من أتانا بناقة فله ناقتان بعد الغارة فأتوه بأربعين فدفعها الى ضيفه ‥ وحكوا عن حاتم انه خرج فى الشهر الحرام يطلب حاجة فلما كان بأرض عنزة ناداه أسير لهم يا أبا سفّانة أكلني الاسار قال ويلك والله ماأنا فى بلادى ومامعي شئ وقد أسأت أن نوّهت بي فذهب الى العنزيين فساومهم به واشتراه منهم وقال خلوا عنه وأنا أقيم مكانه فى قيده حتى أؤدىَ فِدَاءه ففعلوا فأتاهم بفدائه ‥ وقيل في المثل هو أجود من كعب بن مامة وكان من اياد وبلغ من جوده انه خرج فى ركب وفيهم رجل من أهل النمر بن قاسطٍ فى شهر ناجر والنّجَر العطش فضلوا وتصافنوا ماءهم فجعل النمري يشرب نصيبه فاذا أصاب كعباً نصيبه قال اعط أخاك يصطبح فيؤثره على نفسه حتى أضرّ به العطش فلما رأى ذلك استحثّ راحلته وبادر حتى رفعت له أعلام الماء وقيل له رِدْ كعبُ فانك وارد فغلبه العطش فمات ونجا رفيقه ‥ وقيل فى المثل هو أسمح من لافظة وهى العنز تُستدعى للحلب فتجيء اليه وهي تلفظ بجرّتها فرحا بالحلب ‥ وقال الشاعر

يداكَ يَد خيرُها يُرتجى ‏ وأخرَى لأعدائها غائظَه
فأما التى خيرُها يُرتجى ‏ فأجودُ جوداً من اللافظَه
وأما التى شرُّها يُتقى ‏ فنفسُ العدوّ بها فائظَه

قيل وخرج معاوية بن أبي سفيان ذات يوم فقام اليه رجل فقال قد أمّلتُكَ لمهمّ فما عِوَضي من ذلك قال إبلاغك أمنيتك فتمنّ قال الف دينار قال هي لك ومثلها استظهاراً لبقاء النعمة عليك ٠٠ وقال المهلب بن أبي صفرة لبنيه يا بَني ان ثيابكم على غيركم أحسن منها عليكم ودوابكم تحت غيركم أحسن منها تحتكم ٠٠ وكان يقول لولده لا تتكلوا على ما سبق من فعلي وافعلوا ما ينسب الي ثم قال متمثلاً

إنما المجدُ ما بَنى والدُ الصدْ ق وأحيى فعالَهُ المولودُ

ويقول ابتداء الفضل يدٌ موفورة والبذل بعد الطلب يد مقبوضة ٠٠ فأما صِلاتُ الخلفاء وسخاؤهم فانه حدثنا هارون بن محمد بن اسماعيل بن موسى الهادي قال حدثني عليّ بن صالح قال كنت يوماً على رأس الهادي وأنا غلام وقد جفا المظالم ثلاثة أيام عافر العقار فيها فدخل عليه الحراني فقال يا أمير المؤمنين ان العامة لا تقاد أو قال لا تنقاد لما أنت عليـه لم تنظر في أمر المظالم منذ ثلاثة أيام فالتفت الي وقال يا عليّ ائذن للناس عليّ بالجَفَلَى لا بالنَّقَرَى فخرجت من عنـده وأنا أطير على وجهي لا أدرى ما قال لي فقلت أرجع فأسأله عما قال فيقول تحجبني ولا تعلم كلامي ثم أدركني ذِهني فبعثت الى أعرابي كان وفد علينا فسألته عن الجَفَلى والنَّقَرى فقال الجفلى جفالة الرجال والنقرى ترتيبهم فأمرت بالستور فرُفعت وبالأبواب ففتحت فدخل الناس على بكرة أبيهم فلم يزل ينظر في المظالم الى الليل فلما تقوض المجلس قلت يا أمير المؤمنين كلمتني بكلام لم أعرفه فبعثت الى اعرابي كان عندي ففسره لي وفهمني فكافه عني يا أمير المؤمنين فقال نعم مائة الف درهم تحمل اليه فقلت يا أمير المؤمنين أعرابيٌّ جِلْف وفي عشرة آلاف درهم ما أغناه فقال ويحك أجودُ وتبخل ٠٠ قال وحدثنا عبد الله بن عمرو الباخي عن ابن دأب انه كان يأكل مع الهادي وينادمه وكان يدعو له بتُـكاه وما كان يفعل ذلك في مجلسه بغيره وكان لذيذ المفاكهة طيّب المسامرة كثير النادرة جيد الشعر حسن الانتزاع قال فأمر له ذات ليلة بثلاثين ألف دينار فلما أصبح وجّه قهرمانه الى باب موسى وقال له الْقَ الحاجبَ فقل له يوجه الينا بهذا المال فاتي الحاجب فأتاه برسالته فتبسم وقال هذا ليس اليّ فانطلق الي صاحب التوقيع ليخرج اليك كتاباً الى الديوان فتدبره ثم تفعل فيه

كذا وكذا فرجع الى ابن دأب فأخبره فقال دعها ولا تعرض لها قال فبينا موسى فى مستشرف له اذ نظر الى ابن دأب قد أقبل وليس معه الا غلام واحد فقال لابراهيم الحرّاني أما ترى ابن دأب ما غيّر من حاله شيئاً وقد بررناه بالأمس لنرى أثر ذلك عليه فقال ابراهيم ان أمرني أمير المؤمنين تعرضت له بشيء من أمره قال لا هو أعلم بأمره ودخل ابن دأب وأخذ فى حديثه الي أن عرض له موسى بذكر ذلك فقال أرى ثوبك غسيلا وهذا شتاء يحتاج فيه الى الثوب الجديد اللين فقال يا أمير المؤمنين باعي قصير عما احتاج اليه قال وكيف وقد صرفنا اليك من برنا ما ظننا ان فيه صلاح شأنك قال ما وصل اليّ ولا قبضتُه فدعا صاحب بيت مال الخاصة وقال عجل له الساعة ثلاثين الف دينار فأُحضرت وجُعلت بين يديه ٠٠ وقال الحسن بن يحيى بن عبد الخالق حدثني محمد بن القاسم بن الربيع قال أخبرني محمد بن عمرو الروميّ قال حدثني أبي قال جلس الهادى مجلساً خاصاً فدعا بابراهيم بن جعفر بن أبي جعفر وابراهيم بن سلم بن قتيبة بن مسلم والحرّاني فجلسوا عن يساره ومعهم خادم للهادى أسود يقال له أسلم اذ دخل صالح صاحب المصلّى فقال هارون بن المهديّ قال ائذنْ له فدخل وسلم عليه وقبل يده وجلس عن يمينه بعيداً فأطرق موسى ثم التفت اليه وقال يا هارون كأني بك تحدث نفسك بتمام الرؤيا وتؤمل ما أنت منه بعيد ودون ذلك خَرْطُ القَتادِ تؤمل الخلافة قال فبرك هارون على ركبتيه وقال يا موسى ان تجبرت وُضِعتَ وان تواضعت رُفِعت وان ظلمت خُتلتَ واني أرجو أن يفضي اليّ الأمر فأنصفَ من ظلمتَ وأصلَ من قطعت وأصيّر أولادك أعلى من أولادي وأزوجهم بناتي وأبلغ ما يجب من حق الامام المهديّ فقال له موسى ذلك الظن بك يا أبا جعفر ادن مني فدنا وقبل يده ثم ذهب ليعود الى مجلسه فقال لا والشيخ الجليل والملك النبيل أعني أباك المنصور لا جلستَ الا معي فأجلسه فى صدر المجلس معه ثم قال يا حراني إحمل الى أخى الف الف دينار واذا افتتح الخراج فاحمل اليه النصف واعرض عليه ما فى الخزانة الخاصة وسائر الخزائن من مالنا وما أخذ من أهل بيت اللعنة فيأخذ منه ما أراد قال ففعل ذلك فلما قام قال لصالح ادن دابته الى البساط قال عمرو الروميّ وكان هارون يأنس به قلت يا سيدى ما الرؤيا التى قال لك

قال المهدى رأيت فى منامي كأنى دفعت الى موسى قضيباً والى هارون قضيباً أورقَ من قضيب موسى وأعلى منه فأما قضيب هارون فأورقَ من أوله الى آخره وكان قضيب موسى دون قضيب ذلك فدعا المهدى الحكم بن موسى العنزىّ وهو الذى بني أبوه واسطاً للحجاج فقال له عبر هـذه الرؤيا قال يملكان جميعاً فأما موسى فتقل أيامه وأما هارون فيبلغ مدى آخر ما عاش خليفة وتكون أيامه أحسن أيامٍ وأنضرها ودهره أحسن دهر قال فلم يلبث الا أياماً يسيرة حتى مات موسى وتولى الأمر هارون فزوج حمدونة من جعفر ابن موسى وفاطمة من اسماعيل ووفى بكلّ ما قال فكان دهره أحسن الدهور ** محمد بن علىّ بن الحسين العلوى قال كنت عند عمر بن الفرج الرُخّجي في اليومَ الذى عقد فيه المأمون لأخيه أبي اسحاق على ثغر المغرب ولابنه العباس على الشام والجزيرة ولعبدالله بن طاهر على الجند ومحاربة بابك وعند عمر جماعة من الهاشميين فتذاكرنا أمر هؤلاء الثلاثة فقال عمر فرق أمير المؤمنين فى هؤلاء الثلاثة ما لم يفرق مثله أحدٌ منذ كانت الدنيا أمر لأخيه أبي اسحاق بخمسمائة الف دينار ولابنه العباس بخمسمائة الف دينار ولعبد الله بن طاهر بخمسمائة الف دينار فمن سخت نفسه بمثل هذا ** وكان للبرامكة في هذا الشأن مالم يكن لأحد من الناس منها انهم كانوا يخرجون بالليل سراً ومعهم الأموال يتصدقون بها وربما دقوا على الناس أبوابهم فيدفعون اليهم الصرةَ فيها بين الثلاثة آلاف الى الخمسة آلاف والأكثر من ذلك والأقل وربما طرحوا ما معهم فى عَتبِ الأبواب فكان الناس لاعتيادهم ذلك يغدون الى العتب اذا أصبحوا يطلبون ما ألقى فيها ** ومنهم خالد بن برمك فانه حدثنا يوسف بن سلام الزعفرانى قال حدثني أبي قال قال خالد بن برمك يوماً وهو بالري وأراد الخروج الى مجلس له واخراج دوابه الى الخضرة ونحن قيام بين يديه من يخرج مع هذه الدواب قال أبي أنا وليس أحد يجترئ أن يتكلم فقال اخرج معها فخرجت وكنت أحسن اليها فلما رددتها حمد أثرى فيها فقلت أيها الأمير لي حاجة فقال وما حاجتك قلت أمي مملوكةٌ لقوم بالبصرة وحاجتى أن يشتريها الأمير قال وكم ثمنها قلت ثلاثة آلاف درهم قال ثلاثة آلاف درهم قلت نعم قال اعطوه ثلاثة آلاف درهم وقال لي أشترها الآن وأعتقها ثم قال ما تريد قلت الحج أحج وتحج هي أيضاً قال اعطوه

ثلاثة آلاف درهم قلت نحتاج الى خادم يخدمنا قال اعطوه ثلاثة آلاف درهم لثمن خادم
قلت نحتاج الى ثمن كسوة قال اعطوه ثلاثة آلاف درهم لكسوتهم فلم أزل أقول وأعدّ
شيئاً شيئاً حتى قلت واحتاج الى منزل وأحتاج الى فرس وهو يقول اعطوه ثلاثة آلاف
درهم حتى أخذت ثلاثين الف درهم •• قال وحدثنا يزيد البرمكي قال كسا خالد كل
ثوب كان له حتى لم يبق عليه من كسوته الا طيلسان خَلَق فاتصل خبره في كسوته بامرأته
أم خالد بنت يزيد وكانت بالري فبعثت اليه بكسوة من الرى طيلسان مطبق لم أر مثله
جودة وحسناً وسعةً وكان خالد ذا بسطة في الجسم فكان يحتاج الي أسبغ ثوبٍ وأتمه
فوضع بين يديه فنظر اليه ثم رفع رأسه اليّ فقال يا يزيد كيف ترى هذا الطيلسان
قلت ما رأيت مثله وان للأمير اليه لحاجة قال خالد أصنع به ماذا قات تلبسه أيها
الأمير قال أنا والله الى غير هذا أحوج قلت وما هو قال ان تقوم الساعة على شريف
من أشراف الناس أو حر من أحرارهم فتتحفه به فيقوم فيلبسه كل يوم عيد أو يخرج
اذا خرج نحو أهله فيلبسه عند قدومه عليهم فيقول هذا كسوة خالد هذا والله أفضل
وأشرف من لبسي اياه قال فكساه بعض عُفاته •• ومنهم يحيى بن خالد فانه حدثنا عليّ
ابن الحسين الأشقر عن عبد الله بن اسوار قال كنت أخط بين يدى يحيى وكان خطى
يعجبه فبينا أنا جالس بين يديه اذ ناوله رجل كتاباً فثنى أعلاه وجعل يقرؤه فدخل
الفضل ابنه فسلم وجلس ثم أقبل على رجل يحدثه وطرفُ يحيى فى الكتاب الذى بيده
فقال الفضل لذلك الرجل انى لأعجب كثيراً من أمر نحن فيه كان الرجل يصل
الرجل بخمسين الف درهم فتغنيه وعشيرته فيكتفون بها ويرى ذلك فى وجوههم
ويتبين عليهم أثره ونحن نصل الرجل بخمس مائة ألف درهم والأكثر فلا نرى ذلك
فى وجوههم فالتفت اليه يحيى وقطع قراءة الكتاب فقال يا أبا العباس اذا كان أمل الرجل
الف الف درهم وأعطيته خمسمائة الف لم تقع منه موقعاً وانما يرى فى وجه الرجل ما
بلغ به الأمل فعجب أهل المجلس من كرمه وقوله وما زالوا يحكونه عنه •• وحدث
ابن مزروع عن أبيه قال كنت أسيرُ فى موكب يحيى بن خالد فعرض له رجل من العامة
ومعه كتاب فقال أصلح الله الأمير اختم هذا الكتاب فبادر اليه الشاكرية يزجرونه

من حواشي موكبه فقال دعوه قبل أن لا ننتفع به يعني خاتمه واستدناه فختمه له وتعجب مسايروه من اغتنامه المعروف وعلمه بأفعال الرجال •• وحدث صالح بن سليمان قال وذكر ليحيي وهو مجاور بمكة أن بجُدّة قوماً يصيدون السمك ويبيعونه ويشترون طعامهم به فان لم يجدوا صيداً مكثوا أياماً لا يأكلون يشدُّ الرجل على بطنه حجراً ولا يسألون الناس شيئاً وربما مات أحدهم جوعاً فقال هؤلاء أعجب قوم سمعت بهم ينبغي أن نلتمس الثواب فيهم فبعث فحمل اليه بعضهم فسأله عن حالهم فأخبره فقال وكم أنتم فذكر عدةً فقال وكلكم على هـذه الطريقة قال نعم قال فما يغنيكم قال تحفر لنا بركة يجتمع فيها ماء السماء فان الماء يعز بالبلاد الا على من كانت له مصنعة فيشرب منها ويبيع فضلها وينتفع بثمنه قال فبكم يكتفي أحدكم في الشهر قال بأربعة دراهم لكل رجل وللمرأة ستة دراهم قال فاني قد أجريت لكل رجـل عشرة دراهم ولكل امرأة ثمانية عشر درهماً فهل تتزوجون قال نعم قال فكم مُهور نسائكم قال أربعمائة درهم قال فاني آمر باعطائكم ما أجريت عليكم لسبع سـنين ولمهور نسائكم عشرين الف درهم قال من يدفع هذ المال الينا فأشار الى غلام أمرد معه فقال ادفع الى هذا المال فدفع اليه فقال أتأذن أن أشتري أصلحك الله من هذا المال تابوتاً أجعله فيه قال نعم وأمر باتخاذ بركة لهم بلغت النفقة عليها عشرين الف درهم •• وحدثنا يزيد البرمكي قال قدم الواقدي من المدينة بأسوأ حال فصار الى يحيي وهو لا يعرفه فوضع الطويلة على رأسه فركب يحيي وخرج فرآه جالساً على باب داره في زي القضاة فقام الواقدي وأثنى عليه ودعا له ومر يحيي في موكبه الى دار أمير المؤمنين ثم انصرف واذا الواقدي في مجلسه ذلك فقام اليه ودعا له وأثنى عليه فدخل في منزله وجلس الواقدي فسأل يحيي عنه وقال من هذا الشيخ الرث الهيئة فلم يعرفه أحد فقال ويحكم لا أشك الا انه شيخ أصيل معه علم وفقه ودعا بكيس فيه أربعة آلاف دينار وأمر وكيلا له أن يدفعها اليه وكان قُصارى الواقديّ ومناه أن يصله بألف درهم فخرج الرسول ووضع الكيس في حجره فلما رأى عظم الكيس أقبل يدعو ليحيي ويُثني عليه ثم قام وانصرف الى منزله وقد أخذته الرعدةُ والحرص أن يرى ما في الكيس فيعرف منتهاه فلما صار الى حجرته استعار من بعض جيرانه ميزاناً وصنجات

ثم فتح الكيس واذا أربعة آلاف دينار فكاد أن يغشى عليه من السرور فرمّ من حاله واتخذ ثياباً سوية وعمــد على أن ينصرف الى المدينة فلما كان من الغد بكّر على يحي ليودعه فدخل وأنشــد فرآه عالماً فقيهاً مسامراً بايغاً فأعجب به فقام ليودعه فقال أقم عنــدنا ولك فى كل حول هذا المقدار فأقام عنده ٠٠ وحدثنا يعقوب بن اسحاق قال رأى رجل من الموالى ليحيي رؤيا وكان يحيي على حال الخوف والوجل من الهادى فقص الرؤيا على أبيه فقال يا بني هذه والله رؤيا عجيبة وأخلق به لأن الرشيد في حجره وولاية العهد له قال يا أبت أفترى أن أخبره بها قال يا بنيّ لا تفعل فان السلطان غايظ عليه وهو يرميه بالزندقة وأنا أشفق عليك من اتيانه لأنه لا يقبل مثل هذا فى هذا الوقت فعصى الرجل أباه وأتاه قال الرجل فلما دخلت عليه رأيت المصحف بين يديه يقرأ فيه فعجبت مما قيل فيه فلما خفّ مَنْ عنده دنوتُ منه فقصصت عليه الرؤيا فقال يابن أخى ما أحسن بالرجل أن يلتمس الرزق بالأحسن الأجمل وأقبح به أن يلتمسه على هذا وبما تذكره مما يشبهه فخرجت من عنده وقد سقط وجهي فأتيت أبي فأعلمته فقال بُعداً لك وسحقاً قد نصحت لك فلم تقبل ثم أقبلت اشتمه وتشتمه أمي وأهلي ونشهد عليــه انه من الزنادقة المعطلين قال ثم لم يلبث أن توفى الهادى وأفضى الأمر الي الرشــيد وصار يحيي الى ما صار اليــه فبينا هو فى موكبه يوماً اذ بصر بى فوجه اليّ ودعاني فدخلت عليه وهو على كرسى قد طرح ثوبه وجعل يمسح وجهه فلما دنوت منــه قال أين كنت عنا قلت أعزك الله والله ما لقيت منك ما يدعو الى اتيانك قال ويحك انك أتيتنا ونحن فى حال كنا نخوف الجدُر أن يكون فيها من يسعى بنا والاخوان أن يسعوا بنا ويحتالوا علينا ولم يكن الرأى أن أجيبــك الا بما أجبتك ووالله ما فارقنى الفكر فى العناية بك والايجاب لك والمعرفة بحقك منــذ وقعت عليك عيني ثم أمر سلاّماً باحضار عشرة آلاف درهم فأحضرت وأمر بالكتاب الى سليمان بن راشــد بأرمينية فدفع المال اليّ وحلنى وخلع عليّ وقال اذهب فاصلح شأنك وتعال فتسلم كتبك وأمر لى بعشرة من دوابّ البريد فانصرفت الى منزلي وتحتى دابة وعليّ خلعة ومعى عشرة آلاف درهم فقال أبي ما هذا يا بنيّ فأعلمته الخبر فما زلت وأهلي وأبي ندعو له ونشهد انه من الصديقين

والشهداء والصالحين فقلت لبعض جيراننا ما أصنع بعشر دواب البريد فقال أكرِها فانك تصيب في السكك من تقصر به دوابه عن حاجته فيكتري منك قال فلما كان من الغد عُدْتُ اليه فأخذت كتبي وجوازي فلما صرت الى السكة وجدت رجلا كبيراً قد وجه الي تلك الناحية ولم يكتف بما حمل عليه من الدواب فأكريت منه ثماني دواب وخرجت على دابتين أنا على دابة وغلامي على أخرى ولم أزل في حشم المكتري حتى صرنا الى أول العمل فاذا يحيي قد سبقني بالكتاب الى سليمان ان رجلا من حاله كيت وكيت وله عندي أيادٍ فاخترتك له فكن عند ظني بك في أمره وافعل به وافعل قال فوجه سليمان قائداً في جند عظيم لاستقبالي حتى اذا اتصل به دنوّي استقبلني في وجوه أهل البلد فلما دنا منا بادرَ الى الرجل المكتري مني ولم يشك انى هو وسأله فأعلمه المكتري انه فلان بن فلان فقال سليمان توهمتك فلانا قال لست هو ولكنه ذاك وأشار اليّ فأقبل سليمان ركضاً اليّ وتضاءلت منه حياء لرثاثة حالى فسألنى وأعلمني انه وجه اليّ وكيله وحمل معه هدايا فقلت ما وصل ذلك اليّ فلما نزلنا وحططنا في بعض تلك المنازل اذا وكيله قد وافى بهدايا واذا دوابّ وبغال موقرة وتخوت وثياب فدخلت البلد وقد حسنت حالي فلما كان من الغد ركب اليّ وقال قد أعلمني أبو علي أعزه الله عن حالك ووكد عليّ في كتابه وليس عندي الا اطلاق العمل لك وهاهنا نشوى الكبرى ونشوى الصغرى وهما من أجل الأعمال بأرمينية ونواحيها فان شئت أن تخرج اليهما فاخرج وان شئت فهاهنا من يبذل عنهما خمسمائة الف درهم قلت لا والله أبقاك الله الا الخمسمائة الالف عجلها لي فأنصرف الى أب شيخ كبير وعيال قد خلفتهم ورائي قال سليمان ذاك اليك فلما خرج سليمان سألت عن نشوى ونشوى قال فقيل مقاطعتهما خمسمائة الف درهم ويصير الى المقاطع مثلها ثم لم ألبث من الغد ان أتى رسوله بالمال فخرجت وأهديت يحيي هدايا كثيرة وألطافاً جليلة مما كان برني به سليمان فلما دخلت اليه تبسم اليّ وقال انا لم نوجهك لننتفع بك بل وجهناك لتنتفع بنا وسيتصل معروفنا اليك فالزمنا فكسبت بجاهه معما وصل اليّ منه ولم يزل يصلني به عشرين الف الف درهم •• وحدثني أيوب ابن هارون بن سليمان بن عليّ قال جاء يحيي ومعه ابنه جعفر الى عبد الصمد بن عليّ

فسلم عليـــه وببابه فتى من ولد عبد الله بن على فقام الى جعفر فقبل يده فقال له اتق وارفع اليّ حوائجك لأرفعها الى أمير المؤمنين وقد أمرت لك بخمسة آلاف دينار فقال يحيي وقد أمرت لك بمثلها وأجريت عليك ثلاثة آلاف درهم في كل شهر فابعث بمن يقبض ذلك فلما انصرف دعاه عبد الصمد فقال لم فعلت مافعلت فقال أنا ابن أخيك وانما تصلني في السنة بأربعة آلاف درهم وقد أغناني هذا وأبوه في ساعة واحدة فكيف تلومني على ذلك •• وحدث يحيي بن محمد قال لما خرج الرشـيد الى القاطول قال ليحيي يا أبت لا تفجعني بك وكن معي في هذا الوجه لآنس بك فعمد على الشخوص معه فقال لرجاء ابن عبـــد العزيز وكان على نفقاته كم عند وكلائنا من المال قال سبعمائة الف درهم قال فاقبضها اليك فعدا اليه فقبل يده ومنصور بن زياد عنده فلما خرج رجاء قال لمنصور قد ظننت ان رجاء توهم انا وهبناه هذا المال وانما أمرناه بقبضه ليكون معنا في هذا الوجه فقال منصور فأنا أعلمه ذلك قال اذن يقول فقبل له يقبل يدي كما قبلت يده فلا تقل له شيئاً وترك المال له وكان يحيي يقول اسرف فان الشرف في السرف •• ومنهم الفضل ابن يحيي البرمكي فانه حدثنا محمد بن على بن عيسى بن ماهان عن محمد بن زيد انه قال دخلت على الفضل بن يحيي وقد خرج من الحمام بعد العصر وهو يقول أعوذ بالله من النار فقلت جعلت فداك اشتر هذا الوجه الحسن من النار فدعا بخمسمائة الف درهم وقال اشتر بها وجهي الساعة فقلت جعلت فداك الوقت ضيق ولكن غداً ان شاء الله فقال لا والله الا الساعة فوجهت الى القضاة في الجانبين بثلاثمائة الف درهم وحملت الى أبي محمد السمرقنـــدى منها صدراً وأمرتهم عنه بتفريقه وفرقت البقية بحضرتي فلم تغب الشمس حتي فرق ذلك كله •• وحدث محمد بن الحسين بن مصعب قال وقف الفضل بن يحيي بخراسان موقفاً لم يقفه أحد قط خرج الى الميدان ليضرب بالصوالج فأمر بدفاتر البقايا التى على الناس فأحضرت وأمر الحاجب بالخروج الى الناس واعلامهم انه قد وهبها لهم ثم أمر بها فضربت بالنار وكان مبلغ ذلك أكثر من عشرين الف الف درهـــم •• وحدث بعض الهاشميين عن خلف المصرى قال مررت يوماً بباب يحيي بن مُعاذ فوجدته مغلقاً ولم أر بالباب أحداً فأنكرت ذلك فدنوت الى الباب واستفتحت ففتح لي ودخلت

عليه وسألته عن حاله فذكر انه توارى عن غرمائه فقلت وكم لديّانك عليك فقال ثلثمائة الف درهم ثم مضيت الى الفضل بن يحيى فأخبرته فسكت فلما انصرفت الى منزلي كتب اليّ انك دللتنا على مكرمة فشكرناك على ذلك وأمرنا لك بمائة الف درهم لدلالتك وبعثنا اليك بثلاثمائة الف درهم لتوصلها الى يحيى بن معاذ فأوصلتها اليه فقضى دَينه بها ..

قيل ودفع حمزة بن جعفر بن سليمان الى أبي النضير الشاعر رقعة ليوصلها الى الفضل يسأله فيها الاذن له فى ابتياع ضيعة بفارس وكان مبلغ ما يوزن فى ثمنها مائة الف درهم قال أبو النضير فأخذتها منه فدفعتها الى الفضل فنظر فيها ووضعها فاغتممت لما رأيت من قلة نشاطه لها فلما أصبحت قيل لي خزّان بيت المال يطلبونك فظننت انه نظر لي بشيء فى خاصتي فأتيتهم فقالوا لي أحضر من يحمل المائة الألف الى صاحب الرقعة فحملتها الى حمزة فصرت اليه فقلت له أصلح الله الأمير وصلت اليّ صلتك ولا والله ما أدري كيف أشكرك الا بقول أبي النضير فيك

وللناسِ معروفٌ وفيهمْ صنائعٌ ولَنْ يَجْبُرَ الأحزانَ إلاّ جَدَا الفضلِ
إذا ما العطايا لم تكن برمكيةً فتلكَ العطايا ما تُمِرُّ وما تُحلِي

قال أبو النضير فالتفت اليّ الفضل فقال يا أبا النضير جزاؤك عندي فوصلني حتى أغناني

.. وحدث أحمد بن عليّ الشيقي وغيره ممن ينزل بنهر المهدى قال أقبل الفضل بن يحيى يوماً على نهر المهديّ يريد منزله بباب الشماسيّة فاستقبله فتى من الأبناء قد أُملِكَ ومعه جماعة كثيرة قد ركبوا معه فى السواد والسيوف وهكذا كانوا يفعلون يركبون مع الرجل عند إملاكه ويستعيرون الدوابّ ويسيرون خلفه ويطرّقون بين يديه قال فترجّل الفتى للفضل وقبل يده ورجله فسأله عن شأنه فأخبره فقال كم أصدقت أهلك قال أربعة آلاف درهم فدعا قهرمانه وقال احمل اليه الساعة أربعة آلاف درهم لصداق أهله وأربعة آلاف درهم لشراء منزل ينزله وأربعة آلاف درهم لنفقة تحويل أهله وأربعة آلاف درهم للنفقة على الوليمة وأربعة آلاف درهم ليتصرف بها فى معيشته قال أحمد بن عليّ فأشاروا على الفتى أن يسأله أن يأمر قواده وحشمه بإتيانه فأمرهم بذلك فأتوه وجعلوا يطرحون العشرة الآلاف الدرهم والخمسة الآلاف الدرهم والأقلّ والأكثر في مجلسه حتى اجتمع له

خمسون الف درهم سوى ما أعطاه الفضل•• وحدث أحمد بن عليّ قال حدثنا رجل من جيراننا ان الفضل بن يحيي مرّ في يوم صائف منصرفاً من المدينة يريد منزله فقال الرجل لا والله إنْ في منزلي قليل ولا كثير فعطس الفضل فقال يرحمك الله وقد كان سمع يميني فأمر بعضَ غلمانه أن يحملني معه على دابّته فلما صار بي الى قصره أخرج اليّ خمسة آلاف درهم وعشرة أثواب فانصرفت بها الى منزلي فقالت لي امرأتي والله لقد خرجتَ من عندنا وما تملك قليلا ولا كثيراً فمن أين سرقت هذا قال فأعلمتها القصة فلم تصدق قولي واستراب الجيران بحالي وتناهي الخبر الى السلطان فطمع فيّ وأخذني فحبسني فقلت له انه كان من أمري كيت وكيت فوقع خبري الي الفضل فأمر باحضاري فلما أحضرت ورآني عرفني وأمر باطلاقي ووصلني بخمسة آلاف أخرى وبعشرة أثواب وقال تعهدنا ننفعك فلم يزل ينفعه حتي حدث من أمرهم ماحدث •• وعن أحمد بن محمد بن عبد الصمد ان رجلا كان ينزل على نهر المهدي وكانت عليه نعمة فزالت فلم يقدر على شيء فمطر الناس ثلاثة أيام متتابعة فبقي في منزله لايقدر على الخروج فأضرّ به ذلك وبلغ اليه الجوع والى عياله فلما كان في آخر الليل جاء الى البقّال بقصعة له ليرهنها عنده على خبز فانتهره البقال وقال ما أصنع بهذه القصعة وأبي ان يعطيه عليها شيئاً قال فعاد الى منزله مغموما لاحيلة له فرفع يده الى السماء وقال اللهم سُقْ اليّ في هذه الليلة عبداً من عبادك تحببه يفرج عني ماأمسيت فيه فما شعرت الا والباب يُدقّ عليّ فاذا رجل على حمار قد حفّ به خدم فقال لى كم عيالك قلت كذا وكذا فاعطاني كيساً قدّرت ان فيه خمسة آلاف درهم فقلت الحمد لله الذي استجاب دعائي وفرج عني فقال لى وما كان قولك ودعاؤك فخبرته الخبر بصنيع البقال وما دعوت الله جل وعز به فاستحلفني انى دعوت بهذا الدعاء فحلفت له فأمر لى بمائة ألف درهم فسألت بعض أولئك الخدم عنه لأعلم هل يقدر على ماأمر لى به أم لا فقال هو الفضل بن يحيي بن خالد البرمكيّ فبكرت الى ذلك وانصرفت الى منزلي ومضيت الى قهرمانه لما أصبحت فقبضت منه المال •• وحدث خلف بن عمر المصري قال كنا عند الفضل ذات ليلة فقال أتعرفون رجلا كانت عليه نعمة فزالت عنه حتى

أردها عليه فقال الأشعريّ وكان قاضياً أعرف أصلحك الله رجلا شريفاً من آل خالد ابن عبد الله القسريّ بالكوفة قد أضرّت به الحاجة وسماه له فكتب الى عامل الكوفة احمل اليّ فلانا على البريد فقد بعثتُ بجوازه فلم يعلم الخالديّ حتى حمله العامل على البريد ووجهه اليه فلما قدم عليه دعاه وسأله عن حاله وأمر له بمائة ألف درهم وقال أقمْ بها مروءتك حتى أنظر في أمرك وأدبر لك مايصلح حالك ثم ولاه كرْمان فصار اليها وحسنت حاله ثم ان كتاب صاحب البريد بها ورد على الفضل بن يحيي بوفاة الكوفي فقال لنا أتدرون ماقال الفارسى فى مثل له فذكر المثل بالفارسية ثم فسره بالعربية فقال الى أن يُدرك الحشيش قد مات الحمار أردت بهذا الرجل الغنى فمات قبل ذلك واغتمّ لوفاته ولما فاته من الاحسان اليه بعد الذى قد كان أعطاه وأكسبه من مرافق العمل الذى ولاّه وتقدم بحمل جميع ماخلّفه الى أهله فحمل اليهم ٠٠ وحدثنا أبوطالب الجعفريّ قال حدثني سليمان بن أبي جعفر ان محمد بن ابراهيم الامام ركب الى الفضل ابن يحيي يوما وكان قد ركبه دين وحمل حُقّة فيها جوهر فلما وصل اليه قال قد لزمنى دين أحوجنى الى احتيال ألف ألف درهم وعلمت ان التجار لايسمحون باخراج مثلها وان وثّقنا الرهن ولك معاملون وتجار مطيعون ومعي رهن فان رأيت ان تأمر بقبضه وحمل هذا المال الينا فأنت أولى بذلك فقال الفضل نعم لنا تجار يطيعوننا ويسارعون الى أمرنا ولكن ماهذا الرهن فوضع الحُقّة بين يديه ففتحها حتى نظر اليها فأعجب بالجوهر الذى فيها ثم أمر باعادتها الى حالها وقال ضع خاتمك عليها فختمها قال فقال الفضل ان نجح الحاجة ان تقيم في منزلى الذى أنا فيه فقال يشق عليّ المقامُ فقال وما يشق عليك ان رأيت ان تلبس من ثيابنا شيئاً دعوت لك به والا فابعث الى منزلك لتؤتى به فأقام عنده ونهض الفضل فدعا وكيله وأمر ان يحمل الى منزل محمد بن ابراهيم ألف ألف درهم مبدّرة ويضعها قُبالة مجلسه ليراها اذا دخل ففعل الوكيل ذلك وانصرف محمد الى منزله مع المغرب فلما دخل وقعت عينه على المال فقال ماهذا قالوا وجّه به الفضل قال أحسن الله جزاءه فانه وان كان وجّه بذلك على مارهناه فقد ظهر لنا من عنايته ماقدرناه فيه قالوا وما الرهن قال الحُقّة قالوا قد ردها تحت خاتمك

فقال أين هي فأتى بالحقّة ففتحها حتى نظر اليها وفرح فرحاً شديداً فغدا الى الفضل فوجده قد سبقه الى دار أمير المؤمنين فتبعه فلم يزل واقفاً ينتظره حتى خرج الفضل من باب آخر فصار الى منزله وشكر له ما كان منه وانصرف عنه فلما دخل منزله وجد فيه ألف ألف درهم سوى الأولى فقال ماهذا قالوا بعث به الفضل فأتاه فقال له جُعلت فداك أما كان فيما وجّهتَ به أمس كفاية حتى أردفتَهُ بمثله فقال انه والله طالت عليّ ليلتي فركبتُ الى أمير المؤمنين وأعلمته حالك فأمرني بالتقدير لك فقدّرت مائة ألف دينار فما زال يقول ويماكسني حتى وقفتُ على ألف ألف فأمر لك بها فلم أنصرف الى المنزل حتى حُمِلَ المال اليك فقال محمد لست أجد لك شكراً أقضى به حقك غير انه عليّ من الأيمان المغلّظة إنْ وقفتُ بباب أحد سواك أبداً حتى ألقى الله جل وعز ولا أسأل أحداً حاجةً مابقيتُ سواك فكان لايركب الى أحد سوى الفضل ولا يقف بباب أحد غيره •• ومن كرمه ماحُدّثَ به المأمون فكبر عنده واستحسنه وعجب من جوده وسعة صدره فانه بلغنا عن عمرو بن مسعدة قال رفعت قصة الى المأمون منسوبة الى محمد بن عبد الله يمُتّ فيها بحُرمه ويزعم انه من أهل النعمة والقدر وانه مولى ليحيي بن خالد وانه كان ذا ضيعة واسعة ونعمة جليلة وان ضياعه قُبِضت فيما قُبِضَ للبرامكة وزالت نعمته بحلول النقمة عليهم فدفعها المأمون الى ابن أبي خالد وأمره أن يضم الرجل الى نفسه وان يُجرى عليه ويحسن اليه ففعل ذلك به وصلحت حاله وتراجع أمره وصار نديماً لابن أبي خالد لا يفارقه فتأخر عنه ذات يوم لمولودٍ وُلِدَ له فبعث اليه فاحتجب عنه فغضب عليه ابن أبي خالد وأمر بحبسه وتقييده وإلباسه جُبّة صوف فمكث كذلك أياماً فسأله المأمون عنه فقص عليه قصته وعظم عليه جرمه وشكا ما يراه عليه من التيه والصلف والافتخار بالبرامكة والسمو بآبائهم فأمره باحضاره فأحضر في صوفه فأقبل عليه المأمون بالتوبيخ مصغراً لقدره مسفّها لرأيه وعظم في عينه إحسان ابن أبي خالد اليه مع طعن على البرامكة ووضع منهم فأطنب في ذلك فقال محمد ياأمير المؤمنين لقد صَغّرْتَ من البرامكة غيرَ مصغر ووضعت منهم غير موضوع وذممت منهم غير مذموم ولقد كانوا شفاء أسقام دهرهم وغياث إجداب عصرهم كانوا

مفزعاً للملهوفين وملجأ للمظلومين وان أذن لي أمير المؤمنين حدثته ببعض أخبارهم ليستدل بذلك على صدق قولي فيهم ويقف على جميل أخلاقهم ومحمود مذاهبهم في عصرهم والأفعال الشريفة والأيادي النفيسة قال هات قال ليس بانصاف محدثه مقيّد في جُبّة صوف فأمر فأُخذ قيده فقال ياأمير المؤمنين أَلَمُ الجبّة يحول بيني وبين الحديث فأمر فخلع عليه ثم قال هات حديثك قال نعم يا أمير المؤمنين كان ولائي وانقطاعي الى الفضل فقال لي الفضل يوماً يحضر من أبيه وأخيه جعفر ويلك يا محمد اني أحب أن تدعوني دعوة كما يدعو الصديق صديقه والخليل خليله فقلت جعلت فداك شأني أصغرُ من ذلك ومالي يعجز عنه وباعي يقصر عن ذلك وداري تضيق عنه ومنّتي لاتقوم له قال دع عنك ذلك فلا بد منه فأعدتُ عليه الاستعفاء فرأيته جادًّا في ذلك مقيما عليه وسألاه ذلك واعلماه قصور يدي عن بلوغ مايجب ويشبه مثله فقال لهما لست بقانع منه دون أن يدعوني واياكما لارابع معنا فأقبل عليّ يحيي وقال قد أبى أن يعفيك وان لم يكن غيرنا فأقعِدنا على أثاث بيتك فلا حشمةَ منّا وأطعمنا من طبيخ أهلك فنحن به راضون وعليه شاكرون فقلت جعلت فداك ان كنت قد عرضت عليّ ذلك وأبيت إلاّ هتكي وفضيحتي فلأقل ان تؤجلني حتى أتأهب فقال استأجل لنفسك فقلت سنة فقال ويحك أمعنا أمانٌ من الموت الى سنة فقال يحيي أفرطت في الأجل ولكني أحكم بينكما بما أرجو أن لايرده أبو العباس واقبله أنت أيضاً فقلت احكم وفقك الله للصواب وتفضل عليّ بالاستظهار والتفسح في المدة فقال قد حكمت بشهرين فخرجت من عندهم وبدأت برم داري واصلاح آلتي وشراء ماأتجمل به من فرش وأثاث وغير ذلك وهو في ذلك لايزال يذكرني وبعد الأيام عليّ حتى اذا كانت الجمعة التي تجب فيها الدعوة قال لي يا محمد قد قرب الوقت ولا أحسبه بقي عليك الاّ الطعام قلت أجل ياسيدي فأمرت باتخاذ الطعام على غاية ماانبسطتْ به يدي ومقدرتي وجاءني رسوله عشية اليوم الذي في صبيحته الدعوة فقال لي الى أين بلغت وهل تأذن بالركوب قلت نعم بكّر فبكّرَ هو ويحيي وجعفر ومعهم أولادهم وفتيانهم فلما دخلوا أقبل عليّ الفضل وقال يامحمد ان أول ماأبدأ به النظر الى نعمتك كلها صغيرها وكبيرها فقم بنا اليها حتى أدور فيها وأقف

عليها فقمت معــه وطاف فى المجلس ثم خرج الى الخــزائن وصار الى بيوت الشراب وخرج في الاصطبلات ونظر الى صغير نعمتي وكبيرها ثم عدل الى المطبخ فأمر بكشف القدور كلها وأبصر قِدْراً منها فأقبــل على أبيه وقال هذا قِدرك الذي يعجبك ولست أبرح دون أن تأكل منه ثم كره أن يأكل فيثلم عليّ فى أكله ويفسد طعامه فدعا برغيف فغمسه فى القدر وناوله اباه ثم فعل ذلك بأخيه ودعا بخِلاَل وخرج الى الدار ووقف فى صحنها مفتّناً طرفَه في فنائها وبنائها وسقوفها وأروقتها ثم أقبل عليّ وقال مَن جيرانك قلت جعلت فداك عن يمينى فلان بن فلان التاجر وعن شمالى فلان بن فلان الكاتب وفى ظهر دارى رجــل من بني برجا كبير فهو فى بنائه لا يفتر ولا يقصر فقال لي أو تعرفه قلتُ لا قال كان ينبغي لك فى قدرك ومحلك من هذه الدولة ألاّ يجترئ أحد أن يشترى شيئاً فى جوارك الا بأمرك لا سيما اذا كان ملاصقاً لك ولا ترضى لنفســك الا بجار تعرفه فقلت لم يمنعنى من ذلك الا ما كنتُ فيــه من الشغل بهذه الدعوة المباركة فقال لى فأين الحائط الذى يتصل بداره فأومأتُ اليه فقال عليّ بنجار فأُتي به فقال افتح هاهنا باباً فأقبل عليه أبوه وقال نشدتُك الله يا بني أن لا تهجم على قوم لا تعرف لهم سبباً وأقبل عليه أخوه بمثل ذلك فامتنع دون فتح الباب فلما رأيته قد ردّ أباه وأخاه أمسكتُ عن مسألته ففتح الباب ودخل وأدخلنى معــه فدخلت داراً حار بصرى فيها من حسنها كلها لؤلؤ تُعشي العيون فانتهى الى رواق فيــه مائة مملوك فى قَدّ واحد وزيّ واحد عليهم الأقبية الديباج المنسوجة والمناطق المذهبة فلما نظروا الى الفضل عدوا ووقفوا بين يديه واذا شيخ بهيّ قد خرج من بعض تلك المجالس فقبل يده فقال مُرّ بنا ننظر فى مرافق هذه الدار فما دخلت مجلساً من مجالسه الا وقد فرغ تحشيته بالفرش الذى لا يحيط به الوصف وكذلك مرافقها من الستور والبسط وغير ذلك ثم قال للشيخ مُرّ بنا الى عنــد الدوابّ فدخلنا اصطبلا فيه أربعمائة رأس من الدوابّ والبغال وغيرها فوجدت ذلك الاصطبل أحسن بناء من دارى ثم خرج نحو دور النساء والشيخ بين يديه فلما انتهى الى الباب وقف الشيخ ودخل الفضل وجذبني الى نفسه وأنا معه حتى دخلت بعض تلك الدور فاذا فيها مائة وصيفة كأنهنّ الأقمار قد

أقبلن فى حُليهن وحللهن فوقفن بين يديه فقال يا محمد هذه الدار أجل أم دارك فقلت يا سيدى وما أنا وما دارى هــذه والله تصلح للأمير لا غيره على تحرّج منى فى قولى فقال يا محمد هذه الدار بما فيها من الدوابّ والرقيق والفرش والأواني لك ولك عندى زيادة فقلت فى نفسي يهب لي ملكَ غيره فعلم ما فى نفسى فقال يا محمد انى لما سألتك هذه الدعوة تقدمت الى هذا القهرمان بشراء البراح وأن يعجل الفراغ منه ومن بنائه وحولت اليها ما ترى فبارك الله لك فيها وانصرف بى الى عنــد أبيه وأخيه وحدثهما بما جرى فرأيت أخاه جعفراً قد أمعض من ذلك وتغير وجهه تغيُّراً عرفته ثم أقبل على أبيه يشكو الفضل ويقول يتفرد بمثل هذه المــكرمة من دونى فلو شاركنى فيها لكانت يداً أشكرها منه فقال يا أخي بقى لك منها قطبها قال وما هو قال ان مولانا هذا لا يتهيأ له ضبط هذه الدار بما فيها الا بدخل جليل فاعطِه ذلك فقال فرجتَ عنى يا أخ فرج الله عنك فدعا من وقته بصكاك لخمس قريّات واحتمل عنى خراجها فخرج عنى وأنا أيسر أهل زمانى فهل تلومنى يا أمير المؤمنين على ذكرهم والقول بفضلهم فقال المأمون ذهب القوم والله بالمكارم ثم أمر لمحمد بمائة الف درهم وتقدم الى ابن أبي خالد برد مرتبته وتصييره في جملة خواصــه ‥ وحدثنا غيره قال اصطحب رسول للفضل ورجل كوفىّ فى طريق خُراسان فأقبل الكوفى يسأل عن أفعال الفضل فأخبره بأنهابه الأموال الجليلة في العطايا فقال له الكوفىّ خبرنى عن هذه الأموال التي يهبها يراها وينظر اليها فقال لا قال فمن هناك تهون عليــه فلما وصلا الي الموضع دعا الفضل بالرسول وسأله عما رأى فى طريقه وعما سمع فأقبل يخبره حتي انتهى الي خبر الكوفىّ فذكر له ما قال وكان متكئاً فاستوى جالساً ثم قال يا غــلام ائت صاحب بيت المال فاسأله عن حاصله فقال هو عشرة آلاف الف درهم فقال تحمل الساعة الى دار العامة وتشق عنها البدَر شقاً وتنثر فى وسط الدار قال ففعل ذلك بها ثم قال للرسول هات صاحبك الكوفى فأتي به وأمر الفضل بتفريق ذلك المال على زُوّاره رجلا رجلا واسما اسما على مقاديرهم وما وقع لكل رجل منهم ثم أمر للكوفيّ بمائة الف درهم وقال هذه لك لتنبيهك اياي على هذا الفعل ‥ ومما قيل فى ذلك

كريمٌ كريمُ الأمهــاتِ مُهذّبٌ تحلّبُ كفّاه الندَى وأنامِلُه

هو البحرُ من أيّ النواحي أتيتَهُ فلُجّتُهُ المعروفُ والجودُ ساحِلُه
جَوادٌ اذا ما جئتَ للعُرْفِ طالباً حَباكَ بما تحوى عليهِ أنامِلُه
ولو لم يكن فى كفِّهِ غيرُ رُوحِهِ لجادَ بها فليتقِّ اللهَ سائِلُه

•• وللبحترى فى ذلك

لو أنّ كَفّكَ لم تجُدْ لِمُؤمّلٍ لكفاهُ عارضُ وجهكَ المتهلّلِ
أو أنّ مجدَكَ لم يكن متقادماً أغناكَ آخرُ سؤدَدٍ عن أوّلِ

علي بن يحيى النديم قال دعانى المتوكل ذات يوم وهو مخمور قال أنشدني قول عُمارة فى أهل بغداد فأنشدته

مَن يشترى منى مُلوكَ المَخَرِّمِ أَبِعْ حَسَناً وابني هشامٍ بدِرهَمِ
وأعطى رَجاءً بعد ذاكَ زيادةً وأمنحُ ديناراً بغيرِ تندُّمِ
وان طلبوا مني الزّيادةَ زِدتُهُمْ أبادُلفٍ والمستطيلَ بنَ أكثمِ

فقال المتوكل ويلي علي ابن البوال على عقبيه يهجو شقيق دولة بني العباس قلت ياسيدى مَن شقيق دولة بني العباس فقال القاسم بن عيسى فهل عندك من مديحه شيءٌ قلت نعم يا أمير المؤمنين قول الاعرابىّ الذى يقول

أبادُلفٍ انّ السماحةَ لم تزَلْ مُغلّلة تشكو الى اللهِ غُلّها
فبشّرها رَبي بميلادِ قاسمٍ فأرسلَ جبريلا اليها فحلّها

•• ولبكر بن النطّاح فى أبى دلف

بطلٌ بصدرِ حُسامهِ وسِنانهِ أجلاَنِ من صَدَرٍ ومن إيرادِ
وَرِثَ المكارِمَ وابتناها قاسمٌ بصفائحٍ وأسنّةٍ وجيادِ
يا عِصمةَ العرَبِ التى لو لم تكنْ حَيًّا اذاً كانت بغيرِ عمادِ
إنّ العيونَ اذا رَأتك حِدادُها رَجعَتْ من الاجلالِ غيرَ حِدادِ
واذا رَمَيتَ الثغرَ منكَ بعزْمةٍ فتّحتَ منهُ مواضِعَ الأسدادِ
وكأنّ رُمحكَ مُنقعٌ فى عُصفُرٍ وكأنّ سيفَكَ سُلّ من فرْصادِ
لوْصالَ من غضبٍ أبودُلفٍ على بيضِ السُّيوفِ لذُبْنَ فى الأغمادِ

أذكى ونوّرَ للعداوةِ والهوى ... نارين نارَ دمٍ ونارَ رمادِ

وقال أبو هفّان أنشدته عبد العزيز بن أبي دلف بسُرَّ من رأى فبرّني ثم قال هل خلق مثله قلت لا .. ولغيره في أبي دُلف

ولو يجوزُ لقالَ الناس كلهمُ ... لولا أبو دُلَفٍ ما أورقَ الشجرُ
قرمٌ اذا ماحوى في كفهِ حجراً ... يفيضُ في كفهِ من جُودِهِ الحجرُ

وأنشد أيضاً رحمه الله

خلٌّ اذا جئتَهُ يوماً لتسألَهُ ... أعطاكَ ما ملكتْ كفاه واعتذرا
يُخفي صنائعَهُ واللهُ يظهرُها ... إنّ الجميل اذا أخفيتَهُ ظهرا

.. وأنشد

يداكَ يدٌ غيثُها مُرسَلٌ ... وأخرى لِأعدائها غائظَه
فأما التي سيبُها يُرتجى ... فأجودُ بالمال من لافظَه
وأما التي شرها يُتّقى ... فنفسُ العدُوّ بها فائظَه

.. وقال آخر

فتىً عاهدَ الرحمن في بذلِ مالِهِ ... فليس تراه الدهرَ إلا على العهدِ
فتى قصُرت آمالُهُ عن فعالِهِ ... وليس على الحرّ الكريمِ سوى الجَهْدِ

.. وقال آخر

عادَ السُّرورُ اليكَ في الأعياد ... وسعدتَ من دُنياكَ بالإسعادِ
رِفقاً بِشكرٍ جلّ ما أوليتَهُ ... رِفقاً فقد أثقلتَهُ بأيادِي
ملأَ النفوسَ مهابةً ومحبةً ... بدرٌ بدا متغمراً بسوادِ
ما إن أرى لكَ مُشبهاً فيما أري ... أمُّ الكرامِ قليلةُ الأولادِ

.. وقال آخر

اذا ما أتاهُ السائلونَ توقّدتْ ... عليهِ مَصابيحُ الطلاقةِ والبِشْر
لهُ في ذُرى المعروفِ نُعمَى كأنها ... مَواقعُ ماءِ المزْنِ في البلدِ القَفْر

محاسن صلات الشعراء

قيل دخل جرير على عبد الملك بن مروان وقد أوفده اليه الحجاج بن يوسف فدخل محمد بن الحجاج فقال يا أمير المؤمنين هذا جرير مادحك وشاعرك فقال بل مادح الحجاج وشاعره فقال جرير إنْ رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في انشاده مدحة قال هات آبدأ بالحجاج قال بل بك يا أمير المؤمنين فقال هات ابدأ بالحجاج فأنشده

صَبرْتَ النفسَ يا ابنَ أبي عَقيلٍ ... مُحافظةً فكيف ترى الثوابا

ولوْ لم تُرْضِ ربّكَ لم يُنزّلْ ... مع النصرِ الملائكةَ الغِضابا

اذا سعَرَ الخليفةُ نارَ حَرْبٍ ... رأى الحجّاجَ أثقبها شِهابا

فقال صدقت كذاك هو ثم قال للأخطل قمْ فهات مديحاً فقام فأنشد وأجاد وأبلغ فقال أنت شاعرنا وأنت مادحنا قم فاركبه فألقى النصرانيّ ثوبه وقال خِبٌّ يا ابن المراغة فساء ذلك من حضرَ من مُضر وقالوا يا أمير المؤمنين ان النصرانيّ لا يركب الحنيف المسلم فاستحيى عبد الملك وقال دَعْه قال جرير فانصرفت أخزى خلقِ الله حتى اذا كان يوم الوداع دخلت لأودعه فأنشدته

ألستمْ خيرَ مَنْ ركِبَ المطايا ... وأندَى العالمين بطونَ راحِ

فقال بلى نحن كذلك أعدْ فأعدت وأسفر لونه وذهب ما كان في قلبه فالتفت الي محمد بن الحجاج فقال أترى أمّ حزرة يرويها مائة من الابل فقلت نعم يا أمير المؤمنين ان كانت من فرائض كلبٍ فلم تروها فلا أرواها الله فأمر لي بمائة من الابل ●● وحدثنا المدائني عن كيسان عن الهيثم قال حجّ عبد الملك بن مروان ومعه الفرزدق فبينا هو قاعد بمكة في الحجر اذ مرّ به علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب وعليه مِطرَف خزّ فقال عبد الملك من هذا يا فرزدق فأنشأ يقول

هذا الذي تعرِفُ البطحاء وطأتَهُ ... والبيتُ يعرِفُهُ والحلُّ والحرَمُ

هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلِّهِمِ ... هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلَمُ

إذا رأتْهُ قريشٌ قالَ قائلُها ... إلى مكارِمِ هذا يَنتهي الكرَمُ

يكادُ يُمسِكُهُ عِرفانَ راحتِهِ ... رُكنُ الحطيمِ إذا ماجاء يستلمُ
يَنمي الى ذُروةِ العزِّ التي قَعَدَت ... عن نَيلِها عرَبُ الاسلام والعجمُ
مُشتقةٌ من رسول الله نبعتُهُ ... طابَت عناصرُهُ والخِيمُ والشيمُ
في كفِّه خيزُرانٌ ريحُهُ عبقٌ ... من كفِّ أروعَ في عِرنينِهِ شَمَمُ
ينشقُّ نورُ الدجى عن نورِ غُرَّتِهِ ... كالشمس تنجابُ من إشراقها الظُّلَمُ
يُغضي حياءً ويُغضى من مهابتِهِ ... فما يكلَّمُ الا حينَ يبتسمُ
من معشرٍ حبُّهم دينٌ وبغضُهُمُ ... كُفرٌ وقربُهمُ منجًى ومعتصَمُ
يُستدفعُ السوءُ والبلوَى بحبِّهمُ ... ويُستربُّ به الاحسانُ والنعمُ
لا يستطيعُ جوادٌ بعدَ غايتِهم ... ولا يُدانيهمُ قومٌ وان كرُموا
إن عُدَّ أهلُ الندى كانوا أئمتَهم ... أو قيلَ من خيرُ أهل الارض قيل همُ
مقدَّمٌ بعدَ ذكر الله ذكرُهمُ ... في كلِّ برٍّ ومختومٌ به الكلِمُ

قال فلما فرغ من شعره قال له عبد الملك أورافضيٌّ أنت يافرزدق فقال ان كان حب أهل البيت رفضا فنعم فحرمه عبد الملك جائزته فتحمَّل عليه بأهل بيته فأبى أن يعطيه فقال له عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ما كنت تؤمل ان يعطيك قال ألف دينار في كل سنة قال فكم تؤمل ان تعيش قال أربعين سنة قال ياغلام عليَّ بالوكيل فدعاه اليه وقال اعط الفرزدق أربعين ألف دينار فقبضها منه •• قيل ودخل الفرزدق على سُكَينة بنت الحسين فقالت له من أشعر الناس قال أنا قالت كذبت أشعر منك الذي يقول

بنفسي من تجنُّبُهُ عزيزٌ ... عليَّ ومن زيارتُهُ لِمامُ
ومن أمسي وأصبحُ لا أراهُ ... ويطرُقُني اذا هجعَ النيامُ

فقال أما والله لئن تركتني لأسمعنَّك ماهو أحسن منه فقالت أخرجوه عني ثم عاد من الغد فقالت من أشعر الناس قال أنا قالت كذبت أشعر منك الذي يقول

يابيتَ عاتكةَ الذي أتعزَّلُ ... حذَرَ العدى وبه الفؤادُ موكَّلُ
اني لأمنحُكَ الصدُودَ وانني ... قسماً اليك مع الصدود لأميَلُ

فقال أما والله لئن تركتني لأسمعنك أحسن منه فقالت أخرجوه عني ثم عاد من الغد وعندها جوار كالتماثيل فأخذت جارية منهن بقلبه فقالت سكينة من أشعر الناس قال أنا قالت كذبت أشعر منك الذي يقول

إنّ العيونَ التي في طرفها حوَرٌ قتلننا ثم لا يُحيينَ قتلانا

فقال يابنت رسول الله ان لي حقاً باقبالي عليك من مكة ولا أراك تدعيني أسمعك شعري ولا تزيديني على التكذيب مع اني لاخاف لما بي اني لا أبرح ميتاولي حاجة قالت فما هي قال ان أنا متّ تأمرين بتكفيني في ثيابي هذه وأشار الى الجارية فقالت هي لك وضمت اليها جائزة وكسوة .. وعن أبي الزناد قال اجتمع جرير والفرزدق وجميل وكثيّر ونصيب في منزل سكينة بنت الحسين فخرجت جارية ومعها قرطاس وقالت أيكم الفرزدق فقال هاأنا ذا قالت أنت الذي يقول

أبيتُ أُمنّي النفسَ أنْ سوفَ نلتقي وهل هومقدورٌ لنفسي لقاؤها

فان ألقها أو يجمعِ الدهرُ بيننا ففيها شفاء النفس منها وداؤها

قال نعم قالت قولك أحسن من منظرك وأنت القائل

ودّعنَني باشارةٍ وتحيّةٍ وتركنَني بين الديار قتيلا

لم أستطعْ ردّ الجواب عليهمُ عندَ الوداع وما شفَينَ غليلاَ

لو كنتُ أملكهمْ اذاً لم يبرحوا حتى أودّعَ قلبيَ المخبولا

قال نعم قال أحسنت أحسن الله اليك وأنت القائل

هما دلّتاني من ثمانينَ قامةً كما انقضّ بازٌ أقتمُ الريش كاسرُه

فلما استوت رجلاي في الارض نادتا أحيٌّ فيرجي أم قتيلٌ نحاذرُه

فقلتُ ارفعوا الاسباب لا يشعروا بنا ووليتُ في أعجاز ليل أبادرُه

أحاذرُ بوّابين قد وُكّلا بها وأحمرَ من ساجٍ تبصّ مسامرُه

فأصبحتُ في القوم القعود وأصبحتْ مغلّقةً دوني عليها دساكرُه

قال نعم قالت سوأة لك قضيت حاجتك فأفشيت عليها وعلى نفسك فضرب بيده على جبهته وقال نعم فسوأة لي ثم دخلت وخرجت وقالت أيكم جرير فقال هاأنا ذا

قالت أنت القائل

رُزِقنا به الصيدَ الغزيرَ ولم نكُنْ كمن نبلُهُ محرومةٌ وحبائلُهْ
فهيهاتَ هيهاتَ العقيقُ ومن به وهيهات حيٌّ بالعقيق نُواصلُهْ

قال نعم قالت أحسن الله اليك وأنت القائل

كأنَّ عيونَ المجتلينَ تعرَّضَتْ وشمساً تجلّى يومَ دَجْنٍ سحابُها
اذا ذُكِرَتْ للقلبِ كاد لذكرها يطيرُ اليها واعتراهُ عذابُها

قال نعم قالت أحسنت وأنت القائل

سرتِ الهمومُ فبِتْنَ غيرَ نيامِ وأخو الهموم يرومُ كلَّ مرامِ
طرقتكَ صائدةُ القلوبِ وليس ذا وقتَ الزيارةِ فارجعي بسلام
لو كان عهدُكِ كالذي حدثتني لوصلتُ ذاك فكان غيرَ ذِمام
تجرى السواكَ على أغرَّ كأنه بَرَدٌ تحدَّر من متون غمام

قال نعم قالت سوأة لك جعلتها صائدة القلوب حتى اذا أناخت ببابك جعلت دونها حجابا ألا قلت

طرقتكَ صائدةُ القلوب فمرحباً نفسى فداؤك فادخلى بسلام

.. قال نعم فسوأة لى ودخلت وخرجت .. وقالت أيكم كثير فقال هاأنا ذا فقالت أنت القائل

وأعجبني ياعزَّ منكِ خلائقٌ حسانٌ اذا عُدَّ الخلائقُ أربعُ
دُنوكِ حتى يطمعَ الصبُّ في الصبا وقطعُكِ أسبابَ الصباحين تقطعُ
فوالله مايدرى كريمٌ مطلتِهِ أيشتد إن قاضاكِ أمْ يتضرَّعُ

قال نعم قالت أعطاك الله مناك وأنت القائل

هنيا مريئاً غيرَ داء مخامرٍ لعَزَّةَ من أعراضنا ما استحلّتِ
فما أنا بالداعي لعَزَّةَ فى الوَرى ولا شامتٍ إنْ نَعْلُ عَزَّةَ زَلّتِ
وكنتُ كذِي رجلينِ رجلٍ صحيحة ورِجلٍ رمى فيها الزمانُ فشلّتِ

قال نعم قالت أحسن الله اليك ثم دخلت وخرجت وقالت أيكم نُصيب فقال هاأنا ذا

قالت أنت القائل

ولولا أنْ يقالَ صَبا نُصيبٌ   لقُلْتُ بنفسى النَّشأ الصغار
ألاَ ياليتنى قامَرْتُ عنها   وكان يحِلُّ للناسِ القِمارُ
فصارتْ فى يدى وقُمِرْتُ مالى   وذاكَ الربحُ لوْ عَلِمَ التجارُ
على الإعراضِ منها والتوانى   فانْ وعدَتْ فوعدُها ضِمارُ
بنفسى كلُّ مهضومٍ حشاها   اذا قُهِرَتْ فليسَ بها انتصارُ
اذا ماالزُّلُّ ضاعفْنَ الحشايا   كفاها أنْ يُلاثَ بها إزارُ
ولوْ رأتِ الفَراشَةَ طارَ منها   معَ الأرواحِ رُوحٌ مستطارُ

قال نعم قالت والله انإحداهن لتقوم من نومتها فما تحسن أن تتوضأ لاحاجة لنا في شعرك ثم دخلت وخرجت وقال أيكم جميل قلت أنا قالت أنت القائل

لقدْذَرَفَتْ عينى وطالَسُفوحها   وأصبحَ منْ نفسى سقيماً صحيحها
ألاَ ليتنا كنا جميعاً وان نمُتْ   يجاوِرُ فىالموْتيِ ضريحي ضريحها
أظَلُّ نهارى مُستهاماً ويلتقي   مع الليل رُوحي فى المنام ورُوحُها
فهلْ لِيَ فى كتمانِ حبيِّ راحةٌ   وهلْ تنفعنّي بَوْحةٌ لو أبوحها

قال نعم قالت بارك الله عليك وأنت القائل

خليليَّ فيما عشتُما هلْ رأيتما   قتيلاً بكى منْ حبِّ قاتِلِهِ قبلى
أبيتُ معَ الهلاّكِ ضيفاً لأهلها   وأهلى قريبٌ مُوسعون ذووفضل
فيارِبِّ إنْ تهلكْ بُثينةُ لاأعشْ   فُواقاً ولاأفرَح بمالى ولا أهلى
ويارِبِّ إنْ وقيتَ شيئاً فوقَّها   حتُوفَ المنايارِبِّواجمعْ بهاشَملى

قال نعم قالت أحسنت أحسن الله اليك وأنت القائل

ألاَ ليتَ شعرى هلأبيتنَّ ليلةً   بوادى القُرى إنى اذاً لسعيدُ
لكلِّ حديثٍ عندهُنَّ بشاشةٌ   وكلُّ قتيلٍ بينهنَّ شهيدُ
وياليتَ أيامَ الصِبا كُنَّ رُجَّعاً   ودهراً تولى يابثينَ يعودُ
اذا قلتُ مابى يابُثينةُ قاتلى   من الحبِّ قالتْ ثابتٌ ويزيدُ

وان قلتُ رُدِّي بعضَ عقلي أعشْ به ... تناءتْ وقالتْ ذاكَ منكَ بعيدُ
فما ذُكِرَ الخلاّنُ إلاّ ذكرتُها ... ولا البخلُ إلاّ قلتُ سوف تجودُ
فلاَ أنا مردودٌ بما جئتُ طالباً ... ولا حبُّها فيما يَبيدُ يَبيدُ
يموتُ الهوَى مِنِّي اذا مالقيتُها ... ويحيي اذا فارقتُها ويزيدُ

قال نعم قالت لله أنت جعلت لحديثها ملاحة وبشاشةً وقتيلها شهيداً وأنت القائل

ألاَ ليتَني أعمى أصمّ تقودُني ... بُثَينَةُ لايخفي عليّ مكانها

قال نعم قال قد رضيت من الدنيا ان تقودك بثينة وأنت أعمى أصم قال نعم ثم دخلت وخرجت ومعها مُدْهُن فيه غالية ومنديل فيه كسوة وصرة فيها خمسمائة دينار فصبت الغالية على رأس جميل حتى سالت على لحيته ودفعت اليه الصرة والكسوة وأمرت لأصحابه بمائة مائة •• وقال سوار بن عبد الله قال رؤبة بن العجّاج أرسل اليّ سليمان ابن علي وهو بالبصرة فقال هذا رسول الأمير أبي مسلم قدم في إشخاصك قلت سمعاً وطاعة ارجعُ الى أهلي فأصلح من شأني قال ليس الى ذلك سبيل ثم التفت الى الحرَسيّ فقال هذا صاحبك فشأنك فلم أُنهنَهْ أنْ حملتُ على البريد فوافيت الأنبار مع الجمعة الاخرى فأدخلتُ سُرادقا فيه عشرة آلاف رجل في السواد واضعي أذقانهم على قوابع سيوفهم لاينظر بعضهم الى بعض الاّ شزْرا ولا يكلمه الا همسا ثم اخترق بي سرادق آخر مثل الاول على مثل حالهم فقلت في نفسي أحسبه تذكر على بعض قولي في بني أمية فأراد قتلي فأيستُ عند ذلك من الحياة ثم خرجت الى سرادق ثالث فاذا قبة مضروبة في وسطه فدفعت اليه فسلمت بالامارة عليه فقال لي أنت رؤبة بن العجّاج قلت نعم جعلني الله فداك أيها الأمير فقال أنشدني كلمتك — يرمي الجلاميد بجلمود مِدَق — فخلج في نفسي ما كنت قدَّرتُ وظننتُ ثم قلت بل أُنشدك جعلت فداك

لَبيكَ إذْ دَعَوْتَني لبيكا ... تطلُبُ حقاً واجباً عليكا

فسكت حتى فرغتُ منها ثم أقبل عليّ فقال أنشدني قولك يرمي الجلاميد بجلمود مدق قلت بل أنشدك قولي

مازال يَبني خندقاً ويَهدِمُهْ ... وعسكراً يُشرِعُهُ ويَهزِمُهْ

وَمَغنَماً يَجمعهُ ويَقسِمهُ مروانُ لما غَرَّهُ مُنجِمهُ

فأمسك حتى فرغت ثم قال أنشدني كلمتك يرمي الجلاميد بجلمودٍ مدق فقلت بل أنشدك

مازالَ يأتي الأمرَ من أقطارِه على اليمينِ وعلى يَسارِهِ
حتى أقرَّ الملكَ في قَرارِهِ مُشمِّراً لا يُصطلَى بِنارِهِ

فقال أنشدني ويحك يرمي الجلاميد فأنشدته

وقاتِمِ الأعماقِ خاوي المُختَرَقْ مُشتَبِهِ الأعلامِ لمّاعِ الخَفَقْ

فأنصت حتى انتهيت الى قولي يَرمي الجلاميدَ بجلمُودٍ مِدَقْ

فوقفت فقال ان أمير المؤمنين وجهني الى خراسان وبها جبال الحديد من الرجال فدمّثتها حتى جعلتها دَهساً فلم أجد لي مثلا إلا قولك يرمي الجلاميد بجلمودٍ مدق أنا والله ذلك الجلمود أذكر حاجتك قلت جعلت فداك حاجتي أن تردّني الى أهلي فقد خرجت من عندهم وهم على وجل فقال يا غلام عليّ ببدرةٍ فكأنها لم تزل بين يديه فقال يا أبا الجحاف انك أتيتنا والأموال مشفوهة وقد أمرنا لك بشيء وهو زمر ولو أتيتنا ونحن على طُمأنينة لأوطأت العرب عقبيك والدهر بيننا وبينك أطرق مستتب ولك عَودة وعلينا معوّل قال رؤبة فو الله ما دريت بما أجيبه ثم قال يردُ على السير الذي جاء عليه فما شعر بي سليمان في الجمعة الثانية الا وأنا عنده فأخبرته الخبر فقال يا أبا الجحّاف هذه ديتك وربحت نفسك •• قال وحدثني عبد الله بن عمرو بن عبيد الله قال حدثني جدي عبيد الله قال لما دخل مروان بن أبي حفصة على المهديّ وأنشده شعره الذي يقول فيه

أنّى يكونُ وليسَ ذاكَ بكائنٍ لبني البناتِ وِراثةُ الأعمامِ

أجازَهُ بسبعين الف درهم فقال مروان

بسبعينَ ألفاً راشَني مِن حِبائهِ وما نالها في الناسِ من شاعرٍ قبلي

فحدثنا إدريس بن سليمان بن يحيى بن يزيد بن أبي حفصة قال كان سبب اتصال مروان بخلفاء بني العباس ان جارية يمانية أهديت الى أبي جعفر المنصور فأنشدته شعراً لمروان يمدح به السَريّ بن عبد الله يذكر فيه وراثة العباس فسألها لمن الشعر فأخبرته فأمر

باحضار مروان فوافاه بالرّبذة حاجاً فلقى الربيع والمنصور عليل العلة التى مات فيها فقال كن قريباً حتى ندعو بك فلم تزل العلة تشتدبه حتى مات قبل أن يصل اليه مروان فقال له الربيع الحقْ بالمهدى ولا تتخلف عنه وانصرف مروان الى اليمامة فجعلها طريقاً وعليها بشر بن المنذر والياً فأوفده بِشر فيمن أوفد وأعطى كل رجل الف درهم فقدم مروان على المهدىّ وقد مدحه بأربع قصائد قوله

صَحا بعدَ جُهدٍ فاستراحَتْ عواذِلُه وأقصرَ عنهُ حِينَ أقصرَ بَاطلُه

•• وقوله أيضاً

طافَ الخيالُ بحَيِّهِ بِسلامِ أنّي ألمّ وليسَ حينُ لِمامِ

•• وقوله أيضاً

إعصِ الهوى وتعزَّ عن سُعداكا فلَمِثلُ حلمكَ عن هواكَ نهاكا

•• وقوله أيضاً

مَرى العَينَ شوقٌ حالَ دونَ التجلد ففاضَتْ بأسرابٍ من الدمعِ جُسَّد

ــجسدــ من الجساد يريدانه يخلطها به قال ادريس فاعطى المهدىّ مروان ثلاثين الف درهم فانصرف الى اليمامــة ثم عاد فى سنة أربع وستين ومائة فطلب الوصول بيعقوب ابن داود فاقام نحواً من سنة وغضب المهدىّ على يعقوب بن داود قال ادريس فحدثني مروان قال بينا أنا واقف على باب المهدي إذ خرج خالد بن يزيد بن منصور فقال يابن أبي حفصة ذكرك أمير المؤمنين آنفاً وهو يراك أشعر الناس غير انه يقول لا حاجة لنا فيما قِبلك فانصرف عن بابنا قال فانصرفت مغموماً ثم تذكرت رجــلا أتحدث عنده وأتفرج به وآنس لديه فأتيت يزيد بن مزيد فشكوت اليه ما قال لى خالد بن يزيد فقال أدلك على رجل صدوقٍ له رقةٌ لعله ينفعك قلت ومن هو قال الحسن الحاجب فغدوت الى الحسن فشكوت اليه ما حكاه خالد من رأى أمير المؤمنين فقال بل من يعقوب بن داود فقلت بأبي أنت وأمى أنت ترجو أن يكون ذلك مفتاحاً لما أنا فيه قال ذاك كأقول لك فانصرفت وقلت

أتانِي منَ المهديّ قولٌ كأنمــا به آحتزّ أنفى مُدْمِنُ الضغنِ جادعُ

وقاتُ وقد خِفتُ التي لاشَوَى لها … بلا حَــدَثٍ إنى الى اللهِ راجعُ
ومَا لِي الى المهديّ لو كنتُ مُذنباً … سِوَى حِلمهِ الصافى من الناس شافعُ
ولا هوَ عندَ السُّخطِ منهُ ولا الرضى … بغيرِ الذى يَرضَى به اللهُ صانعُ
عَليهِ من التقوَى رِداءٌ يَكُنّهُ … وللحقّ نورٌ بينَ عَينيهِ ساطِعُ
يُغضُّ له طرفُ العيونِ وطرفُهُ … على غيرِه من خَشيةِ اللهِ خاشِعُ
هل الباب مُفضٍ بى اليكَ ابنَ هاشمٍ … فعُذرِىَ إن أفضى بيَ البابُ ناصعُ
أتيتُ امرأً أطلقتَهُ منْ وِثاقهِ … وقد أنشبتْ فى أخدَعيهِ الجوامعُ
وَجلّى ضَبابَ العُدْمِ عنهُ وراشَهُ … وأنهضَهُ معــروفُك المتتابِــعُ
فقابَ وزيرٌ ناصحٌ قد تتابعَتْ … عَليهِ بإنعام الإمامِ الصّنائعُ
وما كانَ لى الا اليــكَ ذريعــةٌ … وما مَلِكٌ الا اليــه الذّرائعُ
وان كان مطوياً على الغدرِ كشحهُ … فلم أدرِ منهُ ما تُجِنُّ الأضالِعُ
وقلْ مثلَ ما قال ابن يعقوبَ يوسفٌ … لإخوته قولاً له القلبُ تابعُ
تنفّسْ فلا تثريبَ إنكَ آمِنٌ … وإني لَكَ المعروفَ والقدرَ جامعُ
فــا الناسُ الاّ ناظرٌ متشوّفٌ … الى كل ما تُســدِى اليّ وسامعُ

قال وقد قلت فى قصيدة أخرى

سَيُحشرُ يعقوبُ بن داودَ خائباً … يلوحُ كتابٌ بين عَينيه كافرُ
بخيانتُهُ المهديَّ أودَت بذكرِه … فأمسى كمنْ قد غيبتْهُ المقابرُ
بَدا منكَ للمهديّ كالصّبحِ ساطِعاً … من الغش ما كانت تُجِنُّ الضمائرُ
وهل لبياضِ الصبحِ إن لاحَ ضَوءه … لحِجابِ الدُّجى من ظُلمة الليل ساترُ
أمنزِلةً فوق التى كنتَ نِلتَهــا … تَعاطيتَ لا أفلحتَ مما تحاذرُ

قال ثم أتيت بها الحسن بعد يومين فقال ماصنعت فأنشدتهما اياه قال اكتبهما لي فقلت قد فعلت فقال هاتهما فتناولهما وقال لست واضعهما من يدى حتى أضعهما فى يد المهدى ثم مضى وأتيته من الغد فقال ماوضعتهما من يدي حتى وضعتهما في يد المهدى فقرأهما فرق لك وأمر بادخالك عليه فاحضر يوم الاثنين فحضرت فخرج عليّ فقال قد علم أمير

المؤمنين بمكانك وقد أحبّ أن يجعل لك يوماً يشرفك فيه ويبلغ بك قلت فتى بأبي أنت وأمي قال يوم الخميس فعمدت اليه يوم الخميس فاذا وجوه بني العباس يدخلون على المهدي فلما تتامّ المجلس دعاني فدخلت فسلمت فرد السلام فقال انما حبسك عن الدخول انقطاعك الى الفاسق يعقوب بن داود فافتتحت النشيد بما قلت في يعقوب فأنشدته ثم أنشدته قولي فيه * طرقتك زائرة فحيّ خيالها * فأعجب بذلك وقال جزاك الله خيراً فقلت اشهدوا هذا والله الشرف أمير المؤمنين يجزيني خيراً ثم أنشدته

* أعادك من ذكر الأحبة عائدُ * فلما صرت الى قولي

أيادي بني العباس بيضٌ سوابغٌ ... على كل قومٍ بادئاتٌ عوائدُ
فهم يعدلون السَّمكَ من قبةِ الهدى ... كما يعدلُ البيتَ الحرامَ القواعدُ
سواعدُ عزِّ المسلمينَ وانما ... ينوءُ بصَوْلاتِ الأكُفِّ السواعدُ
يَزِينُ بني ساقي الحَجيجِ خليفةٌ ... على وجههِ نورٌ من الحق شاهدُ
يكونُ غِراراً نومهُ من حِذَارهِ ... على قُبةِ الاسلامِ والخَلْقُ راقدُ
كأنّ أميرَ المؤمنينَ محمداً ... لرأفتــه بالنــاس للناسِ والدُ
على أنه من خالفَ الحــقَّ منهمُ ... سَقَتهُ به الموتَ الحتوفُ الرواصدُ

أشار اليّ فأمسكتُ فقال يا بني العباس هذا شاعركم المنقطع اليكم المعادي فيكم فآتوا اليه ما يسره فقلت يا بني اذ سمعوا كلام أمير المؤمنين وعرفوا رأيه أن يصلوني من أموالهم فقال أنا فارض عليهم لك مالا ففرض على موسى ابنه خمسة آلاف درهم وعلى هارون خمسة آلاف ثم فرض على القوم على قدر حالاتهم حتى فرض عليهم سبعة وثلاثين الف درهم والربيع يكتب كل ما فرض على كل رجل منهم فقال أبو عبيد الله يا أمير المؤمنين انما نحن من أهلك فأدخلنا فيما أدخلتهم فيه فجعل عليه الفاً وعلى الربيع الفين فتمت أربعين الفاً فقلت يا أمير المؤمنين من لي بهذا المال قال هذا وأشار الى الربيع ثم قال ان أمير المؤمنين يعطيك من صاب ماله فأمر لي بثلاثين الف درهم في ثلاث بدَر فجيء بهنّ فطُرحن قريباً فدعوت وشكرت فقال يابن أبي حفصة ستجيئك صِلاتي وبرّي ويأتيك مني ما يؤديك الى الغنى فقلت يا أمير المؤمنين قد رأيت منّ قبولك وبشرك

وسرورك بما سمعت مني ما سأزداد به شعراً وستسمع ويبلغك وقلت يا أمير المؤمنين لا يبلغ ما أعطيتني لشاعر بعدي قال أجل قلت وآذنّي فى زيارتك قال نعم قلت يا أمير المؤمنين لي عدو فيك وفى أهل بيتك فان رأى أمير المؤمنين أن لا يجعل لأحد عليّ سلطانا دونه قال لا سلطان عليك دون أمير المؤمنين فقلت اكتب اليّ بذلك كتاباً فأمر بالكتاب بذلك فانصرفت فلما صرت خلف الستر خرج اليّ خادم بمنديل فيه أربعة أثواب ثوب وَشي وثوب خزّ وجبة بياض محشوة وقميص فقال البسوه وأعيدوه اليّ فلبست الخزّ والوشي على الثياب التى كانت عليّ وألقيت القميص على أحد منكبيّ والجبة على المنكب الآخر فقال لي يابن أبي حفصة أتدخل على أمير المؤمنين هكذا وقد مثّلت بنفسك فقلت والله لو كانت كرامة أمير المؤمنين أُحُدًا لما خلعت منها شيئاً اطيقُ حمله ثم دخلت فلما رآني تبسم ثم قل مِطرَف فابطؤا به فقال المطرف وأنا قائم ثم قال الثالثة المطرف فلما أبطؤا انصرفت وقعدت خلف الستر فلم ألبث ان رفع الستر وخرج أمير المؤمنين على دابة فقمت اليه فلما رآني قال المطرف فما برح حتى أُتيَ به فشُنّ على بين يديه وأمر لي بعشرة من خدم الروم وقطيعة بناحية السواد فبعت القطيعة من عيسى بن موسى بعشرين ألف درهم وبرذون بسرجه ولجامه قال فلم يزل مروان على باب المهدى حتي هلك •• وعن عبد الله بن هارون قال حدثني عبد الملك ابن عبد العزيز بن عبد الله عن المغيرة قال دخل المغيرة بن عبد الرحمن المخزومى وأبو السائب والعثمانى بن لؤلؤ الرطب وابن أخت الأحوص على المهدى وهو بالمدينة فقال أنشدوني فانشد المغيرة

وللناس بدرٌ فى السماء يرَونه ... وأنتَ لنا بدرٌ على الأرض مقْمِرُ
فبالله يابدْرَ السماء وضوءهُ ... تزالُ تكافى عشْرَ مالكَ أضْمِرُ
ومالبدرُ إلاّ دونَ وجهك فى الدجي ... يغيبُ فتبدُو حين غابَ فتقْمِرُ
ومانظرَتْ عيني الى البدر ماشياً ... وأنتَ فتمشى فى الثياب فتُسحِرُ

وأنشد ابن أخت الاحوص

قالَتْ كُلاَبةُ من هذا فقلتُ لها ... هذا الذى أنتِ من أعدائهِ زعموا

انی امرؤٌ لجَّ بی حُبٌّ فأحرَضَني ... حتى بَليتُ وحتى شفَّني السقَمُ

وأنشده العثماني المخزومي

رمى القلبُ من قلبي السوادَ فأوجَعا ... وصاحَ فصيحٌ بالرحيلِ فأسمَعا

وغرَّد حادي البَينِ وانشقَّتِ العَصا ... فأصبحتُ مسلوبَ الفؤادِ مُفجَّعا

كفى حزَناً من حادثِ الدهرِ أنني ... أرى البَينَ لا أستطيعُ للبينِ مدفَعا

وقد كنتُ قبلَ اليوم بالبين جاهلاً ... فيا لكَ بَيناً ما أمرَّ وأوجَعا

وأنشده أبو السائب

أصيخا لداعي حُبِّ ليلى فيمِّما ... صدُورَ المطايا نحوَها فتَيمَّما

خليليَّ إنْ ليلى أقامتْ فإنني ... مُقيمٌ وإنْ بانتْ فبِينا بنا معَا

وانْ انتَتْ ليلى برَبعٍ يحوزُها ... فَعيذَ كما باللهِ أنْ تتزعزَعا

فقال والله لأغنينكم الليلة ثم قال للمغيرة هل لك من حاجة فانه بلغنى انك بعتَ جاريتك فى دَين كان عليك قال والله يا أمير المؤمنين لقد فعلتُ ذلك قال فلأردَّنها عليك فأجاز ثلثة منهم بعشرة آلاف دينار الا ابن لؤلؤ الرطب فانه سار معه فمرّ بدار فقال لمن هذه الدار فقال للأحوص الذى يقول

يا بيتَ عاتكةَ الذى أتعزَّلُ ... حَذَرَ العدى وبه الفؤادُ موكَّلُ

وأراكَ تفعلُ ما تقول وبعضهُم ... مَذِقُ الحديثِ يقولُ ما لا يفعلُ

فقال عزَّ عليَّ لم تأخذ شيئاً ثم قال للربيع اعتق ما تملك ان لم تعطه أنت عشرة آلاف دينار وأنا عشرة آلاف دينار فقبضها وخرج .. قال ودخل ابن الخياط على المهدى فمدحه فأمر له بخمسين ألف درهم فلما قبضها فرَّقها على الناس وأنشأ يقول

لَمستُ بكفى كفَّهُ أبتغي الغِنى ... ولم أدرِ أنَّ الجودَ من كفِّه يُعدي

فلا أنا منهُ ما أفادَ ذوُو الغنى ... أفدتُ وأعداني فبدَّدتُ ما عندى

فأعطاه لكل درهم ديناراً .. قال ودخل سلم بن عمرو الخاسر على المهدي فقال

أليسَ أحقَّ الناس أنْ يُدركَ الغِنى ... مُرَجّى أميرِ المؤمنينَ وسائلُه

لقد بسطَ المهديُّ عدلاً ونائلاً ... كأنهما عدلُ النبيِّ ونائلُه

فقال أما ماذكرت ياسلم من الجود فوالله ماتعدل الدنيا عندى خاتمي هذا وأما العدلُ فانه لايُقاس برسول الله صلى الله عليه وسلم أحد واني لأتحرّاه جهدى ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب ثم وفد عليه فى السنة الثانية فانشده

انّ الخلافةَ لم تكنْ بخلافةٍ حتى استقرّتْ فى بني العباسِ
شُدَّتْ مناكبُ مُلكهم بخليفةٍ كلدّهرِ يخلِطُ لينَهُ بشِماسِ

فأمر له بعشرين ألف درهم وعشرين ثوبا فلما كان في العام الثالث وفد عليه فانشده

أفنى سؤالَ السائلينَ بجودِهِ ملكٌ مواهبُهُ تَرُوحُ وتغتدي
هذا الخليفةُ جودُهُ ونوالُهُ نَفِدَ السؤالُ وجودُهُ لم ينفَدِ

فأمر له بثلاثين ألف درهم وثلاثين ثوبا •• وعن أحمد بن بكر الباهلى قال حدثني حاجب المهدى قال قال لى المهدى يوما نصفَ النهار أخرج وانظر من بالباب فخرجت فاذا شيخ واقف فقلت ألك حاجة فقال مايمكن انْ أخبر بحاجتى أحداً غير أمير المؤمنين فتركته ودخلت على المهدى فقال لى اخرج فانظر من بالباب فخرجت فاذا الشيخ فقلت ان كان لك حاجة فاذكرها قال لاأذكرها الا لأمير المؤمنين ففعل هذا مرّات فقال المهدى انظر من بالباب فقلت شيخ قد سألته غير دفعة عن حاجته فقال مايمكن ان أخبر بحاجتى أحداً دون أمير المؤمنين فقلت أيدخل قال نعم ومره بتخفيف فخرجت فقلت له ادخل وخفف فدخل وسلم بالخلافة ثم قال ياأمير المؤمنين انا قد أمرنا بالتخفيف

فانْ شئتَ خفّفْنا فكنّا كريشةٍ متى تُلقِها لأنفاسُ في الجوّ تذهَبِ
وانْ شئتَ ثقّلْنا فكنّا كصخرةٍ متى تُلقِها فى حومةِ البحرِ تَرْسُبِ
وانْ شئتَ سلّمْنا فكنّا كراكبٍ متى يقضِ حقّاً من سلامِكَ يعزُبِ

فضحك المهدى وقال بل تكرم وتقضى حاجتك فقضى حاجته ووصله بعشرة آلاف درهم •• قال المبرّد حدثني محمد بن عامر الحنفى قال ذكروا ان فتيانا كانوا مجتمعين قد ائتلفوا فى نظام واحد كلهم ابن نعمة وكلهم قد شرد عن أهله وقنع بأصحابه فذكر ذاكرٌ منهم وقال كنا قد اكترينا داراً شارعة على احد طرق بغداد المعمورة بالناس

فكنا لانستكثر ان تقع مؤنتنا على واحد منا اذا أمكنه ويبقى الواحد منا لايقدر على شيء فيقوم أصحابه بأمره الدهر الأطول فكنا اذا أيسرنا أكلنا من الطعام أطيبه ولبسنا من اللباس ألينه ودعونا الملهيين والملهيات وكنا في أسفل الدار واذا عدمنا الطرب جلسنا في غرفة لنا نتمتع فيها بالنظر الى الناس وكنا لانخل بالنبيذ في عسر ولا يسر ولو نبيع الثوب من الأثواب فانا لكذلك يوما اذا بفتى يستأذن علينا فقلنا له اصعد وادخل فاذا رجل حلوُ الوجه سريُّ الهيئة تنبئ رؤيته انه من أهل النعم فأقبل علينا فقال انى سمعت بمجتمعكم وحسن منادمتكم وصحة إلفتكم حتى كأنكم أدرجتم جميعاً في قلب أحدكم فأحببت أن أكون واحداً منكم وأن لاتحتشمونى قال وصادف ذلك منا إقتاراً من القوت واكثاراً من النبيذ فقال لغلام معه هات ماعندك فغبر عنا غير بعيد ثم أتى بسلة خيزُران فيها طعام من جداء ودَجاج وفراخ ورقاق وأشنان وأخلة ومحاب فأصبنا من ذلك الطعام ثم أفضنا في شرابنا وانبسط الرجل فاذا هو أحلى خلق الله اذا حَدّث وأحسنهم استماعا اذا حُدث وأمسكهم عن ملاحاة اذاخوانه ثم أفضينا معه الى أكرم مخالقة وأجمل معاشرة فكنا ربما امتحناه بان ندعوه الى الشيء الذى نعلم انه يكرهه فيظهر لنا انه لايحب غيره ويُرى ذلك في أسارير وجهه فكنا نفى به عن حسن الغنى ونتمثل بكلامه ونتدارس أخباره فشغلنا بظرفه وبما عاشرنا به عن وصفه والسؤال عن تعرّف اسمه ونسبه فلم يكن عندنا من أمره الا معرفة الكنية فانا سألناه عنها فانبأنا انه يكنّى أبا الفضل فقال لنا يوما بعد اتصال الانس ألا أخبركم كيف عرفتكم قلنا له انا لنحب ذاك فقال أحببتُ جاريةً في جواركم وكانت مولاتها ذات حبائب فكانت تختلف بالرسائل بينها وبين حبائبها وكنتُ أجلس لها في الطريق ورأيت غرفتكم هذه فسألت عن خبرها فخبّرتُ عن ائتلافكم ومساعدة بعضكم بعضاً فكان الدخول عندى فيما أنتم فيه آثر عندي من الظفر بالجارية فسألناه فخبرَنا بمكانها فقلنا له فانا نخدعها لك حتى يظفرك الله بها قال ياأخوتي اني والله على ماترون من شدة الشوق اليها والكلف بها وما قدّرت فيها حراما قط وما تقديرى الا مطاولتها ومصابرتها الى أن يمنّ الله جل وعزّ بثروة فأشتريها فاقام معنا شهرين ونحن به على غاية الاغتباط

وبقربه على غاية السرور ثم احتبس عنا فتألمنا لفراقه كل مض ولوعة مؤلمة ولم نعرف له منزلاً نلتمسه فيه فيكون فقده أخف علينا فكدر عيشنا الذي كان صافياً قد طاب لذابه وقبح ماكان قد حسن لنا بقربه وانصرام الغم بمحادثته فكنا فيه كما قال القائل

يذكّرنيهم كل خير رأيته   وشرّ فما أنفكّ منهم على ذكر

فغاب عنا عشرين يوما لانانتذهن ثم نحن يوما مجتازون في الرصافة فاذا به وقد طلع في موكب نبيل وزي جليل فحيث بصر بنا انحط عن دابته وانحط غلمانه ثم قال ياأخوتي ماهنأني عيش بعدكم ولستُ أماطلكم بحديثي وخبري حتى نبلغ المستقر ثم مال بنا الى مسجد فقال أعرفكم أولا نفسي أنا العباس بن الأحنف وكان من خبري اني انصرفت من عندكم الى منزلي والمسوّدة قد أحاطت بي فمضوا بي الى دار أمير المؤمنين فصرت الى يحيي بن خالد فقال ويحك ياعباس انما اخترتك من ظرفاء الشعراء لقرب مأخذك وحسن تأتيك وان الذي ندبتك له من شأنك وقد عرفت خطرات الخلفاء واني أخبرك ان ماردة هي الغالبة على أمير المؤمنين وقد جرى بينهما عتب وهي بعزّة دلال المعشوق تأبي ان تعتذر وهو بعزّة الخلافة وشرف الملك يأبي ذلك وقد رُمتُ الأمر من قبلهما فاعياني وهو أحرى ان تستفزّه الصبابة فقلْ شعراً تسهل به هذا السبيل فقضي كلامه ثم دعاه أمير المؤمنين فصار اليه وأعطيت قرطاسا ودواة فاعتراني الزمع ونفر عني كل شيء من العروض ثم انفتح لي شيء من الأشياء والرُسل تعنّني فجاءتني أربعة أبيات رضيتها وقعت صحيحة المعنى سهلة الألفاظ ملائمةً لما طُلِب فقلت لأحد الرسل أبلغ الوزير أني قد قلت أربعة أبيات فان كان فيها مقنع وفي قدر ذهاب الرسول ومجيئه حضرني بيتان من غير ذلك الرويّ فكتبت الأربعة الأبيات في صدر الرقعة وعقبت بالبيتين فكتبت

العاشقانَ كلاهما متغضّبُ   وكلاهما متوَجّدٌ متجنّبُ
صدّتْ مغاضبةً وصدّ مغاضباً   وكلاهما مما يعالجُ متعَبُ
راجعْ أحبّتَكَ الذين هجرتهم   انّ المتيّم قلّ مايتجنّبُ
انّ التجنبَ انْ تطاول منكما   دبّ السُلُوّ له فعزّ المطلبُ

ثم كتبت تحت ذلك

لابدّ للعاشقِ منْ وقفةٍ تكونُ بينَ الوصلِ والصرمِ
حتى اذا الهَمُّ تمادَى بهِ رَاجعَ مَنْ يهْوَى علَى رَغْمِ

قال ووجهت بالكتاب فدفعه الى الرشيد فقال والله مارأيت شعراً أشبه بما نحن فيه من هذا والله لكأني قصدت به فقال يحيي فأنت والله المقصود به ياأمير المؤمنين هذا يقوله العباس بن الأحنف فى هذه القصة فلما قرأ البيتين وأفضى الى قولي راجع من يهوى على رغم استفرغ ضحكا ثم قال انى والله أراجعها على الرغم وقال يا غلام نعليّ فنهض وأذهله الجذل والسرور عن أن يأمر لى بشئ فدعانى يحيي وقال ان شعرك قد وقع بغاية الموافقة وأذهل أمير المؤمنين السرور عن أن يأمر لك بشئ قلت لكن هذا الخبر لم يقع منى بغاية الموافقة قال اذاً أوفقه ثم جاء انسان فسارّه بشئ فنهض ونهضت لنهوضه فقال يا عباس أمسيتَ أنبل الناس أتدرى ما سارّنى به هذا الرسول قلت لا قال ذكر أن ماردة تلقت أمير المؤمنين لماعلمت بمجيئه فقالت كيف كان هذا يا أمير المؤمنين فأعطاها الشعر وقال هذا الذى جاء بى قالت فمن يقوله قال العباس بن الأحنف قالت فبكمْ كوفئ قال ما فعلت شيئاً قالت اذاً والله لا أجلس حتى يكافأ فأمير المؤمنين قائم لقيامها وأنا قائم لقيامهما وهما يتناظران فى صلتك فهذا كله لك قلت مالى من هذا الا الصلة فضحك وقال هذه أحسن من شعرك فأمر لى أمير المؤمنين بمال كثير وأمرت هي لي بمال دونه وأمر لى الوزير بمال دون ما أمرت به وحملت على ما ترون من الظهر ثم قال لى الوزير تمام اليد عندك أن لاتخرج من الدار حتى يؤثل لك بهذا المال فاشتُريت لى ضياع تُغلّ عشرين الف درهم ودفع الى بقيّة المال فهذا هو خبرى الذى عاقني عنكم فهلُموا حتى أقاسمكم الضياع وأفرق بينكم المال فقلنا هنّاك الله بمالك كلنا يرجع الى نعمة من أبيه وأهله فأقسم وأقسمنا وقال أنتم إخوتي فيه قلنا أما هذا فنعم فامضوا بنا الى الجارية حتى نشتريها قال فمضينا الى صاحبتها وكانت جارية جميلة حلوة لا تحسن شيئاً أكثر مما بها من الظرف وكانت تساوى على وجهها خمسين ومائة دينار فاستامت بها صاحبتها خمسمائة دينار فأجبناها بالتعجب فحطت مائة فقال لنا العباس يافتيان اني أحتشم

والله أن أقول بعد ما قلتم ولكن هي جارية في نفسي وبها يتم سروري ان هذه الجارية اريد إيثار نفسي بها وأكره أن تنظر الىّ بعين مَن قد ماكسَ في ثمنها فدعوني أعطها خمسمائة دينار قلنا قدحطت مائة قال وان فعلت فصادفت مولاتها رجلا حراً فأخذتْ من الثمن ثلاثمائة وجهزتها بالباقي فما زال لها عشيراً حتى فرّق بيننا وبينه الموت ٠٠ وعن المبرّد قال حدثني من أعتمد عليه ان مسلم بن الوليد كان يمدح مَن دون الخليفة وكان يقـول ان نفسي تذوب حسرات من انه يحوى خزائن الخلفاء من لا يقاربني في أدب ولا يوازيني في نسب ولا يصلح أن يكون شعره خادما لشعرى وكان اذا كسب جميع أصحابه فلم يخرج من منزله حتى يأتي علي جميع ما معه فلايزال في أكل وشرب وقصفٍ حتي يفنى مامعه فعرف بذلك وكانت البرامكة ويزيد بن مَزْيد الشيباني ومحمد بن منصور ابن زياد يبرونه ويعطفون عليه ويتفقدون من حاله فخرج ذات يوم فالتقى يزيد بن منصور الحميرىّ بباب الرشيد فسلم عليه فرد عليه السلام ورحب به وسأله عن شأنه فخبره وسأله أن يقربه من الخليفة وأن يحتال حتى يعد في ممازحيه ومن تجرى عليه أرزاقه فقال له الحميرى سأتأتى لوصولك الى أمير المؤمنين فدخل الحميرى فأصاب أمير المؤمنين لَقِسَ النفس قد اشتمل عليه الفكرُ في سرعة تقضّي أمور الدنيا وانه لا يتشبث منها بشيء الا كان كالظل الزائل والسراب الخادع فقال له جعفر بن يحيي يا أمير المؤمنين أفتظن ان هذا الفكر يحبس عليك الأيام ويمتعك بما لا تستمتع به انما هذا الذى أنت فيه عارض عرض لك وقد كان ملك من الملوك يقال له بهمان وكان من أجل ملوك العجم وكان حكيما يقول الهمُّ مفسدة للنفس ومضلة للفهم ومشدهة للقلب ومن أعظم الخطأ التشاغل بما لا يمكن دفعه وقد قالت الحكماء بالسرور يطيب العيش ومع الهم تمني الموت وقال له سليمان بن أبي جعفر يا أمير المؤمنين يروى عن لقمان الحكيم انه قال من يملك يستأثر ومن لايستشر يندم والهم نصف الهرم والفقر الموت الأكبر قال فكأنّ الرشيد نشط واندفع عنـه ما اعتراه من ذلك الفكر فتقدم اليه الحميرى وقال يا أمير المؤمنين خلّفت بالباب آنفاً رجلا من اخوالك الانصار متقدماً في شعره وأدبه وظرفه أنشدني قصيدة يذكر فيها أنسه ولهوه ولعبهُ ومحادثته اخوانه ويذكر مجالس اتصلت له بأبلغ

قول وأحسن وصف وأقرب رصف يبعث والله على الصبابة والفرح ويباعد عن الهم والترح وكأنه قد وُفق يمن أمير المؤمنين وسعادة جده لأن يكون مبرئاً من هذه الشكوى زائداً في سرور أمير المؤمنين مستدعياً له صلة رحمه والتشرف بخدمته قال فاستفزه السرور والقلق الى دخوله عليه واستماع قصيدته وجعل يتابع الرسل بعضهم في اثر بعض حتى دخل وكان حلو الشمائل فوصل اليه في وقت قد كان خرج فيه من رسم الشباب وشرته ولم يكن في عداد من قد اضطرب سناً وكان ناهيك من رجل معه فهم وتجربة وتمييز ومعرفة فأمهل حتى سكن ثم أُذن له في الجلوس والانبساط واستدعى منه أن يزيد في الانس فانبرى مسلم ينشد قصيدته فجعل الرشيد يتطاول لها ويستحسن ما حكاه من وصف شراب ولهو ودماثة وغزل وسهولة ألفاظ فأمر له بمال وأمر أن يتخذ له مجلس يتحول اليه وجعل الرشيد وأصحابه يتناشدون قصيدته فسماه يومئذ بآخر بيت من قصيدته صريع الغواني والرشيد الذي سماه بهذا الاسم والقصيدة هي هذه

أديرا عليّ الكأسَ لا تشربا قبلي ... ولا تطلبا من عند قاتلتي ذَحلي
فما جزَعي أني أموتُ صبابةً ... ولكنْ على مَن لا يحلُّ لها قتلي
أحِبُّ التي صدّت وقالت لِتربها ... دَعيه الثريّا منه أقربُ من وصلي
بلى ربما وكلتُ عيني بنظرةٍ ... اليها تزيد القلبَ خبلاً على خبل
كتمتُ تباريحَ الصبابةِ عاذلي ... فلم يدرِ ما بي واسترحتُ من العذلِ
ومانحةٍ شُرّابَها الملكَ قهوةٍ ... يهوديةِ الأصهارِ مسلمةِ البعلِ
ربيبةِ شمس لم تُهجّنْ عروقُها ... بنارٍ ولم يُجمعْ لها سَعَفُ النخلِ
بعثنا لها منا خطيباً لبضعها ... فجاء بها يمشي العرضنةَ في مهل
قد استُودعت دنّاً لها فهو قائمٌ ... بها شفقاً بين الكروم على رجل
فوافى بها عذراء خالٌ أخو ندى ... جزيل العطا با غير نكس ولا وغل
مُمتّعةً لا تشتكي دمَ عاصر ... حَرُوريّةً في جوفها دمُها يغلي
أغارتْ على كفّ المدير بكونها ... فغادرت له منها أناملُ كالذّبل
أماتتْ نفوساً من حياةٍ قريبةً ... وماتت فلم تُطلب بوِتر ولا تبل

شققنا لها في الدنّ عيناً فأسبلت ... كما أخضلت عينُ الخريدةِ بالكحلِ
كأنّ قذىً بازلاً شقّ نحرُهُ ... اذا أسفرت منها الشعاعُ على البزْل
ودارت علينا الكأسُ من كف ظبيةٍ ... مُبتّلةٍ حوْراء كالرشإِ الطِفْل
كأنّ ظباءً عُكّفاً فى رياضها ... أباريقها أوجسْنَ قعقعةَ النبلِ
وحرنٍ لما عودٌ فباح بسرهِ ... فكانَ عليه ساقُ جارية عُطل
تضاحكهُ طوْراً وتبكيهِ تارةً ... خدلّجةٌ هيفاء ذاتُ شوى عبْل
اذا ما علتْ منا ذؤابةَ واحدٍ ... تمشت به مشي المقيد فى الوحلِ
فلا نحنُ متنا موتةَ الدهر بغتةً ... ولا هيَ عادت بعد علٍّ ولا نهلِ
سأنقادُ للذّات متبعَ الهوى ... لأُمضيَ همّاً أو أصيبَ فتىً مثلى
هل العيشُ الاّ أن تروحَ مع الصبي ... وتغدُو صريعَ الكأس والاعينِ النجلِ

قيل وأدخل الفضل بن يحيي أبا نواس الى عند الرشيد فقال له الرشيد أنت القائل

عُتقتْ في الدّن حتى ... هي فى رقةِ دينى

أحسبك زنديقاً قال يا أمير المؤمنين قد قلت ما يشهد لى بخلاف ذلك قال وما هو قال قلت

أيةَ نارٍ قدح القادحُ ... وأيّ جدٍّ بلغ المازحُ
للهِ درُّ الشيب من واعظٍ ... وناصحٍ لو قُبل الناصحُ
فاغدُ فما فى الحقّ أُغلوطةٌ ... ورُحْ لما أنت له رائحُ
مَن يتق اللهَ فذاك الذى ... سيق اليه المتجرُ الرابحُ
لا يجتلى الحوراء من خدرها ... الا امرؤٌ ميزانُهُ راجحُ
فاسمُ بعينيك الى نسوةٍ ... مهورُهنّ العملُ الصالحُ

فقال الفضل يا سيدى انه يؤمن بالبعث ويحمله المجون على ذكر مالا يعتقده ثم أنشد

لقد زادَ فى رسم الديار بكائي ... وقد طال ترداي بها وعنائي
كأني مُريغٌ فى الديار طريدةً ... أراها أمامي مرةً وورائى
فلما بدا لى اليأس عدّيتُ ناقتي ... عن الدار واستولى علىّ عزائى
إلى بيت حانٍ لا تهرُّ كلابهُ ... علىّ ولا يُنكرن طولَ ثوائي

فما رُمتُهُ حتى أتى دون ماحوتْ　　يميني وحتى رَيطتى وحذائي
وكأس كمصباح السماء شربتها　　على قُبلةٍ أو موعدٍ بلقائي
أتتْ دونها الأيامُ حتى كأنها　　تساقطُ نورٍ من فتوقِ سماء
ترى ضوءها من ظاهر البيت ساطعاً　　عليكَ ولو غطيتَهُ بغطاء
تباركَ من ساسَ الأمورَ بقُدرة　　وفضّل هاروناً على الخلفاء
نراكَ بخير ما انطوينا على التقى　　وما ساسَ دُنيانا أبو الأُمناء
امامٌ يخافُ الله حتى كأنما　　يُؤمّلُ رؤياهُ صباحَ مَساء
أُشمّ طُوالُ الساعدَين كأنما　　يُناطُ نجادا سيفه بلواء

فخلع عليه الرشيد ووصله بعشرة آلاف درهم والفضل بمثلها فنظر الى جارية تختلف كأنها لؤلؤة فقال ياأمير المؤمنين أاميت فى ليلتي هذه فاذامت فمرْ أن أدفن فى بطن هذه الجارية فقال له الرشيد خذها لابارك الله لك فيها قال أبو نواس فأخذتها وانصرفت بمثل الشمس حسناً وفي منزلى غلام مثلُ القمر فلقيني محمد بن بشير الشاعر فقال أتيتك مُهنئاً بما حباك به أمير المؤمنين فقلت نعمة تتبعها نقمة قال ولم ذاك فقلت عندي غلام مثل القمر وهذه مثل الشمس وان جمعتهما أتخوّف ماتعلم وان أفردت الجارية لم آمن عليها وغلامي لابدّ منه قلت أجعلها عند بعض اخوانك الى وقت حاجتك اليها قلت فلعلّ الحارس هو المتحرس منه قال فصيّرها عند عجوز تثقُ بها قلت لعلى استرعى الذئب قال ثم افترقا فالتقى معه أبو نواس بعد ثلاثة أيام فقال له يامحمد بن بشير ماعلى الارض شر منك شاورتك فى أمر فلم تفتح عليّ فيه شيئاً فلما فارقتك ازدحم عليّ الرأي المصيب قال محمد فما ذا صنعت قال زوّجت الشمس من القمر فحصلتهما لأقضى بهما وطرى قال كان الشيء عليك حلالا فجعلته حراما قال ياأحمق أشاورتك فى الحلال والحرام انما قلت كيف الرأي في تحصيلهما ثم أنشأ

زوّجتُها ذاك بهذه لكيْ　　أنكحَ ثنتين فثنتين
أنكحُ هذي مرةً ثم ذا　　أديرُ رحاً بين صفّين
متّعتُ نفسي بهما لذّةً　　يامنْ رأى مطلعَ شمسين

وحدثنا محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان وهو أمير البصرة قال كان بالبصرة رجل من بني تميم وكان شاعراً ظريفاً وكنت آنس به فأردت ان أخدعه فقلت يا أبا نزار أنت شاعر وظريف والمأمون أجودُ من السحاب الحافل والريح العاصف فما يمنعك منه قال ماعندي ما أتجمل به قلت أنا أعطيك نجيباً فارهاً ونفقة سابغة تخرج اليه وقد امتدحته فانك ان حظيت بلقائه صرت الى أمنيتك قال والله أيها الأمير انى لأظنك صادقا قلت أجلْ فدعوت بنجيبة فارهة فقال هذه احدى الحسنتين فما بال الأخرى فدعوت له بثلاثمائة درهم قال وهذه الثانية ثم قال أحسبك أيها الأمير قصرت فى النفقة قال هي لك كافية ان قبضت يدك عن السرف قل ومتى رأيت السرف في أكابر بني سعد فكيف فى أصاغرها فأخذ النجيبة والنفقة ثم عمل أرجوزة ليست بطويلة فانشدنيها وحذف منها ذكرى فقلت له فما صنعت شيئاً قال وكيف ذلك قلت تأتي الخليفة وأنت وافد فلا تثنى على أميرك قال أيها الأمير أردتَ أن تخدعنى فوجدتنى خداعا ولمثلها ضرب هذا المثل من ينك العَيرَ ينك نائكا أما والله مالكرامتي حملتنى وجدتَ لى بمالك الذى مارامه أحد الا جعل الله خده الأسفل ولكن لأذكرك قلت فأنشدنى ماقلت فأنشدنى فقلت أحسنتَ وأجدت فتركنى وخرج حتى أتي الشام والمأمون بسلغوس فأخبرنى قال بينا أنا فى غداة قُرّة قد ركبت نجيبى ولبست أطمارى وأنا أريد العسكر فاذا أنا بكهل على بغل فارهٍ مايقر قراره ولا تدرك خُطاه فتلقانى مكافحة ومواجهة وقال السلام عليكم بكلام جهوري ولسان بسيط فقلت وعليكم السلام فقال قف إن شئت فوقفت فتضوّعت منه رائحة المسك الأذفر فقال ممن قلت رجل من مُضر قال ونحن من مُضر ثم ماذا قلت من بني تميم قال وما بعدهم قلت من بني سعد قال هيه فما أقدمك قلت قصدت هذا الملك الذى ماسمعت بمثله أندى راحة ولا أوسع باحة ولا أطول باعا ولا أمدّ يفاعا منه قال فما الذى قصدته به قلت شعر طيب يلَذّ على أفواه الرواة ويحلو فى آذان المستمعين قال فانشدنيه فغضبت وقلت ياركيك أخبرك اني قصدت الخليفة بشعر قلته ومديح حبّرته فتقول أنشدنيه فقال وما الذى تأمل فيه قلت ان كان على ماذكر لي فألف دينار قال أنا أعطيك الف دينار ان رأيت الشعر جيداً والكلام

عذبا وأضع عنك العناء وطول الترداد متى تصل أنت الى الخليفة بينك وبينه عشرة آلاف رامح ونابل قلت فلي عليك عهد الله أن تفعل قال لك الله أن افعل قلت ومعك مال قال بغلي هذا خير من الف دينار أنزلُ لك عن ظهره قال فغضبتُ وعارضتني مِرّة بني سعد وخفّة أحلامها وقلت مايساوى هذا البغل هذا النجيب قال فدع عنك هذا ولك الله ان أعطيك الف دينار فانشدته الارجوزة وقلت

مأمونُ ياذا المِنَنِ الشريفَهْ وصاحبَ المرتبةِ المنيفَهْ
وقائدَ الكتيبةِ الكثيفَهْ هَلْ لكَ في أرجوزةٍ ظريفَهْ
أظرَفُ من فقه أبي حنيفهْ لا والذى أنت له خليفَهْ
ماظُلِمَتْ في أرضنا عفيفَهْ أميرنا مؤنتُهُ خفيفَهْ
وما آجتنى شيئاً سِوى الوظيفَهْ فالذئبُ والنعجةُ فى سقيفَهْ

* واللّص والتاجرُ فى قَطيفَهْ *

فوالله ماأتممت انشادها حتى جاءني زهاء من عشرة آلاف فارس قد سدوا الأفق وهم يقولون السلام عليك ياأمير المؤمنين فأخذني القلقُ ونظر الي شملي تلك الحال وقد تبدد فقال لابأس عليك قلت ياأمير المؤمنين أمعذرى أنت قال نعم ثم التفت الي خادم في جانبه وقال له أعطه مامعك فاخرج له كيساً فيه ثلاثة آلاف دينار وقال هاءك سلام عليك فكان آخر العهد به ‥ حدثنا ابراهيم بن عبد السلام عن الحسين بن الضحاك قال دخلت أنا ومحمد بن عمرو الرومي دار المعتصم بالله فخرج علينا كالحاً فجاء إيتاخ وقال الملهون على الباب مخارق وعلوية وفلان وفلان فقال أعزب عليك وعليهم لعنة الله قال فتبسمت الى محمد وتبسم اليّ فقال المعتصم مم تبسمت ياحسين قلت من شئ خطر لي قال هاته فانشدته

إنفِ عن قلبك الحزَنْ بدُنوٍّ منَ السكنْ
وتمتّعْ بكلّ طرْ فِكَ فى وجههِ الحسنْ

فدعا بألفي دينار الف لي والف لمحمد بن عمرو فقلت ياأمير المؤمنين الشعر لي فامعنى الف لمحمد قال لأنه جاء معك وأمر الملهينَ بالدخول فأدخلوا فما زال يومه ذاك ينشد

الشعر ولقد قام يريد البول فسمعته يردده •• قال أبو العيناء أنشدني المعتصم بعقب مدخ جرى لبغداد

سقاني بعينيه كأسَ الهوَى فظلْتُ وبى منه مثلُ اللّمَمْ
بعينَيْ مَهـاةٍ شقيقتُهُ وشُنْبٍ عِذابٍ وفرعٍ أحَمْ

•• قال أبو العيناء فتوهمت انه يعنى سُرَّ من رأى ويكنى عنها بذلك الكلام فقلت ياأمير المؤمنين قال مروان فى جدّك

قريش الاباجُ ذو البهـاء غيثُ العُفاة غَدَق الأنواء
* وهم زمامُ الدولة الزهراء *

فقال قل ياأبا عبد الله فى مدح بني هاشم لك ولغيرك فلقد أصبت مقالا فانشدته لمروان ابن أبى حفصة

الى ملكٍ مثلِ بدرِ الدجي عظيمِ الفناء رفيـعِ الدِّعَمْ
قَريعِ نزارٍ غداةَ الفخارِ ولو شئتُ قلتُ جميعَ الاممْ
له كَفُّ جودٍ تفيد الغِنى وكَفُّ تبيدُ بسيفِ النقَمْ

فقال زدنى فأنشدته

إنتَجِى ياناقُ مُلوكَ غالبِ قريشَ بطحاء أولى الاهاضبِ
والرأسُ ممدودٌ على المناكبِ مدَّ القباطىّ على المشاجبِ

فقال زدنى فأنشدته

ياقُطبَ رَجراجَةِ البطحاء ومنزلَ البدرِ منَ السماء
* والمجتدى فى السنة العَجفاء *

فقال حسبك ياأبا عبد الله ثم التفت الى جارية بين يديه فقال عشرة بدَر ووصيفة وفرس ومملوك وخمسون ثوبا الساعـة تجيء بذلك كله فأعطاه اياه وانصرف فقال له الناس ياأبا العيناء ماهذا قال مال الله على يد عبد الله الحمد لله والشكر لامير المؤمنين مادامت السماء وما حملت مقلتايَ الماء •• قال أحمد بن أبى طاهر أخبرنى مروان بن أبى الجنوب قال لما استخلف المتوكل بعثت اليه بقصيدة مدحت فيها ابن أبى دؤاد وفى آخرها بيتان

ذكرتُ فيهما ابن الزيات بين يدي ابن أبي دؤاد وهما

وقيلَ ليَ الزيّاتُ لاقى حِمامَهُ فقلتُ أتاني الله بالفتح والنصرِ
لقد حفَرَ الزيّاتُ بالغَدْرِ حُفْرَةً فأُلقيَ فيها بالخيانةِ والغَدْرِ

فلما صارت القصيدة في يدى ابن أبي دؤاد ذكر ذلك للمتوكل وأنشده البيتين قال أحضرنيه قال هو باليمامة قال يُحمل قلت عليه دين قال كم قلت ستة آلاف دينار قال يعطاها فأعطيت ذلك وحملت وصرت الى سُرّ من رأى وامتدحت المتوكل بقصيدة أقول فيها

رَحلَ الشبابُ وليتَهُ لم يَرحلِ والشيبُ حلّ وليتهُ لم يحلُلِ

فلما صرتُ من القصيدة الى هذا البيت

كانتْ خلافةُ جعفرٍ كنبوّةٍ جاءتْ بلا طلبٍ ولا بتَنَحُّلِ
وهبَ الالهُ لهُ الخلافةَ مثلَما وهبَ النبوّةَ للنبيّ المرسَلِ

أمر لي بخمسين الف درهم .. قال وكان عليّ بن الجهم يقع في مروان ويثلبه حسداً لمنزله من أمير المؤمنين فقال له المتوكل يا عليّ أيكما أشعر قال أنا أشعر منه قال ما تقول يا مروان قال اذا حققت شعرك في أمير المؤمنين لم أُبال بمن زيّف شعرى ثم التفت مروان الى عليّ فقال يا عليّ أنت أشعر مني قال نعم تشك في ذا قال أمير المؤمنين بيني وبينك قال هو يُحابيك فقال المتوكل هذا من عِيّك ثم التفت الى حمدون النديم فقال ذا حكم بينكما فقال يا أمير المؤمنين تركتني بين لحيي الأسد قال لا بدّ أن تصدقني قال يا أمير المؤمنين أعرفهما في الشعر أشعرهما فقال المتوكل يا مروان إهجه قال لا أبدأه ولكن يقول فقال عليّ قد كظني النبيذ ولست أقدر أن أقول قال مروان لكني أقول

ان ابنَ جَهْمٍ في المَغيبِ يَعيبُني ويقولُ لي حَسناً اذا لاقاني
وإذا التقينا نالَ شعري شعرُهُ ونَزا على شيطانِهِ شيطاني
إنّ ابنَ جهْمٍ ليسَ يرحمُ أُمَّه لو كانَ يَرحمُها لما عاداني

فقال المتوكل يا مروان بحياتي لا تقصر فقال

يا عليُّ يا ابن بَدْرٍ قلتَ أُميّ قُرَشيّه

قلتَ ما ليس بحقٍّ فاسكتي يا نبطيه
اُسكتي يا بنتَ جهمٍ اُسكتي يا حلقيه

.. قال فجعل المتوكل يضرب برجله ويضحك وأمر لى بألف دينار . قال مروان صرت الى المتوكل فقلت

سقى الله نجداً والسلامُ على نجدِ ويا حبذا نجدٌ على القربِ والبعدِ
نظرتُ الى نجدٍ وبغدادُ دونها لعلى أرى نجداً وهيهاتَ من نجدِ
ونجدٌ بها قومٌ هواهمْ زيارتي ولاشيءَ أحلى من زيارتِهمْ عندى

قال فلما أتممتُ انشادها أمر لى بعشرين ومائة الف درهم وخمسين ثوبا وثلاثةٍ من الظهر فرساً وبغلة وحماراً فما برحتُ حتى قلت فى شكره

تخيَّرَ ربُّ الناسِ للناسِ جعفرًا فملّكه أمرَ العباد تخيُّرا

فلما صرت الى هذا البيت

فأمسِكْ ندَى كفّيكَ عنّى ولا تزِدْ فقدخِفتُ أن أطغى وأن أتجبرا

قال لا والله لا أمسك حتى أغرقك بجودي ولا تبرح أو تسأل حاجةً قلت يا أمير المؤمنين الضيعة التى أمرت باقطاعى اياها من اليمامة ذكر ابن المدبر انها وقفٌ من المعتصم قال فاني أقبلكها بخراج درهم قلت لا يحسن أن يؤدّى درهم فقال ابن المدبر فألف درهم قلت نعم فأمضاها لى ثم قال ليست هذه حاجة قلت فضياعي التى كانت لى وحال ابن الزيات بينى وبينها فأمر بردها عليّ .. قال وقال أبو يعقوب الخطابي كنت جالساً عند معن بن زائدة واذا عليه إزار يساوى أربعة دراهم فقال يا أبا يعقوب هذا ازارى وقد قسمت العام فى قومك خاصة أربعين الف دينار فبينا نحن نتحدث اذ أبصر اعرابياً يحط به الآل من خوخة مشرفة له على الصحراء فقال لحاجبه ان كان هذا يريدنا فادخله فدخل الاعرابى وسلم وأنشأ يقول

أصلحكَ الله قلَّ مَا بيَدِى فلا أطيقُ العيالَ إذ كثُرُوا
ألحَّ دَهرٌ رَمى بكلكلهِ فأرسلوني اليكَ وانتظروا

قال فاضطرب وقال أرسلوك وانتظروا يا غلام ما فعل بغلتنا الفلانية قال حاضرة قال كم

هي قال الف دينار قال اطرحها اليه ثم قال اذهب اليهم بما معك ثم اذا احتجت فارجع •• وعن ابي يعقوب الخطابي قال دخل أعرابيّ معه ظبي صغير في نطع الي معن بن زائدة •• وقال

سَمَّيتُ مَعناً بمَعنٍ ثم قلتُ له هذا سَمِيُّ امرئٍ في الناس محمودِ
أنتَ الجوادُ وملكَ الجودُ أوّله لا بل يمينك منها صورةُ الجودِ

فأعطاه الف دينار •• قال ودخل يزيد بن مزيد مسجداً باليمن فوجد في قبلته مكتوباً

مَضى معنٌ وخلاّني بِبَثّي على مَعنِ بنِ زائدةَ السلامُ

فسأل عن قائله فاذا هو معهم فقال يا غلام أمعك شئ قال نعم الف دينار قال فادفعها اليه فخرج الرجل وهو يقول رحم الله أبا الوليد وصلني حياً وميتاً •• وحدثنا جعفر ابن منصور بن المهدى قال حدثني أبي قال حج المهدي فنزل زُبالةَ فدخل حسين بن مُطير الأسديّ عليه فقال

أضحت يَمينُكَ من جُودٍ مُصوّرةً لا بَلْ يَمينُكَ منها صُورةُ الجودِ
من حُسنِ وجهك تُضحي الأرض مشرقةً ومن بَنانِكَ يجري الماء في العودِ

فقال له المهديّ كذبتَ قال ولم ذاك يا أميرَ المؤمنين قال لقولك في معن بن زائدة

أَلِمّا على مَعنٍ وقولا لقبرهِ سَقتك الغوادي مَربعاً ثُمّ مَربعا
فيا قبرَ مَعنٍ كيف وارَيتَ جودَهُ وقد كان منه البرُّ والبحرُ مُترَعا
فلما مَضى معنٌ مضى الجودُ وانقضى وأصبحَ عِرنينُ المكارمِ أجدَعا
فكنتَ لدار الجودِ يا مَعنُ عامراً فقد أصبحتْ قفراً من الجود بَلقعا
أبى ذكرُ معنٍ أن يَميتَ فعالَهُ وان كان قد لاقى حِماماً ومصرَعا
فتىً عيشَ في معروفه بعدَ موتهِ كما كان بعد السَّيلِ مَجراهُ مَرتعا

فقال يا أميرَ المؤمنين انما معنٌ حسنة من حسناتك وفعلة من فعلاتك فأمر له بألف دينار ثم قال سل حاجتك •• فقال

بَيضاء تسحبُ من قيام فرعَها وتغيبُ فيه وهو جَثْلٌ أسحمُ
فكأنها فيه نهارٌ مشرقٌ وكأنه ليلٌ عليها مظلمُ

قال خذ بيدها لجارية كانت على رأسه فأولدها معلىٰ بن الحسين بن معلىٰ .. قال ودخل مروان بن أبي حفصة على جعفر بن يحيي يسأله إيصاله الى الرشيد وانه قد مدحه بقصيدة ينشدها اياه وقد كان جعفر وصله بثلاثين ألف درهم كتب له بها الى صالح الصَّيرفى وكانت فيها دراهم طبرية فقال

ثلاثون ألفاً كلها طبريةٌ دَعالي بها لما رأى الصَّكَّ صالحُ
دَعابالزُّيوفِ النّاقِصاتِ وإنما عطاءأبي الفضلِ الجيادُ الرواجحُ
فقلتُ له لما دَعا بزُيوفِهِ ءأَلجِدُّ هذا منكَ أم أنتَ مازحُ

فلما أنشد ذلك جعفراً ضحك وقال أنشدني مرثيتك فى معن بن زائدة فأنشده

كأنَّ الشمسَ يومَ أُصيبَ معنٌ من الظلماء مُلبسةٌ جِلالاَ
وكانَ الناسُ كلهمُ لِمعنٍ الى أن زارَ حُفرَتَهُ عِيالاَ

فقال جعفر هل أثابك على هذه المرثية أحدٌ من ولده وأهله قال لا قال فلو كان حياً ثم سمعها منك بكم كان يثيبك قال باربعمائة دينار قال أظن انه كان لا يرضاها لك قد أمرنا لك عن معن بأربعمائة كما ظننت وزدناك مثلها كما ظنناه به فيك فاغد على الخازن لقبضها منه .. قال ودخل أعرابي على داود بن يزيد بالسند فقال أيها الأمير تأهب لمديحي فتأهب ثم قال لئن أحسنت لأحسننَّ اليك ولئن أسأت لأردنَّ شعرك فقال

أمنتُ بداودٍ وجودِ يمينـهِ منَ الحدَثِ المَخشىِّ والبؤسِ والفقرِ
وأصبحتُ لاأخشى بداودَ نَبوةً ولا حدَثاناً إذ شَدَدتُ به إزرى
فماطلحةُ الطلَحاتِ ساواه فى الندى ولا حاتمُ الطائى ولا خالدُ القَسْرى
لهُ حكمُ لقمانٍ وصورةُ يوسفٍ ومُلكُ سُليمانٍ وصدقُ أبي بكرِ
فتىً تهربُ الأموالُ من طَلِّ كفِّهِ كما يهربُ الشيطانُ من ليلةِ القدرِ

فقال يا اعرابي أحسنت فاحتكم وان شئت فاردد الحكم اليَّ فقال ما عند الأمير ما يسعه حكمه فقال أنت فى هذا أشعر وأمر له بعشرة آلاف درهم .. قال ودخل محمد بن الجهم على المأمون فقال انشدنى أحسن ما سمعته فى المديح فقال نعم يا أمير المؤمنين قوله

يجودُ بالنفس إذ ضنّ الجوادُ بها والجودُ بالنفس أقصى غايةِ الجودِ

فقال أنشدنى أخبث ماسمعته فى الهجو فقال قوله

قَبُحَتْ مَناظرُه فحين خبرتُهُ حَسُنتْ مناظرُه لقبحِ المَخْبَرِ

قال فأنشدني أحسن ما سمعته فى المراثي فقال قوله

أرادُوا ليُخفوا قبرَهُ عن عدُوِّهِ فَطيبُ ترابِ القبرِ دلّ على القبرِ

•• ومثله أيضاً

على قبرهِ بين القبورِ مهابةٌ كما قبله كانت على ساكنِ القبرِ

قال فأنشدني أحسن ما سمعته فى الغزل قال قوله

حُبٌّ مُجِدٌّ وحبيبٌ يلعبُ وأنت مُلقىً بينهم مُعذَّبُ

فاستحسن الأبيات ثم أمربتقليدى الصّيمرة والسِيروان ومِهرجانقذق والدينَوَرونهاوند فانصرفتُ من عنده بولاية الجبل

مساوى منع الشعراء والبخل

قيــل كان أبو عطاءِ السنديّ بباب أمير المؤمنين أبي العباس وبنو هاشم يدخلون ويخرجون فقال

انّ الخيارَ من البريّة هاشمٌ وبَنو أميّةَ أرذلُ الأشرارِ

وبنو أميةعودُهم من خروعٍ ولهاشمٍ فيالمجدِعودُ نضارِ

أما الدُّعاةُ الى الجنانِ فهاشمٌ وبنو أُميــةَ من دُعاة النارِ

وبهاشمٍ زكّت البلادُ وأعشبت وبنو أمية كالسراب الجارى

فلم يؤذن له في الدخول على أبي العباس ولم يصله أحد من بني هاشم فولى وهو يقول

يا ليتَ جورَ بنى مَروانَ عادَ لنا وانّ عدلَ بني العباسِ في النارِ

قال وقال المؤمل المحاربى شخصت الى المهــدى وهو بالرىِّ فامتدحته فأمر لى بعشرين

الف درهم فرُفع الخبر الى المنصور فبعث قائداً الي جسر النهروان يستبرى القوافل فلما وردت عليه قال من أنت قلت أنا المؤمل أقبلت من عند الأمير من الري فقال اياك أردت ثم أخذ بيدي فادخلني على المنصور وهو بباب الذهب فقال أتيتَ غلاما غرًّا نخدعته فقلت بل أتيت غلاما غِرًّا كريما نخدعته فانخدع فقال أنشدني ماقلته فيه فأنشدته

هو المهديُّ الاَّ أنَّ فيه ... مَشابهَ صورةِ القمر المنير
تَشابهَ ذا وذا فهُما اذا ما ... أنارا يُشكلاَن على البصير
فهذا في الظلام سِراجُ نور ... وهذا بالنهارِ سِراجُ نور
ولكنْ فضّلَ الرحمنُ هذا ... على ذا بالمنابر والسرير
وبالملك العزيز فذا أميرٌ ... وما ذا بالأمير ولا الوزير
ونقصُ الشهر يُخمِدُ ذا وهذا ... أميرٌ عند نقصانِ الشهور
فيابنَ خليفةِ الله المصفّى ... به تعلو مُفاخرَةُ الفخور
لقد ملكَ الملوكَ أبوكَ حتي ... تراهُمْ بين كابٍ أو أسير
وجئتَ وراءهُ تجرى حثيثاً ... ومابكَ حين تجرى من فتورِ
فقال الناسُ ماهذانِ الاّ ... كما بين الخليقِ الى الجدير
فانْ بلغَ الصغيرُ مدى كبيرٍ ... فقد خُلقَ الصغيرُ من الكبير

فقال ما أحسن ماقلت ولكن لايساوى ماأخذت يا ربيع خذ منه ستة عشر ألفاً وخلّه وما سواها قال فحطّ والله الربيع بغلى حتى أخذ منى ستة عشر ألفاً فما بقيت معى الا نُفيقة فآليتُ على نفسى أن لا أدخل العراق وللمنصور بها ولاية فلما بلغنى موت المنصور واستخلاف المهدى قدمت بغداد وقد جعل المهدى على المظالم رجلا يقال له ثوبان فرفعت اليه قصة أذكر فيها خبرى فعرضها على المهدى فضحك حتى استلقى وقال هذه مظلمة أنا بها عارف رُدوا عليه ماله وزيدوا له عشرين الفاً فأخذتها وانصرفت ٠٠ قيل ودخل عونٌ على عمر بن عبد العزيز فقال ياأمير المؤمنين هذا جرير بالباب يريد الدخول عليك فقال عمر ماأدرى ان أحداً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يحجب عنى

قال انه يريد اذنا خاصا قال أدخله فخرج عون وأخذ بيده فأدخله فشكا اليه طول المُقام وشدّة الحال والحاح الزمان وجهد العيال وسأله ان يأذن له فى انشاده شعراً فقال انّ أمير المؤمنين لفى شُغل عن الشعر فقال انها رسالة من أهل الحجاز قال هاتها فقال

قدطالَ قولى اذا ما كنتُ مجتهداً ... ياربّ عافِ قوامَ الدين والبشر
خليفةَ الله ثم الله يحفظهُ ... عند المُقامِ وانّما كان فى السفر
انا لنَرجو اذا ماالغيثُ أخلفَنا ... منَ الخليفةِ مانَرجو منَ المطر
نالَ الخلافةَ اذْ كانتْ له قدَراً ... كما أتي ربَّهُ موسى على قدَر
مازلتُ بعدكَ فى دار تُؤرّقنى ... قدطالَ فى الحيّ إصعادى ومنْحدري
أأذكُرُ الجَهدَ والبلوى التى نزلتْ ... أمْ قدكفاني الذى نبّئْتُ من خبري
كمْ بالمواسم منْ شعثاء أرْملةٍ ... ومن يتيمٍ ضعيفِ الصوت والنظر
أمسي حزيناً يُبكّي فَقدَ والده ... كالفرخ فى العُش لم ينهضْ ولم يطِر
انْ تَنْهُ عنه فمنْ يرْجو لفاقته ... أو تُنجِ منهافقد أنجيْتَ منْ ضرر
أنتَ المباركُ والمهديُّ سيرتُهُ ... تَعصى الهوى وتقومُ الليل بالسُّور
ماينفَعُ الحاضرُ المجهُودُ باديَنا ... ولا يعودُ لنا بادٍ على حضَر
هذى الأراملُ قدقضّيتَ حاجتها ... فمنْ لحاجةِ هذا الأرْمل الذكَر
الخيرُ مادُمتَ حياً لايفارقنا ... بُوركتَ ياعُمرَ الخيرات من عُمَر

فبكي عمر ثم رفع رأسه وقال ماحاجتك ياجرير قال حاجتى ماعوّدتنى الخلفاء قبلك قال وما ذاك قال أربعمائة من الابل برعاتها وتوابعها من الحُملان والكُسى قال له عمر أمِنَ المهاجرين أنت قال لا قال فمن الانصار قال لا قال فممن أنت قال من التابعين باحسان قال اذاً نجرى عليك كما نجرى على مثلك قال فاني لاأريد ذاك قال فما أرى لك فى بيت المال غيره قال انما جئت أسألك من مالك قال فان لى كسوة ونفقة وأنا أقاسمكهما قل بل أؤثرك وأحمدك ياأمير المؤمنين فانصرف من عنده وهو يقول

وجدتُ رُقي الشيطانِ لاتستفزهُ ... وقد كان شيطاني من الجنّ راقيا

ولبعض الشعراء فى مثله

انّ حراماً قبولُ مدحتنا ومنعُ ماترتجى من الصفَدِ
كما لدنانيرُ والدراهمُ فى الـــصرفِ حرامٌ الاّ يداً بيدِ

أبو نجدة فى مثله

فلما أنْ بلوناكَ ولم نلقكَ بالماشطْ
أطعنا فيكَ ميموناً فصوّرناكَ في الحائطْ
اذا لم تك نفّاعاً فأنتَ النازحُ الشاحطْ
سواء أنتَ فى عينى بحيّ كنتَ أمْ واسطْ

•• وروى فى الحديث قال لايجتمع الشحّ والايمانُ فى قلب عبد أبداً •• ويقولون الشحيح أعذرُ من الظالم وأقسم الله جلّ وعزّ بعزّته لايساكنه بخيلٌ •• وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم من فتح له باب من الخير فلينتهزْه فانه لايدرى متى يغلق عليه وقال الشاعر فى ذلك

ليسَ في كلّ ساعةٍ وأوانِ تتهيّأ صنائعُ الإحسان
فاذا أمكنتْ تقدّمتَ فيها حذراً من تعذر الإمكان

•• وسئل بعض الحكماء من أكيس الناس في زماننا فقال ابن أبي داود حيث يقول فيه الشاعر

بدا حينَ أثرَى باخوانه ففلّلَ عنهمْ شباةَ العدَمْ
وحذّرهُ الحزمُ صرفَ الزمان فبادر قبل انتقالِ النعمْ
فليس وان بخِلَ الباخلو نَ يقرعُ سناً له من ندمْ
ولاينكُتُ الارض عندالسؤال ليمنعَ سؤّاله عن نعمْ
ولكنْ ترى مُشرقاً وجهُهُ ليرتعَ فى ماله مَنْ عدِمْ

وفصل لبعضهم في هذا المعنى ان لأيام القدرة على الخير غنائم فاصطنعها مادامت راعنة لديك وأنت منها متمكنٌ قبل ان تنقضى عنك •• وفى المثل السائر في البخل هو أبخلُ من قاذر وهو رجل من بني هلال بن عامر بلغ من بخله انه سقى إبله فبقى فى أسفل

الحوض ماء قليل فسلح فيه وقذر الحوض فسمّي قاذراً ٠٠وذكروا ان بني فزارة وبني هلال تنافروا الى أنس بن مُدرك وتراضوا به فقالت بنو هلال يابني فزارة أكلتم أيرَ الحمار فقال بنو فزارة لم نعرفه وكان سبب ذلك ان ثلاثة أنفار اصطحبوا فزاريٌّ وثعلبيٌّ وكلابيٌّ فصادوا حمار وحش فمضى الفزارى فى بعض حوائجه فطبخاه وأكلاه وخبَّئا للفزاري أير الحمار فلما رجع قالا له قد خبأنا لك فكل فأقبل يأكل ولا يسيغه فجعلا يضحكان ففطن وأخذ السيف وقام اليهما فقال لهما ان أكلتماه والاقتلتكما فامتنعا فضرب أحدهما فأبان رأسه وتناوله الآخر فأكل منه فقال فيهم الشاعر

نَشَدْتُكَ يافزَارُ وأنتَ شيخٌ اذا خُيِّرتَ تخطيُّ فى الخيارِ
أَصيحانيَّةٌ أُدِمَتْ بسمنٍ أحبُّ اليكَ أمْ أيرُ الحمار
بَلَى أيرُ الحمار وخُصيتاهُ أحبُّ الى فزَارةَ منْ فزَارِ

فقالت بنو فزارة منكم يابني هلال من سقى ابله فلما رويت سلح فى الحوض وقذره بخلا فقضى أنس بن مُدرك على الهلاليين وأخذ الفزاريون منهم مائة بعير وكانوا تراهنوا عليها ٠٠وفى بني هلال يقول الشاعر

لقد جلَّلتَ خزياً هلالُ بنُ عامرٍ بني عامرٍ طرًّا بسَلْحَةِ قاذِرِ
فأُفٍّ لكُمْ لاتذكروا الفَخرَ بعدها بني عامرٍ أنتم شِرارُ المعاشر

وفى المثل هو أبخل من نار الحُباحب وهو رجل كان فى الجاهلية من بخله انه كان يسرج السراج فاذا أراد أحد أن يأخذ منه أطفأه فضرب به المثل ٠٠ ومنهم صاحب نجيح بن سُليف اليربوعى فانه ذكر ان نجيحاً خرج يوما الى الصيد فعرض له حمار وحش فاتبعه حتي دفع الي أكَمَة فاذا هو برجل أعمى أسود قاعد فى أطمار بين يديه ذهب وفضة ودرٌّ وياقوت فدنا منه نجيح فتناول منها بعضها فلم يستطع أن يحرّك يده حتى ألقاها فقال ياهذا ماالذى بين يديك وكيف تستطيع حمله ألك هو أم لغيرك فانى أعجب مما أرى أجوادٌ أنت فتجود لنا أم بخيلٌ فاعذرك فقال الأعمى كيف تطلب مال رجل قد غاب منذ سنتين وهو سعد بن خَشْرَم بن شمّاس فاتنى بسعد يعطيك ماتشاء فانطلق نجيح مُسرعا قد استطير فؤاده حتي وصل الى محلّته ودخل خباءه فوضع رأسه

ونام لما به من الغم لايدرى من سعد فأتاه آتٍ فى منامه فقال يانجيح ان سعد بن خشرم فى حيّ محلّمٍ من ولد ذُهل بن شيبان فخرج وسأل عن بني محلّم ثم سأل عن خشرم فاذاهو بشيخ قاعد على باب خبائه فحيّاه نجيح فردّ عليه فقال له نجيح من أنت قال خشرم بن شمّاس قال وأين ابنك قال خرج فى طلب نجيح بن سُليف اليربوعي وذلك ان آتياً أتاه فى منامه فخبّره ان مالا له فى نواحي بني يربوع لايعلم به الا نجيح فضرب نجيح بطن فرسه وهو يقول

أيطلُبُنى من قد عنانى طلابُهُ فياليتنى ألقاكَ سعدَ بن خشرَمِ
أتيتَ بني يربوعَ تطلُبُنى بهِ وقد جئتُ كىْ ألقاكَ حيّ محلّمِ

فلما دنا من محلته استقبل سعداً فقال له أيها الراكب هل لقيت سعداً في بني يربوع قال أنا سعد فهل تدل على نجيح قال أنا نجيح وحدثه بالحديث ثم قال الدالّ على الخير كفاعله وهو أول من قاله فانطلقا حتي أتيا ذلك المكان فتوارى الرجل حين أبصرهما وترك المال فأخذه سعد كله فقال له نجيح ياسعد قاسمنى فقال له اطوِ عن مالى كشحاً وأبى أن يعطيه فانتضى نجيح سيفه فجعل يضربه حتى برد فلما وقع قتيلا تحوّل الرجل الحافظ للمال سِعلاةَ فأسرع فى أكل سعد وعاد المال الى مكانه فلما رأى نجيح ذلك ولّى هاربا الى قومه .. قال وكان أبو عميس بخيلا فكان اذا وقع الدرهم فى يده نقره بأصبعه ثم يقول له كم من مدينة قد دخلتها ويد قد وقعت فيها والآن استقرّ بك القرار واطمأنّت بك الدار ثم يرمي به فى صندوقه فيكون ذلك آخر العهد به .. قيل ونظر سليمان بن مزاحم الى درهم فقال فى شقّ لا اله الا الله وفى شق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي أن يكون هذا الا مَعاذة وقذفه فى صندوقه .. وذكروا انه كان بالرىّ عاملٌ على الخراج يقال له المسيّب فأتاه شاعرٌ فامتدحه فسعل سَعلة فضرط فأنشأ الشاعر يقول

أتيتُ المُسَيّبَ فى حاجةٍ فما زال يسعُلُ حتى ضرَط
فقال غَلطنا حسابَ الخراجِ فقلتُ من الضرطِ جاء الغلطْ

فولعَ به الصبيان فكان كلما مرّ قالوا من الضرط جاء الغلط فما زالوا يقولون ذلك حتى

هرب منها من غير عزل •• وكان أبو الاسود الدؤلى بخيلا وهو القائل لابنيه لا تجاودوا الله فانه أجود وأمجد ولوشاء أن يوسع على الناس كلهم حتى لايكون فقير لفعل ••وسمع رجلا يقول من يعشي الجائع فعشاه ثم ذهب ليخرج فقال هيهات تخرج فتؤذى غيرى من المسلمين كما آذيتني ووضع رجله فى الأدهم حتى أصبح •• قال وكان رجل يأتي ابن المقفع فيالحّ عليه ويسأله الغداء عنده فيقول لعلك تظن انى أتكلف لك شيئاً والله لا أقدّم اليك الا ما عندى فلما أتاه اذا ليس في بيته الا كسر يابسة وملحٌ جريشٌ وجاء سائل الى الباب فقال وسّع الله عليك فلم يذهب فقال والله لئن خرجت اليك لأدقن سائلك فقال ابن المقفع للسائل لو عرفتَ من صدق وعيده ما أعرف من صدق وعده لم تردد كلمة ولم تقم طرفة ببابه •• المدائنى عن خالد كيلويه قال كنت نجاراً حاذقاً فذُهب بى الى المنصور فقال افتح لى باباً أنظر منه الي المسجد وعجل الفراغَ منه قال ففتحت الباب وعلقت عليه باباً وجصصته وفرغت منه قبل وقت الصلاة فلما نودى بالصلاة جاء فنظر اليه فأعجبه عملى وقال لى أحسنت بارك الله عليك وأمر لي بدرهمين •• قال وقال المنصور للمسيب بن زهير أحضرنى بناء حاذقاً الساعة فأحضره فأدخله الى بعض مجالسه وقال لى ابن لي بازائه طاقاً يكون شبيهاً بالبيت فلم يزل يُؤتَى بالجص والآجرِّ حتى بناه وجوّده ونظر اليه واستحسنه فقال للمسيب اعطه أجره فأعطاه خمسة دراهم فاستكثرها وقال لا أرضي بذلك فلم يزل حتى نقصه درهماً ففرح بذلك وابتهج كأنه أصاب مالا •• وحكي عن المنصور انه لُدغ فدعا مولى له يقال له أسلم رقاء فأمره أن يرقيه فرقاه فبرئ وأمر له برغيف فأخذ الرغيف فثقبه وصيره فى عنقه وجعل يقول رقيت مولاى فبرئ فأمر لى برغيف فبلغ المنصور ذلك فقال لم آمرك أن تشنع علىّ قال لم أشنع انما أخبرت بما أمرت فأمر أن يُصفع ثلاثة أيام فى كل يوم ثلاث صفعات •• وعن الأصمعيّ قال دخل أبو بكر الهجرىّ ذات يوم على المنصور فقال يا أمير المؤمنين أنتقض علىّ فمي وأنتم أهل بيت بركة فلو أذنت لى اقبلت رأسك لعل الله يشد فمي فقال المنصور اختر ذلك أو الجائزة فقال يا أمير المؤمنين أهون علىّ من ذهاب درهم الجائزة أن لا يبقى فى فمى حاكّة •• ومنه مكاتبات كتب ارسطاطاليس الى رجل فى رجل يصله بشئ فلم يفعل

فكتب اليه ان كنت أردت فلم تقدر فمعذور وان كنت قدرت فلم ترد فسيأتيك يوم تريد فيه فلا تقدر .. قيل وكتب ابراهيم بن سيّابة الى رجل صديق له كثير المال يستسلفه فكتب اليه العيال كثير والدخل قليل والمال مكذوب فكتب اليه ان كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً وان كنت صادقاً فجعلك الله معذوراً .. قال وكتب بعضهم يصف رجلا أما بعد فانك كتبت تسأل عن فلان فكأنك هممت أو حدثت نفسك بالقدوم عليه فلا تفعل أمتع الله بك فان حسن الظن به لا يقع فى الوهم الا بخذلان الله وان الطمع فيما عنده لا يخطر على القلب الا بسوء التوكل على الله وان الرجاء لما فى يده لا ينبغي الا بعد اليأس من رحمة الله انه يرى الاقتار الذى نهى الله عنه هو التبذير الذى يعاقب الله عليه والاقتصاد الذى أمر الله عز وجلّ به هو الاسراف الذي يعذب الله عز وجل عليه وان بني اسرائيل لم يستبدلوا العدس بالمنّ والبصل بالسلوى الا لفضل أحلامهم وقديم علم توارثوه من آبائهم وان الصنيعة مرفوعة والصلة موضوعة والهمة مكروهة والصدقة منحوسة والتوسع ضلالة والجود فسوق والسخاء من همزات الشياطين وان مواساة الرجل أخاه من الذنوب الموبقة وافضاله عليه من احدى الكبائر وان الله عز وجل لا يغفر أن يؤثر المرء فى خصاصة على نفسه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن آثر على نفسه فقد ضلّ ضلالا بعيداً وخسر خسراناً مبيناً كأنه لم يسمع بالمعروف الا فى الجاهلية الذين قطع الله أدبارهم ونهى جل اسمه عن اتباع آثارهم وان الرجفة لم تأخذ أهل مدين الا لسخاء كان فيهم وان الريح العقيم أهلكت عاداً وثمود لتوسع كان فيهم وهو يخشى العقاب على الانفاق ويرجو الثواب على الاقتار ويعد نفسه العقوق ويأمرها بالبخل خيفة أن تمرّ به قوارع الدهور وأن يصيبه ما أصاب القرون الاولى فأقم رحمك الله بمكانك واصبر على عسرك لعل الله أن يبدلنا واياك خيراً منه زكاة وأقربَ رُحماً .. ومنه فنّ آخر وصف اعرابى رجلا فقال له بشرٌ مُطمع ومطل موئس فأنت منه أبداً بين اليأس والطمع لا منع مُريح ولا بذل سريح .. وقال اعرابى أنا من فلان فى أمانىّ تهبط العصم ومُخلف يذكر العدم ولست بالحريص الذى اذا وعده الكذوب أعلق نفسه لديه وأتعب راحلته اليه .. وذكر اعرابى رجلا فقال له مواعيد

عواقبها المطل وثمارُها الخلف ومحصولها اليأس ويقال سرعة اليأس أحد النجحين ٠٠ وقال بعضهم مواعيد فلان مواعيد عرقوب ولمع الآل وبرق الخلّب وأمانىّ الكمون ونار الحُباحِب وصَيِّفٌ تحته راعدة ٠٠ ولبعض الكتاب فصل في هذا المعنى أما بعد فان كثرة المواعيد من غير نجح عارٌ على المطلوب وقلّتها عند الحاجة مكرمةٌ من صاحبها وقد رددتنا فى حاجتنا هذه مع كثرة مواعيدك من غير نجح لها حتى كأنا قد رضينا بالتعلل بها دون النجاح كقول الأول

لا تجعلنّا ككمّون بمزرعةٍ إنْ فاته الماء أروته المواعيدُ

٠٠ ولآخر منهم ما رأيت مثل طيب قولك أمر سوء فعلك ولا مثل بسط وجهك خالفه ضيق تنكيدك ولا مثل قرب مواعيدك باعدَها فرطُ مطالِكَ ولا مثل أنس بديهتك أوحش منه قبيح عواقبك حتى كأن الدهر أودعك لطيف الحيلة بالمكر بأهل الخلة وكأنه زينك فيهم بالخديعة لتدرك منهم فرصة الهلكة وقد قيل وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم مطل وتأجيل ٠٠ وقال بعضهم وعدتنا مواعيد عرقوب ومطلتنا مطل نُعاس الكلب وغررتنا غرور السراب ومَنيتنا أمانىّ الكمون ٠٠ ولبعضهم أما بعد فلا تدَعني متعلقاً بوعدك فالعذر الجميل أحسن من المطل الطويل فان كنت تريد الانعام فأنجِح وان تعذرت الحاجة فأوضِح وأعلمنى ذاك لأصرف وجهَ الطلب الى غيرك ٠٠ وذكروا ان فتىً من مراد كان يختلف الى عمرو بن العاص فقال له ذات يوم ألك امرأة قال لا قال أفتزوّج وعلىّ المهر فرجع الى أمه فأخبرها فقالت

اذا حدّثتكَ النفسُ أنكَ قادرٌ على ماحوَتْ أيدى الرجالِ فكذّبِ

فتزوج ثم أتى عمرو بن العاص فاعتل عليه ولم يجز له وعده فشكا ذلك الى أمه فقالت

لا تغضبنّ على امرىء فى مالِه وعلى كرائمِ مالِ نفسكَ فاغضبِ

ولبعض الشعراء فى هذا المعنى

أروحُ وأغدُو نحوكم فى حوائجى فأُصبحُ منها غدْوة كالذى أُمسِي

وقد كنتُ أرضى للصديق شفاعتى فقد صرتُ أرضى أن أُشفّعَ فى نفسى

ولأبى نُواس

وعَدْتَني وعدَك حتى إذا | أطمعْتني في كنزِ قارُونِ
جئتَ من الليلِ بغسّالةٍ | تغسلُ ما قلتَ بِصابونِ

•• وأنشد لأبي تمّام

يحتاجُ من يَرتجي نوالَكمُ | الى ثلاثٍ بغيرِ تكذيبِ
فكنزُ قارونَ أنْ يكونَ لهُ | وعمرُ نوحٍ وصبرُ أيوبِ

•• ولآخر

إنّي لأعجبُ من قولٍ غُرِرتُ بهِ | حُلوٍ يلَذّ اليهِ السمعُ والبصرُ
لوْ تَسمعُ العُصمُ في صُمّ الجبالِ بهِ | ظلّتْ من الرّاسياتِ العُصمُ تنحدِرُ
كالخمرِ والشهدِ يجري فوقَ ظاهرِهِ | وما لباطنِهِ طَعمٌ ولا خَبرُ
وكالسَّرابِ شَبيهاً بالغديرِ وإنْ | تبْغِ السرابَ فلا عينٌ ولا أثرُ
لا يَنبُتُ العُشبُ عن بَرقٍ وراعِدَةٍ | غرّاء ليسَ بها سَيلٌ ولا مَطرُ

ومما قيل من الشعر في البخل بالطعام لبعضهم

رأيتُ أبا عثمانَ يَبذُلُ عِرْضَهُ | وخبزُ أبي عثمانَ في أكرمِ الحِرزِ
يحِنّ الى جاراتِهِ بعدَ شَبعِهِ | وجاراتُهُ غرثى تحن الي الخبزِ

•• آخر

ما كنتُ أحسبُ أنّ الخبزَ فاكهةٌ | حتى نزَلتُ على عوفِ بْنِ خنزيرِ
ألحابسُ الرّوثَ في أعفاجِ بغلتِهِ | بُخلاً على الحَبّ من لقطِ العصافيرِ

•• ولغيره

نوالُكَ دونَهُ خرْطُ القَتادِ | وخيرُكَ كالثريّا في البعادِ
ترَى الإصلاحَ صَوْمَكَ لا النُسكِ | وكسراً للرّغيفِ من الفسادِ
أرَى عمرَ الرّغيفِ يطولُ جداً | لَديكَ كأنّهُ من قومِ عادِ

•• ولآخر

ألُؤمُ منكَ على الطعامِ طباعُ | فعِيالُ بيتِكَ ما حُييتَ جياعُ
وإذا يَمرُّ ببابِ دارِكَ سائلٌ | هرّتْ عليهِ نوابحٌ وسِباعُ

وعلى رغيفكَ حيةٌ مسمومةٌ وعلى خُوانك عقربٌ وشُجاعُ

•• ولآخر

يا تاركَ البيتِ على الضيفِ وهارباً منـهُ منَ الخوفِ
ضَيفُكَ قد جاء بزادٍ لهُ فارجع فكن ضَيفاً على الضيفِ
إذا اشتهى الضيفُ طبيخَ الشتا أتاهُ بالشهوةِ فى الصيفِ
وإنْ دنى المسكينُ من بابهِ شدَّ على المسكينِ بالسَّيفِ

•• ولآخر

يَكتُبُ بالحبرِ على خُبزهِ واللهِ لا يأكلُهُ الجارُ
ويسألُ الخادمَ من بُخلهِ أيُّ رغيفٍ فيه آثارُ
ويَختمُ القِدرَ على أهلهِ ويَشعَبُ العظمَ بمسمارِ
والماء فى منزلهِ طُرْفَةٌ يشربُه الناسُ بمقدارِ

•• ولآخر

أرَى ضيفَكَ فى الدَّارِ وكربُ الموتُ يَغشاهُ
على خُبزِكَ مكتُوبٌ سيكفيكَهُمُ اللهُ

•• ولآخر

لأبى نوحٍ رغيفٌ أبداً فى حِجْرِ دَايَه
أبداً يمسَحُهُ الدهـرَ بكُمٍّ ووِقايَه
ولهُ كاتبُ سرٍّ خطَّ فيهِ بعِنايَه
فسيكفيكَهُمُ اللّـهُ الى آخرِ آيه

•• آخر

الخبزُ يُبطى حينَ يدعوبه كأنه يَقدُمُ منْ قافِ
ويمدَحُ المِلحَ لأصحابهِ يقولُ هذا ملحُ سِيرافِ
سِيّانِ أكلُ الخبزِ فى دارِه وقلعُ عينيهِ بخُطّافِ

•• آخر

فتى لايَغارُ على عِرسِهِ ولكنْ يَغارُ على خُبزِه
فمنهُ يدُ الجودِ مقبوضةٌ وكفُّ السماحةِ في عجزِه

•• آخر

يصونونَ أثوابهمْ في التخوتِ وأزواجُهم يخترقْنَ السِّككْ
يُنحونَ منْ رامَ رُغفانَهمْ ويُدنونَ من رامَ حلَّ التِّككْ

•• ولآخر

ولوْ أنَّ الذبابَ يراهُ يوماً عدَتْ غرثى لصحفتِهِ ترُومُ
لنادى في العشيرةِ أدركوني ألاَ أينَ القماقِمُ والقرُومُ
فياويْلَ الذُّباب إنْ أدركوهُ وفي الهيجا عدوُّهمُ سليمُ

•• ولآخر

أمّا الرغيفُ لدَى الخوا نِ فمنْ كريماتِ الحرَمْ
ماإنْ يُجسُّ ولا يُمـ ـسُّ ولا يُذاقُ ولا يُشَمْ
فترَاهُ أخضرَ يابساً بالي النقوشِ منَ الهرَمْ

•• ولآخر

أتينا أبا طاهرٍ مُمْطرينَ الى رحله فرَجعنا صِياما
وجاء بخبزٍ لهُ حامضٍ فقلنا دَعوهُ وموتوا كِراما

•• وعن حذيفة بن محمد الطائي قال قال الرشيد لاأعرف لمولّدٍ أهجى من قول أبي نواس

وما روَّحتَنا لتذُبَّ عنّا ولكنْ خفتَ مرْزئةَ الذباب
شرابُكَ كالسراب اذاالتقينا وخبزُكَ عندَ مُنقطعِ التراب

•• ولآخر

خانَ عهدي عمروٌ وماخنتُ عهده وجفاني وما تغيَّرتُ بعدَه
ليسَ لي ماحييتُ ذنبٌ اليه غيرَ أني يوماً تغدَّيتُ عندَه

الخليل بن أحمد

كَفَّاهُ لَمْ تُخْلَقَا للندَى ولم يكُ بُخلُهما بدْعَه
فكفٌّ عن الخير مقبوضَةٌ كما نقصتْ مائةٌ تسعهْ

•• ولآخر

أتيتُ أبا عمرو أُرَجّي نوالَهُ فزادَ أبو عمرو على حَزَنى حزْنا
فكنتُ كباغي القَرن أسلم أُذنَهُ فآبَ بلا أذنٍ ولم يستفدْ قَرْنا

مساوي من استدعي الهجاء ومن هجا نفسه

قال أبو العتاهية خرجت مع المهدي الى الصيد فتفرّق أصحابه وبقيت معه وقد أقبل علينا المطر فانتهينا الى ملاّح معه زَوْرق فقال لنا ادخلا من هذا المطر فدخلنا ووقعت الرعدة على المهدى من شدة البرد فقال له الملاّح هل لك ان ألقى عليك جُبتى فقال نعم فألقاها عليه فما زال يتقرقف حتى نام ثم أقبل الحشم والغلمان وألقوا عليه الخزّ والوشى فلما انتبه أمر بدفع ذلك الى الملاّح وقال يا أبا العتاهية الا هجوتنى فقلت يا أمير المؤمنين وكيف تطيب نفسي بهجائك قال فانى أسألك بالله فقلت

يالابسَ الوَشْى على شيبَهِ ماأقبحَ الأشيبَ فى الدّاحِ

فنقر نقرة ثم قال زدني فقلت

لو شئتَ أيضاً جُلْتَ في خامَةٍ وفي وِشاحَينِ وأوْضاحِ

فقال ويلك زدنى فقلت

كَمْ منْ عظيمِ الشأن فى نفسه قد باتَ فى جُبةِ مَلاّحِ

•• قيل وشرب يزيد بن معاوية ذات يوم وعنده الأخطل فلما ثَملَ قال يا أخطل اهجنى ولا تفحشْ فأنشأ يقول

ألاَ اسْلَمْ سلمتَ أبا خالدِ وحيّاكَ ربك بالعنقزِ
وروّى عظامكَ بالخندريـــس قبل المماتِ ولم تعجزِ

أكلتَ الدجاجَ فأفنيتها فهل في الخنانيص من مغمزِ
ودينُكَ حقاً كدينِ الحما ر بل أنتَ أكفرُ من هُرْمُزْ

فرفع يده ولطمه وقال يابن اللخناء مابكل هذا أمرتك •• قال ودخل أبو دلامة على المنصور وعنده المهدي وعيسى بن موسى فقال له المنصور اهج بعض من في المجلس فقال في نفسه من أهجو الخليفة أم ابن أخيه ماأحد أحق بالهجاء مني فقال

ألا أبلغْ لديك أبا دُلامه فلستَ من الكرامِ ولا كرامه
جمعتَ دمامة وجمعتَ لؤماً كذاكَ اللؤمُ تتبعهُ الدمامه
اذا لبسَ العِمامَةَ قلتُ قِرْدٌ وخنزيرٌ اذا وضعَ العِمامه

فضحك المنصور وأمر له بجائزة •• قيل وأتى اعرابي عبد الله بن طاهر فقال أيها الامير اسمع مديحتي فقال لست أحتاج له قال فاسمع شعري في نفسي فقال هات فقال

ليسَ منْ بخلكَ أني لم أجدْ عندكَ رزْقا
ذَا الجدّ ى ولشؤمي ولحرْفيَ المُبقّي
فجزاكَ الله خيراً ثم بُعْداً لي وسُحْقا

فضحك ثم قال تاطّفتَ في الطلب وأمر له بألف دينار

محاسن الرجال

مدح اعرابي رجلاً فقال فتى آتاه الله الخير ناشئاً فأحسن لبسه وزين نفسه •• ومدح اعرابي رجلا فقال كان والله للأخلاء وصولاً وللمال بذولا وكان الوفاء بهما عليه كفيلا فمن فاضله كان مفضولا •• ومدح اعرابي رجلا فقال هو أكسبهم للمعدوم وآكلهم للمأدوم وأعطاهم للمحروم •• ومدح اعرابي رجلا فقال مازلتُ لأحسن مايرجى من الاخوان منك راجياً وما زلتَ لأكثر ماأرجو منك مصدقا •• ومدح اعرابي رجلا فقال كان والله تعباً في طلب المكارم وغير ضالّ في مصالح

طرقها ولا متشاغل عنها بغيرها .. ومدح اعرابي رجلا فقال لسانه من الشهد وقلبه سجن للحقد .. ومدح اعرابي رجلا فقال ذاك صحيح النسب مستحكم الأدب من أيّ أقطاره أتيته قابلك بكرم فعال وحسن مقال .. ومدح اعرابي رجلا فقال اذا أنبتت الأصول في القلوب نطقت الألسُن بالفروع والله يعلم اني لك شاكر ولساني بثنائك ذاكر وما يظهر الودّ السليمُ الا من القلب المستقيم .. ومدح اعرابي رجلا فقال كان اذا نزلت به النوائب قام اليها ثم قام بها ولم تقعده عِلاّت النفوس عنها .. ومدح اعرابي رجلا وفرساً فقال كان والله طويل العذار أمين العثار اذا رأيت صاحبه عليه حسبته بارياً على مرقب معه رمح يقبض به الآجال .. ومدح اعرابي رجلا فقال لا تراه الدهر الا كأنه لاغنى به عنك وان كنت اليه أحوج واذا أذنبت غفر وكأنه المذنب وان احتجت اليه أحسن وكأنه المسيء .. قال وقال اعرابي لرجل أما والله لقد كنت لجاما لأعدائك ماتفل شكيمته اذا كبح به الجموح أقعي على رجليه .. قال ولقي اعرابي اعرابياً فقال كيف وجدت فلاناً قال وجدته والله رزين الحلم واسع العلم خصيب الجفنة ان فاخرته لم يكذب وان مازحته لم يُحفظ .. ومدح اعرابي رجلا فقال كان يفتح من الرأى أبوابا منسدّة ويغسل من العار وجوهاً مسودّة .. ومدح اعرابي قوما فقال أولائك غيوث جدب وليوث حرب ان قاتلوا أبلوا وان أعطوا أغنوا .. ومدح اعرابي رجلا فقال ذاك من شجر لا يخفّ ثمره وماء لا يخاف كدره

مساوى الرجال

ذمّ اعرابي رجلا فقال يا نطفة الخمار ونزيع الظؤرة وشبيه الاخوال .. وذم قوما فقال ان آل فلان قوم غدر شرّابون للخمر ثم هذا في نفسه نطفة خمّار في رحم صنّاجة .. وذمّ اعرابي رجلا فقال يقطع نهاره بالمنى ويتوسّد ذراع الهمّ اذا أمسى .. وذمّ اعرابي رجلا فقال ماقمع كمِيّا سيفاً ولا قرى يوما ضيفاً ولا حمدنا له شتاء ولا صيفاً

•• وقال اعرابي لامرأته أقام الله ناعيك وأشمت أعاديك •• وذم اعرابى رجلا فقال عليه كل يوم قسامة من فعله تشهد عليه بفسقه وشهادات الأفعال أعدل من شهادات الرجال •• وذم اعرابى رجلا فقال تسهر زوجته جوعا اذا نام شبعاً ولا يخاف عاجل عار ولا آجل نار كالبهيمة أكلت ماجمعت ونكحت ماوجدت •• وذمّ اعرابى رجلا فقال ذاك أعيي مايكون عند الناس أبلغ مايكون عند نفسه •• ولام اعرابى رجلا فقال تقطع أخاك لأبيك وأمك فقال انى لأقطع الفاسد من جسدى وهو أقرب اليَّ من أخي وأعزّ فقداً منه •• وذمّ اعرابى قوما فقال ياقوم لاتسكنوا الى حلاوة مايجرى من القول على ألسنة بني فلان وأنتم ترون الدماء تسيل من أفعالهم قد جعلوا المعاذير ستوراً والعلل حجباً ••وذمّ اعرابى رجلا فقال اذا سأل ألحف واذا سُئل سوّف يحسد أن يفضُل ويزهد أن يفضّل •• وذمّ اعرابي رجلا فقال يكاد ان يُعْدِي بلؤمه من تسمّى باسمه •• وذمّ اعرابى رجلا فقال تغدو اليه مواكب الضلالة وترجع من عنده بهلاك الأنام مُعْدِمٌ مما يحبّ مُثْرٍ مما يكره •• وقال اعرابى لرجل والله ما جفانكم بعظام ولا أجسامكم بوسام ولا بدت لكم نار ولا طابتم بنار •• ورأى اعرابياً رجلا ظلوماً يدعو فقال ياهذا انما يستجاب لمظلوم أو مؤمن ولست أحداً منهما أراك تخف عليك الذنوب وتحسن عندك مقابح العيوب •• وذم اعرابى رجلا فقال فلان لا يستحي من الشر ولا يحب أنه أحب الخير ولا يكون فى موضع الا حرمت فيه الصلاة ولو قذف لؤمه على الليل طمس نجومه ولو أفلتت كلمة سوء لم تصل الا اليه •• وسأل اعرابى رجلا فقال لقد نزلت بواد غير ممطور وبرجل بك غير مسرور فارتحل بندم أو أقم بعدم••وذم آخر رجلا فقال ما كان عنده فائدة ولا عائدة ولا رأي جميل ولا إكرام الدخيل •• وقيل لاعرابى ما بلغ من سوء خلقك قال تبدو لى الحاجة الى الجار أو الصاحب فى بعض الليل فأصبح غضبان عليه أقول كيف لم يعلمها •• وذكر انه تنافر رجلان من بني أسد الى هَرِم بن سنان المرّى فى الشر وعنده الحطيئة فقال أحدهما انى بقيت زماناً وأنا أرى انى شر الناس والأمهم حتى أتاني هذا فزعم انه شر مني فقال هرم أخبرانى عنكما فقال أحدهما لم يمر بي أحد قط الا اغتبته ولا ائتمنى الا

خنته ولا سألني الا منعته وقال الآخر أما أنا فأبطرُ الناس فى الرخاء وأجبنهم فى اللقاء وأقلهم حياء وأمنعهم حباء فقال هرم وأبيكما لقد ترددتما فى الشر ولكن أُخبركما بمن هو شر منكما قالا ما ولدت ذاك النساء قال بلى هذا الحطيئةُ هجا أباه وأمه ونفسه ومن أعطاه ومن أحسن اليه فقال لأبيه

لحاكَ اللهُ ثمّ لحاكَ حقاً   أباً ولحاكَ من عمٍّ وخالِ
فبئسَ الشيخُ أنت على المخازي   وبئسَ الشيخُ أنت لدى المعالى
جمعتَ اللؤمَ لا حيّاك ربى   وأبوابَ المخازى والضلالِ

•• وقال لأمه

تنحّيْ فاقعُدى مني بعيداً   أراح اللهُ منكِ العالمينا
أغِربالا اذا استودِعتِ سراً   وكانوناً على المتحدثينا
ألم أُوضِحْ لكِ البغضاء منى   ولكن لا أخالُكِ تعلمينا

•• وقال لنفسه

أَبَتْ شفتاى اليومَ إلاّ تكلماً   بشرٍّ فما أدرى لمن أنا قائله
أرى لىَ وجهاً شوّه اللهُ خَلْقَهُ   فقبحَ من وجهٍ وقبح حاملُه

•• وقال لمن أعطاه

سألتُ فلم تبخلْ ولم تعطِ نائلاً   فسيّانِ لا ذمٌّ عليكَ ولا حمدُ

قيل ولما حضرت الحطيئة الوفاة قيل له أوصِ فقال

الشِعرُ صعبٌ وطويلٌ سُلمُه   إذا ارتقى فيهِ الذى لا يَعلمُه
زلّتْ به الى الحضيضِ قدمُه   والشعرُ لا يسطيعُهُ من يَظلمُه
يريد أن يُعربَهُ فيعجمُه

فقيل له أوص للمساكين بشئ فقال أوصيهم بالمسألة ما عاشوا فانها تجارة لن تبور قيل أوص فقد حضرك أمرك فقال مالى للذكور من ولدي دون الاناث قيل له ان الله عز وجل لم يأمر بهذا قال لكني آمر به فقيل له اعتق غلامك يساراً الأسود قال هو مملوك مادام على ظهر الأرض عبسيٌّ قيل له من أشعر الناس فقال هذا المحجن ماطمع

في خير وأومأ الى لسانه ثم جعل يبكي فقيل له ما يُبكيك أجزعاً من الموت يا أبا مُليكة قال لا ولكن ويل للشعر من راوية السوء ثم قال أبلغوا الشماخ انه أشعر غطفان على وجه الأرض وان متُّ فاحملوني على حمار فانه لم يمت عليه كريم قط وفي غير هذه الرواية أنه قال احملوني على حمار فانه لم يمت عليه كريم قط لعلي أن أنجو .. ثم أنشأ يقول

لكلِّ جديدٍ لذةٌ غيرَ أنني رأيتُ جديدَ الموتِ غير لذيذِ
له نكهةٌ ليستْ بطعم سفرجل ولا طعم تفاحٍ ولا بنبيذِ

ثم خرجت روحه فلما مات قال فيه الشاعر

لا شاعرٌ أذمُّ من حُطيّه هجا بنيه وهجا المُريّه
من لؤمه مات على فُريّه

قال وقيل لمعاوية بن أبي سفيان من رأيت شر الناس فقال علقمة بن وائل الحضرميّ قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرني أن أنطلق به الى رجل من الأنصار أنزله عليه فانطلقت معه وهو على ناقته وأنا أمشي في ساعة حارة وليس عليّ حذاء فقلت احملني يا عمّ من هذا الحر فانه ليس عليّ حذاء فقال لست من أرداف الملوك قلت أنا ابن أبي سفيان قال قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك قال فقلت الق اليّ نعليك قال لا تقلهما قدماك ولكن امش في ظل ناقتي وكفى لك بذلك شرفاً وإن الظل لك لكثير فما مر بي مثل ذلك اليوم ثم أدرك سلطاني فلم أؤاخذه بذلك بل أجلسته على سريري هذا وقضيت حوائجه .. ومنهم دريد بن الصمة بن غزيّة وكان من المعمَّرين قال يا بني أوصيكم بالناس شرًّا لا تبغوا لهم خيراً كلوهم نزراً والحظوهم شزراً ولا تقبلوا لهم عذراً ولا تقيلوهم عثرة ثم أنشأ يقول

يا رُبَّ نهبٍ صالحٍ حويتهْ ورُبَّ غيلٍ حسنٍ لويتهْ
لو كان للدهر بِلى أبليتهْ أو كان قِرني واحداً كفيتهْ
اليوم يُبنى لدُريدٍ بيتهْ

محاسن ذكر التنعم

يضرب المثل بخريم الناعم وهو خريم بن عمرو من بني مرة بن عوف قيل له الناعم لأنه كان يلبس الخلق في الصيف والجديد في الشتاء وسأله الحجاج ما النعمة قال الأمن فاني رأيت الخائف لا ينتفع بنفسه ولا بعيشه قال زدني قال الغنى فاني رأيت الفقير لا ينتفع بعيش قال زدني قال الصحة فاني رأيت السقيم لا ينتفع بعيش قال زدني قال لا أجد مزيداً ٠٠قال وقال زياد لجلسائه من أنعم الناس عيشاً قالوا أمير المؤمنين قال هيهات فأين ما يلقى من الرعية قالوا فأنت أيها الأمير قال فأين ما يرد عليّ من الثغور والخراج بل أنعم الناس عيشاً شابٌ له سدادٌ من عيش وحظ من دين وامرأة حسناء رضيها ورضيته لا يعرفنا ولا نعرفه ٠ قال وقال عمرو بن العاص لمعاوية يا أمير المؤمنين ما بقي من شبابك وتلذذك قال والله ما بقي شيء يصيبه الناس من الدنيا الا وقد أصبته أما النساء فلا أرب لي فيهن ولا لهن فيّ وأما الطيب فقد شممته حتي ما أبالي به وأما الثياب فقد لبست من لينها وجيدها حتى ما أبالي ما ألبس فما شيء ألذ عندي من شربة باردة في يوم صائف ونظري الى بني وبني بنيّ يدرجون حولي فأنت يا عمرو ما بقي من لذتك قال أرض أغرسها فآكل من ثمرها وأنتفع بغلّتها ثم التفت معاوية الى وردان فقال يا وُرَيد ما بقي من لذتك قال صنائع كريمة أعتقلها في أعناق الرجال لا يكافئوني عليها تكون لأعقابي من بعدي فقال معاوية تباً لهذا المجلس يغلبنا عليه هذا العبد ٠٠ قال وقال قُتيبة بن مسلم لوكيع بن أبي سود ما السرور قال لواء منشور وجلوس على السرير والسلام عليك أيها الأمير وقال لحصين بن المنذر ما السرور قال امرأة حسناء في دار قوراء وفرس بالفناء ٠٠ وقيل لرجل من بني قشير ما السرور قال الأمن والعافية قيل صدقت وقد قيل العيش في سَعة الرزق وصحة الجسم واقبال الزمان وعز السلطان ومعاشرة الاخوان ٠٠ وقيل نعيم المتوسطين لونٌ مشبع وكأس مُترَع وصديق ممتع وغنى مقنع ٠٠ وقيل راحة البدن النوم وراحة الدار أن تسكن ٠٠وقال بعضهم ليس سرور النفس بالجدة انما سرورها بالأمل ٠٠ وقيل لبعضهم أي الأمور أمتع قال الأمانيّ وأنشد في ذلك

اذا تمنيتُ بتُّ الليلَ مُغتبطاً إن المنى رأسُ أموالِ المفاليسِ
لولا المنى مُت من همٍّ ومن جزَعٍ اذا تذكرتُ مافى داخل الكيسِ

وقيل لعبد الله بن الأهتم ما السرور قال رفع الأولياء وحط الأعداء ٠٠ وقال بعضهم السرور توقيعٌ نافذ وأمر جائز ٠٠ وقال عبد الرحمن بن أبي بكر السرور ادراك الأماني ٠٠ وقال آخر السرور معانقة الأحبة والرجوع الى الكفاية ٠٠ وقال بعضهم العيش محادثة الاخوان والانتقال الى كفاية ٠٠ وقيل لطرفة ما السرور قال مطعمٌ شهي ومركبٌ وطي وملبس دفي ٠٠ وقيل للأعشى ما السرور فقال صهباء صافيةٌ تمزجها غانية بصوب غادية ٠٠ وقيل لملك ما السرور فقال حميٌّ ترعاه وعدو تنعاه ٠٠ وقيل لراهب ما السرور قال الأمان من الوجل اذا انقضت مدة الأجل ٠٠ وقيل لبعضهم ما السرور قال زوجة وسيمة ونعمة جسيمة ٠٠ وقيل لمغن ما السرور قال مجلس يقل هذره وعودٌ يصفو وتره وعقول تفهم ما أقول ٠٠ وقيل لمظلوم ما السرور قال كفاية ووطن وسلامة وسكن ٠٠ وقيل لوراق ما السرور قال جلود وأوراق وحبر براق وقلم مشاق ٠٠ وقيل لبعضهم ما السرور قال بنون أغيظ بهم أعدائي ولا تقرع معهم صفاتي ٠٠ وقيل لفتاة ما السرور فقالت زوجٌ يملأ قلبي جلالا وعيني جمالا وفنائي جمالا ٠٠ وقيل لطفيلي ما السرور فقال ندامى تسكن صدورهم وتملى قدورهم ولا تغلق دورهم ٠٠ وقيل لقانص ما السرور قال قوس مأطورة وشرعة مشزورة ونبال مطرورة ٠٠ وقيل لمحبوس ما السرور فقال فكاك يفجأ واطلاق لا يرزأ ٠٠ وقيل للوطيّ ما السرور فقال شخصٌ ناضر ودرهم حاضر ٠٠ وقيل لعاشق ما السرور فقال لقية تشفى من الفرقة واعتناق يداوى من الحرقة ٠٠ وكان يقال انه حكي عن الحكماء ان لذة الثوب يوم ولذة المركب جمعة ولذة المرأة شهر ولذة الضيعة سنة ولذة الدار الأبد

محاسن الشعر فى هذا الفن

أطيبُ الطيباتِ قتلُ الأعادى واحتفالٌ على مُتونِ الجيادِ

وإياتٍ تحبو بهن كريما إن عندالكريم تزكو الأيادى
ورسول يأتى بوعد حبيب وحبيب يأتي على ميعادِ

وللخليع

أطيبُ الطيباتِ أمرٌ ونهيٌ لا يُرَدَّانِ فى الأمورِ الجسامِ
وامتطاء الخيولِ فى كنفِ الأمـــنِ بغيرِ الإقدامِ والإحجامِ
وسماعُ الصهيلِ فى لجبِ المو كبِ تحت اللواء والأعلامِ

الموصلى

أطيبُ الطيباتِ طيبُ الزمانِ ونِدامُ المنعَّماتِ الغــوانى
واحتساء العُقارِ فى غُرّةِ الصبـــحِ على شدوِ ماهراتِ القِيانِ
وأمانٌ من الهمومِ ومالٌ ليس تفنيه نائباتُ الزمانِ

محاسن الفقر

روى فى الحديث ان الفقير الصبور يدخل الجنة قبل الغنى بأربعين عاماء • وروى عن أبى الدرداء انه قال لأن أموت وعلىّ أربعة آلاف درهم أنوى قضاءها أحب اليّ من أن أترك مثلها حلالا •• وقال سلمان الفارسى قــد خشيت أن أكون قد تركت عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل ولم ذاك قال لأنه قال من أراد أن يدخل الجنة فلا يكن زاده من الدنيا الا كزاد الراكب وأنا قد جمعت ماترون فقوّموا ماعنــده فبلغ ثمانية عشر درهما •• وكان يقال من أصبح آمناً فى سربه معافاً فى بدنه عنده قوت يومه فعلى الدنيا العفاء •• وروى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم انه كان من دعائه اللهم احينى مسكيناً وأمتنى مسكيناً واحشرنى فى زمرة الفقراء اللهم اجعــل رزق آل محمد كفافاً فسئل بعضهم ماالكفاف فقال جوع يوم وشبع يوم •• وروى ان عيسى بن مريم عليه الســلام كان لايأوى سقف بيت فألجأه المطر ذات ليلة الى غار فدخله فاذا سبُعٌ قد سبقه اليه فكأن صدره ضاق فأوحي الله عزّ وجل اليه ياعيسى ضاق صدرك

فوعزّتي لأزوّجك أربعة آلاف حوراء ولأولمنّ عليك ألف عام •• قال وكان الفضيل بن عياض يقول في دعائه اللهم أجعتني وأجعت عيالي وتركتنا في ظلم الليل بلا مصباح وانما تفعل هذا بأوليائك فبأيّ منزلة نلتُ هذا منك يارب

مساوي الفقر

قيل أمر الله عزّ وجلّ موسى عليه السلام فقال ائت كورة كذا وكذا فقال يارب اني قتلت منهم نفساً وأنا خائف فقال الله جلّ وعزّ اني قد أمتّ أقرباءه فصار اليها فأوّل مااستقبله قرابة للمقتول فقال يارب هذا أخوه قال ياموسى اني جعلته فقيراً والفقير ميت من العقل وعند الناس ميت وعند الحلال والحرام ميت والفقر الموت الأكبر •• وقيل انه اذا أيسر الفقير ابتلي به ثلاثة صديقه القديم يجفوه وامرأته يتزوّج عليها وداره يهدمها ويبنيها •• وكان في الجاهلية رجل حسن الحال وكان بنو عمه وأخواله يختلفون اليه فيعطيهم ويعونهم ويقوم بأمورهم ثم اختلّ أمره فأتاهم فحرموه فأتى أهله كئيباً فقالت له امرأته ماحالك فقال دعيني عنك وأنشأ يقول

دَعِي عنكِ عَذْلي مامنَ العَدْلِ أعجبُ ولا بُدَّ حالٌ بعد حالٍ تقلّبُ
وكانَ بنو عمي يقولون مرحباً فلما رأوني مُقتراً ماتَ مرحبُ
كأنَّ مُقِلاً حينَ يغدو لحاجةٍ الى كلِّ منْ يلقى من الناس مُذنبُ

•• وقال بعضهم رُبَّ مغبوطٍ بميسرة هي داؤه ومرحوم من عدم هو شفاؤه والدنيا دول فما كان لك منها أتاك على ضعفك وما كان عليك لم تدفعه بقوّتك ومن عتب على الدهر طالت معتبته •• وقال الأضبط

إرْضَ من الدهرِ ماأتاكَ به مَنْ قَرَّ عيناً بعيشه نَفَعهْ

قال وسمع سفيان الثوري قوما يقولون بعضهم لبعض كيف حالك فقال لقد بلغني ان من كان قبلكم كان يكره ان يسأل أخاه عن حاله الا من يكون مجمعاً على تغيير سوء حاله اذا أخبره •• قال وقال أوس بن حارثة خير الغنى القنوع وشر الفقر الخضوع ••قيل

ومرّ رجل من الأغنياء برجل من أهل العلم فتحرّك له وأكرمه فقيل له هل كانت لك اليه حاجة قال لا ولكن ذو المال مهيب وقال فيه الشاعر

أرَى كلّ ذى مال يُجلّ لماله ومنْ ليسَ ذامال يُهان ويحقَرُ
ويخذُلُه الاخوانُ ان قلّ مالهُ وليسَ بمحبوب بَلَى هو يُهجرُ
وأقنعُ بالمال القليل تكرّماً لأغني به عمّا لديكَ وأصبرُ

وذكروا ان زياد بن أبي سفيان أرق ذات ليلة وهو بالبصرة فبعث الى غيلان بن خرَشة الضبيّ وسويد بن منجوف السدوسيّ والأحنف بن قيس السعدى فلما توافوا اليه قال أتدرون فيم بعثتُ اليكم انه كان عندى ثلاثة من دهاقين كسرى يحدّثون بما كانت الأكاسرة فيه من ملكها وعظيم شأنها فتقاصر اليّ مانحن فيه فبعثتُ اليكم لتصفوا لي ماكانت العرب فيه من البؤس وشدة الحال لنقنع بما نحن فيه فان الغنى القناعة قال غيلان ان اقتصرت عليّ دون أصحابى حدّثتك قال هات قال أخبرني عمّ لي صدوق انه خرج في سنة أصابت العرب فيها شدة حتى أكلوا القدّ من القحط واحمرّ أديم الارض وآفاق السماء قال فطفقت ثلاثا ماأطعم فيهنّ شيئاً الاماياً كل بهيرى من حشرات الأرض حتى أصابني الجهد فشددت على بطنى حجراً من الجوع فاني لكذلك فى جوف الليل اذ دفعت الى حيّ عظيم فسلمتُ فقالوا من هذا قلت طارق ليل يلتمس القرى فقالوا والله ماأبقت لنا هذه السنة قرى ولا فضلا فقالت امرأة كانت الى جانب القبة ياعبد الله دونك القبة العظيمة فان كان عند أحد خير فعندها وأمّها فلما دفعت اليها سلمتُ فقيل لى من هذا فقلت طارق ليل يلتمس قرى فقال رجل منهم يافلان هل عندك قرى قال نعم قد أبقيتُ فى ضرع فلانة رِسلا لطارق ليل ثم ثار اليها فناداها فانبعثت وتفاجّت عن مثل الظبي القنيص فضرب زَبونتها ثم حاب فى علبة معه حتى علتها رغوة اللبن وكل ذلك بمرأى منى ومسمع فلقد سمعت الغناء الحذّاء فما سمعت شيئاً كان أحب الى مسامعى من صوت شخبها فى تلك العلبة ثم أقبل بها يريدنى فلما هويت لآخذها عثر فانكفأت العلبة وذهب مافيها فوالله لقد فقدت الأهل والمال فما أصبت بشر كان أفزع لقلبي ولا أعظم موقعاً عندى من انكفاء تلك العلبة على مثل

الحال التي كنتُ فيها فلما رآني صاحب القبة ورأى مابي من شدة الجهد خرج حتى دخل في ابله وهو يقول صدق أخو بني قيس في قوله

هُمْ يطردون الفقرَ عنْ جارهمْ حتى يُرى كالغصُنِ الناضرِ

فأخذ ناقة كوماء فكشف عن عرقوبها ثم قال دونك السنام فلما وافى الودكُ بطنى وحفوف الماء ولا عهد لي قبل ذلك بشيء منه خررت مغشياً عليّ فوالله ماأيقظني الا برد السحر فقال زياد قطني قد اكتفيت بهذا هذا والله غاية الجهد فالحمد لله الذى منّ علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم وهدانا الى الاسلام وجعلنا ملوكا ثم قال لاأب لشانئك فمن الرجل فقال عامر بن الطفيل فقال أبو على والله كان لها ولأمثالها •• قال وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقد رأيتني في الجاهلية وأخيّة لي وانا لنرعى ناضحاً لأبوينا قد زوّدتنا أمّنا يمنتها من الهبيد فاذا أسخنت علينا الشمس ألقيت الشملة على أختي وخرجت عُرْياناً أسعي فنظل نرعي ذلك الناضح فنرجع الى أمنا من الليل وقد صنعت لنا لفيتةً من ذلك الهبيد فنتعشي فواخِصباه قال بعض جلسائه فوالله لقد حسدته على ذلك •• قال وسئل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن جهد البلاء فقال قلة المال وكثرة العيال •• وكان الفُضيل يقول المال يسود غيرالسيد ويقوى غير الأيد ••وفى كتاب كليلة ودمنة الرجل اذا افتقر اتهمه من كان له مؤتمنا وأساء به الظن من كان يظن به حسناً وان أذنب غيره ظنوه به وان كان لسوء الظن والتهمة موضعاً حملوا على ذلك الذى يفعله غيره وأنشد في ذلك

اذا قلّ مالُ المرءِ قلّ صديقُهُ وأوْمَتْ اليه بالعيوب الأصابعُ

•• ولآخر

اذا قلّ مالُ المرءِ قلّ حياؤُهُ وضاقتْ عليه أرضُهُ وسماؤُهُ
وحارَ ولايدرىوان كان حازماً أقُدّامهُ خيرٌ له أم وراؤهُ
اذا قلّ مالُ المرءِ قلّ حياؤُهُ ولا خيرَ فى وجهٍ يقِلّ حياؤُهُ

•• وقيل لاعرابيّ ماأشدّ الأشياء قال كبدٌ جائعةٌ تؤدّى الى أمعاء ضيقة •• وقيل لاعرابيّ لمَ يقول أهل الحضَر باءكَ الله فى الأعراب قال لأنا والله نعرى جلده

ونجيعُ كبدِه ونطيل كدّه ومما قيل فيه الشاعر

أعظمُ من فاقةٍ وجوعِ ... مُقامُ حرّ على خضوع

فلا تُرِدْهُ ولا تردْ ما ... أُنيلَ بالذلّ والخشوعِ

واطلبْ معاشاً بقدرِ قوتٍ ... وأنتَ في منزلٍ رفيعِ

لعلّ دهراً غدا بنحسٍ ... يعودُ بالسعدِ في الرجوعِ

•• آخرُ

الموتُ خيرٌ للفتى ... من أن يعيشَ بغير مال

والموتُ خيرٌ للكريم ... من الضراعةِ للرجال

•• آخر

بخلتُ وليسَ البخلُ مني سجيةً ... ولكن رأيتُ الفقرَ شرَّ سبيلِ

لَموتُ الفتى خيرٌ من البخل للفتى ... وللبخلُ خيرٌ من سؤالِ بخيلِ

لَعَمْرُكَ ماشيءٌ لوجهكَ قيمةٌ ... فلا تلقَ مخلوقا بوجهٍ ذليلِ

ولا تسألنّ من كان يسألُ مرةً ... فللموتُ خيرٌ من سؤالِ سؤلِ

•• آخر

لاتحسبنّ الموتَ موتَ البلَى ... فانما الموتُ سؤالُ الرجالْ

كلاهما موتٌ ولكنّ ذا ... أشدُّ من هذا لذلّ السؤالْ

آخر في معناه

منْ كانَ في الدنيا أخا ثروةٍ ... فنحنُ من نُظّارة الدنيا

نَرْمُقُها من كثَبٍ هكذا ... كأننا لفظٌ بلا معنى

•• ولآخر

قد أراحَ الله منْ غـ ... ـمٍ شديدٍ وعذابْ

واسترحنا منْ عيالٍ ... وعبيدٍ ودوابْ

وضياعٍ ونخيلٍ ... وحصادٍ وكِرابْ

واسترحنا من وقوف ... لبني الدنيا ببابْ

وقِفنا وأقمنا وحططنا عن ركابِ
حبّذا الوحدةُ انْ كا نَ بصيراً بالحسابِ

•• آخر

الحمدُ لله ليسَ لى مالُ ولا لخلقٍ علىّ إفضالُ
الخانُ بيتي ومِشْجبي بدني وخادمي والوكيلُ بقّالُ

•• ولآخر

بقيتُ ومركَبي البرذَونُ حتى أخفّ الكيسَ إغلاءُ الشعيرِ
وصرتُ الى البغال فأعجزتني وصرتُ من البغالِ الى الحمير
فعزّتني الحميرُ فصرتُ أمشي أُزَجّي الرجلَ تزجيةَ الكسير

•• ولآخر

أتراني أرَى من الدهرِ يوماً لىَ يوماً مطيّةٌ غيرُ رجلى
واذا كنتُ فى جميعٍ فقالوا قَرّبوا للرّحيل قرّبتُ نعلى
حيثما كنتُ لاأخلّفُ رَحلاً منْ رآني فقد رآنى ورحلي

أبو هفّان

يامولجَ الليل فى النهار صبراً على الذلّ والصغار
كم منْ حِمارٍ له حمارُ ومنْ جوادٍ بلا حمار

الحمدوني

تَسامي الرجالُ على خيلهم ورجلىَ منْ بينهم حافيهْ
فانْ كنتَ حاملَنا ربّنا والا فأرْجلْ بني الزانيهْ

•• قال وكان اعرابي بالبصرة فى بيت فكان اذا خرج استوثق من غلَق بابه فيظنّ جيرانه أن له مالا فقال

ليسَ إغلاقى لبابي أنّ لى فيه ماأخشى عليه السَّرقا
إنما أُغلقُهُ كيْ لايَرى سوءَ حالى منْ يمرُّ الطرُقا
ليسَ لى فيه سوى باريةٍ وبلى أخلاقُ لبدٍ خلَقا

منزلٌ داخلُه الفقرُ فلو دخل السارقُ فيه سُرقا

•• ولآخر

يبيتُ يراعي النجمَ من جوع بطنهِ ويُصبحُ يُلقي ضاحكا متبسما

•• ولآخر

وعاقبةُ الصبر الجميلِ جميلةٌ وأحسنُ أخلاقِ الرجالِ التفضُّلُ
ولاعار أنْ زالتْ عن المرء نعمةٌ ولكنَّ عاراً أن يزولَ التجمُّلُ

•• ولآخر

وكم من فقيرٍ بعد جهدٍ وحاجةٍ هوَ اليومَ محسودٌ وقد كان يُرحمُ

•• ولآخر

قد يكثُرُ المالُ يوما بعدَ قلَّتهِ ويكتسي الغُصنُ بعدَ اليُبْسِ بالوَرَقِ

•• آخر

كم منْ غنيٍّ رأيتُ الفقرَ أدركهُ ومنْ فقيرٍ غنياً بعدَ إقلالِ

•• آخر

وكمْ منْ غنيٍّ كانَ بالمالِ مُثرِياً هوَ اليومَ مرحومٌ وقد كان يُحسدُ

•• آخر

كمْ منْ فتىً كانَ ذا ثروةٍ رمتْهُ الحوادثُ حتى افتقرْ

•• آخر

اذا كانَ جدُّ المرءِ فى الشىءِ مقبلاً تأتَّتْ لهُ الأشياء منْ كل جانبِ
وانْ أدبرتْ دنياهُ عنهُ توعّرتْ عليه وأعيتْهُ وُجوهُ المطالبِ
وانْ قلَّ مالُ المرءِ أقصاهُ أهلُهُ وأعرَضَ عنه كلُّ إلْفٍ وصاحبِ
وكذَّبهُ الأقوامُ فى كلِّ منطقٍ وانْ كانَ فيه صادقاً غيرَ كاذبِ

•• آخر

متى مايرَى الناسُ الفقيرَ وجارَهُ يقولونَ هذا عاجزٌ وجليدُ
وليسَ الغِنى والفقرُ من حيلةِ الفتى ولكنْ أحاظٍ قُسِّمتْ وجدُودُ

وقال عبد الاعلى القاضي الفقير مرقتهُ سِلقة ورداؤه عِلقة وسمكته شِلقة .. ولآخر

مَنْ كانَ ذا مال كثير فلَمْ ... يقنعْ فذاكَ الموسِرُ المقترُ
الفقرُ فى النفس وفيها الغنى ... وفى غِنى النفس الغنى الأكبرُ

وكتب بعضهم يستميح بعض الأغنياء

هذا كتابُ فتىً أزرَى الزمانُ بهِ ... قد كاد تنفطرُ الأضلاعُ من همّهِ
شطّتْ منازلُه عنهُ وضعضعهُ ... رَيبُ الزمانِ فأبدى الضعفَ فى كلِّه
يُذرى الدموعَ بعين غيرِ جامدةٍ ... طَوْراً بدَمعٍ ويبكي تارةً بدَمِهِ
أضحى ببابِكَ محزوناً له أملٌ ... يرجو بجودك أن يُفكَّ من عدَمِه
يا ذا المقدّمُ فى الأفعال من كرمٍ ... أنت المداوى صريعَ الدّهرِ من سَقمِه

ولآخر

خلُقٌ واسعٌ ومالٌ قليلُ ... واعتداءٌ من الزمانِ طويلُ
ما احتيالُ الفتى بدولةِ دهرٍ ... وعليه النائباتُ تدولُ
كلما رام نهضةً أقعدتهُ ... عثراتٌ من الزمانِ تهولُ

فيمن أثري بعد الفقر أُنشد لرجل من المحدَثين

لئن كنت قد أُعطيتَ خزاً تجرُّه ... تبدّلته من فروة وإهابِ
فلا تعجبنَّ أن تملك الناسَ إنني ... أرى أمةً قد أدبرت لذهابِ

ولآخر

تاهَ على اخوانه بالغنى ... فصار لا يطرِفُ من كِبرِه
أعادَه اللهُ إلى حالِهِ ... فإنه يَحسُنُ فى فقرِه

لدِعبل الخزاعي

عَطاياه تغدو على سابحٍ ... وطَوْراً على بَغلةٍ تَذنَبه
فلو خصّ بالرزقِ نجلُ الكرا ... مِ ما نال خيطاً ولا هُدْبه
ولكنهُ الرزقُ ممن يعيـ ... ـش فى رزقهِ الكلبُ والكلبه

ولآخر

كنتَ إذْ كنتَ عديما لِيَ خلاًّ ونديما
ثم أثرَيتَ فأعرضْـ ـتَ ولم ترْعَ قديما
صارَ ما نلت من الما لِ لنا ذنباً عظيما
هكذا يَفعلُ بالإِخْـ ـوان من كان كريما

ولآخر

مَحبتُك إذْ أنت لا تُصحبُ وإذْ أنت لا غيرُك المَوكِبُ
وإذْ أنت تفـرحُ بالزّائرين ونفسُك نفسَك تستحجبُ
وإذ أنت تُـكثرُ ذمَّ الزمانِ وَمشيُك أضـعافُ ما تركبُ
فقلتُ كـريمٌ له همـةٌ يَنـالُ فأُدركُ ما أطلُبُ
فنلتَ وأقصيتـنى جانبـاً كأنى ذُو عُرّةٍ أجربُ

محاسن الثقة بالله عز وجل

قيل خطب سليمان بن عبد الملك فقال الحمد لله الذي أنقذني من ناره بخلافته ٠٠ وقال الوليد بن عبد الملك لأشفعن للحجاج بن يوسف وقرة بن شريك ٠٠ وقال الحجاج يقولون مات الحجاج فمهْ ما أرجو الخير كله الا بعد الموت والله ما رضى الله البقاء الا لأهون خلقه عليه إبليس اذ قال ﴿ ربِّ أنظرني الى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم﴾ ٠٠ وقال أبو جعفر المنصور الحمد لله الذى أجارنى بخلافته وأنقذنى من النار بها ٠٠ وحدثنا ابراهيم بن عبد الله رُفع الحديث الى أنس بن مالك قال دخلنا على فتىً من الأنصار وهو ثقيل في مرضه فلم نخرج من عنده حتى قُضى عليه واذا عجوز عند رأسه فالتفت اليها بعض القوم وقال استسلمي لأمر الله عز وجل واحتسبي قالت أمات ابني قال نعم قالت أحقٌّ ما تقولون قلنا نعم فمدت يدها الى السماء ثم قالت اللهم انك تعلم انى أسلمت لك وهاجرت الى نبيك محمد صلى الله عليه وسلم رجاء أن تعينني عند كل شدة اللهم فلا تحمّلنى هذه المصيبة اليوم فكشف ابنها الثوب الذى سجّيناه به عن وجهه وما

برحنا حتى طعم وطعمنا معه •• قيل وبينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعرض الناس اذ هو برجل معه صبي له فقال له عمر رضى الله عنه ويحك ما رأيت غراباً أشبه بغرابك من هذا بك فقال يا أمير المؤمنين والله ما ولدته أمه الا وهي ميتة فاستوى عمر رحمه الله جالساً وقال ويحك حدثني قال خرجت في غزاةٍ وأمه حامل به فقالت تخرج وتدعني على هذه الحالة حاملا مثقلا فقلت أستودع الله ما في بطنكِ فغبت ثم قدمت واذا بابي مغلق فقلت ما هذا وما فعلت فلانة قالوا ماتت فذهبتُ الى قبرها وكنت عنده فلما كان من الليل قعدتُ مع بني عمي أتحدث وليس يسترنا من البقيع شيء فرفعت لي نارٌ بين القبور فقلت لبني عمي ما هذه النار قال أحدهم يا أبا فلان نرى على قبر فلانة كل ليلة ناراً فقلت انا لله وانا اليه راجعون والله لقد كانت صوّامة قوّامة عفيفة والله لأنبشن قبرها ولأنظرنّ ما حالها فأخذتُ فأساً وأتيت القبر فاذا هو مفتوح والمرأة ميتة وهذا حيّ يدبّ حولها فنادى مناد أيها المستودع ربه وديعته خذ وديعتك أما انك لو استودعته أمه لوجدتها فأخذته وعاد القبر كما كان وهو والله يا أمير المؤمنين هذا

مساوي الثقة

قال قال عيسى بن مريم عليه السلام يا معشر الحواريين ان ابن آدم خلق في الدنيا في أربعة منازل هو في ثلاثة منها واثق بالله عز وجل وهو في الرابع سيء الظن يخاف خذلان الله عز وجل إياه فأما المنزلة الأولى فانه خلق في بطن أمه خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاثٍ ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة يُنزل الله جل وعز عليه رزقه في جوف ظلمة البطن فاذا خرج من ظلمة البطن وقع في اللبن لا يخطو اليه بقدم ولا ساق ولا يتناوله بيدٍ ولا ينهض قوة ويكره عليه اكراهاً ويوجره إيجاراً حتى ينبت عليه عظمه ودمه ولحمه فاذا ارتفع من اللبن وقع في المنزلة الثالثة في الطعام بين أبويه يكتسبان عليه من حلال وحرام فان مات أبواه من غير شيء عطف عليه الناس هذا

يطعمه وهذا يسقيه وهذا يؤويه فاذا وقع فى المنزلة الرابعة واشتدّ واستوى وكان رجلا خشى أن لا يرزق يثب على الناس يخون أماناتهم ويسرق أمتعتهم ويكابرهم على أموالهم مخافة خذلان الله عز وجل إيّاه

محاسن طلب الرزق

بلغنا عن ابن السماك انه قال لا تشتغل بالرزق المضمون عن العمل المفروض وكن اليوم مشغولا بما أنت عنه غداً مسؤول واياك والفضول فان حسابها طويل .. وقال عمرو بن عتبة من لم يقدّمه الحزم أخره العجز .. وقال الله تبارك وتعالى يابن آدم احدث لى سفراً أُحدث لك رزقاً .. وفى بعض الحديث سافروا تغنموا .. وقال الكميت

وَلَنْ يُرِيحَ هُمومَ النفسِ إذ حضرَتْ حاجاتُ مِثلِكَ إلا الرَّحلُ والجملُ

.. وقال الطائىّ

وطولُ مُقامِ المرءِ فى الحيِّ مُخلِقٌ لديباجتيهِ فاغتربْ تتجدَّدِ

فإنى رأيتُ الشمسَ زِيدَت محبَّةً إلى الناسِ إذ ليستْ عليهم بِسرْمَدِ

وقال بعض الحكماء لا تدع الحيلة فى التماس الرزق بكل مكان فان الكريم محتال والدنىّ عيّال وقال

فسِرْ فى بلادِ اللهِ والتمسِ الغنى تَعِش ذا يَسارٍ أو تموتَ فتُعذَرَا

ولا ترضَ من عَيشٍ بدونٍ ولا تَنمْ وكيفَ يَنامُ الليلَ من كان مُعسِرَا

وتقول العرب كلب جوّال خير من أسد رابض .. وتقول أيضاً من غلى دماغه صائفاً غلت قِدره شاتياً .. ووقّع عبد الله بن طاهر من سعى رعى ومن لزم المنام رأى الاحلام .. وقال الكسروىّ اخذه من توقيع أنو شروان بالفارسية هركه روز خرد هركه خُسپذخاف بيند وأنشد

كفى حزَناً أن النوى قذفَتْ بنا بعيداً وأن الرزقَ أعيَتْ مذاهبُهْ

ولو أننا إذْ فرَّقَ الدَّهرُ بيننا غني واحدٌ منا تموّلَ صاحبُهْ

ولكننا من دهرنا فى مؤونةٍ　　يكالبنا طوراً وطوراً نكالبُهْ

•• ولآخر

إذا المرء لم يَبْغِ المعاشَ لنفسهِ　　شكى الفقرَ أو لامَ الصديقَ فأكثرا

وصارَ على الأدنينَ كلاً وأوشكتْ　　صِلاتُ ذوي القربى له أن تنكّرا

•• ولآخر

ومَن يكُ مثلي ذا عيالٍ ومُقتراً　　من المالِ يطرحْ نفسَهُ كلَّ مَطرحِ

ليبلُغَ عذراً أو ينالَ غنيمةً　　ومُبلغُ نفسٍ عذرَها مثلُ مُنجحِ

•• ولآخر

وليسَ الرزقُ عن طلبٍ حثيثٍ　　ولكن ألقِ دلوكَ فى الدِّلاءِ

تجيءُ بملئها يوماً ويوماً　　تجيءُ بحمأةٍ وقليلِ ماءِ

•• ولآخر

وقد علمتُ وعلمُ المرءِ ينفعهُ　　أنّ الذى هو رزقي سوفَ يأتيني

أسعى له فيُعنّيني تطلّبُهُ　　ولو قعدتُ أتاني لا يُعنّيني

•• ولآخر

لعمرُكَ ما كلُّ التبطلِ ضائرٌ　　ولا كلُّ شغلٍ فيهِ للمرءِ منفعَهْ

إذا كانتِ الأرزاقُ في القربِ والنوى　　عليكَ سواءً فاغتنم لذّةَ الدّعَهْ

وإن ضِقتَ فاصبرْ يفرجِ اللهُ ما ترى　　ألا كلُّ ضيقٍ فى عواقبهِ سعَهْ

•• ولآخر

سهّلْ عليكَ فإنّ الأمرَ مقدورُ　　وكلُّ مستأنفٍ في اللوحِ مسطورُ

يأتي القضاءُ بما فيه لمدّتهِ　　وكلُّ ما لم يكنْ فيهِ فمحظورُ

لا تكذبَنّ وخيرُ القولِ أصدقهُ　　إنّ الحريصَ على الدنيا لمغرورُ

•• آخر

لا يُتعبنّكَ شيءٌ أنت تطلبُهُ　　وقد تقدّمكَ المقدورُ والقلمُ

•• ولآخر

لا تعتبنّ على العبادِ فانما يأتيكَ رزقُكَ حينَ يُؤذَنُ فيهِ

ولآخر

هيَ المقادِيرُ تجرى فى أعِنتها فاصبرْ فليسَ لها صبرٌ على حالِ
يوماً تَرِيشُ خسيسَ القومِ ترفعهُ دونَ السماءِ ويوماً تخفضُ العالِي

ولاخر

إصبرْ على زَمَنٍ جَمٍّ تلوّنُهُ فلَيسَ منْ شدّةٍ الا لها فرَجُ
تَلقاهُ بالأمسِ فى عَمياءَ مُظلمَةٍ ويُصبحُ اليومَ قدلاحتْ لهُ السُرُجُ

ولآخر

ألا رُبّ راجِي حاجةٍ لاينالُها وآخرُ قدْ تُقضى لهُ وهوآيسُ
يَجولُ لها هذا وتُقضى لغيرِهِ فتأتِي التى تُقضَى لهُ وهوَجالسُ

ولآخر

أتطلبُ رزْقَ اللهِ من عندِ غيرِهِ وتُصبحُ منْ خَوفِ العواقبِ آمِنا
وترضَى بصَرّافٍ وان كانَ مُشركاً ضَميناً ولا ترضى بربّكَ ضامِنَا
كأنّك لم تقنع بما فى كتابِهِ فأصبحتَ مَدخولَ اليقينِ مُباينا

ولآخر

إنّي لأُكرِمُ نفسي أنْ أُدَنّسها بشَينِ عِرضي وبَذْلِ الوجهِ للناسِ
واللهُ ضامنُ رزْقِي ما حييتُ وما فى ضَمْنِ ذي العرْشِ منْ شكٍّ ولاباسِ
إنّى رأيتُ سؤالَ اللهِ مَكرُمَةً وفى سؤالِ سواهُ أعظمُ الياسِ

قيل ووجد فى بعض خزائن ملوك العجم لوح من حجارة فيه مكتوب كُنْ لما لاترجو أرجَى منك لما ترجو فان موسى عليه السلام خرج يقتبس ناراً فنودى بالنبوة وأنشد

ولما أنْ عَييتُ بما أُلاقِي وأعيَتنى المسائلُ فى القُروضِ
ذكرتُ اللهَ لا أرجو سواهُ وربُّ العرشِ ذوفرجٍ عريضِ

ولآخر

يا صاحبَ الغمّ إنّ الغمّ منقطعٌ أبشِرْ بخيرٍ كأنْ قد فرّجَ اللهُ

اليأسُ يقطعُ أحياناً بصاحبهِ لا تيأسنَّ فإن الصانعَ اللهُ
إذا ابتُليتَ فثقْ بالله وارضَ بهِ فكاشفُ الضرِّ والبلوى هو اللهُ

ولآخر

كَمْ رأينا من صحيحٍ قد هوى وأخي سُقْمٍ من السقمِ خرَجْ
لا تكنْ إنْ رابَ أمرٌ آيساً فلعند اليأسِ يأتيكَ الفرَجْ

ولآخر

وإذا تصبكَ من الحوادثِ نكبةٌ فاصبر فكلُّ ضبابةٍ تتكشفُ

مساوي طلب الرزق

لديك الجنّ

أُحللْ وامرُرْ معاً ولِنْ تارةً واخشُنْ وَرِشْ أنتَ وانتدِبْ للمعالي
وأغِثْ واستغثْ بربّكَ في الأز لِ إذا جلّحتْ صُروفُ الليالي
لا تقِفْ للزّمان في منزلِ الضَّيـ مِ ولا تستكنْ لرِقّةِ حالِ
وأهِنْ نفسكَ الكريمةَ للمَوْ تِ وقحّم بها على الأهوالِ
فلعمري للمَوْتُ أزيَنُ للحـ رّ من الذلّ ضارعاً للرجالِ
أي ماء يدورُ في وجهكَ الحـ رّ إذا ما امتهنتَهُ بالسؤالِ
ثمّ لا سيما إذا عصفَ الدّهـ رُ بأهل الندَى وأهل النوالِ
غاضتِ المَكرُماتُ وانقرضَ النا سُ وبادت سحائبُ الافضالِ
فقليلٌ من الورى من تراهُ يُرتجى أو يصونُ عرضاً بمالِ
وكذاكَ الهلالُ أوّلَ مايَبْـ دُو نحيلاً في دقّةِ الخلخالِ
ثم يزدادُ ضوءه فتراهُ قمراً في السماء غيرَ هلالِ
عادِ نَدْمينَكَ المضاجعَ للجنـ ـبِ فعالَ الخريدةِ المِكسالِ
وادّرِعْ يلمَقَ اجتيابِ دُجى اللّيـ ـلِ بِطِرْفٍ مُضبَّرِ الأوصالِ

عاملىّ النتاجِ تُطْوَى له الأر ضُ اذا ماastُجِدّ للأثقالِ
جُرْشُعٍ لاحقِ الأياطلِ كالأعْ فَرِ ضافى السبيبِ غير مُذالِ
واتخذ ظهرهُ من الذلّ حصناً نِعْمَ حصنُ الكريمِ فى الزِّلزالِ
لاأحبُّ الفتى أراهُ اذا ما عضّهُ الدهرُ جاثماً فى الضلال
مُستكيناً لذى الغنى خاشعَ الطر ف ذليلَ الادبارِ والاقبال
أينَ جوبُ البلاد شرقاً وغرباً واعتسافُ السهول والأجبالِ
واعتراضُ الرّفاقِ يوضعُ فيها بظباءِ النجاد والعمّالِ
ذهبَ الناسُ فاطلبِ الرزقَ بالسيـ ـفِ والافمُتْ شديدَ الهُزالِ

محاسن استصلاح المال

روى عن عبد الله بن جعفر قال بعثني عليّ بن أبي طالب الى حكيم بن حزام يسأله سَلَف ثلاثين الف درهم فأتيته فانطلق بى الى منزله فوجد في الطريق صوفاً فأخذه ومرّ بقطعة كساء فأخذها فلما صار الى منزله أعطانى طرف الصوف فجعلت أفتله ويرسل حتى فتلته ثم دعا بغرارة مخرّقة فرقعها بالكساء وخاطها بالخيط وصيّر فيها ثلاثين الف درهم وحملت معي •• قال وأتى قومٌ قيس بن سعد بن عُبادة يسألونه في حمالة فصادفوه فى حائط له يتتبع مايسقط من التمر فيعزل جيده عن رديّه ويجعل كل صنف منها على حدَته فهموا ان يرجعوا عنه وقالوا مانظن عند هذا خيراً ثم عزموا على لقائه فأقاموا حتى فرغ من حائطه فكلموه فأعطاهم فقال رجل من القوم له لقد رأيناك تصنع شيئاً لايشبه فعالك وأخبروه فقال ان الذى رأيتم من صنيعى قُضيت به حاجتكم •• عبد العزيز بن أبان عن هشام الثقفي عن رجل أتى طلحة بن عبيد الله يسأله حمالة فرآه يهنأ بعيراً له فقال ياغلام أخرج له بدرةً فقبضها ثم قال أردت أن أنصرف حين رأيتك تهنأ البعير فقال انا لانضيع الصغير ولايتعاظمنا الكبير •• وكان يقال من أنفق ولم يحسب عطِب ولم يشعر •• وقيل الافلاس سوء التدبير •• الأصمعي

قال سمعت بعض الهالبيين يقول لبنيه لاتشتروا الغنم فانها مال الرقة ولا تشتروا البقر فانها مال الذلة واشتروا الابل واقتنوها فانها رُقوءُ الدم وصدقات الحرائر وسفن البر وفيها قضاء الحقوق ولا تتزوّجوا المميتات فانهن يضربن على رؤسكم من كان قبلكم وتزوّجوا المطلقات فانهن أضعف نفساً وانكم تضربون على رؤسهن من كان قبلكم

•• وقال بعضهم في جمع القليل الى القليل

رُبَّ كبيرٍ هاجهُ صغيرُ وفي البحور تُغرَقُ البحورُ

•• وقال آخر

قد يلحقُ الصغيرُ بالجليل وانما القَرْمُ من الأفيل

* وسُحُقُ النخل منَ الفسيلِ *

محاسن الدين

قيل قدمَ رجل مع اسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة وهو على قضاء البصرة فأقام أكثر من سنة متعطلاً فكثر عليه الدينُ لرجل من أهل البصرة فتوعَّدَه أن يقدّمه الى القاضي فأتى الرجل اسماعيل فأخبره بما تخوّفه من حبس الرجل إياه فقال اذا قدّمك فأقرّ له بحقه ثم قل أبيع داري وأقضيه فانه سيقول لادار لك قل فأبيع دابتي وضيعتي فانه سينكر أن يكون لك شيء ففعل فجرى بينهما ماقاله القاضي فقال القاضي قد أقررت انه لاشيء له فكيف أحبسه خلّ سبيله •• قال وكان لرجل من التجار صاحب عينةٍ على رجل من الجند مالٌ فخرج عطاء الجندي ولم يقض صاحبه فأرسل اليه التاجر غلاماً يلزمه وعلى الغلام كساء أحمر فلزمه فجعل الرجل يتلو ﴿ وان كان ذو عُسرَةٍ فنَظِرَةٌ الى ميْسَرَةٍ ﴾ والغلام يتلو ﴿ إنّ الله يأمرُكم أنْ تُؤدوا الأماناتِ إلى أهلها ﴾ فلما طال ذلك على الرجل واشتدّ إلحاح الغلام عليه أتى صاحبه فقال

مُنِـعَ الرُّقادُ فما أُغمِّضُ ساعةً من غم تعذيبِ الكِساء الأحمر

يتلو التي فيها الأمانةُ منهما لؤماً وأتلو آيةَ المتيسر

فضحك الرجل ووهب له ما كان عليه من دينه

مساوى الدين

قال أبو اليقظان كان الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب الشاعر يسلّف الناس فاذا حلّ ماله ركب حماراً اسمه شارب الريح فيقف على غُرمائه ويقول

بني عمنا رُدوا الدراهمَ إنما يُفرّقُ بين الناس حُبّ الدراهمِ

وكان رجل من بني الدئل عَسِرَ القضاء فاذا تعلق به غرماؤه فرّ منهم وقال

فلو كنتُ الحديدَ لكسّرُوني ولكنى أشد منَ الحديدِ

فأقرضه الفضل بن العباس فلما كان قبل المَحِلّ جاء فبنى معلقاً على باب داره وكان يقال له عقرب فاتقى كل واحد منهما من صاحبه شدة فهجاه فقال

قد تجرَتْ في سوقنا عقربٌ ياعجباً للعقربِ التاجرَهْ
قد ضاقتِ العقربُ واستيقنَتْ ليسَ لها دُنيا ولا آخرهْ
فانْ تَعُدْ ترجعْ بما ساءها وكانت النعلُ لها حاضرَهْ
كلُّ عدُوٍّ يُتقّي مُقبلاً وتتّقى شرّتها دابرَهْ
إنّ عدُوّا كيدُهُ في آستهِ لَغيرُ ذى كيدٍ ولا بادِرَهْ

قال وقدّم اعرابيّان غريما لهما الى قاض فحلف ثم قال

ألم تعلَما أنى طَموحٌ عِنانُهُ وأنيَ لايقضى عليَّ أميرُ
طمستُ الذى فى الصكّ مني بحلفةٍ سيغفرُها الرحمنُ وهو غفورُ

.. ولآخر

أرى الغُرماءَ قد كثروا وضجُّوا الى السلطان غيرَ مُقصّرينا
فانْ سألوا اليمينَ فقدْ رَبحنا وانْ سألوا الشهودَ فقد خُزِينا

.. ولآخر

الدينُ حقاً كاسمه دويٌّ قد يخضعُ المرءُ له القويُّ

* كم من شريفٍ غاظهُ غبيٌّ *

محاسن اصلاح البدن

قال جمع الرشيد أربعة من الأطبّاء عراقياً ورومياً وهندياً وسوادياً فقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذى لاداء فيه ٠٠ فقال الرومي الدواء الذى لاداء فيه حَبّ الرشاد الأبيض ٠٠ وقال الهندى الماء الحارّ ٠٠ وقال العراقي الإهليلَج الاسود ٠٠ وكان السوادى أبصرهم فقال له تكلم فقال حب الرشاد يولّد الرطوبة والماء الحار يرخي المعدة والاهليلج يُرقّ المعدة قال فأنت ماتقول قال الدواء الذى لاداء فيه ان تقعد على الطعام وأنت تشتهيه وتقوم عنه وأنت تشتهيه ٠٠ وقال بعضهم سألت أسقف فارس فقلت إنا قوم نغترب وتتغير علينا المياه فصف لنا مانتعالج به فقال دعوا الأدوية وعليكم بالأغذية وما يخرج من الضرع والنحل وعليكم بأكل اللحم وشرب ماء الكرْم ودخول الحمّام ولبس الكتان ٠٠ وعن الهيثم بن عدى قال قلت لتياذوق وكان متطبب الحجاج أوصى بشيء أحفظه عنك فاني مسافر فقال لاتنامن حتى تعرض نفسك على الخلاء ولا تذوقن طعاماً وفى معدتك طعام واتق ماتخرجه النعجة والنحلة فان اعتللت فأنا الضـمين الا علة الموت ٠٠ وقال سُوادة سألت بختيشوع مامعنى البلغم فقال تفسيره بلاءوغم ٠٠ وقال بعض الفلاسفة ينبغي للعاقل ان يتقي البرد فى أول الشتاء وفى آخره فقيل له ففى وسطه قال ذاك يتقيه العاقل والأحمق ٠٠ قيل وأوصى بعض الحكماء ولده فقال له اياك ان تسير شبراً من الأرض وأنت حافٍ ولا تذوقنّ نبتةً ولا تشمّنها حتى تعرفها واياك وان تبول فى شقّ الأرض فتخرج منه عليك داهية ولا تشرب من فم قربة ولا إداوة حتى يكون الماء مَعيناً واحذر مرافقة المعرفة ومن لاتعرف فلا تصاحبه واياك والسجود على بارية جديدة حتى تمسحها بكمك فرُبّ شظيّة حقيرة فقأت عيناً خطيرة ولا تنظرنّ فى بئر عاديّة ولا تشهدَنّ من الحيوان الكبار ماهو فى النزْع واقبل وصيّتي ترشـد ولا يدَعها فتندم ٠٠ قيل ودخل اعرابيٌّ ذو كِدْنةٍ على معاوية بن أبي سفيان فأعجبه فقال

ياعرابي تم هذا السمن قال لا آكل حتى أجوع وأستوثق من أطرافى فى الشتاء وأغفل غاشية الهجر •• وقال بعض الفلاسفة اخضع للريح خضوعك للملك وجاهد للبلغم مجاهدة عدوك ودار المِرّة مداراتك صديقك وأنزل دمك فى السنة مرة أومرتين ورَوِّ مُشَاشك من ماء لحوم الطير وعليك بالشراب الأصفر فانه حليف الروح •• وذكر أبوالحسين محمد بن أحمد بن يحيى بن أبي البغل عن أحمد بن أبي الأصبغ وكان كاتباً لأحمد عن يحيى بن ماسويه قال أكل الفالوذ لصاحب النبيذ عندنا من شر الطب •• وقيل مامن أحد الا وفيه أربعة عروق عرق الجذام وعرق البرص وعرق العمى وعرق الجنون فاذا تحرك عرق الجذام قمعه الله بالزكام فاذهبه واذا تحرك عرق البرص سلط الله جل وعزّ عليه الدماميل فأذهبته واذا تحرك عرق الجنون سلط الله عليه البلغم فقطعه واذا تحرك عرق العمى سلط الله عليه الرمد فأذهبه •• وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم لاتكرهوا أربعاً لأربع لاتكرهوا الزكام فانه يقطع عرق الجذام ولا تكرهوا السعال فانه يقطع عرق الفالج ولا تكرهوا الرمد فانه يقطع عرق العمى ولا تكرهوا الدماميل فانها تقطع عرق البرص •• وروى عن على رضى الله عنه انه قال من ابتدأ غداءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعاً من السوء ومن أكل واحداً وعشرين زبيبة حمراء لم ير في جسده شيئاً يكرهه ومن أكل سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة فى بطنه واللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب والسواك وقراءة القرآن يذهبان بالبلغم والبقرُ لحومها داء وألبانها دواء وسمنها شفاء والسمكُ يذيب الجسد والشحم يخرج مثله من الداء ولن يتداوى الناس بمثل السمن ولن تستشفى النفساء بمثل الرطب والمرء يسعى بجدِّه والسيف يقطع بحده ومن أراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليخفف الرداء وليقلل من غشيان النساء وخفةُ الرداء قلة الدّين •• قيل من بات والهندباء في جوفه بات آمناً من الدُّبَيلة ومن بات والفجل فى جوفه بات آمناً من البشَم ومن بات والكرفس فى جوفه بات آمناً من وجع الأضراس ومن بات والجرجير فى جوفه بات وعروق الجذام تتردد فى صدره ومن بات والكراث فى جوفه بات آمناً من البواسير •• وقال بعض الفلاسفة لا ينبغي للعاقل أن يستخف بالقليل من ثلاثة أشياء بالقليل من النار

والقليل من السلطان والقليل من السقم •• وقال أبو هِفَّان حدثني العباس بن المأمون قال كنت عنـد المأمون ذات يوم وعنده الموبذ فسأله ماأنفع الاشياء فقال الاقتصاد فى الطعم والشرب فان كثيره يثقل الجسم ويوهّن العلم والفهم ويكدر صفاء البشرة ويفتح الأدواء ويُخمد نار المعـدة ويمحق شرف صاحبه فقال المأمون لو أسلمت يا موبذ ولم أستقضك كنت قد ضيّعت حجة الله فى أرضه•• الحسن بن علي بن زيد قال سمعت على ابن الجعد يقول لما قدم بختيشوع الأكبر على أبي جعفر من السوس أمر له بالطعام فلما وُضع بين يديه الخوان قال الشرب قيل له لا يشرب على مائدة أمير المؤمنين قال لا آكل طعاماً ليس معه شراب فأُخبر أمير المؤمنين بذلك فقال دعوه فلما حضر العشاء فعـل به مثل ذلك فطلب الشراب فقيل له لا يُشرب على مائدة أمير المؤمنـين فتعشى وشرب ماء دجلة فلمـا كان الغد نظر الى مائه فقال ما كنت أحسب شيئاً يجري مجرى الشراب فهذا ماء دجلة يجري مجرى الشراب يريد فى المنفعة انه مثله

مساوى ما يفسد البدن

قال وقال رجل لعبد الملك بن أبجر أشتهي أن أمرض فقال له كل سمكاً مالحاً واشرب نبيذاً حلواً واقعد فى الشمس واستمرض الله عز وجل فان لم تمرض فأنت حمار

محاسن الندامة

روى عن عائشة رضي الله عنها انها دخلت على أم سلمة بعد رجوعها من وقعـة الجمل وقد كانت أم سلمة حلفت أن لا تكلمها أبداً من أجل مسيرها الى محاربة عليّ بن أبي طالب فقالت عائشة السلام عليك يا أم المؤمنين فقالت يا حائط ألم أنهك ألم أقل لك قالت عائشة فانى أستغفر الله وأتوب اليه كلميني يا أم المؤمنين قالت يا حائط ألم أقل لك ألم أنهك فلم تكلمها حتى ماتت وقامت عائشة وهي تبكي وتقول وا أسفاه على ما فرط مني

قيل وسُئلت عائشة رضى الله عنها عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقالت وما عسيت أن أقول فيه وهو أحب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جمع شملته على عليّ وفاطمة والحسن والحسين وقال هؤلاء أهل بيتي اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً قيل لها فكيف سرتِ اليه قالت أنا نادمة وكان ذلك قدراً مقدوراً . . وعن جميع بن عُمير قال قلت لعائشة حدثيني عن علي رضى الله عنه فقالت تسألني عن رجل سالتْ نفسُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده وولي غسله وتغميضه وإدخاله قبره قلت فما حملك على ما كان منك فأرسلت خمارها على وجهها وبكت وقالت أمر كان قضيَ عليَّ . . قال وقال ابن المعافا لأبي مسلم صاحب الدولة أيها الأمير لقد قمت بأمر لا يقصر بك ثوابه عن الجنة في اقامة دولة بني العباس فقال خوفي من النار والله أولى من الطمع في الجنة إني أطفيت من أمية جمرة وألهبت من بني العباس نيرانا فان أفرح بالاطفاء فوا حزناً من الالهاب . . وحدث أبو نميلة عن أبيه قال سمعت أبا مسلم بعرفات في الموقف يقول باكياً اللهم إني تائب اليك مما لا أظن أن تغفره لي فقلت أيها الأمير أيعظم على الله عز وجل غفران ذنبٍ فقال اني نسجت ثوباً من الظلم لا يبلى ما دامت الدولة لبني العباس فكم من صارخ وصارخة تلعنني عند تفاقم هذا الأمر فكيف يغفر الله عز وجل لمن هذا الخلق خصماؤه . . قيل ولما سخط عليه المنصور ووكل به شهرام المَرْوزي قال له يوماً الويل لك من الخليفة المنصور فقال الويل لي من ربي وأين يقع ويل ساعة من عذاب الأبد

مساوي النّدامة

قال والى الكُسَعيّ يضرب المثل في الندامة وذلك انه كان يرعي إبلاً له بوادٍ كثير العشب فبينا هو كذلك اذ بصر ببعةٍ في صخرة فأعجبته فقال ينبغي أن تكون هذه قوساً فجعل يتعهدها حتى إذا أدركت قطعها وجففها واتخذ منها قوساً فأنشأ يقول

يارب وفّقني لنحتِ قوسي ... فانها من لذّتي لنفسي

وانفع بقوسي ولدِي وعرسي أنحتها صفراء مثل الورس
* صلباء ليست كقسيّ النكس *

ثم دهنها وخطمها بوتر ثم عمد الى ما كان من بُرايتها فجعل منه خمسة أسهم فجعل يقلبها في كفه ويقول

هُنَّ وربي أسهمٌ حسانُ يلذّ للرامي بها البنانُ
كأنما قوّمها الميزانُ فأبشروا بالخِصب ياصبيانُ
* ان لم يعقني الشؤمُ والحرمانُ *

ثم خرج حتى أتى مواردَ حمرُ الوحش فكمن فيها فمرّ قطيع منها فرمي عَيرا فامخطه السهم حتى جازه وأصاب الجبل فأورى ناراً فظنّ انه أخطأ فقال

أعوذُ بالله العزيز الرحمنْ من نكدِ الجدّ معاً والحِرمانْ
مالي رأيتُ السهمَ بينَ الصوّانْ يوري شراراً مثل لونِ العِقيانْ
* فأخلفَ اليومَ رجاء الصّبيانْ *

ثم مكث على حاله فمرّ به قطيع آخر فرمي عَيرا منها فأمخطه السهم فصنع صنيع الأوّل فقال

لابارَكَ الرحمنُ في رَمي القَتَرْ أعوذُ بالرحمن من سوء القدرْ
أأمخطَ السهمُ لإرهاق الضررْ أم ذاكَ من سوء احتيالٍ ونظرْ

ثم مكث على حاله فمرّ به قطيع آخر فرمي عيراً منها فأمخطه السهم فقال

مابالُ سهمي يوقدُ الحُباحِبا قدكنتُ أرجو أنْ يكونَ صائبا
وأمكنَ العيرُ وأبدَى جانِبا فصارَ رأيي فيه رأياً خائبا

ومكث مكانه فمرّ به قطيع آخر فرمي عيراً منها فأصرد السهم فصنع صنيع الأول فقال

أبعدَ خمسٍ قدحفظتَ عدّها أحملُ قوسي وأريدُ ردّها
أخزَى الالهُ لينها وشدّها والله لاتسلَمُ عندي بعدَها
* ولا ارجّي ماحييتُ رِفْدَها *

ثم عمد الى القوس فضرب بها حجراً فكسرها ثم بات فلما أصبح اذا الحمر مطرّحة حوله وأسهمه مضرّجة بالدم فندم على كسر قوسه وشدّ على إبهامه فقطعها وأنشأ يقول

ندِمْتُ ندامةً لو أنّ نفسي تُطاوعُني اذاً لقَطَعْتُ خَمْسي
تبيّنَ لي سفاهُ الرأي مني لَعَمْرُ أبيكَ حينَ كسرتُ قوسي

•• وقال الفرزدق

ندِمتُ ندامةَ الكُسَعيّ لما غدَتْ مني مطلّقةً نَوَارُ
وكانتْ جنتي فخرجتُ منها كآدمَ حينَ لجّ به الضِّرارُ

••ومنه ماقيل في خُفّي حُنين وكان حُنين إسكافاً من الحيرة فساومه اعرابي بخفيه واختلفا في ذلك حتى أغضبه فأراد أن يغيظ الاعرابي فلما ارتحل أخذ حنين الخفين فألقى أحدهما على الطريق وألقى الآخر في موضع آخر من طريقه فلما مرّ الاعرابي رأى أحدهما فقال ماأشبه هذا بخف حُنين ولو كان معه أخوه نزلت فأخذته ومضى فلما انتهى الى الآخر ندم على ترك الأول وأناخ راحلته فأخذه ورجع الى الاول وقد كمن له حُنين فعمد الى راحلته فذهب بها وما عليها وأقبل الاعرابي وليس معه الا الخفان فقال له قومه ما الذي أتيت به قال أتيت بخفي حنين فضربته العرب مثلا وقال الشاعر في مثله

لتقرَعنّ عليّ السِنّ من ندَمٍ اذا تذكّرتَ يوماً بعض أخلاقي

محاسن الحنين الى الوطن

قال الله تبارك وتعالى (ولوْ أنا كَتبْنا عليهمْ أنِ اقتُلُوا أنفسكُمْ أو آخرُجوا من ديارِكم مافعلوهُ إلاّ قليلٌ منهمْ) فقرن جلّ ذكره الجلاء عن الوطن بالقتل وقال جل وتعالى (وَما لنا ألاّ نقاتلَ في سبيل الله وقدْ أخرِجنا منْ ديارِنا وأبنائنا) فجعل القتال ثاراً للجلاء •• وقال النبي صلى الله عليه وسلم الخروج عن الوطن عقوبة •• وقال

عمر بن الخطاب رضي الله عنه لولا حبّ الوطن لخرب بلد السوء •• وكان يقال بحب الأوطان عُمرت البلدان •• وقال جالينوس يتروّح العليـل بنسيم أرضـه كما تتروح الأرض الجدبة ببلل المطر •• وقال بقراط يداوى كل عليل بعقاقير أرضه فان الطبيعة تنزع الى غـذائها•• ومما يؤكد ذلك قولُ اعرابي وقد مرض بالحضرة فقال له قائل ماتشتهي قال محضاً روياً وضباً مشوياً •• وحدّث عن بعض بني هاشم قال قلت لاعرابي من أين أقبلت قال من هذه البادية قلت وأين تسكن منها فقال مساقط الحمى حمى ضرية ها لعمر الله مانريد بها بدلاً ولا نبغي عنها حولا نفحتها الغدوات وحفتها الفلوات فلا يملولح ترابُها ولا يتمعّر جنابها ولا يملولح ماؤها ليس بها أذى ولا قذى ولا موم فنحن فيها بأرفه عيش وأنعم معيشة وأرغد نعمة قلت فما طعامكم قال بَخْ بَخْ عيشنا عيش تعلل جاذبه وطعامنا أطيب طعام وأهنؤه وأمرؤه القت والهبيد والصليب والعنكث والعِلهِزُ والذآنين والينمة والمراجين والحسـلة والضباب واليرابيع والقنافـذ والحيّات وربّما والله أكلنا القدّ واشتوينا الجلد فما نعلم أحـداً أخصب منا عيشاً ولا أرخي بالاً ولا أعمر حالاً أوماسمعت قول شاعر وكان والله بصيراً برقيق العيش ولذيذه قلت وما قال قال قوله

اذا ماأصبنا كلّ يومٍ مُذَيقَةً وخمسَ تُميراتٍ صغارٍ كوانزِ
فنحنُ ملوكُ الناسِ خِصباً ونعمةً ونحنُ أسودُ الناسِ عند الهزاهزِ
وكمْ مُتمَنّ عيشَنا لاينالهُ ولو نالهُ أضحى به حقّ فائزِ

فالحمد لله على مابسط من حسن الدعة ورزق من السعة واياه نسأل تمام النعمة ••وقيل لاعرابي كيف تصنع بالبادية اذا انتصف النهار وانتعل كل شئ ظله فقال وهل العيش الا ذاك يمشي أحدناميلافيرفض عرقا كأنه الجُمان ثم ينصب عصاه ويلقي عليها كساءه وتقبل عليه الرياح من كل جانب فكأنه في إيوان كسرى ••ذكر من اختار الوطن على الثروة ••قال بعض الأدباء عسرك في بلدك خير من يسرك في غربتك •• وقيـل لاعرابي ماالغبطة قال الكفاية ولزوم الأوطان والجلوس مع الاخوان قيل فما الذلة قال التنقل في البلدان والتنحي عن الأوطان •• وقال بعض الأدباء الغربة ذُلة فان ردفها عـلة

وأعقبتها قلة فتلك نفس مضمحلة •• وقالت العرب الغربة ذلة والذلة قلة •• وقال آخر لاتنهض عن وكرك فتنقصك الغربة وتضيمك الوحدة •• وشبهت العرب والحكماء الغريب باليتيم اللطيم الذى ثكل أبويه فلا أمٌّ ترأم له ولا أب يحدَبُ عليه •• وكان يقال الجالي عن مسقط رأسه كالعير الناشز عن موضعه الذى هو لكل سبع فريسة ولكل كلب قنيصة ولكل رامٍ رميّة •• وكان يقال الغريب عن وطنه ومحل رضاعه كالغرس الذى زايل أرضه وفقد شربه فهو ذاوٍ لايثمر وذابل لاينضر وأنشد

وُمغتربٍ بالمرْج يبكي لشَجوهِ وقد غابَ عنه المسعدُون على الحبِّ
اذا ماأتاهُ الركبُ من نحو أرضهِ تنفّسَ يستشفى برائحةِ الركبِ

•• آخر

اذا ماذكَرْتُ الثغرفاضتْ مدامعي وأضحى فؤادى نُهبةً للهماهمِ
حنيناً الى أرض بها اخضرَّ شاربى وحلّتْ بها عنى عقودُ التمائمِ
وألطفُ قوم بالفتى أهلُ أرضهِ وأرعاهمُ للمرء حقَّ التقادُمِ

•• ولآخر

أحنُّ الى أرض الحجاز وحاجتى خيامٌ بنجدٍ دونها الطرفُ يقصرُ
ومانظَرى من نحو نجدٍ بنافِعي أجلْ لاَ ولكني على ذاكَ أنظرُ
أفي كلّ يومٍ نظرةٌ ثم عَبرَةٌ لعينيكَ يجري ماؤُها يتحدَّرُ
متى يستريحُ القلبُ إمّا مجاورٌ حزينٌ وإمّا نازحٌ يتذكّرُ

•• الطائى

نقّلْ فؤادكَ حيثُ شئتَ من الهوى ماالحبُّ إلاّ للحبيبِ الأوّلِ
كمْ منزلٍ فى الأرض يألفهُ الفتى وحنينهُ أبداً لأوّلِ منزلِ

تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني وأوله مساوى من كره الوطن

﴿ الجزء الثانى من ﴾

كتاب

المحاسن والمساوى

تأليف

ابراهيم بن محمد البيهقي رحمه الله تعالى

طبع على نفقة السيد محمد كامل افندى النعسانى

(سنة ١٣٢٥ هـ ١٩٠٦ م)

﴿ عنى بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعسانى الحلبي ﴾

(طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر)

لصاحبها محمد اسمعيل

بسم الله الرحمن الرحيم

مساوى من كره الوطن

قال بعض الفلاسفة اطلبوا الرزق فى البعد فانكم ان لم تكسبوا مالاً غنمتم عقلا كثيراً •• وقال آخر لايألف الوطن الا ضيّقُ العطن •• وقيل لآخر ماأصبرك على الغربة فقال أنست بالنوائب حتى ماأعرف غيرها وغُذيت بالمكاره فما أجد ضيرَها •• ومدح أعرابى رجلا فقال خرّجته الغربة ودرّبته التجربة وضرّسته النوائب •• وقال آخر ماحنّ أحد الى بلد ما جُمع فيه شمله الا لوصمةٍ فىعقله ولانزعت نفسه الى بلد قل به رِفده الا لاستيلاء الموق عليه •• وقيل لآخر ماالعيش فقال دوران البلدان ولقاء الاخوان ومغازلة القيان واستماع الأغانى والنغمات من الزير والمثانى •• وقد قيل من صبر علىالغربة أمِن الكُربة وأفضل العُدّة الصبر على الشدة • وقالوا لاتوحشنّك الغربة اذا أنست بالكفاية ولا تجزع لفراق الأهل مع لقاء اليسار •• وقيل الفقير فى الأهل مصروم والغنى فى الغربة موصول ••وقيل أوحش قومك ماكان في ايحاشهم أنسك وآهجر وطنك مانبتْ عنه نفسك وقرئ على باب خان بطرسوس

مامنْ غريبٍ وانْ أبدَى تجلُّدَهُ   إلاّ تذكّرَ عندَ الغرْبةِ الوَطنا

وأسفله مكتوب

أيرُ الحمارِ وأيرُ البغلِ فىالقَرَنِ   فى آستِ الغريبِ اذاماحنّ للوَطن

الطائى

لايمنعنّكَ خفضَ العيش تَطلُبهُ   نِزاعُ شوقٍ الىأهلٍ وأوطانِ
تَلْقى بكلّ بلادٍ انْ حللتَ بها   أهلاً بأهلٍ وجيراناً بجيران

•• ولآخر

نبَتْ بكَ الدارُ فَسِرْ آمناً   فللفتى حيثُ انتهي دارُ

وروى عن كعب بن مالك انه وصف وحشة المدينة لغيبة النبى صلى الله عليه وسلم فقال تنكّرت البلاد فما هي بالبلاد التى نعرف وتنكّر الناس فما هم بالناس الذين نعرف وفي معناه قال الشاعر

فما الناسُ بالناسِ الذينَ عهدتُهم ... ولا الدارُ بالدارِ التى كنتُ أعرفُ

•• وأنشد

لاتقنعنَّ ومطلبٌ لكَ ممكنٌ ... فاذا تضايقَتِ المطالبُ فاقنعِ

•• وقال آخر

كم المقامُ وكمْ تعتادُكَ العِللُ ... ماضاقَتِ الارضُ فى الدنياولا السُّبُلُ

انْ كنتَ تعلَمُ أنَّ الارضَ واسعةٌ ... فيها لغيركَ مُرتادٌ ومرتحلُ

فارْحلْ فانَّ بلادَ اللهِ ماخُلقتْ ... إلاّ ليَسلكَ منها السهلُ والجبلُ

أللهُ قدعوَّدَ الحسنى فما برِحتْ ... عندى لهُ نِعمٌ تترى وتتَّصلُ

إنْ ضاقَ بى بلدٌ هيّالهُ عِوَضاً ... وانْ نأى منزلٌ بى كانَ لى بدَلُ

وانْ تغيرَ لى عنْ وُدّهِ رجلٌ ... أصفى المودَّةَ لى من بعدهِ رجلُ

لم يقطعِ اللهُ لى من صاحبٍ أملاً ... الاّ تجدَّدَ لى منْ بعده أملُ

لاتمتهِنْ أبداً خديكَ منْ طمعٍ ... فما لوجهكَ نورٌ حينَ يُبتذَلُ

وابغِ المكاسِبَ من أزكى مطالبها ... منْ حيثُ تُحْمَلُ حتى ينفدَ الأجلُ

•• ولآخر

اذا ماأطالَ المرء مُكثاً ببلدةٍ ... تعقبهُ منْ بعد حدَّته نكْسُ

ولو أنَّ هذى الشمسَ دامَ طلوعها ... أوالبدرَ لمْ يحبَبْ ولاحُبَّتِ الشمسُ

فجِلْ طالباً للرزق فى الارض واغتربْ ... ففى كلّ أرض للفتى الاكلُ واللبْسُ

•• ولآخر

واذا الديارُ تنكّرَتْ عنْ أهلها ... فدَعِ الديارَ وأسرعِ التحويلا

ليسَ المُقامُ عليكَ حتماً واجباً ... فى بلدةٍ تدَعُ العزيزَ ذليلاً

•• آخر

اذا خفتَ منْ دارٍ هوَاناً فانما   ينَجّيكَ من دارِ الهوان اجتنابُها

ولآخر

اصبرْ على حدَث الزمانِ فانما   فرَجُ الحوادِث مثلُ حلّ عقالِ
واذا رأيتَ من ابن عمكَ جفوةً   فاشدُدْ يديك بعاجلِ الترحالِ
انّ المُقامَ على الهوانِ مَذلّةٌ   والعجزُ آفةُ حيـلةَ المحتالِ

وقد قيل فى حبّ الوطن أحق البلدان بنزعك اليه بلد أمصك حلب رضاعه •• وقيل احفظ بلداً أرسخك غـذاؤه وارع حمًى أكنّك فناؤه •• وقيـل لاتشكونّ بلداً فيـه قبائلك ولا أرضاً فيها قوابلك •• وقيـل من علامة الرشـد أن تكون النفس الى أوطانها مشتاقة والى مولدِها توّاقة •• قيل ولما خرج الرشيد الى خُراسان وصار بعقبةِ همذان أنشأ يقول

حتى متى أنا فى حلّ ٍ وتَرْحالِ   وطولِ همّ ٍ بادبار واقبـالِ
ونازحُ الدار لاينفكّ مغترباً   عن الأحبة لايدرون ماحالى
فى مشرقِ الأرضِ طوراً ثم مغربها   لايخطرُ الموتُ من حرصى على بالى
ولوْ قنعتُ أتانى الرزقُ فى دَعةٍ   انّ القنوعَ الغنى لاكثرةَ المال

•• وذكروا ان أبا دُلف لما ولى الشام طال مُقامه فحنّ الى وطنه فكتب الى يزيد ابن محاشَ

أيزيدُ طالتْ غُربةٌ ومُقامُ   وبُكاً فأسعدَهُ البكاء حمامُ
أيزيدُ هل من مطمعٍ فى أوبةٍ   لمتيّمٍ طالتْ به الأيامُ
لَعِبَ الفراقُ بنومهِ فأبانهُ   طيبَ الكرى فدموعهُ تَسجامُ
مانامَ عنه وان رقدتمْ شوقُهُ   والشوقُ يَسْرى والعيونُ نيامُ
والشوقُ ألزمهُ البكاءَ فنفسهُ   حرّى وأذبلَ جسمَهُ التهْمامُ
ياطائفاً أهدى السلامَ الى فتًى   تُهدِى اليّ سلامكَ الأحلامُ
أنّى وكيفَ ينام صبٌّ هائمٌ   أفضتْ اليـه بسرّه الأقلامُ
ياجانبَ الأهوازِ جادكَ وابلٌ   وسقاكَ من ديَمِ الربيعِ رِهامُ

كم فيكَ من شَجنٍ ومأنَسِ وحشةٍ و مُحبَّبٍ تُشفي به الأسقامُ
فمتى أحلكما الزمانُ ببلدةٍ من دونها القفَراتُ والآكامُ
وشواهقٌ تَزَعُ السحابَ شوامخٌ ليسَتْ وانْ دأبَ المطيُّ تُرامُ
أترى أرَى الأيامَ تجمعُ بيننا والدهرُ فيه مسرَّةٌ وغرامُ
أيزيدُ ساعدكَ الزمانُ وخاننا والدهرُ ليسَ لحالتيهِ دوامُ
تُمسي ضجيعَ خريدةٍ ومُضاجعي عَضْبٌ حديدُ الشفرتينِ حُسامُ
وتجرُّ أذيالَ النعيمِ مُرَفَّلاً وأظلُّ يكسوني الشحوبَ قتامُ
مُتَسَرْبلاً حلَقَ الحديدِ يحفُّني لَجِبٌ يضيقُ به الفضاء لُهامُ
من كلّ أشعَثَ في الحديدِ مُقنّعٍ ذَرِبِ الحسامِ كأنه ضِرغامُ
والحربُ حرفتنا وليسَتْ حرفةً الاّ لمنْ هو في الوَغا مِقدامُ
نُعْرِي السيوفَ فلا تزالُ عريّةً حتى تكونَ جفونَهنَّ الهامُ
ماللزمانِ أعتاقنا من بينكُمْ فجرَتْ علينا للزمانَ سِهامُ
ياليتَهُ اذْ لم يدُمْ إحسانُهُ أن لايكونَ لما أساء دوامُ

فبلغ شعره المأمون فقال حنَّ القاسم بن عيسى الى وطنه فأمره بالانصراف .. قال الأصمعي قدم سعيد بن ضمضم على الحسن بن سهل فأنشده قصيدة يصف فيها حنينه الى سوء حاله بالبادية ويستميحه

سَقياً لحيٍّ باللّوى عهدتُهمْ منذُ زمانٍ ثم هذا ربعُهمْ
عهدتُهمْ والعيشُ فيه غِرَّةٌ ولم يُناوِ الحدثانُ شعبَهُمْ
ولم يبينوا لنوًى قذّافةٍ تقطعُ حبلي من وصالِ حبلِهِمْ
فليتَ شعري هل لهمْ من مطلبٍ أوْ أجدَنَّ ذاتَ يومٍ بذلهمْ
أوْ يعذُرنَّ بالبكاء ان بكى صبٌّ مُعنّي مُستحقٌّ إثرهمْ
مُكلَّفٌ بالشوقِ لاينساهمُ يمنحُهُمْ وُدّاً ويرعى عهدَهمْ
وينذُرُ النذورَ انْ رآهمُ وعادَ يوماً عيشُهُ وعيشُهمْ
ولاَ وربِّ العرشِ لايلقاهمُ ولاَ يعودُ عيدُهُ وعيدُهمْ

وكيفَ ياقاهمْ كبيرٌ سِنّهُ ... وقد مضي الدهرُ وطاحَ نجمُهمْ
هيهاتَ عدّ النفسَ عنْ ذكراهمُ ... واقصِدْ لنحو آخرينَ غيرهمْ
هذا وقدْ رأيتُني فلم آلُ ... رأبي إذا لامَ الرجالُ رأيهمْ
أدعو ابنَ سهلٍ حسناً ومجدَهُ ... حينَ تَعيّا بعِيالى أمرُهمْ
أطَلُّ أدعو باسمه ودونهُ ... قومٌ كثيرٌ رغبةً تركتهمْ
تخيراً اخترتهُ عليهمُ ... رلا بهمْ بأسٌ ولا ذَممتهمْ
ناموا فلما أنْ رأيتُ نومهمْ ... عني تحمّلتُ فما أيقظتهمْ
يابنَ كرامٍ كابراً عنْ كابرٍ ... زانوكَ زَيناً باقياً وزِنتهمْ
كانواهمُ الأشرافَ سادوا كلهمْ ... مافى جميعِ العالمينَ مثلُهمْ
بنَوا جميعَ المجدِ فيما قدْ مضى ... وأنتَ تبنيهِ كذاكَ بعدَهمْ
فى شرفٍ مؤيّدٍ أركانهُ ... لم يبْنِهِ بانٍ سواهُم قبلهمْ
فيابنَ سهلٍ وابنَ آباءٍ لهُ ... كانوا مَناجيبَ قديماً فضلُهمْ
والله ماتُصبحُ بين معشرٍ ... الاّ وأنتَ شمسُهم وبدرُهم
والناسُ آخذٌ وماله ناقعٌ ... وعُدُّه تجرى وأنتَ بحرُهم
والناسُ أجناسٌ كما قد مُثّلوا ... وفيهم الخيرُ وأنتَ خيرُهم
حاشا أميرِ المؤمنينَ انهُ ... خليفةُ الله وأنتَ صهرُهمْ
اليكَ أشكو صِبْيةً وأمّهمْ ... لايشبعونَ وأبوهم مثلُهم
قد أكلوا الوحشَ فلم يشبعْهمُ ... وشربوا الماء فطالَ شربُهم
وامتدقوا المذقَ فيادُنياهمُ ... والمضغَ انْ نالوهُ فهوَ حسبُهم
لايعرفونَ الخيرَ الاّ ذكرهُ ... والدهرُ هيهاتَ فليس عندهمْ
وما رأوا فاكهةً فى عيشِها ... ولا رأوها وهيَ تهوى نحوهمْ
وما لهمْ منْ كاسبٍ علمتهُ ... على جديدِ الأرضِ الا جحشُهمْ
وجحشهم قد باتَ منهوبَ القرى ... ومثلُ أعوادِ الشكاعَى كلهمْ
كأنني فيهمْ وانْ وليتهمْ ... كانوا موالىَّ وكنتُ عبدهمْ

مجتهداً بالمصر لا آلوهم أدعو لهم يارب سلّم أمرهم
وتارةً أقولُ مما قد أرى يارب باعدهم وباعد دارهم
يأوونَ بالليل اذا ما أخرجوا الى ذُرى الهيم وهي قدرُهم
بها يطوفونَ اذا ما اجترّموا وهي أبوهم عندهم وأمهم
زُغبُ الرؤس قُرِعَت هاماتهم من البلاء وأسمادٌ سمعهم
بل لو تراهم لعلمتَ أنهم قومٌ مساغيبُ قليلٌ نومهم
وكالسّعالى فى طوى مُسوكها فلو يَمضونَ لذكّى سمُّهم
قد جرّسوا الدهرَ وقد بلاهمُ هذا وهذا دأبه ودأبهم
ولا يعيشونَ بعيشٍ سابغٍ ولا يموتونَ وذاكَ قصرُهم
وقد رجونا يابنَ سهل نائلا منك يَرِمُّ فقرهم وبؤسهم
فانما أنتَ حيا أمثالهمْ فجُد لهم بنائل لاتنسهم
وأسدِ نُعماكَ اليهمْ واتخذْ حمداً وشكراً كلٌّ ذاكَ عندهمْ
هذا وأنتَ إن حُرِمتُ حظّهمْ فلا تجودَنَّ لخلق بعدَهمْ

فقال له الحسن سلْ ماشئت وتمنَّ ماأحببت فلو خرجت اليك من ملكي كله ما كافأتك فقال تشتري لي غُنيمات وتردّني الى البادية فقال نحنُ الى مكان تصفه بهذه الصفة قال الوطن الوطن فاشترى له الف شاة وأعطاه عشرين ألف درهم ورده الى وطنه ... ومما قيل فيمن كره الغربة قال ابن أبي السرج قرأت على حائط خان بالأهواز

انّ الغريبَ ولو يكونُ ببلدةٍ يُجبى اليه خَراجُها لَغريبُ
وأقل مايلقى الغريبُ من الأذى أنْ يُستذَلّ وقولهُ مكذُوبُ

قال وقرأت على حائط خان بعسكر مُكرم من الاهواز

انّ الغريبَ اذا يُنادى مُوجَعاً عندَ الشدائدِ كان غيرَ مجابِ
فاذا نظرتَ الى الغريبِ فكُنْ به مُترَاحماً لتباعُدِ الأحبابِ

قال وقرأت على حائط خان ببغداد فى الجانب الغربي

غريبُ الدار ليسَ لهُ صديقُ جميعُ سؤاله كيفَ الطريقُ

تعلّقَ بالسؤال بكلّ شيء كما يتعلّقُ الرجلُ الغريقُ
ولا تجزَعْ فكلُّ فتًى ستأتي على حالاته سَعةٌ وضيقُ

قال ووجدت على باب مكتوبا

عليكَ سلامُ اللهِ ياخيرَ منزلٍ رَحلنا وخلّفناكَ غيرَ ذَميمِ
فانْ تكنِ الأيامُ فرّقنَ بيننا فما أحدٌ منْ رَيبها بسليمِ

•• وأنشد

أقمنا مُكرهينَ بها فلما ألِفناها خرجنا مُكرهينا
وماحُبُّ البلادِ بناولكنْ أمرُّالعيشِ فرقةُ منْ هوينا

•• ولآخر

أقمتُ بأرضكمْ بالكُرْه منى فلما طابَ لي فيها المقيلُ
وأوطنتُ البلادَ وجُنَّ قلبي بغِزْلانٍ بها أزِفَ الرحيلُ

•• ولآخر

وانّ اغترابَ المرءِمنْ غيرِفاقةٍ ولا حاجةٍ يسمُو لها لَعجيبُ
فحسْبُ الفتى بخساًوانْأدركَ الغني ونالَ ثراء أنْ يقالَ غريبُ

•• ولآخر

أيُّ سرور لعيشِ مُغتربٍ فردٍ وحيدٍ ناء عنِ الوطن
لا تطمعُ النفسُ في هواهُ ولا يكحلُ عيناً بمنظر حسن

•• ولآخر

سلِ اللهَ الإيابَ منَ المغيبِ فكمْ قدردَّ مثلكَ منْ غريبِ
وسلِّ الحزْنَ عنكَ بحسنِ ظنّ ولا تيأسْ من الفرَجِ القريبِ

•• آخر

تَصبَّرْ ولا تعجلْ وُقيتَ من الردى لعلَّ إيابَ الظاعنينَ قريبُ
فقلتُ وفي قلبي جوًى لفراقها ألا لا تُعزّيني فلستُ أجيبُ
أعاذِلُ حبي للغريب سَجيةٌ وكلُّ غريبٍ للغريبِ حبيبُ

لئن قلتُ لم أجزَعْ من البينِ أن مضَوْا لِطيّتهمْ إني اذاً لكذُوبُ
بلى عَبَرَاتُ الشوقِ أضرمتِ الحشا ففاضتْ لهامنْ مُقلتيَّ غرُوبُ

•• ولآخر

اذا اغتربَ الكريمُ رأى أموراً مُحَجّلةً يشيبُ لها الوليدُ

•• قال أبو الحسين محمد بن أحمد بن يحيي بن أبي البغل أنشد أبو العباس أحمد بن يحيي ثعلب

ما كنتُ أحسبُ أنْ يكو نَ كذا تفرُّقنا سريعا
بَخِلَ الزمانُ عليّ أنْ نبقى كما كنا جميعا
فأحلّني في بلدةٍ وأحلّكَ البلدَ الشسيعا
قد كنتُ أنتظرُ الوصا لَ فصرتُ أنتظرُ الرجوعا

•• ولآخر

إلفانِ كانا لهذا الحبُّ قد خُلِقا داما عليه فتمّ الوصلُ واتفقا
كنا كغصنَينِ في عودٍ فغالهما رَيبُ الزمانِ وصرفُ الدهرِ فافترقا
فاصفرّ عودُهما من بعد خضرتِهِ وأسقطَ البينُ من عودَيهما الورَقا

•• ولآخر

أتظعنُ والذي تهوَى مُقيمُ لعمرُكَ ان ذا خطبٌ عظيمُ
إذا ما كُنتَ للحدَثانِ عوْناً عليكَ وللفِراقِ فمن تلومُ

•• آخر

لقدْ شقّني أني أدُورُ ببلدةٍ أخلاّيَ منها نازحونَ بعيدُ
أُقلّبُ طرفي في البلادِ فلا أرى وُجوهَ أخلاّيَ الذينَ أُريدُ

•• آخر

قفْ بالمنازلِ وقفةَ المشتاقِ واسفحْ بها من دمعِكَ المُهراقِ
لا تَبخلنَّ على الديارِ بأدمعٍ يجرينَ بين محاجرٍ ومآقي
تلكَ الديارُ كما عهِدتُ عميرةٌ لكنها صِفرٌ من الطرّاقِ

لم يُبقِها أمدٌ تقادَمَ عهدُهُ فالدَّمعُ ينطقُ والرسومُ بواقِي
لهفي على زمنٍ مضتْ أيامُهُ والعَيشُ غضٌ مُورقُ الأوراقِ
أيامُنا ما كنتِ إلّا خُلسةً كسفُ الهلالِ عَراهُ وجهُ مُحاقِ
أوْ نظرةً من خائفٍ لم يُنجِهِ خوفُ الحِذارِ وشدَّةُ الإشفاقِ
وكذاكَ أيّامُ السرُورِ قصيرةٌ لكنْ أيامَ البلاءِ بواقِي
كيفَ اللقاءُ وقد تطاوحت النوى شتّانَ بينَ مَشائمٍ وعِراقِ
يا ليتَ شِعرى كيفَ عهدُ أحبتى لما أطلّهُمُ وَشيكُ فِراقِي
ظني بهم حسنٌ وكيفَ بأوبةٍ تروى غليلَ مُتيمٍ مشتاقِ

ومنها نجديات

ألا هل أرى حُوراً تبرقعنَ بالحمى وهلْ أجتنى بالعَينِ من خدّهمْ وَرْدَا
لعلّى أرى نجداً ومن حلّ بالحمى فأحسِبُ من نجدٍ على كبدِى بَردَا
خليليَّ قد داويتُ عقلاً سُلبتهُ بشحطِ النوى والبعدِ من قربهمْ عمْدَا
فلم أرَ بُعدَ الدارِ يشفى من الجوى ولا القربَ أيضاً من ديارِهمُ أجدي
بلى إنّ فى النأى التقطعَ والأسى وحبُّ سُلَيمى القلبَ من بينهمْ أودَى

.. ولآخر

نسيمُ الخزامى والرياحُ التى جرتْ بليلٍ على نجدٍ تذكّرُنى نجدَا
أتانى نسيمُ السِدرِ طيباً من الحمى فذكّرني نجداً وقطّعنى وجدَا

ولآخر

ألا ليتَ شعرى هلْ أبيتنّ ليلةً بصحراءَ من نجرانَ ذاتِ ثرًى مُندِى
وهلْ أرِدَنّ الدهرَ حصنَ مُجاشعٍ وقدْ ضربَتْهُ نفحةٌ من صَبا نجدِ

.. ولآخر

أقولُ لصاحبي والعِيسُ تُحدَى بنا بين المنيفةِ والضِمارِ
تمتعْ من شَميمِ عَرارِ نجدٍ فما بعدَ العشيةِ من عَرارِ
ألا يا حبذا نفحاتُ نجدٍ وريّا رَوْضِهِ غِبَّ القِطارِ

شهورٌ ينقضِينَ وما شعَرْنا بأنصافٍ لهنَّ ولا سِرارِ
وأما ليلُهنَّ فخيرُ ليلٍ وأنضرُ ما يكونُ من النهارِ

قال وقال الفتح بن خاقان ورد عليَّ أعرابيٌ من البادية نجديٌّ فصيحٌ فبات ليلةً عندي على سطح مشرف على بستان فسمع فيه صوت الدواليب فقال ما أشبه هذا الانجنين الابل وأنشد

بَكرَت تحنّ وما بها وجدى وأحنّ من شوقٍ الى نجدِ
فدُموعُها تحيي الرياضُ بهـا ودموعُ عيني أحرقت خدّى

محاسن الدعاء للمسافر

بأيمن طالع وأسرِّ طائر لا كبا بك مركب • ولا أشت بك مذهب • ولا تعذّر عليك مطلب • سهل الله لك السيرَ • ويسرلك القصد • وطوى البعدَ • بمسرّة الظفر وكرامة المذخر بأيمن طائر • وأسعد جد • على الطائر الميمون والكوكب السعد •• وفي رسالة للبحتري الى حيث تتقاصر أيدى الحوادث عنك • وتتقاعس نوائب الأيام دونك •• فصل وخُصصتَ بسهولة المطلب ونجاح المنقلب • كان الله لك في سفرك خفيراً • وفي حضرك ظهيراً •• آخر بسعي نجيح • وأوب سريع وسريح •• آخر قصر الله محله • وهدى رحله • وسرّ بأوبته أهله • ولازال آمنا • مقيما وظاعنا • آخر بأسعد جد وأنجح مطلب • وأسر منقلب وأكرم بدأة وأحمد عاقبة •• فصل فاشخص مصحوباً بالسلامة والكلاءة آيباً بالنجح والغبطة محوطاً فيما تطالعه بالعناية والشفقة فى ودائع الله وضمانه وكنفه وجواره وستره وأمانه وحفظه وذماره •• وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم اني أريد سفراً فقال فى حفظ الله وكنفه زودك الله التقوى ووجهك الى الخير حيث كنت •• كتب أبو العيناء أستخلف الله فيك وأستخلفه منك •• لابن أبي السرح

فى كنفِ اللهِ وفى سِترِهِ مَن ليسَ يخلو القلبُ من ذكرِهِ

وأنشد لآخر

فارحل أبابشرٍ بأيمن طائرٍ وعلى السعادةِ والسلامةِ فانزلِ

مساوى الدعاء للمسافر

بالبارح الأشأم . والسانح الأعضب . والصّرد الأنكد . للسفر الأبعد . لا استمرّت مطيته ولا استتبّت أمنيته . ولا تراخت منيته . بنحسٍ مستمرّ . وعيشٍ مُرّ . لا قرى ان استضاف ولا آمن ان خاف .. ويقال ان علياً لما اتصل به مسير معاوية قال لا أرشد الله قائده ولا أسعد رائده . ولا أصاب غيثاً . ولا سار الا ريثاً . ولا وافق الا ليثاً . أبعده الله وأسحقه . وأوقد ناراً على أثره . لاحط الله رحله . ولا كشف محله . ولا بشر به أهله . لا زكي له مطلب ولا رحُب له فيه مذهب . لا سقاه الله غماماً . ولا يسر له مراماً . لا فرّج الله همّه . ولا سرّى غمه . ولا حلّ عقده . ولا أورى زنده . جعله الله سفر الفراق . وعصي الشقاق . وأنشد

يأ نكدِ طائرٍ وبشرّ فالِ ... لأبعدِ غايةٍ وأخسّ حالِ
بحدّ السِندِ حيث يكونُ مُفي ... كما بين الجنوبِ الى الشمالِ
غريباً تمتطي قدميك دهراً ... على خَوفٍ تحنُّ إلى العيال

.. الباهلي

إذا استقلّت بك الركابُ ... فحيثُ لا درّت السحابُ
وحيثُ لا يُبتغى فلاحٌ ... وحيثُ لا يرتجى إيابُ

ابن أبي السرج

فسرْ بالنحُوسِ إلى بلدةٍ ... تُعمّرُ فيها ولا تُرزقُ
ولا تمرعُ الأرضُ من نهرها ... ولا يثمرُ الشجرُ المورقُ
تَغيضُ البحارُ بها مرّةً ... ويُكدِي السّحابُ بها المغدِقُ

.. الباهلي

أدنى خُطاكَ الهندُ والصينُ ... وكل نحسٍ بكَ مقرونُ
بحيثُ لا يأنَسُ مستأنسٌ ... وحيثُ لا يفرحُ محزونُ
تهوي بِكَ الأرضُ الى بلدةٍ ... ليسَ بها ماءٌ ولا طِينُ

محاسن الرؤيا

حدثنا أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد قال كان المأمون يبطل الرؤيا ويقول ليست بشيء ولو كانت على الحقيقة كنّا نراها ولا يسقط منها شيء فلما رأينا انما يصح منها الحرف والحرفان من الكثير علمنا انها باطل وانّ أكثرها لا يصح وكان بعث بابنه العباس الى بلاد الروم فأبطأ عليه خبره فصلّى ذات يوم الصبحَ وخفق وانتبه ودعا بدابته وركب وقال أحدّثكم بأعجوبة رأيت الساعة كأن شيخاً أبيض الرأس واللحية عليه فروة وكساؤه فى عنقه ومعه عصاً وفى يده كتاب فدنا منّي وقد ركبت فقلت من أنت فقال رسول العباس بالسلامة وناولنى كتابه فقال المعتصم أرجو أن يحقّق الله رؤيا أمير المؤمنين ويسرّه بسلامته قال ثم نهض فوالله ماهو إلاّ أن خرج فسار قليلاً إلاّ وبصر بشيخ قد أقبل نحوه فى تلك الحال فقال المأمون هذا والله الذى رأيته فى منامي وهذه صفته قال فدنا منه الرجل فنحاه خدَمُه وصاحوا به فقال دعُوه فجاء الشيخ فقال له من أنت قال رسول العباس وهذا كتابه قال فبُهِتْنا وطال منه تعجبنا فقلت ياأمير المؤمنين أتبطل الرؤيا بعد هذه قال لا . . وحدثنا علىّ بن محمد قال حدثنى أبى عن محمد بن عبد الله قال رأيت فيما يرى النائم فى آخر سلطان بنى أمية كأنّى دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفعت رأسى ونظرت الى الكتاب الذى فوق المحراب فاذا فيه هذا ما أمر به أمير المؤمنين الوليد بن عبدالملك فاذا قائل يقول يُمحى هذا الكتاب ويكتب مكانه اسمُ رجل من بني هاشم يقال له محمد فقلت فأنا محمد فابن من قال ابن علىّ قلت فأنا ابن علىّ فابن من قال ابن عبد الله قلت فأنا ابن عبد الله فابن من قال ابن عباس فلو لم أكن بلغتُ العباس ما شككت أنّى صاحب الأمر فتحدّثت بهذه الرؤيا فى ذلك الدهر ولا نعرف نحن المهدى فتحدث الناس بها حتى وُلى المهدى فدخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع رأسه فاذا اسم الوليد وإنّي لأرى اسم الوليد فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليوم فدعا بكرسى فأُلقِيَ له فى صَحْنِ المسجد فقال ما أنا ببارحٍ حتى يمحي ويكتب اسمي مكانه فأمر بان يحضر العمّال

والسلاليم وما يحتاج اليه لذلك فلم يبرح حتى غُيّر وكتب اسمه .. قال ورأى رجل أبا دُلَف فيما يراه النائم فقال ماحالك فقال

فلو أنّا إذا مِتنَا تُرِكْنا لكان الموتُ راحةَ كلِّ حيٍّ
ولكِنّا إذا مِتنَا بُعِثنا ونُسألُ بعدَهُ عن كلِّ شيٍّ

قال ورأى رجل الحجاج بن يوسف فيما يراه النائم فقال له ما حالك فقال ما أنت وذاك لا أم لك فقال سفيهٌ في الدنيا سفيه في الآخرة .. وعن اسحاق بن اسماعيل بن عليّ قال حدثني عمي عيسى بن عليّ قال دخلت على المنصور فقال ياأبا العباس أتذكر رؤياي بالسراة قلت ياأمير المؤمنين أي رؤيا قال مثلك ينساها كان يجب أن تكتبها بقلمٍ من ذهبٍ في رَقٍّ وتوصي بها بنيك وبني بنيك قلت فاخبرني بها ياأمير المؤمنين قال رأيت كأني بمكة إذ فُتح باب الكعبة فخرج رجل فقال عبد الله بن محمد فقمت وقام أخي فقال الرجل ابن الحارثية فدخل أخي فأبطأ هُنيهةً ثم خرج وفي يده لواء فخطا خُطا خمسا ثم سقط اللواء من يده ثم خرج الرجل بعينه فقال عبد الله فقمت وقام عمي عبد الله بن عليّ وصعد الدرجة فزحمته ببعض أركاني فسبقت فاذا بأبي واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي الرجل ابدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فدعا بلواء فعقده لي ثم قال هاك فيك وفي ولدك حتى تقتلوا به الرجال فخطوت خطا لو شئتُ أن أخبركم بها لأخبرتُكم .. وحدثنا محمد بن يونس قال أخبرني منصور بن أبي مُزاحم عن طَيفور مولي أبي جعفر قال قال المنصور رأيت في السنة التي وَلِيَ فيها هشام بن عبد الملك كأني راكب حمارا أسود وعليه حِمل تبن عظيمٌ وكان بالموصل رجلٌ يعبر الرؤيا فحججت تلك السنة فرأيته بمنًى وقصصت عليه الرؤيا فقال اخبرني لمن هذه الرؤيا فقلت لرجل من افناء الناس قال ماقلت الحق أصدقني وأصدقك فقلت لرجل من بني هاشم قال الآن جئتَ بالحق ان صدقت الرؤيا صار صاحبها خليفة قال فانسلت كالهارب خوفاً أن يظهر من قولي وقوله شيء قال فبينا الربيع ذات يوم اذ دخل الحاجب فقال ياأمير المؤمنين رجل بالباب معبر يستأذن قال أدخِله فأدخله فلما رآه تبسم وقال هذا صاحبي فدنا منه وقبّل يده فقال أتذكر رؤياي قال نعم

وهي التي حملتني اليك قال كيف كنت تأوّلتها قال قلت راكب حمارا أسود والحمار جدُّ الرجل وسواده سؤدَدُه قلت وكان على الحمار تبن فقلت الحنطة والشعير تخرجان من التبن وقعد عليه ومن صار مالكه فقد ملك الأقوات فهذا رجل يملك الناس قال لله أبوك ما أحسن ماعبرت وأسرع ما صحت وأمر له بصلة وقال أقم عندنا وحول عيالك فانا نأمر لك بأرزاقٍ تسعك وإياهم ففعل ذلك •• وبلغنا عن مزاحم مولى فاطمة بنت عبد الملك عن فاطمة قالت كنت مع عمر بن عبد العزيز وهو نائم فانتبه وقال يا فاطمة لقد رأيت رؤيا ما رأيت أحسن منها قلت حدثني بها يا أمير المؤمنين قال حتى أصبح قال فجاء المنادي فناداه بالصلاة فقام فصلى بالناس الفجر ثم رجع الى مجلسه فأتيته فقلت يا أمير المؤمنين حدثني بالرؤيا فقال رأيت كأني فى أرض خضراء لم أرَ أرضاً أحسن منها ورأيت فى تلك الأرض قصور زبرجد ورأيت جميع الخلائق حول ذلك القصر فبينا أنا كذلك اذ نادى منادٍ من القصر أين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقام النبي صلى الله عليه وسلم فدخل القصر فقلت سبحان الله أنا فى ملأ فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أسلم عليه فلم ألبث الا قليلا حتى خرج المنادي فنادى أين أبو بكر الصديق فقام أبو بكر رحمه الله فدخل فما لبثت الا قليلا حتى خرج المنادي فنادى أين عمر بن الخطاب فقام عمر فدخل فقلت سبحان الله أنا فى جمع فيهم أبي ولم أسلم عليه فما لبثت الا قليلا حتى خرج المنادى فنادى أين عثمان بن عفان فقام عثمان رحمه الله فدخل فما لبثت الا قليلا حتي خرج المنادى فنادى أين عليّ بن أبي طالب فقام عليّ فدخل فما لبثت الا قليلا حتى خرج المنادي فنادى أين عمر بن عبد العزيز فقمت فدخلت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم قاعداً ورأيت أبا بكرعن يمينه وعمرعن يساره وعثمان وعلياً بين يديه فقلت أين أقعد لا أقعد الاّ الى جنب أبي قال فقعدت عند عمر بن الخطاب فرأيت فيما بين النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر شاباً حسن الوجه فقلت يا أبت من هذا قال هذا عيسى بن مريم عليه السلام قال فما لبثت الا قليلا حتى سمعت منادياً ينادي يا عمر بن عبد العزيز اثبت على ما أنت عليه قال ثم قمت فخرجت فلم ألبث الا قليلا حتى خرج علي عثمان وهو يقول الحمد لله الذى نصرني ثم لم ألبث الا قليلا حتى خرج عليّ بن أبي طالب

رضي الله عنه فقال الحمد لله الذى غفر لي

مساوى الرؤيا

روي عن عمر بن حبيب القاضي ان رجلا كان بالبصرة وكانت له امرأة وله منها ابنان فمات وترك لهم شاة فرأت المرأة فى النوم كأن أحد ابنيها يقول يا أمه ما ترين هذا الجدي قدأفنى علينا لبن هذه الشاة وليس بدّ من أن أقوم فأذبحه فقالت لا تفعل يابني فقال لا بدّ من أن أذبحه فقام فذبحه وسمطه وشواه وأخرجه من التنور فقعد هو وأخوه يأكلان فكلمه بشيء فأخذ السكين فشق بطنه فانتبهت فزعة واذا ابنها يقول يا أُمه أما ترين هذا الجدي قد أفنى علينا لبن هذه الشاة أقوم فأذبحه فقالت لا تفعل يا بنيّ فجعلت تتعجب من تصديق الرؤيا فأخذت بيد أخيه فدخلت بيتاً وأغلقت الباب من داخل فبينا هي مفكرة مغتمة اذ غفلت فرأت النبي صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال ما شأنك فخبرته الخبر فنادى يا رؤيا فاذا الحائط قد انصدع وخرجت امرأة جميلة بارعة الجمال فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ما أردتِ الى هذه المسكينة قالت لا والذي بعثك بالحق نبياً ما أتيتها فى منامها فنادى يا أضغاث أحلام فخرجت امرأة دونها فقال ماأردت الى هذه المسكينة قالت رأيتهم بخير فحسدتهم فأردت أن أغمهم فقال صلى الله عليه وسلم ليس عليك بأس فانتبهت وأكلتِ مع ابنيها ولم يزالوا بخير

محاسن الازكان

قال نظر إياس بن معاوية الى نسوة قد فزعن من بعير فأشار اليهن فقال هذه بكر وهذه حامل وهذه مرضع فقام اليهن رجل فسألهن فكنّ كما قال فقيل له كيف علمته قال رأيتهنّ لما فزعن وضعت كل واحدة منهن يدها على أهم المواضع اليها فوضعت الحامل يدها على بطنها ووضعت المرضع يدها على ثديها ووضعت البكر يدها على قُبلها ٠ ٠ قال ونظر

اياس يوماً الى رجل متأبط شيئاً فقال معه سكر وقد وُلد له غلام فاتبعه الرجل فسأله فاذا هوكما قال فقيل له في ذلك فقال رأيت الذباب قد أطافت به فقلت معه حلاوة وهو سكر ورأيته نشيطاً فقلت وُلد له غلام

مساوى الازكان

قال واستقبل اياس رجلا فقال خذوه فانه سرق وسيأتي من يطلبه فأخذوه فلم يتجاوز ساعة حتى جاء قوم يطلبونه فأخذوه فقيل له في ذلك فقال رأيته يُرعَد ويعدو مُدَلَّهاً متغير اللون يُكثر الالتفات فزكنتُ فيه هذا وانه لص . . قال ورأى رجلا على عاتقه جرة عسل فقال فيها سُم أو حية فنظروا فاذا حية فسئل عن ذلك فقال رأيت الذباب تحوم حوله ولا تسقط عليه فعلمت انه حية أو سُم

محاسن الفأل والزجر

حدثنا الحسن بن وهب قال حدثني صالح بن عليّ بن عطية قال كان المنصور ألزم خالد بن برمك ثلاثة آلاف الف درهم ونذر دمه فيها وأجّله ثلاثة أيام فقال خالد ليحيي ابنه اني قد طولبت بما ليس عندي وانما يراد بذلك دمي فانصرف الى حرمتك وأهلك فما كنتَ فاعلا بعد موتي فافعله ثم قال يا بُني ولا يمنعك ذلك من أن تاتي اخواننا فتعلمهم حالنا قال يحيي فأتيت اخوان والدي فمنهم من تجهمني بالرد ثم بعث اليّ بمال جليل ومنهم من لم يأذن لي وبعث بمالٍ في أثري لكيلا يُخبر به المنصور قال فدخلت على عمارة بن حمزة وهومقابل بوجهه الى الحائط فسلمت فرد رداً ضعيفاً قال يحيي فضاقت بي الأرض ثم كلمته فيما كنت أتيته فيه فقال ان أمكننا شيء فسيأتيك فانصرفت عنه وصرت الى أبي فأعلمته ذلك وقلت أراك تثق من عمارة بما لا يوثق به فو الله اني لفي ذلك الحديث اذ طلع رسول عمارة بمائة الف درهم ورسول صاحب المصلى بمائة الف درهم ورسولَ

مبارك التركيّ بمائتي الف درهم فجمعنا في يومين الفي الف وسبعمائة الف درهم وبقيت ثلاثمائة الف درهم فتعذّر ذلك قال يحيي فوالله انى لمارّ بالجسر مهموماً مغموماً اذ وثب اليّ زاجر فقال فرخ الطير قفص اُخبرك فطويته ولم ألتفت اليه فلحقنى وتعلق بي فقلت ويحك اذهب عنى فاني مشغول عنك فقال أنت والله مهموم ووالله ليفرجن همك ويمرّ باللواء غداً في هذا الموضع بين يديك فأقبلت أعجب من قوله فقال لي ان كان ذلك فلى عليك خمسة آلاف درهم قلت نعم ولو قال خمسين الف درهم لقلت نعم لبعد ذلك عنى ثم مضيت فو الله ما انصرفت حتى ورد على المنصور الخبر بانتقاض أمر الموصل وانتشار الأكراد بها فقال المنصور ويحكم من لها وكان المسيب بن زهير عند المنصور وكان صديقاً لخالد فقال عندي والله من يكفيكه وأنا أعلم انك ستلقانى بما أكره ولكنى لا أدع على حال نصحك فقال المنصور قل فلست أرد عليك قال يا أمير المؤمنين ما ترميها بمثل خالد فقال المنصور ويحك وتراه يصلح لنا بعد ما آتينا اليه قلت نعم يا أمير المؤمنين وأنا زعيمه بذلك والضامن عليه فتبسم المنصور وقال صدقت والله مالها غيره فليحضر غداً فاُحضر فصفح له عن الثلاث المائة الألف درهم الباقية عليه وعقد له قال يحيي فمررت والله بالزاجر واللواء بين يدى فلما رآني قال أنا هاهنا أنتظرك منذ غُدوة قال فتبسمت اليه فقلت امض فمضى معي ودفعت اليه الخمسة الآلاف الدرهم

مساوى مساوى

قال اسحاق بن ابراهيم الموصلي حضرت مجلس المأمون فقلت يا أمير المؤمنين ألا أحدثك عن الفضل بن يحيي قال بلى فقلت دخلت دار الرشيد واذا الفضل بن يحيي واسماعيل بن صبيح وعبد الملك بن صالح في بعض تلك الأروقة يتحدثون فلما بصر بي الفضل أومأ اليّ وقال يا اسحاق انتظرناك منذ الغداة لتساعد على ما نحن فيه من المذاكرة فقلت ياسيدى أنا السكّيت اذا أجريت الجياد وفاز السابق والمصلّى فقال هيهات عندها مدحت نفسك ولما تكذّب فلما فرغ عبد الملك من حديثه قال الفضل ان لقُسّ حديثاً سمعته

من الخليل بن أحمد فهل عند واحد منكم له ذكرٌ فسكت القوم فقات ياسيدى مانعرف له حديثاً الا حديث خطبته بعكاظ قال ذاك شئ قد فهمته العامة واختبرته الخاصة ثم أطرق ساعة فقلنا ان رأيت أن تحدثنا فقال حدثني الخليل بن أحمد ان قيصر ملك الروم بعث الى قس بن ساعدة أسقف نجران وكان حكيماً طبيباً بليغاً فى منطقه فلما دخل عليه ومثّل بين يديه حمد الله وأثني عليه فأمره بالجلوس فجلس فرحب به وأدنى مجلسه وقال ما زلت مشتاقاً اليك مما أحببت من مناظرتك في الطب فكان أول ما سأله عن الشراب لعجبه به فقال أي الأشربة أفضل عاقبة فى البدن قال ما صفا فى العين واشتد على اللسان وطابت رائحته فى الأنف من شراب الكرم قال فما تقول فى مطبوخه قال مرعي ولا كالسعدان قال فما تقول فى نبيذ الزبيب قال ميت أحيي وفيه بعض المتعة وما يكاد يقوى شئ بعد الموت قال فما تقول فى نبيذ العسل قال نعم شراب الشيخ للابردة والمعدة الفاسدة قال فما تقول فى أنبذة التمر قال أوساخ يطيب مذاقها فى اللهوات وتسوء عاقبتها فى البدن وتولد الأرياح فى البطن لرقتها قال فمن أي شئ يكون الثمل الذى يذهب الغم ويطيب النفس قال زعموا ان العقل تصعده سَوْرة الشراب الى الدماغ الذى هو أصله بقوة الروح الذى جعل فيه فاذا صعدت السورة الى الدماغ الذي هو أصله فاحتوت عليه حتى تغشاه حُجب العقل عن منافعه فاحتجب البصر بغير عمى والسمع بغير صمم واللسان بغير خرس والدليل على ذلك ان السكران لا يرى فى نومه شيئاً ولا تصيبه جنابة فلا يزال العقل كذلك محتجباً حتى تفكه الطبيعة من إسار السكر اما بقوة فيعجل وإما بضعف فيبطئ قال فمن أي شئ الخمار من بعد صحو السكران قال من اعياء الطبيعة عن مجاهدة السورة فى افتكاك العقل وتخلصه حتى يردها الوم الى هُدُوّ وما أشبهه قال الصرف أفضل أم الممزوج قال الصرف سلطان جائر والجائر مستفسد مذموم والممزوج سلطان عادل والعادل مستصلح محمود قال فصف لي الأطعمة قال الأطعمة كثيرة مختلفة وجلة ماآمرك به الامساك عن غاية الاكثار فان ذلك من أفضل مابلوناه من الأدوية ورأس مانأمر به من الحمية قال له عمن حملت الحكمة قال عن عدة من الفلاسفة قال فما أفضل الحكمة قال معرفة المرء بقدره قال فما تقول فى الحلم قال حِلم الانسان ماء وجهه قال

فما تقول فى المال وفضله قال أفضل المال ماأعطى منه الحق قال فما أفضل العطية قال ان يعطى قبل السؤال قال فاخبرنى عما بلوتَ من الزمان وتصرفه ورأيت من أخلاق أهله قال بلونا الزمان فوجدناه صاحباً يخون صاحبه ولا يعتب من عاتبه ووجدنا الانسان صورةً من صور الحيوان يتفاضلون بالعقول ووجدنا الاحساب ليست بالآباء والأمهات ولكنها هي أخلاق محمودة وفى ذلك يقول أو قال أقول

لقد حلبتُ الزمانَ أشطُرَهُ ثم مَخضتُ الصريحَ من حلبِ
فلم أرَ الفضلَ والمعاليَ فى قولِ الفتى إننى منَ العرَبِ
حتى يُرَي سامياً الى خُلُقٍ يذُودُ محمودُهُ عن النّسبِ
ماينفعُ المرء فى فكاهته من عقلِ جدٍّ مضى وعقلِ أبِ
ماالمرء الا ابنُ نفسهِ فيها يُعرَفُ عندالتحصيل للنوَبِ
حتى اذا الموتُ غالَ مُهجتَهُ ألفيتَهُ تربةً منَ التُربِ

ووجدنا أبلغ العظات النظر الى محل الأموات وأحمد البلاغة الصمت ووجدنا لاهل الحزم حذاراً شديداً وبذلك نجوا من المكروه والكرم حسن الاصطبار والعزّ سُرعة الانتصار والتجربة طول الاعتبار قال خبّرنى هل نظرت فى النجوم قال مانظرت فيها الا فيما أردت به الهداية ولم أنظر فيما أردت به الكهانة وقد قلت فى النجوم

علمُ النجومِ على العقول وَبالُ وطِلابُ شيء لايُنالُ ضَلالُ
ماذا طِلابُكَ علمَ شيء أغلقتْ من دونه الأفلاكُ ليس يُنالُ
هيهاتَ ماأحدٌ بغامض قدرهِ يدرى كم الأرزاقُ والآجالُ
إلاّ الذى فوق السماء مكانهُ فلوَجههِ الاكرامُ والاجلالُ

•• قال فهل نظرتَ فى زجر الطير قال نحن معاشر العرب مُولَعون بزجر الطير قال فما أعجب مارأيته منه قال شخصت أنا وصاحب لى من العرب الى بعض الملوك فألفيناه يريد غزو قوم كانوا على دين النصرانيّة فخرج حتى اذا كان على فراسخ من مدينته أمر بضرب فساطيطه وأرْوقته لتتوافى اليه جنوده وضرب له فُسطاط على شاطئ نهر وأمر بخباء فضرب لى ولصاحبى فبينا نحن كذلك اذ أقبل طائران أسود وأبيض وأنا

وصاحبي نَرْمُقهما حتى اذا كانا على رأسه رفرفا وشرشرا ثم غابا ثم رجعا أيضاً حتى اذا كانا قريباً منه طوياه ثم أقبلا نحونا فوقفا ثم رتعا فقال صاحبي مارأيتُ كاليوم طائرين أعجب منهما فأيهما أنت مختار فقلت الأسود قال الأبيض أعجبهما اليّ فتأولتهما قلتُ الليل والنهار يطويان هذا الرجل في سفره فيموت وتأوّلتُ اختيارك الأبيض انك تنصرف بيد بيضاء مخفقة من المال فاذا هو قد غضب فلما جنّ الليل بعث الينا الملك لنسمر عنده فاذا صاحبي قد أخبره بالخبر فسألني فأخبرته وصدقته فغضب وقال هذه حميّة منك لأهل دينك فقلت أما أنا فقد صدقتك فأمر بحبسي ومضى لوجهه فلم يتجاوز الا قليلا حتى مات فأوصى لي بعشرين ناقة وقال قاتل الله قُسًّا لقد محضني النصيحة فانصرفت من سفرى ذلك بعدّة من الابل وانصرف صاحبي مخفقاً من المال ••قال الملك وما رأيتَ أيضاً من الزجر أعجب قلتُ رأيت مرة عند الملك الهمام أبي قابوس وقد خرج عليه خارج من مُضر يريد ملكه وقد حشد له فبعث الى بعض عمّاله في توجيه أربعمائة فارس ووجّهني مع الرسول وأمرنا بالشدّ على أيديهم في جمع الخيل والرجال وكان الرسول شاعرا فبينا نحن نسير اذ سنحت لنا ظباء أعنزٌ فيها تيس يقدُمها وكان أبو قابوس واعدنا للقائه في يوم كذا وكذا فنحن نقول ان كان الملك قد خرج في يوم كذا فهو اليوم في موضع كذا وقد أقبلنا ونحن نقود جيشاً عرمرماً فأنشأ الرسول يقول

ألاَ ليتَ شعرى ماتقولُ السوانحُ   أغادٍ أبو قابوسَ أمْ هو رائحُ

•• قال فنظرت الى التيس عند فراغه من هذا البيت قددخل في مكنسه حتى توارى فيه فدخلني من ذلك مالم أقدر على ان أمسك نفسي حتي استرجعت فقال لي رفيقي مالك قلت ان صدق الزجر فصاحبك قد ثوى في التراب والتحفت عليه أطباق الثرى قال كيفَ ذلك قلت وافقَ فراغك من البيت دخول التيس في مكنسه فاعرض عني فلما أصبحت في اليوم الذى واعدنا للقائه لم يواف ولم يكن بأوشك من أن أتانا الخبر بهلاكه وقعود ابنه فأكرمه قيصر وأحسن جائزته ••قلنا أيدالله الوزير لقد بلغت مابلغت باستحقاق ولقد حزتَ قصب الرهان في كل منقبة فتبسم وقال عن الشريف أدبه واذا

رسول الرشيد قد وافاه فنهض نحوه وتصدع المجلس وانصرفنا فلما مضى من الليل بعضه اذا أنا بطارق قد طرقني وبين يديه غلمان على أعناقهم البدَرُ واذا رسول الفضل وقد حمل اليّ مائة الف درهم وقال الوزير يقرأ عليك السلام ويقول ضجرت باستماع الحديث وأوجبت عليّ بذلك مِنّةً وهذه صلةٌ وتحفة في جنب قدرك عندي فخذهاولا تمتدّ بها فقلت سبحان الله الذى خلق هذا الرجل وجبله على كرم بَذَّ به من مضى ومن غبر واذا هو قد وجه الى أصحابي الذين كانوا معي بمثل الذى وجه به اليّ فغدوتُ اليه وأردت أن أشكره فقال والله لئن ذهبت تكشف ما ستر الله لأجفونك فكأنما ألقمني بذلك حجراً فاحتبسني عنده فطعمت وشربت ورحت وقد حملني على عدة أفراس بسروج مذهبة ولجم مذهبة ووجه معي بعشرة تخوت ثياب وعشر بدَر قال فقال المأمون ويحك يااسحاق ثواب حديثك ضعف ماأمر لك به الفضل وقد أمرت لك بمائة الف درهم فقبضت ذلك وانصرفت .. قال وكان محمد بن حازم قال قصيدته التي يقول فيها

فياشامِتاً مهلا فكمْ منْ شماتةٍ تكونُ لها العُقبى بقاصمةِ الظهرِ

فاعتلّ محمد ولم يكن يرثه الا أخوه وكان بسُرّ من رأى فوجهت اليه جاريته تعلمهُ بشدة علته فقدم أخوه ومحمد لمابه فادخل الجارية بيتاً في الدار ووطئها قبل وفاة أخيه فلما مات حمل المال والأثاث والجارية الى منزله بسر من رأى وأخذ في الشراب فانصرف ليلة ثَمِلاً فأراد المبيت على سطح الدار فمنع من ذلك فامتنع فلما صار في أعلى الدرجة سقط وانقصف ظهره فجعلنا نتذاكر شعر أخيه .. قيل ووفدت عزّة كثيّر على عبد الملك بن مروان فلما دخلت سلمت فردّ عليها السلام ورحب بها وقال ماأقدمك ياعزّة قالت شدة الزمان وكثرة الألوان واحتباس القطر وقلة المطر قال هل ترَوين لكثير

وقد زَعمتْ أني تغيَّرتُ بعدَها ومنْ ذَا الذى ياعَزّ لايتغيّرُ

قالت لاأروى له هذا ولكني أروى له قوله

كأنّي أنادي صخرةَ حينَ أعرضَتْ من الصّمّ لو تمشي بها العُصمُ زلّتِ

فقال ما كنت لتصيرينَ الى حاجةٍ أو تهبين نفسك لي فأزوّجك منه قلت الأمر اليك يأمير المؤمنين ما كنت لأزهد فى هذا الشرف الباقى لى مادامت الدنيا أن يكون أمير المؤمنين وليّي فعظم بذلك قدرها عنده وأمر لها بمالٍ وكتب الى كثير وهو بالكوفة أن اركب البريد وعجّل فاني مزوّجك عزّة فأتاه الكتاب وهو مُضنًى من الشوق اليها فرحل فأقبل نحوها فلماكان فى بعض الطريق اذا هو بغراب على شجرة بانة واذا هو ينتف ريشه ويطايره وكان شديد الطيرة فلما رآه تطيّر وهمّ بالانصراف ثم غلبه شوقه فمضى وهو مكروب لما رأى حتى أتى ماء لبنى نهدٍ فاذا هو برجل يسقى إبله فنزل عن راحلته واستظلّ بشجرة هناك فأبصره النهديّ فأتاه وسأله عن اسمه ونسبه فانتسب فرحب به فأخبره عما رأى فى طريقه فقال أما الغراب فغربة وأما البانة فبينٌ وأما نتف ريشه ففرقة فاستطير لذلك ومضى حتى دنا من دمشق فاذا بجنازة فاستعبر وقال اسأل الله خير ماهو كائن فسأل عن الميت فاذا هي عزّة فخرّ مغشياً عليه فعُرفَ وصُبّ عليه الماء فكان مجهوده ان بلغ القبر فلما دُفنت انكبّ على القبر وهو يقول

سراجُ الدجى صفرُ الحشى مُنتهى المنى ... كشمس الضحى نوّامةٌ حين تُصبحُ
إذا ما مَشتْ بين البيوتِ تخزّلتْ ... ومالتْ كما مالَ النزيفُ المرنَّحُ
تعلقتُ عزًّا وهيَ رُودٌ شبابُها ... علاقةَ حُبٍّ كادَ بالقلبِ يَرجحُ
أقولُ ونِضوى واقفٌ عند رَمسها ... عليكِ سلامُ اللهِ والعينُ تسفحُ
فهلاّ فداكِ الموتَ مَن أنتِ دُونَه ... ومَن هوَ أسوا منكِ دَلاًّ وأقبحُ
على أمِّ بكرٍ رحمةٌ وتحيةٌ ... لها منكَ والنائي يَودُّ ويَنصَحُ
مُنعَّمةٌ لو يدرُجُ الذرُّ بينها ... وبين حواشي بُردِها كادَ يجرَحُ
وما نظرَت عيني الى ذي بَشاشةٍ ... من الناس الاّ أنتَ فى العين أملحُ

ثم بكى حتى غُشِيَ عليه فأفاق وهو يقول

وما أعيفَ النهديّ لا درَّ دَرُّه ... وأزجرَه للطيرِ لاطارَ طائرُه
رأيتُ غراباً ساقطاً فوقَ بانةٍ ... يُنتّف أعلى ريشِهِ ويُطايرُه

فقال غُرابٌ إغترابٌ من النوى … وَبانةُ بَينٌ من حبيبٍ تُعاشِرُه

ثم لم يزل باكياً حتى أدركه الموت ولم يُرَ ضاحكاً بعدها .. وقيل فيه من الشعر

تَنادَي الطائران بِبينِ سَلمى … على غُصنَين من غَرَبٍ وبانِ

فكانَ البانُ أنْ بانَتْ سُليمى … وفى الغَرَبِ اغترابٌ غيرُ دانى

أخذه أبو الشيص فقال

أشاقَكَ والليلُ مُلقى الجِرانِ … غُرابٌ يَنوحُ على غُصنِ بانِ

أحصُّ الجناحِ شديدُ الصياح … يُبكّى بعينَينِ ما تَدمَعانِ

وفى نَعباتِ الغُرابِ اغترابٌ … وفِى البانِ بَينٌ بعيدُ التدانى

.. ولآخر

أقولُ يومَ تلاقينا وقد سجَعَتْ … حمامتانِ على غُصنين من بانِ

ألآنَ أعلمُ أنّ الغصنَ لى غُصصٌ … والبانَ بَينٌ قريبٌ عاجلٌ دانِى

فقمتُ تخفِضُنِي أرضٌ وترفعُني … حتى وثبتُ وهدّ السيرُ أركاني

.. ولآخر

أقولُ وقد صاحَ ابنُ دَأْيَةَ غُدوةً … بوَشكِ النوى لا أخطأتكَ الشوابكُ

أفى كلّ يومٍ رائعى منكَ روعةٌ … ببينونةِ الأحبابِ عِرسُكَ فارِكُ

فلا بِضتَ فى خضراء ما عشتَ بيضةً … وضاقتْ برحبِها عليكَ المسالكُ

محاسن الشعر فى هذا الفن

لبعضهم

وقالوا عُقابٌ قلتُ عُقبى من النوى … دَنتْ بعد شَحطٍ منهمُ ونُزوحُ

وقالوا حَمامٌ قلتُ حُمَّ لقاؤها … وعادت لنا ريحُ الوصالِ تفوحُ

وقالوا دمٌ دامتْ مودّةُ بيننا … وطاحٌ فَنيلَتْ والمطيُّ طلوحُ

وقالوا تغنّى هُدهُدٌ فوق أيكةٍ … فقلتُ هُدًى تغدو بنا وتروحُ

وحكي عن النعمان بن المنذر انه خرج يتصيّد ومعه عدى بن زيد فمرّ بآرام وهي القبور فقال عدىّ أبيتَ اللعن أتدرى ما تقول هذه الآرام قال لا قال انها تقول

أيها الركبُ المُخبو ... نَ على الأرض تمرُّونْ

فكما كنـتم فكنّا ... وكما نحنُ تكونونْ

قال أعِدْ فأعاد فرجع كئيباً وترك صيده قال ثم خرج معه خرجة أخرى فوقف على آرام بظهر الكوفة فقال أبيتَ اللعن أتدرى ما تقول هذه الآرام قال لا قال فانها تقول

رُبَّ ركْبٍ قد أناخوا عنـدنا ... يشربونَ الخمرَ بالمـاء الزلالِ

ثمَّ أضحَوْا عَصَفَ الدهرُ بهمْ ... وكذاكَ الدهرُ حالٌ بعدَ حالِ

فانصرف وترك صيده •• عبد الله بن مسلم قال حُدِّثت عن معاوية انه سأل عبيد بن شرية الجرهمي عن أعجب شيء رآه قال نزلت بحيّ من قضاعـة في الجاهلية فأخرجوا جنازة لرجل من بني عذرة فخرجت معهم حتى اذا واروه تنحيت جانباً وعيناي تذرفان ثم تمثلت بأبيات من شعر كنت رويتها قبل ذلك الزمان

إستقدِرِ اللهَ خيراً وارضينَّ بهِ ... فبينما العسرُ اذ دارت مَياسيرُ

وبينما المرء في الأحياء مغتبطٌ ... إذصارفي الرمس تعفوه الأعاصيرُ

يَبكي الغريبُ عليهِ ليس يعرفُهُ ... وذو قرابَتهِ في الحيِّ مسرورُ

حتى كأنْ لم يكنْ الاّ تذكُّرُهُ ... والدَّهرُ أيَّتمـا حالٍ دهاريرُ

قال والى جانبي رجلٌ يسمع ما أقول فقال أتدرى من قائل هذه الأبيات قلت لا والله قال والذى يُحلَف به انه لَصاحب هـذا القبر وهذا ذو قرابته أسرُّ الناس بموته وأنت الغريب تبكي عليه فعجبت مما ذكره في شعره والذى صار اليه من قوله كأنه نظر الى نفسه بعد موته •• قال ولما بعث أبو بكر الصديق رضى الله عنه خالد بن الوليد الى أهل الردة انتهى الى حيّ من تغلب فأغار عليهم وقتلهم وكان رجل منهـم جالساً على شراب له وهو يغني بهذه الأبيات

ألا علّلاني قبلَ جيشِ أبي بكرِ ... لعلَّ منايانا قريبٌ وما ندرى

فوقف عليه رجل من أصحاب خالد فضرب عُنقه واذا رأسه في الجفنة التي كان يشرب

منها ولذلك قيل ﴿ انّ البلاء موكّلٌ بالمنطقِ ﴾

وحدثنا الحسين بن الضحاك قال شهدت الواثق وكان قاعداً فى مجلس وكان أول مجلس قعده فكان أول ما تغني من الغناء فى ذلك المجلس صوت ابراهيم بن المهدىّ فغنت به شارية جارية ابراهيم

ما درَى الحاملون يومَ استقلوا نعشَهُ للثواء أم لِلّقاء
فلتقُلْ فيك باكياتٌ كما شئـــنَ صباحاً وعندَ كلِّ مَساء

قال فبكى والله وبكينا حتى شغلنا البكاء عن جميع ما كنا فيه ثم اندفع بعض المغنين فغنى

ودِّع هريرةَ ان الرَّكبَ مُرتحِلُ وهلْ تُطيقُ وَداعاً أيُّها الرجلُ

قال فازداد والله فى البكاء ثم قال أسمعت كاليوم قط تعزية بأب ونعي نفس ثم ارفضّ ذلك المجلس .. وحدثنا ابن المكى عن أبيه قال قال محمد الأمين فى آخر أيامه يا مكيُّ والله أُحب أن أقعد يوماً قبل أن يحال بيننا وبين ما نريد فقلت يا أمير المؤمنين افعل ذلك فقال اغد عليَّ في غد قال فانصرفت وغـدا عليّ رسوله فى السحر فجئت اليه وهو فى صحن داره وعليه جُبةٌ وشي مُذهبة تأتلق وعمامة مثلها ما رأيت لأحد قط مثل ذلك وتحته كرسيّ من ذهب مرصع بالجوهر فدعا بكرسي فجلست عليه عن يساره ثم قال لخادم على رأسه ادع لي فلانة وفلانة حتى عد أربع جوار ما منهن جارية الا وأنا أعرف حِذقها وجودة غنائها فخرجن وجلسن عن يمينه ثم قال يا غلام عليَّ برطلٍ فأتى برطل وقدح بلُّور مكلل بالجوهر فالتفت الي التي تليه فقال لها غني فضربت ضرباً حسناً وتغنت بشعر الوليد بن عُقبة بن أبى مُعيط

همُ قتلوهُ كىْ يكونوا مكانَهُ كما قتلَتْ كسرى بلَيلٍ مرازبُه
بني هاشمٍ ردوا سلاحَ أخيكمُ ولا تنهبوه لا تحلُّ مناهبُه

قال فرمى بالقدح فى وسط الدار ثم قال لعنك الله ما هذا قالت لا والله يا سيدى ما جاء على لساني غير هذا ثم التفت الى الغلام فقال اسقني فأتاه بقدح مثل الأول وقال للأُخرى غني فغنت ماقيل فى كليب وائل

كُليبٌ لَعمري كانَ أكثرَ ناصراً وأيسرَ ذَنباً منكَ ضُرِّجَ بالدَّمِ

فرمى بالقدح في صحن الدار وكسره ثم قال يا غلام عليّ برطل وقال للثالثة غني فغنت

أتقتلُ عمراً لا أبا لكَ شارداً · وتزعمُ بعدالقتـل أنك هاربُ
فلوكنتَ بالأقطارِ مافتّ ضربتي · وكيف تفوتُ الحينَ والدّمُ طالبُ

قال فرماها بالقدح وقال يا غلام عليّ برطل وقال للرابعة غني فغنت

كأن لم يكنْ بين الحجونِ الى الصفا · أنيسٌ ولم يسمُرْ بمكة سامرُ
بلى نحنُ كنا أهلها فأبادَنا · صروفُ الليالي والجدودُ العواثرُ

قال فالتفت اليّ وقال قد سمعت هذا أمر يريده الله جلّ وعزّ قال فما مضت أيام حتى رأيت رأسه بين شُرفتين من شُرَف قصره

محاسن ترك التطير

روى عن عكرمة قال كنا جلوساً عند ابن عباس وابن عمر فمرّ طائر يصيح فقال رجل من القوم خير فقال ابن عباس لا خير ولا شر ٠٠ وأنشد في مثله

ما فرّقَ الأحبابَ بعْـدَ اللهِ الاّ الابلُ
والناسُ يلحَوْنَ غُرا · بِ البَيْن لمّا جهلوا
وما على ظهر غرا · ب البين تُطوَى الرحَلُ
ولا إذا صاحَ غُرا · بٌ في الديار احتملوا
وما غرابُ البين إ · لاّ ناقةٌ أوْ جملُ

٠٠ ولآخر

أترحلُ عمّنْ أنتَ صبٌّ بمثلهِ · وتلحَى غُرابَ البين انك ذوظلُم
أقِمْ فغرابُ البينِ غيرُ مفرّقٍ · ولا نازلٌ إلاّ على أفضلِ الحكمِ

٠٠ آخر

غلطَ الذينَ رأيتُهمْ بجهالةٍ · يَلحَونَ كلهُمْ غراباً يَنعِقُ
ماالذنبُ الاّ للجمال فانها · مما يشتّتُ جمعهمْ ويُفرّقُ
إنّ الغرابَ بيمنِه يُدني النوي · وتُشتتُ الشّملَ الجميعَ الأينُقُ

محاسن المواعظ

قال وحكى عن الأوزاعى قال بعث الىّ المنصور فقال لِمَ تبطيء عنّا قلت وما تريد منّا قال لآخذ عنكم وأقتبس منكم فقلت له مهلاً فان عروة بن رُوَيم أخبرني أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال من جاءته موعظة من ربّه فقبلها شكر اللهُ له ذلك ومن جاءته فلم يقبلها كانت حجة عليه يوم القيامة مهلاً فان مثلك لا ينبغي له أن ينام انما جُعِلَت الأنبياء رعاة لعلمهم بالرعيّة يجبرون الكسير ويُسمنون الهزيلة ويردون الضالّة فكيف من يسفك دماء المسلمين ويأخذ أموالهم أعيذك بالله أن تقول إن قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم تدعوك الى الجنة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت في يده جريدة يستاكُ بها فضرب بها قرن اعرابى فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله تبارك وتعالى لم يبعثك جبّاراً مؤيساً مقنّطاً تكسر قرون أمتك ألق الجريدة عن يدك فدعا الاعرابي الى القصاص من نفسه فكيف بمن يسفك دماء المسلمين ان الله عز وجل أوحي الى من هو خير منك الى داود عليه السلام ﴿ يا داودُ إنّا جعلناك خليفةً في الأرضِ فاحكُمْ بينَ الناسِ بالحقِّ ﴾ وأوحي اليه ياداود اذا أتاك الخصمان فلا يكونن لأحدهما على صاحبه الفضلُ فأمحوك من ديوان نبوّتى واعلم أن ثوباً من ثياب أهل النار لو عُلِّق بين السماء والأرض لمات أهل الأرض من نتن ريحه فكيف بمن تقمّصه ولو ان حلقة من سلاسل جهنم وُضعت على جبال الدنيا لذابت كما يذوب الرصاص حتى تنتهي الى الأرض السابعة فكيف بمن تقلدها .. قال ودخل عمرو بن عبيد على المنصور فقال يا أمير المؤمنين ان الله عزوجل يقفك ويُسائلك عن مثقال ذرّة من الخير والشر وأن الأمة خصماؤك يوم القيامة وان الله جل وعز لايرضي منك إلاّ بما ترضاه لنفسك ألا وانك لاترضى لنفسك إلاّ بأن يعدل عليك وان الله جل وعز لايرضى منك إلاّ بأن تعدل على الرعية ياأمير المؤمنين ان وراء بابك نيراناً تتأجج من الجور والله ما يُحكم وراء بابك بكتاب الله ولا بسنّة نبيه صلى الله عليه وسلم قال فبكى المنصور فقال سليمان بن مُجالد وهو واقف على رأس المنصور ياعمرو قد شققتَ على أمير

المؤمنين فقال عمرو يا أمير المؤمنين من هذا قال أخوك سليمان بن مجالد قال عمرو ويلك يا سليمان ان أمير المؤمنين يموت وان كل ماتراه يَنفَد وانك جيفة غداً بالفناء لاينفعك إلاّ عملٌ صالح قدّمتَه ولَقُربُ هذا الجدار أنفع لأمير المؤمنين من قُربك اذ كنت تطوى عنه النصيحة وتنهي مَن ينصحه يا أمير المؤمنين ان هؤلاء اتخذوك سُلّماً الى شهواتهم قال المنصور فأصنعُ ماذا أدعُ لي أصحابَك أُوَلِّهم قال آدعهم أنت بعمل صالح تُحدِثه ومُرْ بهذا الخاق فليُرفع عن أعناق الناس واستعمل في اليوم الواحد عُمّالا كلما رابك منهم ريبٌ أو أنكرت على رجلٍ عزلته ووليت غيره فوالله لئن لم تقبل منهم إلاّ العدل ليتقرّبن به اليك من لانيّة له فيه ٠٠ وحدث محمد بن عبد الله قال قال المنصور لجعفر بن حنظلة البهرانى عِظْنى قال فقلت يا أمير المؤمنين أدركتُ عمر بن عبد العزيز سنتين لم يتخذ مالاً ولم يُنشئ عيناً ولم يستخرج أرضاً ولم يضع لبنةً على لبنة ولا أُحصِي كمْ من ولده تحمّل الحمالات وحمل على الخيل وولى هشام بن عبد الملك ثمان عشرة سنة مامنها سنةٌ إلاّ وهو ينشئ فيها عيوناً ويتخذ فيها أموالا ويقطع لولده القطائع ولا أعرف اليوم من ولده رجلا يشبع فقال والله لقد وعظتَ وأحسنتَ قال جعفر ففرحت ان نجعَت عِظَتي فى أمير المؤمنين قال فأطرق ساعةً ثم قال ياغلام أدعُ لي سليمان بن مجالد فدعاه فقال ياسليمان علّقْ أصحاب قيايا بأرجُلهم حتى يؤدوا ما عليهم وكان قد جعلها لصالح ابنه فعلمتُ ان عِظَتى لم تنفع قليلا ولا كثيراً ٠٠ وحدث محمد ابن عبد الله الخراسانى قال حدثني المفضل الضّبي قال سمعت المسيب بن زهير يقول بينا المنصور يطوف بالبيت وأنا قُدّامه واذا رجلٌ مستلم الركن فقلت له تنحّ فقد جاء أمير المؤمنين كرّتين أو ثلاثا فلم يبرح حتى رمقه المنصور وسمعه وهو يقول اللهم إنى أشكو اليك ظهور الجور والبغي والفساد فى الأرض وما يحول بين المرء وقلبه من الطمع فلما سمعه قال لي يا مسيب عليَّ بالرجل فقلت له أما إذ قد ابتليت بك فأجبْ قال حتى أُتم طوافى فلما أتم طوافه قلت له أجب الآن فقد فرغت من طوافك قال حتى أُصلّي ركعتين قلت نعم فصلّ فصلي ركعتين ثم أدخلته على المنصور فلما رآه قال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته قال وعليك السلام ماهذا الكلام

الذي سمعتك تلفظ به آنفاً عند الركن قال أوَسمعته يا أمير المؤمنين قال نعم قال هو ذاك ألستَ ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ألست الخليفة مابقيت غاية إلاّ وقد بلغتها أتطمع أن تنال ماعند الله جل وعز بما أنت فيه قال وفيم أنا قال أُخبرك بما لا تقدر أن تدفعه قال وما هو قال عمدتَ الى الطين فأوقدتَ عليه فصيَّرت منه الآجُر ثم عمدت الى الرمل وأوقدت عليه فصيرت منه الجص وصيرت بعضه فوق بعض فبنيتَ لك منها الحصون المشيَّدة والقصور العالية ثم غلّقت عليها أبواب الحديد فاحتجبت عن الناس أجمعين ثم أقعدت على الأبواب أقواماً عبدوك من دون الله فلما قال له ذلك استوى جالساً ثم قال أنا قال نعم أنت أما سمعت الله جل ذكره يقول ﴿ إتخذوا أحبارَهُمْ ورُهبانَهُمْ أرباباً مِنْ دونِ اللهِ ﴾ ما صلوا لهم ولا صاموا ولكنهم أمروهم فأطاعوهم في كل ما أرادوا ولم يخالفوهم فكانت تلك رُبوبيتهم ثم اتخذتَ بطانةً يسيرة وقلتَ لايدخل عليّ إلاّ فلان وفلان فرفع أولئك اليك من أمور المسلمين ماهان عليهم وخفف عليك فاذا جاء المظلوم الي الباب لم يصِلْ اليك فصار الى بعض من يصل اليك فقال ارفع قصتي هذه الي أمير المؤمنين قال نعم فدفعها اليه فاذا هو يتظلم من بعض من يصل اليك فأرسل اليه الظالم الذي ظلم صاحب القصة والله لئن رفعت قصة فلان الى أمير المؤمنين لأرفعن قصة فلان الذي ظلمته في كذا وكذا فأمسك القصة ولم يرفعها فعند ذلك اقتطعت حقوق الناس دونك وأنت محصور في قصرك تظن انك في شيء أو على شيء والناس وراء بابك يُقتلون ويؤكلون والله لقد دُفِعْتُ الى جزيرة من جزائر البحر واذا ملك تلك البلاد مُشرك وصنمه في كمه وتُسمى البلاد الصين فرأيتُه ذات يوم وهو يبكي في مجلسه فقام اليه وجوه مملكته فقالوا ما يُبكيك أدام الله ملكك وأعزك أيها الملك أليس قد مكّن الله لك أليس قد مهد الله لك قال أبكي لصممٍ قد اعتراني أخافُ أن لا أسمع صوت مظلوم وصارخ بالباب ألا وقد آليت عليكم أن لا يركب منكم الفيل ولا يلبس ثوباً أحمر إلاّ مظلوم حتى أعرفه قال فلقد والله رأيته يركب بالغداة والعشي يتصفح الوجوه هل يرى مظلوماً فينصفه فهذا لايعرف الله جل وعز ولا يريد بذلك نعمةً عند الله جل وعز ولا زُلفي لديه ولا رجاء ثواب ولا مخافة عقاب ولكن شفقةً على

ملكه وخوفاً من أن ينتشر عليه أمره فيخاف أن يذهب ملكه وهو مشرك يفعل هذا ويتفقده من نفسه ورعيته وأنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت أولى بهذا الفعل من ذلك المشرك قال صدقت قد عرفتُ الذى قلتَ وفهمتُ ما وصفتَ والأمر على ماذكرت ولكن كيف أصنع وقد بُليتُ بأمر الأمة ودعوت الفقهاء فلاناً وفلاناً على أن أستعين بهم على ما أنا فيه فهربوا منى قال انهم لم يهربوا منك ولكن لم يعلموا انك تريدهم للعمل بالحق وكان العمل معك ومعونتك أوجب عليهم من الصلاة والصيام والحج والنوافل ولكنهم هربوا خوفاً على أبدانهم من عذاب الله وذلك أنهم تخوّفوا أن تحملهم على مثل رأيك قال المنصور فهذا عمي عيسى بن علي الضامن عليّ أنك ان أتيتني بهم أطلقتُ أيديهم في انصاف الناس ولا أخالفُ أمرهم فقال الرجل أكذا ياعيسى أنت الضامن على ماقال الخليفة قال نعم قال الله حتى قالها ثلاثاً قال وأقيمت الصلاة فافترقنا فلما صلينا طُلِبَ الرجل فلم يوجد فكانوا يرون أنه الخِضرُ عليه السلام أو ملَك أرسل اليه ٠٠ وحكي عن الحجاج قال حججت فنزلت ضريّةَ فاذا اعرابيٌّ قد كوّر عمامته على رأسه وتنكّبَ قوسه وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انما الدنيا دار ممَرٍّ والآخرة دار مقرٍ فخذوا من ممرّكم لمقرّكم ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم أما بعد فانه لم يستقبل أحدٌ يوماً من عمره إلاّ بفراق آخر من أجله فاستصلحوا لأنفسكم ماتقدمون عليه بما تظعنون عنه وراقبوا من ترجعون اليه فانه لاقوىّ أقوى من خالق ولا ضعيف أضعف من مخلوق ولا مهرب من الله إلا اليه وكيف يهربُ من يتقلّب فى يدَىْ طالبه وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زُحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور ٠٠ وقال بعض الاعراب ان الموت ليقحم على الشيب تقحّم الشيب على الشباب ومن عرف الدنيا لم يفرح فيها برخاء ولم يحزن فيها على بَلْوى ولا طالبٌ أغشم من الموت ومن عطف عليه الليل والنهار أردياهُ ومن وُكِّلَ به الموت أفناه ٠٠ وقال اعرابي كيف تفرح بعُمْر تَنقُصه الساعات وسلامة بدن معرض للآفات ولقد عجبت من المؤمن يفر من الموت وهو سبيله الى الثواب ولا أرى أحداً إلاّ سيُدْركه الموتُ وهو منه آبقٌ ٠٠

وقال عتيق بن عبد الله بن عامر بن الزبير كنت عند سليمان بن عبد الملك فدخل عليه عمر بن عبد العزيز فقال يا أمير المؤمنين بالباب اعرابيٌّ له حزمٌ ودين ولسان فقال يؤذن له فلما دخل قال له سليمان تكلم قال يا أمير المؤمنين انى مكلمك بكلام فاحتمله إن كرهته فان وراءه ماتحب قال يا اعرابي انا لنحتمل ممن لاينصح وأنت الناصح جيباً والمأمون غيباً فقال أما اذا أمنتُ بادرةَ غضبك فاني سأطلق من لساني ماخرست عنه الألسن تأديةً لحقّ الله جل ذكره وحقّ امامتك يا أمير المؤمنين انه قد تكنفك قوم قد أساؤا الاختيار لأنفسهم فابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك حربٌ للآخرة سلم للدنيا فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله جل وعز فانهم لايألون للأمانة تضييعاً وللأمة خسفاً وعسفاً وأنت مسؤل محاسب على ما اجترحتَ فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان أعظم الناس غبناً بائع آخرته بدنيا غيره فقال سليمان يا اعرابي ان لسانك لأقطع من سيفك قال أجل يا أمير المؤمنين هو لك لاعليك فقال له هل لك حاجة في ذات نفسك قال لاحاجة لي في شيء خاص دون عامّ ٠٠ وعن أبي بكر الهذلي قال بعث عمر بن هبيرة الى الحسن البصري وابن سيرين والشعبي فقدموا عليه وهو بواسط وكان رجلا يحبّ حسن السيرة ويسمع من الفقهاء فلما دخلوا عليه ألطفهم وأمر لهم بنزل وحسن ضيافة فأقاموا على بابه شهراً فغدا عليهم حسن بن هبيرة ذات يوم فقال ان الأمير داخلٌ عليكم فجاء يتوكّأ على عُكّازٍ له حتى دخل فسلم ثم قال ان يزيد بن عبد الملك عبد من عبيد الله أخذ عهودهم وأعطاهم عهده كي يسمعوا له ويطيعوا وانه يأتيني منه كتبٌ أعرف في تنفيذها الهلكة فان أطعته عصيتُ الله فما ذا تأمرون فقال الحسن يا بن سيرين أجب الأميرَ فسكت فقال للشعبي أجب الأمير فتكلم بكلام هيبةٍ فقال يا أبا سعيد ماتقول فقال أما إذ سألتني فانه يحقُّ عليّ أن أجيبك ان الله جل وعز مانعك من يزيد ولن يمنعك يزيد من الله وانه يوشك ان ينزل بك ملكٌ من السماء فيستنزلك من سريرك وسعة قصورك الى باحة دارك ثم يخرجك من باحة دارك الى ضيق قبرك ثم لايوسع عليك الا عملك يا بن هبيرة اني أنهاك عن الله جل وعز فانما جعل الله جل وعز السلطان ناصراً

لعباده ودينه فلا تركبوا عباد الله بسلطان الله فتذلوهم فانه لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق يابن هبيرة لاتأمن أن ينظر الله جل وعزّ اليك عند أقبح ماتعمل فى طاعته نظرة مقتٍ فيغلق عنك باب الرحمة يابن هبيرة انى قد أدركت أناساً من صدور هذه الأمة كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم وكانوا لحسناتهم أن لاتقبل أخوفَ منكم لسيآتكم أن لاتغفر وكانوا لثواب الآخرة أبصر منكم لمتاع الدنيا بأعينكم وكانوا عن الدنيا وهي عليهم مقبلة أشد إدباراً من اقبالكم عليها وهي عنكم مدبرة ياعمر انى أخوّفك مقاماً خوّفكه الله جل وعز من نفسه فقال (ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيدى) ياعمر ان تكن مع الله على يزيد يكفك الله بائقته وان تكن مع يزيد على الله يكلك اليه قال فبكى ابن هبيرة وقام فى عَبرته وانصرف وأرسل اليهم من الغد بجوائزهم وأعطى الحسن أربعة آلاف درهم وابن سيرين والشعبي ألفين ألفين فخرج الشعبي الى المسجد وقال من قدر منكم أن يؤثر الله جل وعزّ عن خلقه فليفعل فان ابن هبيرة أرسل الىّ والى الحسن وابن سيرين فسألنا عن أمر والله ماعلم الحسن شيئاً جهلته ولا علمت شيئاً جهله ابن سيرين ولكننا أردنا وجه ابن هبيرة فأقصانا الله جل وعز وقصر بنا وأراد الحسن وجه الله فحباه تبارك اسمه وزاده .. وعن المدائنى عن على ابن حرب قال قال الشعبي جمعنا عمر بن هبيرة بواسط وفينا الحسن البصرى فقال أنا ولىّ هذه الرعية وربما كان منى الشئ الذى لاأرضاه وأمور ترد علىّ من رأى أمير المؤمنين أكره امضاءها وانفاذها فقال الشعبي لاعليك أيها الأمير انما الوالى والد يخطئ ويصيب وما يرد عليك من رأى أمير المؤمنين فان استطعت أن تردّه فاردده والا فلا ضيرَ عليك فقال ماتقول ياأبا سعيد فقال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استرعاه الله جل وعز رعية فلم يحط من ورائها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة وأمارأى أمير المؤمنين فاذا ورد عليك فاعرضه على كتاب الله فان وافقه فأمضه وان خالفه فاردده فان الله جل وعز يمنعك من يزيد ولن يمنعك يزيد من الله ثم أقبل الحسن على الشعبي فقال ويلك ياشعبي يقول الناس ان الشعبي فقيه أهل الكوفة فدخل على جبار من الجبابرة فزين له المعصية فقال والله ياأبا سعيد لقد قلت وأنا أعلم مافيه قال

ذلك أوكد للحجة عليك وأبعد لك من العذر •• قيل ووجد في كتب بزرجمهر صحيفة فيها ان حاجة الله جل وعز الى عباده أن يعرفوه فمن عرفه لم يعصه طرفة عين كيف البقاء بعد الفناء كيف يأسي المرء على مافاته والموت يطلبه فقال كسرى لم يكن ممن حُقّ عليه أن يُقتل وأنا نادم على ذلك •• قيل وحضرت الوفاة رجلا من حكماء فارس فقيل له كيف حالك فقال كيف يكون حال من يريد سفراً بعيداً بغير زاد ويقدم على ملك عادلٍ بغير حجة ويسكن قبراً موحشاً بغير أنيس

مساوي المواعظ

قال لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز جزع عليه عمرُ جزعا شديداً فقال ذات يوم لمن حضره هل من منشد شعراً أتعزّى به أو واعظٍ يخففُ عني فأتعزّى وأتسلّى فقال رجل من أهل الشام ياأمير المؤمنين كل خليل مفارق خليله بأن يموت أو بأن يذهب الى مكان فتبسم عمر رحمه الله ثم قال ويحك مصيبتي فيك زادتني مصيبة •• قيل وأصيب الحجاج بمصيبة وعنده رسول عبد الملك بن مروان فقال ليت أني وجدت انساناً يخفف عني مصيبتي فقال رجل ممن حضر أقول قال قل فقال كل انسان يفارق صاحبه بموت أو يصلب أو يقع من فوق البيت أو يقع البيت عليه أو يسقط في بئر أو يُغشي عليه أو يكون شيء لايعرفه فضحك الحجاج وقل مصيبتي في أمير المؤمنين أعظم حيث وجه بمثلك رسولا

محاسن ماقيل في المراثي

قال أبو عبيدة معمر بن المثنّى التيميّ أحسن مناطق الشعر المراثي والبكاء على الشيب وكان بنو مروان لايقبلون الشاعر الا أن يكون راوية للمراثي ويقولون ان فيها ذكر معالي الأمور •• وقيل لأبي عبيدة ماأجود الشعر فقال النمط الأوسط يعني المراثي •• قال وسألتُ أعرابياً ماأجود الشعر عندكم قال مارثينا به آباءنا وأولادنا وذلك

انا نقولها وأكبادنا تحترق •• قيل وقال المأمون لبعض جلسائه ما أحسن ماقيل في المراثى فقال قوله

فتىً لم تكذّبْ موتهُ نائباتهُ ... بماقلنَ فيه لاولاالمادحُ المُطرى
فتي لم يزلْ مُذْشدّ عقدَ إزارهِ ... مُشيدَ المعالى أو مقيماً على ثغر

•• قال الأصمعيّ قدم علينا أعرابيٌّ فقام عندنا أياماً ثم رجع الى البادية فسأل عن اخوانه وأترابه فأخبر ان الدهر أبا دهم وأفناهم فبكي وأنشأ يقول

ألاَ ياموتُ لم أرَ منكَ بُدًّا ... أتيتَ فما تحيدُ ولاتحابى
كأنكَ قد هجمتَ على مشيبي ... كما هجمَ المشيبُ على شبابى

قال أبو العيناء ابن أبي طاهر أشعر الناس في بيتيه حيث يقول

إذهبا بي إنْ لم يكنْ لكما عَقـــرٌ الى تُربِ قبرهِ فاعقـرانى
وانضحا منْ دمي عليه فقدكا ... نَ دمي منْ نداهُ لوْ تعلمانِ

•• وقال في مثله

اذا ماالمَنايا أخطأتكَ وصادفَتْ ... حَميمَكَ فاعلم أنها ستعودُ
وانّ امرأً ينجو منَ النار بعدَما ... تزَوّدَ منْ أعمالهـا لَسعيدُ

عبد الرحمن بن عيسى بن حمّاد الهمذاني في حمويه كاتب أحمد بن عبدالعزيز

حَسُنَتْ لمفقدِكَ كثرةُ لأحزان ... بلْ هانَ بعدكَ نائبُ الحدَثانِ
ماكانَ حقّكَ أنْ تصيرَ الىالبلاَ ... وأعيشَ لولا قسوةُ الانسانِ

•• ولآخر

اذا ماالدهرُ جرَّ على أناسٍ ... كلاكلهُ أناخَ بآخرينا
فقلْ للشامتينَ بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتونَ كما لقينا

ولعبدة بن الطبيب في قيس بن عاصم

عليكَ سلامُ الله قيسَ بنَ عاصمٍ ... ورحمتُهُ ماشاء أنْ يترحّما
سلامُ امرىءٍ وليتهُ منكَ نعمةً ... اذازارَعنْ شحطٍ بلادكَ سلّما
فما كانَ قيسٌ هلكهُ هلكَ واحدٍ ... ولكنهُ بنيانُ قومٍ تهدما

البسامى يرثي عبيد الله بن سليمان بن وهب

قد انقضى العيش ومات الكمال وقال صرف الدهر أين الرجال
هـذا أبو القاسم فى نعشه قوموا انظروا كيف تزول الجبال

وله فيه

لست مستسقيا لقبرك غيثا كيف يظما وقد تضمن بحرا
أنت أولى بأن تعزى من النا س فقد مات بعدك الناس طرا

•• ولأبي الحسين بن أبي البغل

بعدت ديارك غير أني موجع والهم منى في الحشا متدانى
فاذهب فقد عمرت بشخصك حفرة فضلت على متشامخ البنيان
ولئن صبرت فاصبرت تأسيا لكن ذلك غاية الوهان

مساوى ماقيل فى المراثى

القاسم بن عبيد الله عند موته

فلا تأمنن الدهر انى أمنته فلم يبق لى حالا ولم يرع لى حقا
قتلت صناديد الرجال فلم أدع عدوا ولم أترك على ظهرها خلقا
وأفنيت دار الملك من كل بارع فشتتهم غربا وشردتهم شرقا
فلما بلغت النجم عزا ورفعة وصارت رقاب الخلق أجمع لى رقا
رمانى الردى سهما فأخمد جمرتي فها أنا ذا فى حفرتي ميتا ألقي
ولم يغن شئ ما جمعت ولم أجد لدى قابض الأرواح فى فعله رفقا

ولبعضهم فى القاسم بن عبيد الله

خرجت من الدنيا ذميا الى القبر فلا أحد يأسى ولا عبرة تجرى
وترت رسول الله فى أهل بيته فكيف رأيت الله طالب بالوتر

•• الجاحظ قال مررت بقبرين مكتوب على أحدهما أنا ابن سافك الدماء وعلى الآخر أنا

ابن ساجن الريح فسألتُ عنهما فقيل كان أحدهما حجّاما والآخر حداداً .. قال الكسروي مررت بناووس فى الريّ فاذا عليه مكتوب

وما نارٌ بمحرقةٍ جواداً وانْ كان الجوادُ منَ المجوسِ

ورأيت على ناووس ذكر انه ناووس مهيار بن مهفيروز

أيا ميتاً قد كانَ فى أهل دينهِ مكانَ سِنانِ الرمح لما تقدّما
لقد كنتُ أرجو الدهرَ أنْ يسعِفَ النوى وأرجو المنايا أنْ توافيكَ مُسلما
فانْ بخَسَتْ آمالنا فيكَ ضلّةً فقدْ عِشْتَ فى الدنيا حميداً مكرّماً
وعوفيتَ من غمّ التراب فيالها سَعادةَ جدٍّ ماأجلَّ وأعظَما

محاسن ما قيل فى الشيب

قال دخل منصور النميرى على الرشيد فأنشده

ما كنتُ أوفى شبابى كُنْهَ عزّته حتى مضى فاذا الدنيا لهُ تَبَعُ

فبكى الرشيد وقال يانميرى لاخير فى دنيا لايخطر فيها بحلاوة الشباب ويستمتع بأيامه وأنشد

ولوَ انّ الشيبَ رُزْءٌ حلَّ بى وقْتَ ماستحققتُ شيباً لم أُبَلْ
بَلْ أتاني والصّبَي يرْمقُني مثلَ مايأتى الكبيرَ المكتهِلْ

.. وأنشد

حسَرتْ عنيَ القناعَ ظَلُومُ وتولّتْ ودَمعُها مسجومُ
أنكَرتْ مارأتْ برأسى فقالتْ أمَشيبٌ أمْ لؤلؤٌ منظومُ
قُلْتُ شيْبٌ وليسَ عيباً وأنّتْ أنّةً يستثيرُها المهمومُ
واكْتَسَتْ لونَ مِرْطِها ثم قالتْ هكذا منْ توسّدَتْهُ الهموم
إنّ أمراً جنَى عليكَ مشيبَ الرأ سِ فى جمهِ لأمرٌ عظيمُ
شدّ ماأنكَرتْ تصرُّفَ دَهرٍ لم يُداومْ وأىُّ شيءٍ يدُومُ

لابن المعتز

لما رأتْ شيباً يلوحُ بعارضي | صدّتْ صدُودَ مغاضبٍ متحمّلِ
نظرَتْ اليَّ بعينِ مَنْ لم يَعْدِلِ | لمّا تمكّنَ طرْفها من مقتلي
مازلتُ أطلبُ وصلَها بتذللٍ | والشيبُ يغمزُها بأنْ لاتفعلي

ولابن المعتز أيضاً في الشيب

قالتْ وقدْ راعها مشيبي | كنتَ ابنَ عمٍّ فصرتَ عمّاً
واستهزأتْ بي فقلتُ أيضاً | قدْ كنتِ بنتاً فصرتِ أمّا
كُفّي ولا تكثري مَلامي | ولا تزيدي العليلَ سُقمَا
منْ شابَ أبصرْنهُ الغواني | بعينِ منْ قدْ عمى وصمّا
لو قيلَ لي اخترْ عمىً وشيباً | أيّهما شئتَ قلتُ أعمى

•• ولآخر

رأتْ طالعاً للشيبِ أغفلْتُ أمرَهُ | ولم تتعهّده أكفُّ الخواضبِ
فقالتْ أشيباً ما أرى قلتُ شامةٌ | فقالتْ لقدْ شامتْكَ بين الحبائبِ

•• ولآخر

شكوتُ من الشيبِ حتى ضجرْ | تُ فدبَّ الى عارضي واشتعلْ
وسوّدَ وجهي فسوّدتهُ | فعلتُ به مثلَ ماقدْ فعلْ

•• ولآخر

اذا راقهنّ خدينُ الشبابِ | عطفْنَ كما تعطفُ الوالدهْ
وانْ هُنَّ عاينّ ذا شيبةٍ | فيالكِ منْ مُقلةٍ زاهدهْ
فويحَ الشبابِ وويحَ المشيبِ | عدوّانِ دارُهما واحدهْ

لابن المعتز

صَرّحتْ بالجفاءِ أمُّ حُبابِ | حين باشرتُها ببعضِ الخطابِ
قلتُ لم ذا وقدْ رأيتُكِ حيناً | لاتملّينَ عِشرتي وعتابي
قالتِ الشيبُ قد أتاكَ فأقصِرْ | عنْ عتابي فلستَ منْ أصحابي

فتملّتْ بالخضاب لأحظي — عندها ساعةً بلون الخضاب
فرأتهُ فأعرضتْ ثم قالتْ — سِترُ سوْءٍ على خرابٍ يبابِ

ولابن المعتزّ أيضاً

رفعتْ طرفها اليّ عبوسا — واستثارتْ من المآقي الرّسيسا
ورأتني أُسرّجُ العاج بالعا — ج فظلّتْ تستحسنُ الأبنوسا
ليسَ شيبي اذا تأمّلتِ شيباً — إنما الشيبُ ماأشابَ النفوسا

•• وله أيضاً

ضحكتْ إذْ رأتْ مَشيبيَ قد لا — حَ وقالتْ قد فُضِّضَ الأبنوسُ
قلتُ انّ الشبابَ فيّ لَباقٍ — بعدُ قالتْ هذا شبابٌ لبيسُ

•• قال استقبل يونس النحوى عدواً له وهو يتهادى فى مشيه ويقارب خطوه فقال يايونس بلغتَ ماأرى فقال هذا الذي كنت آمله فقد بلغته فلا بلغتــه فاستحسن ابن الزيات قوله فجعله شعراً وقال

وعائبٍ عابَني بشيبٍ — لم يَعْدُ لما ألمّ وقتَهُ
فقلتُ اذ عابَني بشيبٍ — ياعائبَ الشيبِ لا بلغتَهْ

•• ولغيره

انّ المشيبَ رداءُ الحلمِ والأدبِ — كما الشبابُ رداءُ الجهلِ واللّعِبِ
تعجّبتْ إذْ رأتْ شيبي فقلتُ لها — لاتعجبي من يَطُلْ عمرٌ به يَشِبِ
فينا لكُنّ وانْ شيبٌ بدا أربٌ — وليسَ فيكُنّ بعدَ الشيبِ من أربِ
شيبُ الرجالِ لهمْ عزٌّ ومكرُمةٌ — وشيبكُنّ لكُنّ الذلُّ فاكتئبي

•• ولآخر

الشيبُ فى رأس الفتى حِلْمٌ به — والشيبُ فى رأس الفتاةِ قبيحُ
والخالُ فى خدّ الفتى عيبٌ به — والخالُ فى خدّ الفتاةِ مليحُ

محاسن الورع

محمد بن الحسين عن ابى همّام وكان يخدم ضيغماً قال كنت معـه فى طريق مكة فلما صرنا فى الرمل نظر الى ماتاقى الابل من شـدة الحر فبكي فقلت له لو دعوتَ الله ان يمطر علينا كان أخف على هذه الابل قال فنظر الى السماء وقال ان شاء ربى فعل فوالله ماكان الا ان تكلم حتى نشأت سـحابةٌ وهطلت •• وعن عطاء ان أبا مسـلم الخولانى خرج الى السوق بدرهم يشترى لأهله دقيقاً فعرض له سائل فأعطاه بعضه ثم عرض له آخر فأعطاه الباقى وأتي الى النجارين فـملأ مِزْوَده من نُشارة الخشب وأتى به منزله وخرج هارباً من أهله فأخذت المرأة المزود فاذا دقيق حُوّارى فعجنته وخبزت فلما جاء قال من أين هذا قالت الدقيق الذى جئت به •• وعن أبي عبد الله القرشي عن رجل قال دخلت بئر زمزم فاذا أنا بشخص ينزع الدلو مما يلى الركن فلما شرب أرسـل الدلو فأخـذته فشربت فضلتـه فاذا هو سويق لوزٍ لم أرَ سويق لوز أطيب منه فلما كانت القابلة فى ذلك الوقت دخل الرجل وقد أسـبل ثوبه على وجهه ونزع الدلو وشرب وأرسل الدلو فأخذته وشربت فضلته فاذا هو ماء مضروب بالعسل لم أشربْ شيئاً قط أطيب منه فأردت أن آخـذ طرف ثوبه فانظر من هو ففاتني فلما كان فى السنة الثالثة قعدتُ قُبالة زمزم فلما كان في ذلك الوقت جاءالرجل وقد أسبل ثوبه على وجهه فدخل فأخذت طرف ثوبه فلما شرب من الدلو وأرسلها قلت ياهـذا أسألك بربِّ هـذه البنيّة من أنت قال تكتم عليّ حتى أموت قلت نعم قال أنا سفيان وهو الثوري فتناولتُ فضلتـه فاذا هو ماء مضروب بالسكر الطبرزَد لم أر قط أطيب منـه فكانتْ تلك الشربة تكفيني اذا شربتها الى مثلها من الوقت لاأجـد جوعا ولا عطشاً •• وقال الأصمعي رأيت اعرابياً يكدح جبينه بالأرض يريد ان يجعل سجّادةً فقلت ماتصنع قال انى وجدتها نِعم الأثر في وجه الرجل الصالح •• ومما قيل من الشعر من هذا الفنّ منهم بشّار حيث يقول

كيفَ يبكى لمحبَسٍ فى طلولٍ   من سيقضى ليوم حبسٍ طويلٍ

انّ في البعثِ والحسابِ لَشُغْلاً عنْ وُقوفٍ برسم دارٍ محيلِ

ولمحمد بن بشير

ويلٌ لمنْ لم يرْحم ِ اللهُ ومنْ تكونُ النارُ مثواهُ
ياحَسْرَتا في كلّ يومٍ أتى يُذَكرُني الموْتَ وأنْساهُ
كأنهُ قد قيلَ في مجلسٍ قد كنتُ آتيهِ وأغشاهُ
صارَ البشيريُّ الى ربه يَرْحمنا اللهُ وإيَّاهُ

•• ولجرير

انّ الشقيّ الذي في النار منزلهُ والفوز فَوْزُ الذي يَنجو من النار
ياربّ قد أسْرَفَتْ نفسي وقد علمتْ علماً يقيناً لقد أحصيْتَ آثاري
فاغفرْ ذُنوباً إلهي قد أحطْتَ بها ربّ العبادِ وزحزِحْني عن النار

ولذي الرمة بيت

فانْ تنجُ منها تنجُ من ذي عظيمةٍ والاّ فاني لاإخالُكَ ناجياً

•• ولآخر

أستغفرُ اللهَ مما يعلَمُ اللهُ إنّ الشقيّ لَمَنْ لم يَرْحمِ اللهُ
هَبْهُ تجاوَزَ لي عنْ كلّ سيئةٍ واسوأتا منْ حيائي يومَ ألقاهُ

ولاسماعيل بن القاسم

تَعصى الالهَ وأنتَ تُظهرُ حبهُ هذا مُحالٌ في القياسِ بديعُ
لو كانَ حُبكَ صادقاً لأطعتَهُ انّ المحبّ لمنْ يُحبُّ مُطيعُ

•• ولآخر

أيا عجباً كيفَ يَعصي الالـ ... ـهَ أمْ كيف يَجحدُهُ الجاحدُ
وفي كل شيءٍ لهُ قدرةٌ تدُلُّ على أنهُ واحدُ
ولله في كلّ تحريكةٍ وتَسكينةٍ أبداً شاهدُ

ولأبي نواس الحسن بن هانئ

سُبحانَ منْ خلقَ الخلْـ...ـقَ منْ ضعيفٍ مَهينِ

يَســوقُهمْ منْ قَرارٍ الى قَرارٍ مَكينِ
يحــورُ خلقاً خلقاً في الحُجْبِ دُونَ العيون
حــتى بدَتْ حركاتٌ مخلوقةٌ منْ سُكونِ

.. ولآخر

أخي مابالُ قلبكَ ليسَ ينْقى كأنكَ لاتظُنُّ المــوْتَ حقّا
ألا يابْنَ الذينَ مضَوْا وبادُوا أما واللهِ ماذَهبوا لتبْــقى
وما لكَ غــيرُ تقْوَى اللهِ زادٌ اذا جعلتْ الي اللّهوات ترْقي

.. ولآخر

ياقلبُ مهلاً وكُنْ على حــذَرٍ فقدْ لَعمري أُمرتَ بالحــذَر
مالكَ بالتّرّهاتِ مشــتغلاً أفي يديْكَ الأمانُ منْ سَقَر

.. ولآخر

إنْ كنتَ توقنُ بالقيا مَةِ واجترأت الى الخطيّة
فلقد هلكتَ وإن جحدْ تَ فذاكَ أعظــمُ للبليّة

.. ولآخر

وأفنيةُ المــلوكِ مُحجّبــاتٌ وبابُ اللهِ مَبــذولُ الفِناء
فمنْ أرجو سِوَاهُ لكشفِ ضرٍّ وبَلْوَى حينَ أجهدُ في الدعاء
وشكوائي الى ملكٍ عظيم جَليل لا يصَمُّ عن الدعاء

مساوى من لم يتورع

ابن أبي العرجاء قال أراد موسى بن داود بن على بن عبد الله بن العباس الخروج الى الحج فدعا بأبي دُلامة فقال له تهيأ حتي تخرج معنا وأعطاه عشرة آلاف درهم وقال خلّف لعيالك مايكفيهم وانما أراد موسى أن يأنس به في طريقه ويحدثه بنوادره ومُلَحه ويسامره بالليل والنهار وينشده الأشعار وكان أبو دلامة يفي بذلك كله مع ظرفٍ كان فيه

ولطف وكان من أبزار الملوك فلما حضر خروج موسى هرب الى السواد بالكوفة فجعل يشرب من خمرها ويتمتع فى نزهتها وقد سأل عنه موسى فقيل له استتر فطلبه تحت كل حجر فلم يقدر عليه فخاف أن يفوته الحجّ فلما أيس منه قال اتركوه الى نار الله وحرّ سقره وخرج فلما شارف القادسية نظر الى أبى دُلامة قد خرج من قرية يريد أخرى فبصروا به وأتوه به فقال قيدوه وألقوه فى المحمل ففُعل به ذلك وأنشأ يقول

يامعشرَ الناسِ قولوا أجمعينَ معاً ... صلى الالهُ على موسى بنِ داودِ

أما أبوكَ فعينُ الجودِ نعرفُه ... وأنتَ أشبهُ خلقِ اللهِ بالجودِ

نُبئتُ أنّ طريقَ الحجّ معطشةٌ ... من الطِلاءِ وماشربى بتصريدِ

واللهِ مابيَ من خيرٍ فتطلبَهُ ... في المسلمينَ ولا ديني بمحمودِ

كأنّ ديباجتيْ خدّيهِ من ذهبٍ ... إذا تكسرَ فى أثوابهِ السودِ

إنى أعوذ بداودٍ وتربتـهِ ... من أن أحُجّ بكُرْهٍ يابنَ داود

فقال موسى ألقوه من المحمل عليه لعنة الله ودعوه يذهب الى سقر الله فألقى عن المحمل ومضى موسى لوجهه فما زال أبو دلامة بالسواد يشرب من خمرها ويتمتع فى نزهتها حتى أتلف العشرة الآلاف الدرهم مع اخوانه وندمائه وانصرف موسى فدخل عليه أبو دلامة يهنئه فلما بصر به قال يا محارف أتدرى ما فاتك قال والله يا سيدى ما فاتني ليل ولا نهار يعنى اللهو والقصف ثم أنشده مديحاً له فيه فاستحسنه وأمر له بجائزة •• قيل وكان جندىّ بقزوين يصلي فى بعض المساجد فافتقده المؤذن أياما فقرع عليه الباب فخرج اليه فقال له المؤذن أبو من قال أبو الجحيم قال بس رد يا هذا البابَ •• قال وقيل للقَينى ما أيسر ذنبك قال ليلة الدير قيل وما ليلة الدير قال نزلت بديرانية فأكلت عندها طفيشلا بلحم خنزير وشربت خمرها وفجرت بها وسرقت كساءها وخرجت •• قال وأتى خمسة من الفتيان قرية فنزلوا على باب خان فقام أحدهم يصلى والباقون جلوس فمرت بهم نبطية فقالوا أتدلينا على قحبة قالت نعم كم أنتم قالوا نحن أربعة فأومأ الذي يصلى بيده سبحان الله انى أنا الخامس •• ما قيل فيه من الشعر •• بشار

وإني فى الصلاة أحضُرُها ... ضُحكةُ أهلِ الصلاةِ إن شهدوا

أقعدُ في سجدةٍ اذا ركعوا — وأرفعُ الرأس ان هُمُ سجدوا
أسجدُ والقومُ راكعونَ معاً — وأُسرِعُ الوثبَ انْ هُمُ قعدوا
فلستُ أدري إذا إمامُهمُ — سَلَّمَ كم كانَ ذلك العددُ

ولآخر

نعمَ الفتى لو كانَ يعرِفُ ربّهُ — ويُقيمُ وقتَ صلاتهِ حمادُ
عدلَتْ مشافرُهُ الدِّنانَ وأنفُه — مثلُ القدوم يُسنُّهُ الحدّادُ
وابيضَّ من شربِ المدامةِ وجهُه — فبياضُهُ يومَ الحِسابِ سوادُ

•• آخر

إن قرأَ العادياتِ في رجب — فليسَ يأتي بها إلى رجب
بل هو لا يستطيعُ في سَنةٍ — يختمُ تبّتْ يدا أبي لهبِ

محاسن صفة الدنيا

قال عليّ بن أبي طالب الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزوّد منها مسجد أنبياء الله ومَهبط وحيه ومصلى ملائكته ومتجر أوليائه اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببَينها ونادت بفراقها ونعت نفسها فشوّقت بسرورها الى السرور وببلائها الى البلاء تخويفاً وتحذيراً وترغيباً وترهيباً فيا أيها الذامّ للدنيا والمتعلل بتغريرها متى غرّتك أبمصارع آبائك في البلَى أم بمضاجع أمهاتك في الثرى كم عللت بكفيك وكم مرّضت بيديك تبتغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء وتلتمس لهم الدواء لم ينفعهم تطابك ذلك ولم يشفهم دواؤك مثّلت لك الدنيا مصرعَك ومضجعك حيث لا ينفعك بكاؤك ولا يغني عنك أحباؤك ثم وقف على أهل القبور فقال يا أهل الثروة والعز ان الأزواج بعدكم قد نُكِحت والأموال قد قُسمت والدور قد سُكنت فهذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ثم التفت الى أصحابه فقال أما والله لو أُذن لهم لقالوا ان خير الزاد التقوى •• وفي خبر إن عايا وقف على المقابر ثم قال اعتبروا يا أهل الديار التي نطق بالخراب فناؤها وشيد في التراب بناؤها فمحلها مقترب

وساكنها مغترب لايتزاورون تزوار الاخوان ولا يتواصلون تواصلَ الجيران قد طحنهم بكلكله البلى وأكلتهم الجنادل والثرى ثم قال ان الأزواج بعدكم قد نُكحت الى آخر الخبر

مساوى صفة الدنيا

قال الحسن البصرى بينا أنا أطوف بالبيت اذا أنا بعجوز متعبدة فقلت من أنت فقالت من بنات ملوك غسان قلت فمن أين طعامك قالت اذا كان آخر النهار فى كل يوم تجيئنى امرأة متزينة فتضع بين يدىّ كوزاً من ماء ورغيفين قلت لها أتعرفين المرأة قالت اللهم لا قلتُ هذه الدنيا خدَمتِ ربك جل وعزّ فبعث اليك بالدنيا فخدمتك على رغم أنفها •• وزعموا ان زياد بن أبيه مرّ بالحيرة فنظر الى دير هناك فقال لحاجبه ما هذا قال دَير حُرقة بنت النعمان بن المنذر فقال ميلوا بنا اليها نسمع كلامها فجاءت الى وراء الباب فكلمها الخادم فقال لها كلمي الأمير فقالت أُوجز أم أُطيل قال بل أوجزى قالت كنا أهل بيتٍ طلعت الشمس وما على الأرض أعز منا فما غابت تلك الشمس حتى رحمنا عدوّنا قال فأمر لها بأوساقٍ من شعير فقالت أطعمتك يدٌ شبعى جاعت ولا أطعمتك يدٌ جوعى شبعت فسُر زياد بكلامها وقال لشاعر قيد هذا الكلام لا يدرس فقال

سَل الخيرَ أهلَ الخيرِ قِدماً ولا تسَلْ   فتىً ذاقَ طعمَ الخيرِ مُنذُ قريبِ

وفى مثل هذا قولُ أعرابىّ وقد دعا لرجل بره مسّتك يد أصابت فقراً بعد غنىً ولا مستك يدٌ أصابت غنى بعد فقر •• ويقال ان فروة بن اياس بن قبيصة انتهى الى دير حُرقة بنت النعمان فألفاها وهي تبكي فقال لها ما يُبكيك فقالت ما من دارٍ امتلأت سروراً الا امتلأت ثُبوراً ثم قالت

فبينا نَسوسُ الناسَ والأمرُ أمرُنا   إذا نحنُ فيهمْ سُوقةٌ نتقسَّمُ

•• وقالت

فأُفٍّ لدُنيا لا يَدومُ نعيمُها   وأُفٌّ لعيشٍ لايزال يُهضَّمُ

قال وقالت حرقة بنت النعمان لسعد بن أبى وقاص لا جعل الله لك الى لئيم حاجة وعقد لك المنن فى أعناق الكرام ولا أزال بك عن كريم نعمةً ولا أزالها بغيرك الا جعلك السبب لردها عليه •• قال وقال عبد الملك بن مروان لسلمة بن زيد الفهمي أيّ الزمان أدركت أفضل وأى الملوك فقال أما الملوك فلم أر الا ذاماً أو حامداً وأما الزمان فيضع قوماً ويرفع آخرين وكلهم يذم زمانه لأنه يبلي جديدهم ويطوى أعمارهم ويهرم صغيرهم وكل ما فيه منقطع الا الأمل قال فاخبرنى عن فهم قال هم كما قال الشاعر

درَجَ الليلُ والنهارُ على فَهـــــم بن عمرو فأصبحوا كالرَّميم
وخلَتْ دارُهم فأضحَتْ يَباباً بعــدَ عزٍّ وثروةٍ ونعيمِ
وكذاك الزمانُ يذهبُ بالنا سِ وتبقي ديارُهمْ كالرسومِ

قال فمن يقول منكم

رأيتُ الناسَ مُذ خُلقوا وكانوا يُحبونَ الغنيَّ من الرجالِ
وانْ كانَ الغنيُّ أقلَّ خيراً بخيلاً بالقليـل من النوالِ
فما أدري علام وفيم هـذا وما ذا يرتجونَ من البخالِ
أللدُّنيا فليسَ هناكَ دنيـا ولا يُرجَى لحادثةِ الليـالى

قال أنا وقد كتمتها •• قال ولما دخل عليّ بن أبى طالب رضي الله عنه المدائن نظر الى إيوان كسرى فأنشده بعض من حضره قول الأسود بن يَعفُر

ماذا أُؤمل بعد آلِ محرّقٍ تركوا منازلَهــم وبعدَ إيادِ
أهلِ الخورنَقِ والسدير وبارقٍ والقصرِ ذى الشُّرُفاتِ من سندادِ
نزلوا بأنقرةٍ يسيلُ عليهمُ ماءُ الفراتِ يسيلُ من أطوادِ
أرضٌ تخيّرها لطيبِ مقيلِهـا كعبُ بنُ مَامَةَ وابنُ أمّ دُؤاد
جرتِ الرّياحُ على محل ديارِهمْ فـكأنما كانوا على ميعـادِ
فأرى النعيمَ وكلّ ما يُلهى به يوماً يصـيرُ الى بِلىً ونفادِ

فقال عليّ رضي الله عنه أبلغ من ذلك قول الله جلّ وعزّ (كم تركوا من جنات وعيون وزُروعٍ ومَقام كريمٍ ونعمةٍ كانوا فيها فاكهينَ كذلك وأورثناها قوماً آخرين)

•• وقال عبد الله بن المعتز أهل الدنيا كصورة فى صحيفة كلما نشر بعضها طوى بعضها •• وقال أهل الدنيا كركبٍ يُسار بهم وهم نيام •• وقال بعضهم طلاق الدنيا مهر الجنة •• وذكر اعرابى الدنيا فقال هي جمة المصائب رَنِقَة المشارب لا تمتعك الدهر بصاحب •• وقال أبو الدرداء من هو ان الدنيا على الله جل وعز انه لا يُعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها •• وقيل اذا أقبلت الدنيا على امرئٍ أعارته محاسن غيره واذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه

محاسن ما قيل فيه من الشعر

قال الأصمعي ووجد فى قبة لسليمان بن داود عليه السلام مكتوب

وَمَن يَحمَدِ الدنيا لشيءٍ يَنالُهُ فسَوْفَ لَعمرى عن قليلٍ يَلومُها
إذا أدبَرَتْ كانت على الناسِ حسرةً وانْ أقبلت كانت كثيراً همومُها

وكان ابراهيم بن أدهم ينشد

نُرَقِّعُ دنيانا بتمزيقِ ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نُرَقِّعُ

وقال أبو العتاهية

يا مَن ترفَّعَ بالدنيا وزينتها ليس الترفعُ رفعَ الطينِ بالطينِ
إذا أردتَ شريفَ القومِ كلهمِ فانظرْ إلى ملكٍ فى زيِّ مسكينِ

•• ولآخر

هَبِ الدُّنيا تُساقُ اليكَ عفواً أليسَ مصيرُ ذاك الى الزوالِ
فما ترجو بشيءٍ ليس يبقى وشيكاً ما تُغيِّرُهُ الليالي

محمود الوراق

هيَ الدنيا فلا يغررْكَ منها مخايلُ تستفز ذَوى العقولِ
أقلُّ قليلِها يكفيكَ منها ولكنْ ليس تقنعُ بالقليلِ
تَشيدُ وتبتني فى كلِّ يوم وأنتَ على التجهز والرحيلِ

وَمَنْ هذا الذي تَبقى عليها　　مَضاربُهُ بمدرَجةِ السُّيولِ

•• ولآخر

أيا دُنيا حسرتِ لنا قناعاً　　وكانَ جَمالُ وجهكِ فى النِّقابِ
دِيارٌ طالَ ماحُجبتْ وعزّتْ　　فأصبحَ إذنُها سهلَ الحجابِ
وقد كانتْ لها الأيامُ ذَلّتْ　　فقد قُرِنَتْ بأيامٍ صِعابِ
كأنَّ العيشَ فيها كانَ ظِلاًّ　　يُقلِّبُهُ الزمانُ الى ذَهابِ

•• آخر

دُنيا تَداوَلها العبادُ ذَميمةٌ　　شِيبتْ بأكْرَهَ من نَقيعِ الحنظَلِ
ونباتُ دُنيا لاتزالُ مُلِمّةً　　منها فجائعُ مثلَ وقعِ الجندَلِ

•• ولآخر بيت

حتى مَتى أنتَ فى دُنياكَ مُشتغلٌ　　وعاملُ اللهِ بالرحمنِ مشغولُ

أبو نواس

دَعِ الحِرصَ على الدنيا　　وفى العيشِ فلا تَطْمعْ
ولا تجمعْ منَ المالِ　　فما تدرى لمنْ تجمَعْ
ولا تدرى أفى أرضِـ　　ـكَ أمْ في غيرها تُصْرَعْ

•• قال وقال الأصمعى قال أبو عمرو بن العلاء بينا أنا أدور فى بعض البوادى اذا أنا بصوت

وانّ امرأ دُنياهُ أكبرُ همّهِ　　لَمُستَمسِكٌ منها بحبلِ غُرُورِ

•• قال فنقشته على خاتمي •• قال وسمع يحي بن خالد البرمكي بيت العدوى في صفة الدنيا حيث يقول

حُتوفُها رَصَد وعيشها نكدٌ　　وشِربها رَنَقٌ ومُلكُها دُوَلُ

فقال لقد انتظم في هذا البيت صفة الدنيا •• قيل وسمع المأمون بيت أبي نواس

اذا امتحنَ الدنيا لبيبٌ تكشّفتْ　　لهُ عنْ عدُوٍّ في ثيابِ صديقِ

فقال لو سُئلت الدنيا عن نفسها لما وصفت كما وصفها به أبو نواس •• وقال أبو حازم

الدنيا طالبـة ومطلوبة وطالب الدنيا يطلبه الموت حتى يخرجه منها وطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى توفيه رزقه .. قال وقيل للحسن البصرى ماتقول في الدنيا فقال ماعسى أن أقول فيها وحلالها حساب وحرامها عذاب فقيل ماسمنا كلاماً أوجز من هذا قال بلى كلام عمر بن عبد العزيز كتب اليه عدىّ بن أرطاة وهو على حمص ان مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت الى اصـلاح حيطانها فكتب اليه حصّنها بالعـدل ونقّ طرقها من الظلم

محاسن معرفة الاوائل

حدثنا زيد بن أخزم قال حدثنا عبد الصمد عن سعيد عن المغيرة قال سمعت سماك ابن سلمة يقول أول من خطّ بالقلم ادريس عليه السـلام وهو أول من خاط الثياب ولبسها وكانوا من قبله يلبسون الجلود . وأول قرية بُنيت فى الأرض قرية تسمّي ثمانين ابتناها نوح عليه السلام . وأول من عمل الصابون سليمان بن داود عليه السلام . وأول من باع فيمن يزيد حلساً وقدحا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأول من اتخذ القراطيس يوسف عليه السلام . وأول من خبز له الرقاق نمرود بن كنعان لعنه الله . وأول من حكم في الخنثى عامر بن الظرب العدوانى . وأول من خضب بالسواد عبد المطلب بن هاشم . وأول من سنّ الدية من الابل أبو سيّارة العدوانى وأقره رسول الله صـلى الله عليه وسلم فى الاسلام . وأول من خلع نعـله لدخول الكعبة الوليد بن المغـيرة نخلع الناس نعالهم فى الاسلام وهو أول من قضي بالقسامة فى الجاهلية فأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاسلام وهو أول من حرّم الخمر على نفسه فى الجاهلية فأقرّها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاسـلام وهو أول من قطع في السرقة فى الجاهلية فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاسلام . وأول من سُلّم عليه بالامرة المغيرة بن شعبة . وأول من أرّخ الكتب وختم على الطين عمر بن الخطاب رضى الله عنـه . وأول من كتب بالعربية مرامر بن مروة من أهل الانبار فانتشر من الانبار فى الناس . وأول

من مشت الرجال معه وهو راكب الأشعث بن قيس • وأول من اتخذ المقصورة فى المسجد معاوية بن أبي سفيان وذلك انه بصر كلبا على منبره • وأول من لبس الخفاف وثياب الكتان زياد بن أبي سفيان • وأول من لبس الطيلسان جبير بن مطعم • وأول من لبس الخز الطاروني عبد الله بن عامر فقال الناس لبس الأمير جلد دب • وأول من نقش على الدراهم عبد الملك بن مروان وهو أول من سمي عبد الملك وأول من ابتنى مدينة فى الاسلام الحجاج بن يوسف بني مدينة واسط وهو أول من قعد على سرير فى حرب وأول من اتخذ المحامل فقال فيه حميد الأرقط

أخزَى الالهُ عاجلاً وآجلاَ أوَّلَ عبدٍ عملَ المحاملاَ

* عبدَ ثقيفٍ ذاكَ أزْلاً آزِلاَ *

وهو أول من علق له الخيش ونقل له الثلج • وأول من أطعم على الف مائدة على كل مائدة عشرة رجل وأجاز بألف الف درهم ولبس الدراريع السود المختارُ بن أبي عبيد • وأول من حذا النعال جذيمة الأبرش وهو أول من وضع المنجنيق ورفعت له الشموع ونادم الفرقدين • وأول من حدا رجل من مضر • وأول رأس حمل من بلد الى بلد رأس عمرو بن الحمِق الخزاعى • وأول من عمل له النعش زينب بنت جحش زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر بن الخطاب نعم خباء الظعينة • وأول من قطع نهر بلخ سعيد بن عثمان بن عفان وأول من ضرب بسيفه باب قسطنطينية وأذن فى بلاد الروم عبد الله بن كاب من بني عامر بن صعصعة وكان مع مسلمة بن عبد الملك فأراد قيصر قتله فقال والله لئن قتلتني لاتبقى بيعة فى بلدان الاسلام الاهدمت فكف عنه • وأول من جمّع جمعة مصعب بن عمير جمّعهم بالمدينة وكانوا اثنى عشر رجلا •• وروى أبو هلال عن أبي حمزة قال أول من رأينا بالبصرة يتوضأ بالماء عبيد الله ابن أبي بكرة فقلنا انظروا الى هذا الشيخ يلوط استه أى يستنجي بالماء • وأول مولود ولد فى الاسلام عبد الله بن الزبير • وأول من رشى في الاسلام المغيرة بن شعبة • وأول رام رمي فى الاسلام سعد بن أبي وقاص • وأول قاض قضي أبو قرة الكندى • وأول من اتخذ الجنازات أم جعفر

مساوى الاوائل

أول من اتخذ العود رجل يقال له لمك ولد له على كبر سنه ابن فأصيب به واشتد وجده عليه فعمد الى عود واتخذ كهيأة الصبي شبه صدر العود بالفخذ وابريقه بالقدم والملاوى بالأصابع والأوتار بالعروق ثم ضرب به وكانت له ابنة يقال لها ملاهى وهى أول من اتخذت المعازف والطبول • وأول من عمل الطنابير قوم لوط كانوا يستميلون بها الغلمان المرد وأما الزمر وشبهه فللرعاء والاكراد • وكان أول من غنى من العرب جذيمة ابن سعد الخزاعي وذلك بعد جرادتى عاد وكان من أحسن الناس صوتاً فسمى المصطلق فغنى بالركبانية • ويقال ان أول من غنى باليمن رجل من حمير يقال له عنبس • وأول من غنى بالحرمين طُوَيس وأول امرأة قطعت يدها فى الاسلام فى السرق بنت سفيان ابن عبد الأسد من بني مخزوم قطعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعتها ومن الرجال الخيار بن عدي بن نوفل

محاسن الدلائل

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ان المؤمن اذا أتت عليه ستون سنة أحبه أهل السماء والأرض واذا أتت عليه سبعون سنة كتبت حسناته ومحيت سيئاته واذا أتت عليه ثمانون سنة غُفر له ما تقدم من ذنبه واذا أتت عليه تسعون سنة شُفّع فى أهل بيته وأهله واذا أتت عليه مائة سنة كتب اسمه عند الله عز وجل أسيرُ الله فى أرضه •• وقال عمرو بن العاص يتغير الغلام لسبع ويحتلم لأربع عشرة سنة ويتم خلقه لاحدى وعشرين ويجتمع عقله لثمان وعشرين وما بعد ذلك فتجارب •• وقال وَهشابور يستحب من الربيع الزهرة ومن الخريف الخِصب ومن الغريب الانقباض ومن القارئ البيان ومن الغلام الكياسة ومن الجارية الملاحة

ومنه باب آخر

قيــل اذا جارت الولاة قحطت السماء واذا منعت الزكاة هلكت الماشية واذا ظهر الربا ظهر الفقر والمسكنة واذا خفرت الذمة أديل العدوّ •• وعن ابن عباس قال اذا رأيتم السيوف قد أعريت والدماء قد أريقت فاعلموا ان حكم الله جل وعز قد ضيع وانتقم من بعضهم ببعض واذا رأيتم الرياء قد فشا فاعلموا أن الربا قد فشا واذا منعتم القطر فاعلموا أن الناس قد منعوا ما عندهم من الزكاة فمنع الله جل وعز ما عنده

محاسن المشورة

كان يقال اذا استخار الرجل ربه واستشار نصيحه وأجهد رأيه فقــد قضى ما عليه ويقضى الله جل وعز فى أمره ما يحب •• وقال آخر حسن المشورة من المشير قضاء لحق النعمة •• وقيل اذا استشرتَ فانصح واذا قدرتَ فاصفح •• وقال آخر من وعظ أخاه سرًّا زانه ومن وعظه علانية شانه •• وقال آخر الاعتصام بالمشورة نجاة •• وقال آخر نصف عقلك مع أخيك فاستشره •• وقال آخر اذا أراد الله بعبد هلاكاً أهلكه برأيه •• وقال آخر ان المشورة تقوّم اعوجاج الرأى وقال اياك ومشورة النساء فان رأيهن الى الأفن وعزمهن الى الوهن •• وروى عن ابن عباس رضي الله عنه انه كان بين العباس ابن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه مباعدة فلقيت علياً رحمه الله فقلت له ان كان لك فى النظر الى عمك حاجة فأته وما أراك تلقاه فوجم لها ثم قال تقدمنى فتقدمته فأذن له فاعتنق كل واحد منهما صاحبه وأقبل علىّ على يده ورجله يقبلهما ويقول ياعم ارض عنى رضى الله عنك قال قد رضيت عنك ثم قال يا بن أخى قد كنت أشرت عليك بأشياء فلم تقبل منى فرأيتَ فى عاقبتها ما كرهت وها أنا أشير عليك برأى آخر فان قبلته والا نالك ما نالك فقال وما الذى كنت أشرت به ياعمّ قال أشرتُ عليك لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تسأله فان كان الأمر فينا أعطاناه وان كان فى غيرنا أوصي

بنا فقلتَ ان مَنَعناه لم يعطنا أحدٌ بعده فمضت تلك فلما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا سفيان بن حرب تلك الساعة فدعوناك الى ان نبايعك فقلت ابسط حتى نبايعك فانا ان بايعناك لم يختلف عليك منافيٌّ وان بايعك بنو عبد مناف لم يختلف عليك قرشيٌّ وان بايعتك قريش لم يختلف عليك أحد من العرب فقلتَ في جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم شُغلٌ وليس عليّ فوت فلم نلبث أن سمعنا التكبير من سقيفة بني ساعدة فقلتَ ماهذا ياعمّ فقلت هذا مادعوناك اليه فأبيته قلت سبحان الله ويكون هذا قلت وهل رُدّ مثل هذا ثم أشرت عليك حين طُعن عمر رحمه الله أن لاتدخل نفسك في الشورى فانك ان اعتزلتهم قدّموك وان ساويتهم تقدّموك فدخلت معهم فكان مارأيت وها أنا أقول لك الآن أرى هذا الرجل يعني عثمان بن عفّان رحمه الله يأخذ في أمورٍ ولكأني بالعرب قد سارت اليه حتى يُنحر كما يُنحر الجزور والله لئن كان ذاك وأنت بالمدينة ليرمينّك الناس بدمه ولئن فعلوا لاتنال من هذا الأمر شيئاً الا بشر لاخير معه قال ابن عباس فلما قتل عثمان رضي الله عنه خرج عليّ وهو على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عن يمينه وابن القاريء عن يساره وكان من أمر طلحة والزبير ما كان وقتل طلحة عشيّة ذلك اليوم وأنا أرى الكراهية في وجه عليّ رضي الله عنه فقال أما والله لقد كنت أكره أن أرى قريشاً صَرعي تحت بطون الكواكب ولكن نظرت الى مابين الدفتين فلم أرَ يسعُني الا قتالهم أو الكفر ولئن كان قال هؤلاء ماسمعت في طلحة لقد كان كما قال أخو جعفي

فتىً كانَ يُدنيهِ الغِنى من صَديقهِ اذا ماهوَ استغنى ويُبعدُهُ الفقرُ

ورحم الله عمّي فكأنما يطلع الى الغيب من سترٍ رقيق صدق والله مانلت من هذا الامر شيئاً الا بعد شرّ لاخير معه .. قال وقال ابن عباس لعليّ رضي الله عنه اجعلني السفير بينك وبين معاوية في الحكمين فوالله لأفتلن له حبلا لاينقطع وسطه ولا ينتشر طرفاه قال علي رحمه الله لستُ من كيدك وكيد معاوية في شيء والله لأعطيه الا السيف حتى يدخل في الحق قال ابن عباس وهو والله لايعطيك الا السيف حتى يغلب بباطله حقك قال علي رضي الله عنه وكيف ذاك قال لأنك تُطاع اليوم وتعصي غداً

وانه يطاع فلا يُعصى فلما انتشر على عليّ رضي الله عنه أصحابه وابن عباس بالبصرة فقال لله ابن عباس انه لينظر الى الغيب من ستر رقيق ٠٠ ومثله خبر عمر بن الخطاب رضى الله عنه عنه حين قال لأصحابه دُلوني على رجل استعمله على أمر قد أهمَّني قالوا فلان قال لاحاجة لنا فيه قالوا فمن تريد قال أريد رجلا اذا كان في القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم واذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم قالوا مانعرف هذه الصفة الا فى الربيع بن زياد الحارثيّ قال صدقتم فولاّه ٠٠ ومنه خبر صاحب الأمين فانه حكى انه كان بمدينة السلام شيخ من الكُتّاب مُسِنٌّ قد اعتزل الأمور وكان يوصف بجودة الرأى فدعاه محمد الأمين وشاوره فى أمر أخيه المأمون وما ينبغي ان يعامله به حتى يقع فى يده فقال ان استعجلت لم تنتفع بفعل ولا رأى وان تمهّلتَ وقبلت مشورتى تمكنت من أخيك وذلك انك تدعو بحجاج خُراسان اذا قدموا مدينة السلام وتجلس مجلساً حافلا وتقول لهم ان أخي كتب اليّ يحمدكم ويذكر سمعكم وطاعتكم وجميل مذاهبكم وتجزيهم الخير ثم تقول قد أسقطتُ عنكم خراج سنة ويبقى أخوك فى بلد رجال بلا مال وليس له فى نقض قولك حيلة وسيناله من ذلك خلل شديد حتى ينتقض أكثر أمره ثم تفعل مثل ذلك فى السنة المقبلة وترفع عنهم خراج سنتين فان لم يأتوك بأخيك فى وثاق وكنتُ حيّاً فاضرب عنقى فلم يقبل الأمين ذلك للأمر المقدور والقضاء السابق وعجل الي خلع المأمون فى عقد الأمر لابنه حتى كان ماكان وليس يبلغ في الملك والدولة خاصّة مبلغ الرأى لان الرأى لايحتاج الى السلاح والسلاح يحتاج أهله الى الرأى والا كانت عدّتهم عليهم ضرراً اذا لم يصيبوا في استعمالها وجه الرأى

مساوى من يستشير

قال بعض أهل العلم لو لم يكن فى المشورة الا الاستحقار من صاحبها لك وظهور فقرك اليه لوجب اطِّراح ماتفيده المشورة وإلقاء ماتُكسبه الانسان وما استشرتُ[1] أحداً قط الا كبر عندى وتصاغرت له ودخلته العزة ودخلتنى الذلة فاياك والمشورة وان

(١) ذكر المرصفى فى وسيلة الادب ان هذا وما بعده من كلام عبد الملك بن صالح

ضاقت بك المذاهب واختلفت عليك المسالك وأدّاك الاستبهام الى الخطأ الفادح فان صاحبها أبداً مستذَل مستضعَف وعليك بالاستبداد فان صاحبها أبداً جليل في العيون مهيبٌ في الصدور وان تزل كذلك مااستغنيت عن العقول فاذا افتقرت اليها حقرتك العيون ورجفت بك أركانك وتضعضع شأنك وفسد تدبيرك واستحقرك الصغير واستخف بك الكبير وعرفت بالحاجة اليهم وقد قيل نعم المستشار العلم ونعم الوزير العقل •• وممن اقتصر على رأيه دون المشاورة أبو جعفر المنصور فانه لما حدث من أمر ابراهيم ومحمد ابنيْ عبد الله بن الحسن ماحدث أمسك المنصور عن المشاورة واستبدّ برأيه وأقبل على السهر والخلوة ولم يذكر أمرهما لأحد من أهله وخاصّته وكان تحته مصلّى قد تفزّر لُحمَتُهُ وسَداهُ وكان جلوسه ومبيته عليه فلم يغيره وعليه جُبَّةُ خزٍّ دكْناء قد درِن جيبها فلم يغيرها حتى ظفر وكان يقول في تلك الحال اياك والمشورة فان عثرتها لاتُستقال وزلّتها لاتُستدرك فكم قد رأيت من نصيح عاد نصحه غشاً •• ومنهم الرشيد فانه حُكي عنه انه بعث ذات ليلة الى جعفر بن يحيى انى قد سهرت فوجّه الىَّ بعض سُمّارك فوجّه اليه بسمير له كوفيّ فسامره ليلته فلما ان رجع سأله جعفر عن خبره فقال سامرته ليلتي كلها فأنشدته فما رأيته استحلى الا بيتين من شعر أنشدتهما اياه فانه أُولع بهما وما زال يأمرني بتكريرهما عليه حتى حفظهما فقال جعفر وما هما قال

ليتَ هنداً أنجزَتنا ماتَعِدْ ... وشفَتْ أنفُسَنَا ممـا نَجِدْ
واستبدَّتْ مرَّةً واحـدةً ... انما العاجزُ منْ لايستبِدْ

فقال له جعفر أهلكتني والله وأهلكت نفسك قال وكيف ذاك قال انه كان يرى أن لاغنى به عني وعن مشورتي ولم يكرّر البيتين الا وقد عزم علي ترك مُشاورتي والاستبداد بالرأي فقتله بعد حول وقال الشاعر في مثله

بديهتُهُ وفكرتُهُ سـواء ... اذا مانابهُ الخطْبُ الكبيرُ
وأحزمُ مايكونُ لدهرِ رأياً ... اذا عَميَ المشاوِرُ والمشيرُ
وصدرٌ فيه للهَمِّ اتّساعٌ ... اذا ضاقتْ بمافيها الصدُورُ

ومنهم الشعبي فانه ذكر انه كان صديقاً لابن أبي مسلم كاتب الحجاج وانه لما قُدم به على

الحجاج لقيه فقال له أشرْ عليّ فقال ماأدري بما أشير ولكن اعتذر بما قدرت عليه وأشار عليه بذلك جميع أصحابه قال الشعبي فلما دخلت خالفت مشورتهم ورأيت والله غير الذي قالوا فسلمت عليه بالامرة ثم قلت أصلح الله الأمير ان الناس قد أمروني ان اعتذر بغير مايعلم الله انه الحق وأيمُ الله لاأقول في مقامي هذا الا الحق قد جهدنا وحرصنا فما كنا بالأقوياء الفجرة ولا بالأتقياء البرَرة ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا فان سطوت فبذنوبنا وان عفوت فبحلمك والحجة لك علينا فقال الحجاج أنت والله أحب الينا قولا ممن يدخل علينا وسيفه يقطر من دمائنا ويقول والله مافعلت وما شهدت أنت آمن ياشعبي فقلت أيها الأمير اكتحلت والله بعدك السهر واستحلست الخوف وقطعت صالح الاخوان ولم أجد من الامير خلفاً فقال صدقت فانصرف فانصرفت

محاسن كتمان السر

قال كان المنصور يقول الملوك تحتمل كل شيء من أصحابهم الا ثلاثاً افشاء السر والتعرض للحرم والقدح في الملك وكان يقول سرُّك من دمك فانظر من تملكه وكان يقول سرك لايطلع عليه غيرك أن من أنفذ البصائر كتمان السر حتى يبرم المبروم ٠٠ وقيل لأبي مسلم صاحب الدولة بأيّ شيء أدركت هذا الامر فقال ارتديت بالكتمان واتزَرت بالحزم وحالفت الصبر وساعدتِ المقادير فأدركت ظني وحزت حد بغيتي وأنشد

أدركتُ بالحزمِ والكتمانِ ماعجزَتْ ... عنهُ ملوكُ بني مرْوانَ اذ حشدُوا
مازلتُ أسعى عليهِمْ في ديارِهمُ ... والقومُ في غفلةٍ بالشام قد رقدُوا
حتى ضربتهُمُ بالسيفِ فانتبهوا ... من نَوْمةٍ لم ينَمْها قبلهُمْ أحدُ
ومنْ رَعى غنماً في أرض مَسْبَعَةٍ ... ونامَ عنها توَلّى رَعْيَها الأسدُ

قال وقال عبد الملك بن مروان للشعبي لما دخل عليه جنّبني خصالا أربعاً لاتطريني في وجهي ولا تجرين عليّ كذبةً ولا تغتابنّ عندي أحداً ولاتفشينّ لي سراً ٠٠ وقال النبي صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود

وأنشد المنقرى فى ذلك

النجمُ أقربُ من سِرٍّ اذا اشتملتْ مني على السرّ أضلاعٌ وأحشاء

.. وقال غيره

ونفسَكَ فاحفظها ولا تُفشِ للورى من السرّ ما يُطوى عليه ضميرُها
فما يحفظُ المكتوم من سرّ أهله اذا عقدُ الأسرار ضاعَ كثيرُها
من القوم الاّ ذو عفافٍ يُعينُهُ على ذاك منه صدقُ نفسٍ وخيرُها

قال وقال معاوية بن أبي سفيان أُعِنتُ على علي رضي الله عنه فى أربع خصال كان رجلا ظُهَرَةً عُلَنَةً أي لا يكتم سراً وكنت كتوما لأمرى وكان لا يسعى حتى يفاجئه الأمر مفاجأة وكنت أبادر الى ذلك وكان فى أخبث جندٍ وأشدهم خلافا وكنت في أطوع جندٍ وأقلهم خلافاً وكنت أحب الى قريش منه فنلت ماشئت من جامع الحيّ ومفرق عنه .. وكان يقال لكاتم سره من كتمانه احدي خصلتين وفضيلتين الظفر بحاجته والسلامة من شره من أحسن فليحمد الله وله المنّةُ عليه ومن أساء فليستغفر الله جلّ وعزّ وله الحجة عليه .. وقال بعضهم كتمانك سرّك يعقبك السلامة وافشاؤك سرّك يعقبك التبعةُ والصبر على كتمان السر أيسر من الندم على افشائه .. وقال بعضهم ماأقبح بالانسان أن يخاف على مافي يده اللصوص فيخفيه ثم يمكن عدوّه من نفسه بافشاء سره اليه واظهار مافى قلبه له أو ان يظهره على سر أخيه ومن عجز عن تقويم أمره فلا يلومنّ من لا يستقيم له .. وكان معاوية يقول ماأفشيت سرى الى أحد الا أعقبنى طول الندم وشدة الأسف ولا أودعته جوانح صدرى فحطمته بين أضلاعي الا أكسبنى ذلك مجداً وذكراً وسناء ورفعة فقيل له ولا ابن العاص فقال ولا ابن العاص وكان يقول ما كنت كاتمهُ من عدوّك فلا تظهر عليه صديقك .. وقال النبي صلى الله عليه وسلم من كتم سره كانت الخيرة فى يده ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن وضعْ أمر أخيك على أحسنه ولا تظنن بكلمة خرجت منه سوء اذا كنت واجداً لها فى الخير مذهباً وما كافأت من عصى الله فيك بأكثر من ان تطيع الله جل ذكره فيه وعليك باخوان الصدق فانهم زينة عند الرخاء وعصمة عند البلاء

•• وحدّث ابراهيم بن عيسى قال ذاكرت المنصور ذات يوم أمر أبى مسلم وصونه لذلك السر حتى فعل مافعله فقال

تقسّمنى أمران لم أفتحمهما بحزمٍ ولم تعرُكهما الى الكراكرُ
وماساوَرَ الأحشاء مثلُ دفينةٍ من الهمّ ردّتها اليكَ المقادرُ
وقد علمتْ أفناء عدنان أنني لدى ماعراً مِقدامةٌ مُتجاسِرُ

•• وقال غيره

صُن السرَّ بالكتمان يُرضك غبهُ فقد يُظهِرُ السرَّ المضيعُ فيندَمُ
ولا تُفشينْ سرًّا الى غيرِ أهله فيظهرَ خَرقُ السرّ من حيثُ يُكتم
ومازلتُ في الكتمانِ حتى كأنني برجعِ جواب السائلى عنك أعجمُ
لأسلَمَ من قول الوُشاةِ وتَسلَمى سَلِمْتِ وهل حيٌّ على الناس يَسلَمُ

•• ولآخر

أمِنّي تخافُ انتشارَ الحديـ ـثِ وحَظّيَ فى سترهِ أوفرُ
ولو لم أصُنهُ لِبُقيا عليكَ نظَرتُ لنفسى كما تنظُرُ

•• ولآخر

لسانى كتومٌ لأسراركمْ ودمعي نمومٌ لسرّى مُذيعُ
فلولاَ الدموعُ كتمتُ الهوَى ولولاَ الهوَي لم تكُنْ لى دُموعُ

•• آخر

اذا أنتَ لم تحفظْ لنفسكَ سرّها فسرُّكَ عندَ الناس أفشَي وأضيعُ

أبو نواس

لاتُفشِ أسرارَكَ للناسِ وَداوِ أحزانكَ بالكاسِ
فانّ إبليسَ على مابهِ أرأفُ بالناسِ من الناسِ

•• وقال المبرّد أحسن ماسمعت في حفظ السر ماروى لأمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه

فلا تُفشِ سرّكَ الااليكَ فانّ لكلّ نَصيحٍ نَصيحَا

فانی رأیتُ بُغاةَ الرّجا لِ لایترکونَ أدیماً صحیحاً

•• وقال العتبيّ

ولی صاحبُ سرّی المکتّمُ عندَه محاریقُ نیرانٍ بلَیلٍ تُحَرِّقُ
عَطَفْتُ علی أسراره فکسَوْتُها ثیاباً من الکتمانِ ماتتَخرّقُ
فمن تکنِ الأسرارُ تَطفو بصدْره فأسرارُ نفسی بالأحادیث تَغرَقُ
فلا تُودِعَنَّ الدهرَ سرّکَ جاهلاً فانك ان أوْدَعتَهُ منهُ أحمقُ
وحسبُكَ فی سترِ الأحادیث واعظاً من القولِ ماقالَ الأدیبُ الموفَّقُ
اذا ضاقَ صدرُ المرءِ عن سرّ نفسه فصدرُ الذی یُستَوْدَعُ السرّ أضیقُ

•• آخر

ولرُبما اكْتَتَمَ الوَقورُ فصرّحَتْ حرکاتُهُ للناسِ عنْ کتمانهِ
ولرّبما رُزِقَ الفتی بسکوتهِ ولرُبما حُرِمَ الفتی ببیانهِ

•• آخر

لایکتمُ السرّ الا کلّ ذی خَطَرٍ والسِّرُ عندَ کرامِ الناسِ مکتومُ
والسِّرُ عندی فی بَیْتٍ لهُ غَلَقٌ قدضاعَ مِفتاحُهُ والبیتُ مردومُ

قال ودخل أبو العتاهية على المهدی وقد ذاع شعره في عتبة فقال ماأحسنت فی حبك ولا أجملت فی اذاعة سرك فقال أبو العتاهية

منْ كانَ یزْعُمُ أنْ سیکتمُ حبّهُ أو یستطیعُ السترَ فهوکذُوبُ
واذا بدَا سِرُّ اللبیبِ فانهُ لم یبدُ الاّ والفتی مغلوبُ
الحبُّ أغلَبُ للرجالِ بقَهْرِهِ منْ أنْ یُرَی للسرّ فیه نَصیبُ
انی لأحسُدُ ذاهوی مستحفظاً لم تتّهِمْهُ أعینٌ وقلوبُ

فاستحسن المهدی شعره وقال قد عذرناك في اذاعة سرك ووصلناك على حسن عذرك على ان كتمان ذلك أحسن من اذاعته •• وقال المهلب بن أبى صُفرة ماضاقت صدور الرجال عن شئ كما ضاقت عن السر •• وقال زياد لكل مستشير ثقة ولكل سرمستودع وان الناس قد أبدعت بهم خصلتان اذاعة السر وترك النصيحة وليس موضع السر الا

أحد رجلين رجل آخريٌّ يرجو ثواب الله ورجل دُنياويٌّ له شرف في نفسه وعقل يصون به حسبه وهما معدومان في هذا الدهر

محاسن حفظ اللسان

قال أكثم بن صيفي مقتل الرجل بين فكّيه يعني لسانه •• وقال الشاعر

رأيتُ اللّسانَ على أهلهِ   اذا ساسَهُ الجهلُ ليثاً مُغارا

ومنه قول أكثم رُبَّ قولٍ أشدّ من صولٍ وقوله لكل ساقطةٍ لاقطةٌ الساقطة من الكلام له لاقطة من الناس •• وقال المهلّب لبنيه اتّقوا زَلة اللسان فاني وجدت الرجل تعثر قدمه فيقوم من عثرته ويزلّ لسانه فيكون فيه هلاكه •• وقال يونس بن عبيد ليست خلّة من خلال الخير تكون في الرجل هي أحرى ان تكون جامعةً لأنواع الخير كلها من حفظ اللسان •• وقال قسامة بن زُهير يامعشر الناس ان كلامكم أكثر من صمتكم فاستعينوا على الكلام بالصمت وعلى الصواب بالفكر •• وقال الجاحظ جرى بين شهرام المروزى وبين أبي مسلم كلامٌ فما زال أبو مسلم يقاوله الى ان قال شهرام يالقيط فصمت أبو مسلم وندم شهرام فما زال مقبلاً عليه معتذراً وخاضعاً متنصلا فلما رأى ذلك أبو مسلم قال لسان سبق ووهم أخطأ وانما الغضب شيطان وما جرّأك غيرى بطول احتمالى فان كنت متعمداً للذنب فقد شاركتك فيه وان كنت مغلوباً فالعذر سبقك وقد غفرنا لك على كل حال فقال شهرام أيها الأمير عفو مثلك لايكون غروراً قال أجَلْ قال فان عظم ذنبي لايدع قلبي أن يسكن ولجّ في الاعتذار فقال أبو مسلم ياعجباً كنت تسيء وأنا أحسن فاذا أحسنت أسيء •• وشتم رجل المهلّب فلم يجبه فقيل له حلمت عنه فقال لم أعرف مساويَهُ فكرهت ان أبهته بما ليس فيه •• سلمة بن القاسم عن الزبير قال حملتُ الى المتوكل فأدخلت عليه فقال ياعبد الله الزم أبا عبدالله يعني المعتزّ حتى تعلمه من فقه المدنيين فأدخلت الى حُجرة فاذا أنا بالمعتزّ قد أتى وفي رجله نعلٌ من ذهب فعثر حتى دميت رجله فأُتي بأبريق من ذهب وطست من ذهب

وجعل يغسل ذلك الدم وهو يقول

يُصابُ الفتى منْ عثرةٍ بلسانهِ وليس يُصابُ المرءُ من عثرةِ الرجْلِ
وعثرَتهُ منْ فيهِ ترمى برأسهِ وعثرَتهُ في الرجْلِ تَبرَا على مَهْلِ

فقلتُ في نفسي ضُممتُ الي من أريد أن أتعلّم منه •• وكان يقال ينبغي للعاقل ان يحفظ لسانه كما يحفظ موضع قدمه •• وقيل من لم يحفظ لسانه فقد سلّطه على هلاكه •• وقال الشاعر

عليكَ حفظَ اللّسانِ مجتهداً فانْ جُلّ الهلاكِ في زَلَلِه

•• ولآخر

وجُرْحُ السيفِ تُدْمِلُهُ فيَبْرا وجُرْحُ الدهر ماجرَحَ اللّسانُ
جِراحاتُ الطّعانِ لها التئامٌ ولا يَلْتامُ ماجرَحَ اللّسانُ

•• ولآخر

* وجُرْحُ اللّسانِ كجُرْحِ اليَدِ *

•• ولآخر

وجُرْحُ السيفِ يأسُوهُ المُداوى وجُرْحُ القَوْلِ طُولَ الدهر دَامى

مساوى جناية اللسان

أحمد بن ابراهيم الهاشمي قال لما عفا أبو العباس السفّاح عن سليمان بن هشام بن عبد الملك وعن ابنيه قرّبهم وأدناهم وبسطهم حتى كانوا يسمرون عنده بالليل وكان سليمان اذا دخل ثنيت له وسادة وكذلك لابنيه وربما طُرِحت لهم نمارق ونصبت لهم كراسى فانهم عنده ذات ليلة أو ذات يوم اذ دخل اليه أبو غسّان الحاجب فقال ياأمير المؤمنين بالباب رجل متلثّم أناخ راحلته وقال استاذنْ لى على أمير المؤمنين فقلت ضع عنك ثياب سفرك فقال لاأحط رحلى ولا أسفر عمّتى حتى أنظر الى وجه أميرالمؤمنين فقال أبو العباس فهل سألته من هو قال قد فعلت فذكر انه سُدَيفٌ مولاك فقال

سُدَيف سديف إئذَنْ له فدخل رجل أحمّ طويل يتثّني عليه مَمْطَر خزٍ ومعه محجن يتوكأ عليه فلما نظر الى أبي العباس سفر عن وجهه ثم سلّم ودنا وقبّل يده ثم انصرف الى خلفه فقام مقام مثله وأنشده

أصبحَ المُلكُ ثابتَ الأساسِ بالبَهاليل منْ بَني العبّاسِ
لا تُقيلَنّ عبدَ شَمْسٍ عِثاراً واقطعنْ كلّ رَقْلَةٍ وغِراسِ
ولقد ساءني وساء سِوائي قُربهمْ منْ نمارقٍ وكراسي
أنزِلوها بحيثُ أنزَلها اللهُ بدارِ الهوانِ والإتعاسِ
واذكروا مصرعَ الحسينِ وزيدٍ وقتيلاً بجانبِ المِهْرَاسِ
والقتيلَ الذي بحَرّانَ أمسى ثاوياً بين غُربةٍ وتناسي
نِعمَ شِبْلُ الهِرَاش مولاكَ لولا أوَدٌ منْ حبائل الإفلاسِ

فقام سليمان بن هشام فقال ياأمير المؤمنين ان مولاك هذا مثلَ بين يديك يبعثك على قتلى وقتل ابني ويحدوك على طلب ثارك منا وقد بلغني انك تريد اغتيالى فقال أبو العباس والله ماكان عزمى ان أقتلك ولا أن أُسي بك ولا أطالبك بشيء مما طالبتُ به أهل بيتك فاما اذ قد وقع فى خلَدِك اني أغتالك فياجاهل من يحول بيني وبين قتلك حتى أغتالك ثم أمر بقتله وقتل ابنيه فقال سليمان لقاتله بن الجهم انك قد أُمرت بأمر لابد لك من انفاذه وحاجتى اليك ان تقدّم ابنيّ حتى أحتسبهما ففعل وخرج سديف وقد وصله أبوالعباس بخمسة آلاف دينار وهو يقول قد قرّت العينان واشتفت فلله الحمد والشكر ٠٠ وحكي عن شيرويه بن ابرويز أن رجلا من الرعية وقف له يوما وقد خرج من الميدان فقال الحمد لله الذى قتل ابرويز على يدك وملّكك ماكنت أحق به منه وأراح آل ساسان من جبريّته وعتوّه وبخله ونكده فانه كان يأخذ بالاحنة ويقتل بالظن ويخيفُ البريّ ويعمل بالهوى فقال شيرويه لبعض حُجّابه إحمله الىّ فحمل فقال له كم كانت أرزاقك فى حياة ابرويز قال كنت فى كفاية من العيش قال فكم رزقك اليوم قال مازيد فى رزقى شيء قال فهل وترك ابرويز فانتصرت منه بما سمعت من كلامك قال لا قال فما دعاك الى الوقوع فيه ولم يقطع عنك مادّة رزقك ولا وترك

فى نفسك وما للعامّة والوقوع فى الملوك وهم رعية وأمر أن ينزع لسانه من قفاه وقال حق مايقال الخرس خير من البيان بما لايجب •• وقال بعض الشعراء فى مثله

يااليتَ أنى لاأموتُ بغُصّتى حتى أني رَجُلاً يقولُ فيصدُقُ
إحفظ لسانك لاتقولُ فتُبتلى انّ البــلاء موكلٌ بالمنطقِ

•• ولآخر

لعَمْرُكَ ماشيءٌ علمتُ مكانهُ أحقُّ بسجنٍ من لسانٍ مُذَللِ
على فيكَ مماليسَ يعنيكَ قولهُ بقُفْلٍ شديدٍ حيثُ ماكنتَ فاقفلِ

•• ولآخر

اذا الأمرُ أعْيِيَ اليومَ فانظر به غداً لعلّ عسيراً فى غـدٍ يتيسّرُ
ولا تُبدِ قولاً من لسانك لم يَرُضْ مواقعهُ منْ قبلِ ذاكَ التفكر
ولا تَصْرِمَنْ حبلَ امريءٍ فى رضى امريء فيتّصلا يوماً وحبلك أبترُ

محاسن الصدق

قال بعض الحكماء عليك بالصدق فما السيف القاطع فى كفّ الرجـل الشجاع بأعزّ من الصدق والصـدق عزّ وان كان فيه ماتكره والكذب ذُلّ وان كان فيه ماتحب ومن عُرف بالكذب أتُّهم فى الصدق •• وقيل الصدق ميزان الله الذى يدور عليه العـدل والكذب مكيال الشيطان الذى يدور عليـه الجوْر •• وقال ابن السمّاك ماأحسبني أُوجر على ترك الكذب لاني أتركه أنفة •• وقال الشعبي عليك بالصـدق حيث ترى انه يضرّك فانه ينفعك واجتنب الكذب حيث ترى انه ينفعك فانه يضرّك •• وعن أسماء بنت أبى بكر قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايصلح الكذب الا فى ثلاث كذب الرجل لأهله ليُرضيها واصلاح بين الناس وكذبٌ فى حرب •• وقال بعض الحكماء الصدق عزّ والكذب خضوع •• وقال آخر لو لم يترك العاقل الكذب الا مروءة لقد كان حقيقاً بذلك فكيف وفيه المأثم والعار •• ومن المعروفين بالصدق

أبو ذرّ الغفاري قال النبي صلى الله عليه وسلم ماأظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ •• ومنهم العباس بن عبد المطلب حدثنا الحكم بن عيسى عن الأعمش عن الشعبي قال اطّلع العباس على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده جبريل عليه السلام فقال له جبريل عليه السلام هذا عمك العباس قال نعم قال ان الله جلّ وعزّ يأمرك ان تقرأ عليه السلام وتعلمه ان اسمه عبد الله الصادق وان له شفاعة يوم القيامة فأخبره صلى الله عليه وسلم بذلك فتبسم العباس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان شئت أخبرتك مما تبسمت وان شئت ان تقول فقلْ قال بل تعلمني يارسول الله قال لأنك لم تحلف يميناً في جاهلية ولا اسلام برّة ولا فاجرةً ولم تقل لسائل لا قال والذي بعثك بالحق ماتبسمت الا لذلك •• ومنهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال يوم النهروان لأصحابه شدّوا عليهم فوالله لايقتلون عشرةً ولا ينجو منهم عشرةٌ فشدوا عليهم فوالله ماقتل من أصحابه تمام عشرة ولا نجا منهم تمام عشرة ثم قال اطلبوا ذا الثُّدَيَّةِ فطلبوه فقالوا لم نجده فقال والله ماكذبت قط ولا كُذِّبت والله لقد أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يُقتَلُ مع شرّ جيلٍ يقتلهم خير جيل ثم دعا ببغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فركبها فسار حتى وقف على قايب فيه قتلى فقال اقلبوا القتلى واطلبوه بينهم فاذا هو سابعُ سبعة فلما أخرجه قال الله أكبر لولا أن تنكلوا فتتركوا العمل لأخبرتكم بما جعل الله جل وعزّ لمن قتلهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم •• ومن الأخبار في مثله قيل دخل هشام بن عروة على المنصور فقال له ياأبا المنذر أتذكر حيث دخلت عليك أنا وأخي مع أبي الخلائف وأنت تشرب سويقاً بقصبة يراعٍ فلما خرجنا من عندك قال أبي استوصوا بالشيخ خيراً واعرفوا حقه فلا يزال في قومكم بقية مابقي قال ماأثبت ذاك ياأمير المؤمنين فلامه بعض أهله وقالوا يذكّرك أمير المؤمنين مايمُتُّ به اليك وتقول له لاأذكره فقال لم أذكره ولم يعوّدني الله في الصدق الا خيراً •• قال قدم زياد على معاوية فلما طال بهم المجلس حدّثه زياد بحديث فقال له معاوية كذبت فقال مهلاً ياأمير المؤمنين فوالله ماحلّت للكلام حبوة الا على بيعة الصدق ولم أكذب وحياة الكذب عندي موت المروءة فاستحيا معاوية

وقال يغفر الله لك يأخي فكأني أرى بك حرب بن أمية في جيل شيمه وكرم أخلاقه .. قال وكان الفضل بن الربيع يخاطب الرشيد فقال له الرشيد كذبت فقال يأمير المؤمنين وجه الكذاب لايقابل وجهك ولسانه لايقابل جوابك

محاسن الكذب

روى عن المغيرة بن ابراهيم قال لم يرخّص لأحد فى الكذب الا للحجاج بن علاط فانه لما فتحت خيبر قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لى عند امرأة من قريش وديعة فان أذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أكذب كذبة فلعلّى أن أستلّ وديعتى قال فرخّص له فقدم مكة فأخبرهم انه ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيراً فى أيديهم يأتمرون فيه قائل يقول يُقتل وقائل يقول لا بل يبعث الى قومه فيكون ذلك مِنّةً فجعل المشركون يتباشرون بذلك ويؤنسون العباس عليه السلام عم النبي صلى الله عليه وسلم منه والعباس يُريهم التجلد وأخذ الرجل وديعته فاستقبله العباس فقال ويحك ماالذى أخبرت به فأعلمه السبب ثم أخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر واستنكح صفيّة بنت حُيَيّ بن أخطب وقتل أباها وزوجها وقال له اكتم عليّ اليوم وغداً حتى أمضى ففعل ذلك فلما مضى أخبرهم العباس بالذى أخبره فكُبِتوا .. وروى ان رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني أستسرّ بخلال أربع الزنا والسرق وشرب الخمر والكذب فأيهنّ أحببت تركته لك سرًّا فقال دع الكذب فمضى الرجل فهمّ بالزنا فقال يسألنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان جحدتُ نقضتُ ماجعلته له وان أقررت حُددت فلم يزْن ثم همّ بالسرقة وبشرب الخمر ففكر فى مثل ذلك فرجع الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام تركتهنّ أجمعَ .. ومن مُلَح الكذب قيل انه كان بين يحيى بن خالد البرمكى وبين عبد الله بن مالك الخزاعي عداوةٌ وتحاسُد وكان كل واحد منهما ينتظر لصاحبه الدوائر فلما ولى عبد الله بن مالك اذربيجان وأرمينية ضاق برجل من

الدهاقين بالعراق الأمرُ وتعذّرت عليه المطالب فحمل نفسه على ان افتعل كتابا على لسان يحيي بن خالد الى عبد الله بن مالك بالوصاة به وأكّد بمعاونته كل التأكيد ولم يعلم مابينهما من التباعد فشخص من مدينة السلام الى أذربيجان وصار الى باب عبد الله ابن مالك بالكتاب فأوصله الحاجب فقال له عبد الله أدخِلْ صاحب هذا الكتاب فأدخله فقال له عبد الله ان كتابك هذا مفتعل ولكنك قد تجشّمتَ هذه الشقة البعيدة ولسنا نخيبك فقال الرجل أما كتابي فليس بمفتعل وان كنت انما تقصد بهذه التهمة لتصرفني فالله جلّ وعزّ حسبي وعليه أتوكل فقال عبد الله أفترى ان تحبس فى دار وتزاح علّتك الى أن أكتب وأستطلع الرأى وأعرف نبأ هذا الكتاب فان كان مزوّراً عاقبتك وان كان صحيحاً خيّرتكَ بين الصلات والولايات فأيها اخترت سوّغتكه قال نعم فأمر عبد الله بحبسه وازاحة علّته وكتب الي وكيله بالعراق ان رجلا يسمي فلان بن فلان أورد عليّ كتاباً من أبى عليّ يحيي بن خالد البرمكي فتعرّف لي أمر هذا الكتاب واكتب اليّ بالحال فيه فصار الوكيل بكتاب عبد الله الى يحيى بن خالد فقرأه عليه فدعا بالدواة وكتب اليه بخطه فلان من أخصّ من يليني وأوجبهم حقاً وقد أخبرنى صاحبك بشكك فى أمره فأزِلْ جعلتُ فداك الشكّ وليكن صرفهُ اليّ معجلا بما يشبهك فلما خرج الوكيل قال يحيي لأصحابه ماتقولون فى رجل افتعل عليّ كتاباً الي عبد الله بن مالك وصل به من مدينة السلام الى أذربيجان فقالوا جميعاً نرى ان تفضحه وتكشف ستره وتعلن أمره ليرتدع به غيره ويصير نكالا وأحدوثة للعالمين قال لا والله وهذا رأيكم قالوا نعم فقال قبح الله هذا من رأي فما أقله وأنذله ويحكم هذا رجل ضاق به الرزق فأمل فيّ خيراً ووثق بى وشخص الي أذربيجان مع بُعد شقتها وصعوبة طريقها أتشيرون عليّ ان أحرمه ماأمّله فيّ حتي يسوء ظنه بي وقد عرفتم قدر عبد الله وحاله عند أمير المؤمنين وانى لم أكن أحتال لهذه المنزلة الاّ بالخطير من المال أفتريدون أن أرد الأمر بيى وبينه بعد الالفة الواقعة الى الحشمة هذا والله النكد طول الأبد وغاية الضعف ونهاية أسباب الانتكاس ثم أخبرهم بما كتب به الى عبد الله فتعجبوا من كرمه واحتماله الكذب وورد الكتاب بخطه على

عبد الله فدعا بالرجل وقد سقط فى يده لاعتراض سوء الظنّ بقلبه فلما دخل عليه قال هذا كتاب أخي قد ورد عليّ بصحة أمرك وسألني تعجيل صرفك اليه فدعا له بمائتي الف درهم وبما يتبعها من الدوابّ والبغال والجوارى والغلمان والخلع وسائر الآلة ثم أصدره فلما حضر باب يحيي بن خالد أدخل ذلك أجمع اليه وعرضه عليه فأمر له يحيي بمثل ذلك وأثبته فى خاصته •• قيل وكان رجال من أهل المدينة من فقيه وراوية وشاعر يأتون بغداد فيرجعون بحظوة وحال حسنة فاجتمع عدة منهم يوماً فقالوا لصديق لهم لم يكن عنده شيء من الآداب لو أتيت العراق فلعلك كنت تصيب شيئاً فقال أنتم أصحاب آداب تلتمسون بها قالوا نحن نحتال لك فجهزوه وقدم بغداد وطلب الاتصال بعليّ بن يقطين ابن موسى وشكا اليــه الحاجة فقال ما عندك من الأدب قال ليس عندى من الآداب شيء غير اني أكذب الكذبة فأخيّل الي من سمعها انى صادق وكان ظريفاً مليحاً فأُعجب به وعرض عليــه مالا فأبى أن يقبله وقال لست أريد منك الا أن تسهل إذنى وتُدْنى مجلسي قال ذاك لك فكان من أقرب الناس اليــه مجلساً حتى عُرِفَ بذلك وكان المهديّ غضب على رجل من القوّاد حتى استصفى ماله فكان يختلف الى عليّ بن يقطين رجاء أن يكلم له المهديّ وكان يرى قرب المدنيّ منه ومكانه فأتى المدنيّ القائدَ عشاءً وقال له ما البشرى فقال لك البشرى وحكمك قال قد أرسلنى اليك عليّ بن يقطين وهو يقرئك السلام ويقول قد كلمتُ أمير المؤمنين فى أمرك ورضىَ عنك وأمر برد مالك وضياعك ويأمرك بالغدو عليه لتغدو معه الى أمير المؤمنين متشكراً فدعا له الرجل بألف دينار وثياب وكسوة وحُملان ودفعها اليه وغدا على عليّ مع جماعة من وجوه العسكر متشكراً فقال له عليّ وما ذاك فقال أخبرنى أبو فلان وهو الى جنبه بكلامك لأمير المؤمنين في أمرى ورضاه عنى فالتفت الى المدنيّ فقال ما هذا فقال أصلحك الله هذا بعض ذلك المتاع نشرناه فضحك عليّ وقال عليّ بدابّتي فركب إلي المهدىّ وحدثه بالحديث فضحك المهدى وقال لعليّ فانا قد رضينا عن الرجل ورددنا عليــه ماله فأجر عليّ المدني رزقاً واسعاً واستوص به خيراً فأجرى عليه ووصله وكان يُعرف بكذاب الخليفة •• قال وكتب عبد الملك بن مروان الى عمر بن محمد صاحب البلقاء أن آخطبْ على الشقراء

بنت شبيب بن عوانة الطائيـة وهو يومئذ فى بادية له ومعه عدة من أصحابه فأرسل اليه عمر ان أمير المؤمنين كتب الى أن اخطب عليه الشقراء ابنتك فأحضر فارسل اليه فقال مالنا اليكم حاجة فان كانت لأمير المؤمنين الينا حاجة فيأت أو يرسل رسولا فقال عمر سيروا بنا اليـه فسار فى جماعة من وجوه البلقاء قال فدفعنا الى أعرابي بفناء خيمته فسلمنا فرد السـلام وتكلم عمر فقال الاعرابي أرسول أمير المؤمنين أنت قال نعم قال فانا قد زوجناه على صداق نسائنا مائة من الابل وما يتبعها من الثياب والخـدم فقلت نعم ثم جاءنا بثلاث جفان من كسور خبز ولبن فأكلنا ثم انصرفنا فكتبت الى عبدالملك ابن مروان فأرسل اليـه بمائة من الابل وعشرة آلاف درهم وما يتبع ذلك من الطيب والخدم والأثاث فجهزها ثم حملها الى عبد الملك وما معها من ذلك شىء الا البعير الذى ركبته ومعها نسوة من بنات عمها فلما وافت عبـد الملك أمر فأدخلت الى دار فأقامت أياماً ثم ان عبـد الملك بني بها فكان كثيراً ما يقول ما رأيت مثل هذه الأعرابية ظرفاً وخلقاً ومنطقاً فاشتد ذلك على عاتكة بنت يزيد بن معاوية فأرسلت الى روح بن زنباع وكان من أخص الناس بعبد الملك فقالت ياأبا زرعة قد علمت رأى أمير المؤمنين معاوية كان فيك ورأي يزيد من بعده وان أمير المؤمنين قد أعجبه أمر هذه الاعرابية وغلبت على قلبه فشأنك فى افساد ذلك عنده قال نعم ونعمة عين ثم خلا بعبد الملك فقال يا أمير المؤمنين كيف ترى الاعرابية قال قد جمعت ما جمع النساء الحاضرة والبادية قال يا أمير المؤمنين انك من الاعرابية كما قال الأول

وإذا تسرك من تميم خلة فلما يسوءك من تميم أكثر

فقال له لا تقل ذلك قال كأنك بها قد حالت الى غير ما هي عليه فكثر ذلك منه ثم ان عبد الملك دخل عليها فقال ياشقراء أعلمت ان روحاً قال لى كذا وكذا قالت ولم ذاك وحال عشيرتى وعشيرته كما تعلم قال هو على ماقلت لك وان أحببت أسمعتك ذلك منه فقالت قد أحببت فأمرها أن تجلس خلف الستر وأرسل الى روح فلما دخل عليه قال هيه يا أبا زرعة والله لقد وقع كلامك مني موقعاً قال نعم يا أمير المؤمنين ان الاعرابية تنتكث كانتكاث الحبل ثم لا تدرى ما أنت عليه منها فعجلت ورفعت الستر وقالت أنت

فلا حياك الله ولا وصل رحمك قد كان يبلغني هذا عنك فما كنتُ أصدّق فوثب روح وقال يا هـذه ان هذا أرسل اليّ فأعلمني انك خلف الستر وعزم عليّ أن أتكلم بهذا فلم أجد بداً من أن أبرّ عزيمتـه وأما أنت فلا يسوءك الله قالت صدق والله ابن عمي وأنت الذي حملته على ماقال فقال عبد الملك ويلك يا شقراء لا تقبلي منه قالت هو عندي أصدق منك وجعل روح يقول وهو مولٍّ هو والله الحق كما أقول فخرج ووقع الكلام بينهما •• وقال خالد بن صفوان دخلت على أبي العباس وهو خالي المجلس فقلت يا أمير المؤمنين ان رأيت أن تأمر بحفظ الستر لألقي اليك شيئاً أنصحك به أو قال فيه فأمر بذلك فقلت يا أمير المؤمنين فكرت في هذا الأمر الذي ساقه الله اليك ومنّ به عليك فرأيتك أبعد الناس من لذّته وأتعب الخلق فيه قال وكيف ذاك ياخالد قلت باقتصارك من الدنيا على امرأة واحدة وتركك البيضاء المشتهاة لبياضها والخضرة التي تراد لخضرتها والسمينة المشتهاة لوطائها وذكرت الرشيقة الرخيمة والجعدة السبطة فقال يا خالد هذا أمرٌ مارّ بسمعي فاستأذن في الانصراف فأذن له وخرجت اليه أم سلمة وهو ينكت بالقلم على دواة بين يديه فقالت يا أمير المؤمنين أراك مفكراً إنتقض عليك عدوٌّ قال كلاّ ولكن كلام ألقاه اليّ خالد بن صـفوان فيه نصيحتي وشرح ذلك لها قالت فما قلت لابن الزانية قال ينصحني وتشتمينه فقامت عنه وبعثت الى مائة من مواليها فقالت لهذا اليوم اتخذتكم وأعددتكم امضوا الى خالد بن صفوان فحيث وجدتم خالدا فاهوُوا الى أعضائه عضواً عضواً فرُضوها فطُلبتُ ومررت بقوم أحدثهم اذ أقبل القوم فدخلت في جملتهم ولجأت الى دار ووقعت البغلة فرضوها بالأعمدة وبقيتُ لا تظلني سماء ولا تقلّني أرض فاني جالس ذات يوم اذ هجـم عليّ قوم فقالوا أجب أمير المؤمنين فقمت ولا أملك من نفسي شيئاً حتى دخلت عليه وهو في ذلك المجلس وأنا أسمع حركةً من وراء الستر فقلت أمّ سلمة والله فقال ياخالد لم أرك منذ ثلاث قلت كنت في علة لي ثم قال الكلام الذي كنت ألقيته اليّ في بعض الأيام أعده عليّ قلت نعم يا أمير المؤمنين ان العرب اشتقت اسم الضرّ من الضرتين وان الضرائر شر الذخائر والاماء آفة المنازل ولم يجمع رجلٌ بين امرأتين الا كان بين جمرتين تحرقه واحدة بنارها وتلحقه الاخرى بشرارها قال ليس هذا هو

قلت بلى قال ففكر قلت نعم ياأمير المؤمنين وأخبرتك ان الثلاث اذا اجتمعن كن كالأثافى المحرقة وان الأربع يتغايرن فلا يصبرن ويتمالين فلا يهوين وان أعطين لم يرضين قال لاوالله ما هو هذا قلت يا أمير المؤمنين وأخبرتك انالأربع همٌّ ونَصَب وضجر وصخبٌ انما صاحبهن بين حاجة تطلب وبلية تترقب ان خلا بواحدة منهن خاف شر الباقيات وان آثرها كنّ له أعدى من الحيات وأخبرتك ان الجواري رجال لاخُصى لهنّ وخُرُقٌ لاحياء معهنّ قال لا والله ماهو هذا قلتُ بلى انّ بني مخزوم ريحانة العرب وكنانة بيت قريش وعندك ريحانة الرياحين وسيدة نساء العالمين وحدثتني انك تهم بالتزوج فقلت لك هيهات تضرب فى حديدٍ بارد ليبين ذلك بكأن آخرَ الزمان المعاين قال ويلك أتستعمل الكذب قلت فع السيوف لعب قال فاذهب فانك أكذب العرب قلت فأيهما أصلح أكذبُ أم تفتانى أم سلمة فاستلقى ضاحكا وقال اخرج قبحك الله وارتفع الضحك من وراء الستر وانصرفت الى منزلى فاذاخادم لأم سلمة ومعه خمس بدر وخمس تخوت وقال الزم ما سمعناه منك •• قال الأصمعي قال الخليل بن سهل يا أبا سعيد أعلمت ان طول رمح رُستم كان سبعين ذراعاً من حديد مصمت فى غلظ الراقود قال فقلت هاهنا أعرابي له معرفة فاذهب بنا اليه نحدثه بهذافذهبت به الى الاعرابى فقال له ذلك فقال الاعرابى قد سمعنا بهذا وقد بلغنا ان رستم هذا واسفنديار أتيا لقمان بن عاد بالبادية فوجداه نائماً ورأسه فى حجر أمه فقالت لها ما شأنكما فقالا بلغنا شدة هذا الرجل فأتيناه فانتبه فزعاً من كلامهما فنفخهما فألقاهما الى إصفهان فقبورهما اليوم بها فقال الخليل قبحك الله ما أكذبك فقال يابن أخي ماييننا شيء الا وهو دون الراقود •• قيل وقدم بعض العمال من عمل فدعا قوماً الى طعامه وجعل يحدثهم بالكذب فقال أحدهم نحن كما قال الله عز وجل ﴿ سماعون للكذب أكالون للسحت ﴾

وممن ذم الكذب

قيل انه وجد في كُتب الهند ليس لكذوب مروءة ولا لفجورٍ رياسة ولا لملول

وفاء ولا لبخيل صديق •• وقال قتيبة بن مسلم لبنيه لا تطلبوا الحوائج من كذوب فانه يقرّبها وان كانت بعيدة ويبعدها وان كانت قريبة ولا الى رجل قد جعل المسألة مأكلة فانه يقدم حاجته قبلها ويجعل حاجتك وقايةً لها ولا من أحمق فانه يريد نفعك فيضرك •• وقيل أمران لا ينفكان من كذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار •• وقال كفاك موبّخاً على الكذب علمك بانك كاذب •• وقال رجل لأبي حنيفة ما كذبتُ قط فقال أما هذه فواحدة •• وفي المثل هو أكذب من أسير السند وذلك انه يؤخذ الخسيس منهم فيزعم انه ابن الملك ويقال هو أكذب من الشيخ الغريب وذلك انه يتزوج في الغربة وهو ابن سبعين سنة فيظن انه ابن أربعين سنة •• وقيل هو أكذب من مسيلمة •• ومما قيل في ذلك من الشعر

حَسْبُ الكذوبِ من البليّةِ بعضُ ما يُحكي عليه
ما انْ سَمِعْتَ بكِذْبَةٍ من غيرِهِ نُسبتْ اليهِ

آخر ••

لقد أخلفتني وحلفتَ حتى إخالُكَ قد كذبتَ وان صدقتا
ألا لا تحلفنَّ على يمينٍ فأكذبُ ما تكونُ اذا حلفتا

•• آخر

كلامُ أبي خلفٍ كلّهُ نِداءُ الفواختِ جاء الرُّطَبْ
وليسَ وان كنَّ يُشبهنهُ يُقاربنه أبداً في الكذبْ

•• آخر

قد كُنتُ أعجزُ دهراً ماوعدتُ الى أن أتلفَ الوعدُ ماجمعتُ من نَشَبِ
فإنْ أكُنْ صرتُ في وعدي أخا كَذِبٍ فنُصرَةُ الصدقِ أفضتْ بي الى الكذبِ

محاسن فضل المنطق

سُئل بعض الحكماء عن المنطق والصمت فقال انك تمدح الصمت بالمنطق ولا تمدح

المنطق بالصمت وما عبر عن شيء فهو أفضل منه •• وسُئل آخر عنها فقال أخزى الله المساكتة فما أفسدها للسان وأجلبها للعيّ والحَصر والله لَلمماراةُ في استخراج حق أمرع في هدم العي من النار في يابس العَرْفج فقيل له قد عرفت ما في المماراة من الذمّ فقال ان ما فيها أقل ضرراً من السكتة التي تورث عللا وتولد أدواء أيسرها العي •• وقال بعض الحكماء اللسان عضو فان مرنته مرن وان حرّكته حرن

محاسن الصمت

الهيثم بن عديّ قال بعض الحكماء تكلم أربعة من الملوك بأربع كلمات رُميت عن قوس واحدة فقال كسرى أنا على رد مالم أقل أقدرُ مني على رد ما قد قلت وقال ملك الهند اذا تكلمت بالكلمة ملكتني وان كنت أملكها وقال قيصر لا أندم على ما لم أقل وقد أندم على ما قد قلت وقال ملك الصين عاقبة ما قد جرى به القول أشد من الندم على ترك القول •• وقال بعضهم من سخافة الانسان أن يكون الاستماع أحب اليه من المنطق اذا وجد من يكفيه فانه لن يعدم في الاستماع والصمت سلامة وزيادة في العلم •• وقال بعض الحكماء من قدر أن يقول فيحسن قادر أن يصمت فيحسن وليس كل من صمت فأحسن قادر أن يقول فيحسن •• وقال أبوعبيد الله كاتب المهدي كنْ على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام وكان يقال من سكت فسلم كان كمن قال فغنم •• وقال علي بن عبيدة الصمت أمانٌ من تحريف اللفظ وعصمة من زَيغ المنطق وسلامة من فضول القول •• وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جل وعزّ يكره الانبعاق في الكلام فرحم الله امرءًا أوجز في كلامه واقتصر على حاجته •• قيل وكلم رجل سقراط بكلام أطاله فقال أنساني أول كلامك طولُ عهده وفارق آخره فهمي بتفاوته قيل ولما قُدِّم ليقتل بكت امرأته فقال ما يُبكيك قالت تقتل ظلماً قال وكنت تحبين أن أقتل حقاً •• قيل ودخل رجل على معاوية ومعه ابن له يتوكأ عليه فقال من هذا الغلام معك قال ابنٌ لي يتيم قال حق لِمَن كنت أباه أن يكون يتيما

محاسن الكلام فى الحكمة

اصبر محتسباً مأجوراً والا صبرت مضطراً مأزوراً • المصيبة بالصبر أعظم المصيبتين ان بقيت لم يبق الهم • اذا حضر الأجل افتضح الأمل • الأمل يخطى الأجل • من شاركَ السلطان فى عز الدنيا شاركه فى ذل الآخرة • لا تُستبطئ الدعاء بالاجابة وقد سددت طريقه بالذنوب • واجد لا يكتفى وطالب لا يجد • الحاسد مغتاظٌ على من لا ذنب له بخيل بما لا يملكه • شكرك نعمة سالفة يقتضى لك نعمة مستأنفة • مَن قَبل عطاءك فقد أعانك على الكرم • لولا من يقبل الجور لم يكن من يجور • • من مدحك بما ليس فيك فخقيق بأن يذُمك بما ليس فيك • من تكلف ما لا يعنيه فاته ما يعنيه • • من أحس بضعف حيلته عن الاكتساب بخل • عالم معاندٌ خير من جاهل منصف • أطع من هو أكبر منك ولو بليلة • حافظ على الصديق ولو فى حريق • أعظم المصائب انقطاع الرجاء • اذا كفيت فاكتفِ • الليل أخفى للويل • عين عرفت فذرفت • لم يفتْ من لم يمت • أصدعُ الفراق بينُ الرفاق

محاسن البلاغة

يقال في المثل هو أبلغ من قُس وكان من حكماء العرب وهو أول من كتب من فلان الى فلان وأقرّ بالبعث من غير نبي وأول من قال البينة على المدعِي واليمين على المدَّعَى عليه •• وقال فيه الأعشى

وأبلغُ من قُسٍ وأجرى من الذى بذى الغيلِ منْ خَفّانَ أصبحَ خادِرَا

قال وسُـئل ارسطاليس عن البلاغة فقال ان تجعل فى المعنى الكثير كلاماً قليلا وفي القليل كلاماً كثيراً •• ووصف آخر بلاغة رجلٍ فقال كيف قادهم الله بأزمّة أنوفهم الى مصارع حتوفهم •• وقال اليونانيّ البلاغة تصحيح الأقسام واختيار الكلام •• وقال الرومي البلاغة حسن الاقتصاد عند البديهة والاقلال عند الاطالة •• وقال الهندي

البلاغة وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة •• وقال الفارسيّ البلاغة أن تعرف الفصل من الوصل •• وقال ابراهيم الامام يكفي من حظ البلاغة أن يؤتى السامع من سوء افهام الناطق ولا يؤتى الناطق من سوء افهام السامع •• وسُئل آخر عن البلاغة فقال أن تجعل بينك وبين الإكثار مِسْوَرةً للاختصار •• وقال الأحنف البلاغةُ الوقوف عند الكفاية وبلوغ الحاجة بالاقتصاد •• وقال معاوية لصُحارٍ العبدي ماالبلاغة فقال ان تجيب فلا تُبطئ وتقول فلا تخطئ •• وقيل لبعضهم ما البلاغة فقال أن لا تُبطئ ولا تخطئ •• وقيل البليغ من أغناك عن التفسير •• وقال خالد بن صفوان ليست البلاغة بخفّة اللسان ولا كثرة الهذيان ولكنها إصابة المعنى والقصد للحجة

محاسن الادب

قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه كفى بالأدب شرفاً أنه يدّعيه من لا يُحسنه ويفرح اذا نُسب اليه وكفى بالجهل خمولا انه يتبرأ منه وينفيه عن نفسه من هو فيه ويغضب اذا نُسب اليه فأخذ بعض المولدين معنى قوله فقال

ويكفي خمولاً بالجهالة أنني أُراعُ متى أُنسَبْ إليها وأغضبُ

وقال رحمة الله عليه قيمة كل امرئ ما يُحسنُ فرواه بعض المحدثين شعراً فقال

قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ وهو اللبيبُ الفطن المتقنُ
كل امرئ قيمتُه عندنا وعندَ أهل العلم ما يُحسنُ

وأنشد أبو الحسن بن طباطبا العلويّ لنفسه

حسودٌ مريضُ القلبِ يخفى أنينَه ويُضحي كئيبَ البالِ عندي حزينَه
يلومُ على أن رحتُ في العلمِ راغباً وأجمع من عند الرواةِ فنونَهُ
فأعرِفُ أبكارَ الكلامِ وعونَها وأحفظ مما أستفيد عيونَهُ
ويزعُمُ أن العلم لا يجلب الغنى ويُحسنُ بالجهلِ الذميمِ ظنونَه
فيا لائمي دعني أغالي بقيمتي فقيمة كلِّ الناسِ ما يُحسنونَه

وقيل الأدب حياة القلب ولا مصيبةَ أعظم من الجهل .. وأنشدنا الكسروى

عِيٌّ الشريفِ يشينُ مَنصِبهُ وترى الوضيعَ يَزينُه أدبُه

.. قال وسمع بعض الحكماء رجلا يقول انى غريب فقال الغريب من لا أدب له .. وكان يقال من قعد به حسبه نهض به أدبه .. وقال علىّ بن أبي طالب رضى الله عنه العلم خير من المال لأن العلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال يُبيده الانفاقُ والعلم يزكو على الانفاق والعلم حاكم والمال محكوم عليه .. وقيل لبزرجمهر الأدب أفضل أم المال قال بل الأدب قيل له فما بال الأدباء بباب الأغنياء ولا نرى الأغنياء بباب الأدباء فقال لعلم الأدباء بمقدار فضل المال وجهل الأغنياء بمقدار الأدب .. وقال بعض الحكماء ان كان الرزق لا بدّ مطلوبا بسبب فأفضلُ أسبابه ما افتتح بالأدب ونظرنا فلم نره اجتمع لشئ من أصناف صناعات كما اجتمع للكتبة لأنها لا تكمل لأحد حتى يبتدئها برياضة نفسه فى الأدب فينفذ فى الخط والبلاغة فى الكتب والفصاحة فى المنطق والبصر بصواب الكلام من خطابه والعلم بالشريعة وأحكامها والمعرفة بالسياسة والتدبير

المناظرات فى الادب

حدثنا أبو ناظرة البصرىّ عن المازنى قال بينا أنا قاعدٌ في المسجد اذا صاحبُ بريد قد دخل وهو يسأل عني ويقول أيُّكم المازني فأشار الناس الىّ فقال أجِبْ قلتُ ومن أجيب قال الخليفة فذُعِرتُ منه وكنتُ رجلا فاطمياً فظننتُ أن اسمى رُفع فيهم فقلت أصلحك الله تأذن لى أن أدخل منزلي فأودع أهلى وأتأهب لسفرى فقال إفعل فعلمت انه لو كان شراً لما أذن لى فسكنت الى قوله ودخلت المنزل فودعتهم وخرجت اليه فحملنى على دابة من دواب البريد حتى وافى بى باب الواثق فما كان الا قليلا حتى أذن لى فدخلت الى بَهوٍ واذا رجل قاعد وعلى رأسه سبعون وصيفاً فذهبت أسلم عليه بالخلافة فقيل لى هذا بغا ثم تقدمت الى بهو آخر فاذا رجل قاعد على كرسي وبين يديه سبعون وصيفاً فذهبت أسلّم عليه بالخلافة فقيل هذا وصيف

حتى دفعت الى الستر فما زال يقول اذهب ادنُ ادنُ حتى حاذاني بسريره ثم قال ماسمك قلت بكر بن محمد قال ممن سمعتها يعني اللغة قلت من مزاحم العقيلي فقال حدثني فلم أدر بما أحدثه وقلت لعل حديثي على البديهة لايعجبه قلت يا أمير المؤمنين قال رؤبة بن العجاج

لاتَمَلُوَاها وادْلُواها دَلْوَا ان معَ اليوم أخاهُ غدْوَا

فكأنه فَطِنَ لما أردت فقال أجل أتدرى لِمَ دعوناك قلت لا قال وقع بيني وبين جارية لى شجار في بيت أردت لها إعرابه فامتنعت علىّ وقالت سَلِ المازني قلت فأسمعني ياأمير المؤمنين قال نعم وأومأ الى خادم بين يديه فضرب ستارة كادت عيني تلتمع من كثرة ذهبها ثم سمعت وراءها نقراً لولا جلالةُ أمير المؤمنين لرقصتُ عليه ثم غنت

أظَلومُ إنَّ مُصابكم رَجُلاً أهدَى السلامَ تحيةً ظُلْمُ

•• فقال كيف ماسمعت قلتُ صواب قال فقد أخطأنا اذاً قلت وكيف قال أمير المؤمنين قال

أظَلوم إنَّ مُصابَكمْ رَجُلٌ أهدَى السلامَ تحيةً ظُلْمُ

فقلت وأصاب أمير المؤمنين قال فكاد يقوم اليّ فرحاً ثم أدخل رأسه في الستارة فأومأ اليّ الخادم في الخروج فخرجت فناولني صُرَّةً فيها خمسمائة دينار وحملت على البريد حتى رددت الى منزلي بالبصرة والشعر لأبي دِهْبِلٍ الجُمَحي يقول فيه

عُقِمَ النساءُ فلا يَلِدْنَ بمثله ان النساء بمثله عُقْمُ

فلا يلدن شبيهه أجود •• وحدثنا علىّ بن يزيد عن اسحاق بن المسيب بن زهير قال حدثني المفضل قال كنت يوما عند الصراة ببغداد وكنت في الصحابة فأتاني رسولُ المهدى فقال لى أجبْ فخفت أن يكون ساعٍ سعى بي فدخلت منزلى ولبست ثيابى وهممت أن أخبر أهلى ثم قلت لم أعجل لهم الهمّ ان كان خير سيأتيهم وان كان غير ذلك فلا أكون عجلته لهم فضيت حتى دخلت عليه وأنا مرعوب فسلمت عليه ورد السلام واذا عنده الفضل بن الربيع وعلىّ بن يقطين وغيرهما فقال ان هؤلاء زعموا انك أعلم الناس بالشعر فأخبرني ما أشعر بيت قالته العرب فوقعت في شيء لم أدرِ كيف هو فجهدت

والله ان أنشده بيتاً من شعر فما قدرت عليه فقال لى مالك لاتتكلم فجري على لساني ذكر الخنساء فقلت لقد أحسنت الخنساء فى قولها

وانّ صخراً لمولانا وسيّدنا وانّ صخراً اذا نشتو انحّارُ

وانّ صخراً لتأتمّ الهداة به كأنه علم في رأسه نارُ

قال فاستبشر بذلك وسُرَّ سروراً شديداً ثم قال أنت والله أعلم الناس وقد قلت هذا لهؤلاء فأبوا عليّ فنال القوم كان أمير المؤمنين أولى بالصواب فقال لى يامفضّل أسهرتنى البارحة أبيات حسين بن مُطير الأسدي قلت وأي أبياته قال قوله

وقد تغدرُ الدنيا فيُضحي غنيُّها فقيراً ويغنى بعد بؤس فقيرُها

وكم قد رأينا من تغيّر عيشةٍ وأخرى صفا بعد اكدرارٍ غديرها

قلت مثل هذه فليسهرك يا أمير المؤمنين زادك الله توفيقاً وتسديداً قال حدثني يامفضّل قلت أيّ الأحاديث تحب قال أحاديث الاعراب فما زلت أحدثه حتى بلغت الشمس منه ثم قال مالك قلت ياسيدى ماتسأل عن رجل مأخوذ بعشرة آلاف درهم ليست عنده قال عليك عشرة آلاف درهم قلت نعم فقال ياربيع احمل اليه عشرة آلاف درهم لقضاء دَينه وعشرة آلاف يبنى بها داره وعشرة آلاف ينفقها على عياله فرجعت ومعي ثلاثون ألف درهم •• وقال النضر بن شُميل دخلت على المأمون بمرو وهو فى بمرو له فى يوم صائف وعليّ قميص مرقوع فقال يانضر تدخل على أمير المؤمنين في خُلقان ثيابك فقلت ياأمير المؤمنين حر مرو وأنا شيخ كبير لاأحتمل الحرّ ولا البرد ثم أنشدته

لوْ يُشترَى الشبابُ لاشتريتهُ شبابيَ النضرَ الذى أبَايَنهُ

* بكلّ مالِي ثم مااستغليتهُ *

ثم أجرينا الحديث فقال يانضرأي النساء أحب اليك قلت البيضاء الفرعاء المديدة •• فقال حدّثنى هُشيم بن بشير عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوّج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان له فيها سداد من عوَزٍ قلت صدق هُشيم حدثنى عوف عن الحسن عن على بن أبى طالب كرّم الله وجهه قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوّج الرجل المرأة لدينها كان له فيها سِداد من عوز قال يانضر والسداد خطأ قلت خطأ ياأمير المؤمنين قال وما يُدريك قلت السداد بالفتح القصد في الدين وفي السبيل والسداد البُلغة وكل شيء سددت به شيئاً فهو سداد قال أتعرف العرب ذلك قلت نعم هــذا العرجي من ولد عثمان بن عفّان رحمــه الله حيث يقول

أضاعُونى وأيَّ فتى أضاعُوا ليوم كريهةٍ وسِدادِ ثغرِ

فاستوى جالساً وقال قبح الله من لاأدب له ثم أقبل عليَّ فقال أخبرنى بأخلب بيت قالته العرب قلت قول ابن بيض فى الحكم بن مروان

تقولُ لى والعيونُ هاجعةٌ أقِمْ علينا يوماً فلم أُقِمِ
متى يَقُلْ صاحبُ السُّرادِقِ هـ ـذا ابنُ بيضٍ بالباب يَبتسمِ
قدكنتُ أسلمتُ فيكَ مُقتبلاً فهاتِ أدخلْنُ وأعطني سَلَمى

قال لقد أحسن وأجاد فأخبرنى بأنصف بيت قالته العرب قال قول أبي عروبة

إنى وإنْ كانَ ابنُ عمى واغِلاً لَمُدَاهِنٌ من خلفِــه ووراثهِ
ومُفيدُهُ نَصْرى وإنْ كانَ امرأً مُتباعداً من أرضهِ وسمائهِ
فأكونُ والِيَ سرِّهِ وأصونُهُ حتى يَحِينَ عليَّ وقتُ أدائهِ
واذا الحوادثُ أجحفَتْ بسَوَامهِ قرَّبتُ جِلّتنا الى جَرْبائهِ
واذا دَعا باسمي ليركبَ مَرْكباً صعباً ركبتُ له على سِيسائهِ
واذا رأيتُ عليه بُرْداً ناضراً لم يُلفِنى مُتمنّياً لرِدائهِ

•• فقال لقد أحسن وأجاد فأخبرنى عن أعزّ بيت قالته العرب قلت قول راعى الابل

أطلبُ ماطلبُ الكريمُ منَ الـ رزقِ لنفسى وأجملُ الطلبا
وأحلُبُ الثرّةَ الصفيَّ ولا أطلُب في غيرِ خلفها حلَبا
انى رأيتُ الفتى الكريمَ اذا رَغّبتَهُ فى صَنيعهِ رَغِبا
والنــذْلُ لايطلُبُ العلاء ولا يُعطيكَ شيئاً الاّ اذا رَهِبــا
مثلَ الحِمارِ الموقّعِ السوءِ لا يُحسِنُ مَشيــاً الاّ اذا ضُربا

فقال والله لقد أحسن وأجاد ودعا بالدواة فما أدرى مايكتب ثم قال يانضر كيف تقول من الإتراب قلت أقول إتربِ القرطاس والقرطاس متروب قال فلم كسرت الالف قلت لانها ألف وصل تسقط في التصغير قلت فكيف تقول من الطين قلت طِنِ الكتاب والكتاب مطينٌ قال هذه أحسن من الاولى ثم دفع ما كتب الى خادم ووجهه معي الى ذي الرياستين الحسن بن سهل فقال لي ذو الرياستين ماالذى جرى بينك وبين أمير المؤمنين فقد أمر لك بخمسين ألف درهم فقصصت عليه القصة فقال ويحك لحنت أمير المؤمنين قلت معاذَ الله بل لحَّنت هُشيما لانه كان لحانة فوقّع لي أيضاً من عنده بثلاثين الف درهم فانصرفت بثمانين الف درهم فى حرف واحد سِداد وسَداد .. قال أبو سعيد الضرير سمعت ابن الاعرابي يقول بعث اليَّ المأمون فصرت اليه واذا هو مع يحيي بن أكثم يطوفان فى حديقة فلما نظر اليَّ ولاني ظهره فجلست فلما أقبل قمت قائماً فأسرَّ الى يحيي بشيء مافهمت كله الاّ قال ما أحسن أدبه وقد أقبل الى مجلسه ثم التفت اليَّ فقال يامحمد بن زياد من أشعرُ العرب فى وصف الخمر فقلت الذى يقول

تُريكَ القذَى من دُونها وهي دُونهُ ... اذا ذاقَها مَنْ ذاقَها يَتَمطّقُ

فقال أحسن الناس قولاً فى صفة الخمر الذى يقول

فتمشّتْ في مفاصِلِهِمْ ... كتمَشّي البُرْء فى السّقَمِ
فَعلَتْ فى البيتِ اذْ مُزِجَتْ ... مثلَ فِعْلِ الصبحِ فى الظُلَمِ
فاهتَدَى سارِي الظلامِ بها ... كاهتداء السَّفْرِ بالعَلَمِ

قلت فائدة ياأمير المؤمنين ثم قال مامعنى قول هند

نحنُ بناتُ طارِقْ ... نمشي على نمارِقْ ... انْ تُقبلوا نُعانِقْ
أو تُدْبرُوا نُفارِقْ ... فِراقَ غيرِ وامِقْ

ففكرت في نسبها ونسب أبيها فلم أجد طارقاً فقلت ماأعرف طارقا ياأمير المؤمنين فقال انما قالت انها فى العلوّ والشرف بمنزلة الطارق وهو النجم من قول الله عزّ وجلّ والسماء والطارق قلت فائدة ياأمير المؤمنين ثانيـة ثم التفت الى يحيي بن أكثم فقال أنا بُؤْبُؤُ هذا الامر وابن بُؤْبئه فلم أدر ماقال وقت لأخرج فلمانظر اليَّ وقد قمت رمى

اليّ بعنبرة كانت في يده بعثها بخمسة آلاف درهم قال فرجعت الى كتبي فنظرت فيها لأعرف ماقال فوقفت على هذه الأبيات لبعض الاعراب

كأنما بنتُ أبي الحنيْرِيَه   قاعدةٌ في إتْبها لُوَيْلِيَه

* قد دقّتِ البؤبؤ والبوْبيَه *

فعلمت انه عنى به السيد وابن السيد .. قال أبو عبد الله الأسواريّ دخلتُ على المأمون في حديقة له وفي يده مقراض ذهب وهو يقرض به ماطال من أوراق تلك الروضة ويقوّم مابدا من أغصانها فسلّمت وقلت يأمير المؤمنين جعلت فداك انك لمستهتر بهذه الحديقة حتى انك لاتأمن عليها أحداً قال نعم ياأسواريّ فهل يحضرك في ذلك شيء قلت نعم وأنشدته

أوائلُ رُسْلٍ للربيعِ تقدّمتْ   على طيبِ وجهِ الارض خير قُدُومِ
فَرَاقتْ لهابعدَ المماتِ حدائقٌ   كَواسٍ وكانتْ مثلَ ظهر أديمِ
اذااقتصّهاطرْفُ البصيرِ بلحظةٍ   توهّمها مفروشةً برُقومِ
كأنّ اخضرارَ الزهروالروض طالعٌ   عليه سماءٌ زُيِّنتْ بنُجومِ
تردّتْ بظلٍّ دائمٍ فتضاحكتْ   كضَحْكِ بُرُوقٍ في بكاءِ غُيومِ
وأوْردَها لحلُ السحاب عرائساً   ضِعافَ القُوَى من مُرْضَعٍ وفَطيمِ
اذا برَزَتْ منهنّ بكْرٌ حسبتَها   تَرَاكَ وانْ أضحتْ بعينِ سقيمِ
كمثل نشاوَى الراحِ يَنمُّ داكَ ذا   أو الريحِ جادتْ بينها بنسيمِ
تخالُ وُقوعَ الطَّلِّ فيهنّ أدمعاً   رَنَتْ بِعُيونٍ غيرِ ذاتِ سُجُومِ

قال أحسنت ياأسواريّ ياغلام اسقنا على هذا ثم جلس على كرسيّ مُغشّى بالحرير واذا غلام قد أقبل يهتزّ كأنه القضيب المائل حين اخضرّ شاربه وبداعِذارُه وفي يده كأس وابريق فصبّ في الكأس من الابريق ثم مزجه وناوله اياه فأخذه في يده ساعة وجعل ينظر الى الغلام ما يرد بصره عنه ثم قال يا اسواري هل يحضرك في صفة مثل هذا شيء قلت نعم يا سيدي وأنشدته

مجّاجُ مُزْنٍ شجّ كأسَ رحيق.   وريقُ المهفهفِ فيه أعذبُ ريقِ

أذرى لخوف البين حرّ مدامع ... فى درّ خدٍّ فيه ذوب عقيق
هو فى تناهى صدق حسن فائق ... فى حسن صورة يوسف الصدّيق
قامت على رجل به الدنيا لنا ... ان قام بالمنديل والابريق
فرأى على قلبى لواحظ طرفه ... وتلا كتاب الحب بالتحقيق
إن دام ذا فى حسنه أبداً لنا ... سمى فقيه العصر بالزنديق

قال فقال المأمون أحسنت ويحك فمن صاحب هذه الأبيات قلت فلان يا أمير المؤمنين فقال أشعر والله منه فى هذا المعنى شيخ الشعراء أبو نواس حيث يقول

كفّى فلست لعاذل بمطيق ... بلغ الهوى بى غاية التحقيق
قطع الهوى فرط الشباب بباطل ... أيدى الزمان وألسن التصديق
وجداول موصولة بجداول ... من صوب غادية ولمع بروق
تكسو مدامعه الرياض عرائساً ... من نرجس متكاثف وشقيق
باكرتها قبل الصباح بسحرة ... قبل ابتكار مجرّة العيوق
من كف أحور ذى عذار أخضر ... يسبى القلوب بقدّه الممشوق
فكأنّ ما فى الكأس من أبريقه ... نار تسلّ من فم الابريق
وتضوع مسكاً فى الزجاجة أذفراً ... ذوب الشباب معصفراً بخلوق
قمر عليه من البدائع حلة ... يسقيك كأس هوى وكأس رحيق
ما طاب عيش فتى يطيب بغيرها ... لا سيما إن شجّها بالريق
يغنيك عن ورد الرياض وزهرها ... منه تورّد خده الممشوق

قال فقلت يا أمير المؤمنين قد حضرنى فى هذا المعنى شئ فان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى انشاده قال هات فقلت

جنس مركّبه فى العين انسى ... وفى اللطافة والأجناس عذرى
مايعرف الطرف من أعراض جوهره ... إلّا الذى يخبر الفكر القياسى
وكل من غاص فى ادراك صورته ... فانما نطقه فى ذاك وهمىّ
حاز المحاسن والأنوار أجمعها ... فالحسن من حسنه فى الخلق جزئى

إذا العيونُ تراءتهُ تراهقها	من حسن صورته اللحظُ الظلاميُّ
ما دبَّ في فطن الأوهام من حسن	إلا وكان له الحظُّ الخصوصيُّ
كأنَّ جبهتهُ من تحت طرَّته	بدرٌ يتوِّجهُ الليلُ البهيميُّ
كأنَّ عينيه خرطا جزعتي يمن	من كل حافاتها سهمٌ صيابيُّ
كأن صدغيه قافا كاتبٍ مشقا	من فوق ياقوتةٍ والخدُّ ورديُّ
كأنما الثغرُ منهُ في تبسمه	درٌّ تعلّقَ عنهُ البحرُ لجيُّ
كأنما الردفُ منهُ اذ يميسُ به	موجٌ يكفكفهُ الريحُ الجنوبيُّ
لو مسَّ أجبالَ ماهانٍ لفجَّرها	بالماء يسعده الطلُّ الغماميُّ
أو لامسَ الماء لانسابتْ أناملهُ	كالثلج حلَّ به الودقُ السُّخاميُّ
جنيٌّ نورٍ على كنهيّ جوهرةٍ	من روح قدسٍ أو الأنوارِ برئيُّ
يسقي بجوهرةٍ في جوف جوهرةٍ	من نور جوهرةٍ واللونُ جنديُّ
ماءٌ ومدّ وفي ماء يديرهما	ماءٌ خلافهما والطيبُ تيهيُّ
قد جلَّ عن طيبِ أهل الأرض عنبرهُ	ومسكهُ فهوَ الطيبُ السماويُّ
اذا رأتهُ عيونُ الخلقِ أحسرَها	نورٌ ولاحظَها الحسنُ الهوائيُّ
كادتْ محاسنهُ من لطف رقتهِ	تصيرُ عيباً وما للعيبِ كيفيُّ
سبحانَ خالقهِ ماذا أراد بهِ	لولاهُ لم يكنِ الفعلُ السريريُّ
اذا أدارَ علينا الكأسَ جمشهُ	منْ وُدِّ أسرارنا وُدٌّ حقيقيُّ
مصوَّرٌ طرفتْ عينُ الزمانِ بهِ	واكتنهُ من جناحِ الخفضِ علويُّ

قال فتبسّم المأمون وقال أحسنت والله يا اسوارى فلمن هذا ويحك قلت لعبدك النظام فقال أحسن فيما وصف وأحسنت في تعبيرك عنه ثم سقاني وأمر لي بخمسين الف درهم وأمر للنظام بمثلها ه أحمد بن القاسم قال كنت أنا وعبد الله بن طاهر عند المأمون وهو مستلقٍ على قفاه فقال لعبد الله يا أبا العباس من أشعر الناس في زماننا فقال أمير المؤمنين أعرف بهذا قال قل على كل حال قال الذي يقول

أيا قبرَ معنٍ كنتَ أولَ حفرةٍ	من الأرضِ خطّت للمكارمِ مضجعا

قال أحمد فقلت أشعرهم الذى يقول

أشبهتِ أعدائي فصرتُ أحبُّهُمْ — اذْ كانَ حظي منكِ حظي منهُمُ

فقال المأمون أينَ أنتما عن قول أبي نواس

يا شقيقَ النفسِ منْ حَكَمٍ — نِمْتَ عن ليلى ولم أنَمِ

٠٠ قال وقال المأمون لعبد الله بن طاهر فى الحلبة وقد ارتفعت أصوات العامة يا أبا العباس سكّن العامة قال عبد الله فوثبت أنا ومن معه فارتفع من أصواتنا وضجيجنا أكثر مما كان فقال لى أنذلّ بالرياسة ولا بصرَ لك بالسياسة هكذا تسكّن العامّة هلا ناديت الاقربين لينادى الاقربون الابعدين قال فوالله ما ميزت بين تأديبه وبين تعريبه ٠٠ قال وقال الحسن بن الفضل بن الربيع خرج علينا المهدىّ متنكراً ومعه الربيع والمسيب بن زهير يطوف فى الأسواق اذ نظر الى أعرابىّ ينشد فقال الربيع اخبرنى عن أرق بيت قالته العرب قال بيت امرئ القيس بن حُجْر

وما ذَرَفَتْ عيناكِ الا لتضربي — بِسَهمَيكِ فى أعشارِ قلبٍ مُقتلِ

فقال المهدىّ بيت قد داسته العامّة وفيه غلظ ثم قال للمسيب هات ما عندك فقال

ومما شجانِي أنها يومَ أعرَضَتْ — تولّتْ وماءُ العينِ فى الجفنِ حائرُ

فلما أعادَتْ من بعيدٍ بنظرةٍ — اليَّ التفاتاً أسلمتها المحاجرُ

وسلمتها أيضاً ٠٠ فقال وان هذا قريب من ذاك وخلفهم شابٌّ من أهل المدينة له أدب وظرف وكان قدم متظلماً فطال مُقامه على باب المهدى فلما سمع ذلك منهم حمله ظرف الأدب على ان أدخل نفسه بينهم واتصل بهم وقال أتأذنون أن أخوض معكم فيما أنتم فيه قالوا ماذا قال قال الأحوص

إذا قلتُ انى مُشتفٍ بلقائها — فَحُمَّ التلاقِى بيننا زادَنى وجدَا

فقال المهدىّ أحسنت يافتى فمن أنت قال أنا رجل من أهل المدينة قال وما أقدمك العراق قال مَظلمة لى مقيم عليها بباب الخليفة منذ كذا وكذا وقد أضرّ بى ذلك فقال للربيع عليك بالرجل فأخذه معه وسامره أياماً ثم أمر برد مظلمته وقضى حوائجه وأمر له بصلة عشرة آلاف درهم ٠٠ قال النضر بن شميل حدثني الفراء عن الكسائى قال دعاني الرشيد

ذات يوم وما عنده الا حاشيته فقال ياعليّ أتحب أن ترى محمداً وعبد الله قلت ماأشوقني اليهما يا أمير المؤمنين وأسرّ اليّ معاينة نعمة الله جل وعز على أمير المؤمنين فيهماوبهما فأمر باحضارهما فأقبلا كأنهما كوكبا أفق يزينهما هديهما ووقارهما قد غضا أبصارهما وقاربا خطوهما حتى وقفا بباب المجلس فسلما بالخلافة ثم قالا تمم الله على أمير المؤمنين نعمه وشفعها بشكره وجعل ما قلده من هذا الامر أحمد عاقبةٍ ما يؤول اليه أمر حمداً اختصه به وأخلصه له بالبقاء وكثرلديه بالنماء ولا كدر عليه منه ما صفاولا خالط سروره الردى فقد صرت للمسلمين ثقة ومستراحاً اليك يفزعون في أمورهم ويقصدون في حوائجهم فأمرهما بالدنوّ وصيّر محمداً عن يمينه وعبد الله عن يساره ثم التفت اليّ فقال يا عليّ مازلت ساهراً مفكراً في معاني أبيات قد خفيت عليّ قلت ان رأي أمير المؤمنين أن ينشدنيها فأنشدني

قد قلتُ قولاً للغرابِ اذ حَجلْ عليكَ بالقُودِ المسانيفِ الأُوَل
* تغدّ ماشئتَ على غير عجَلْ *

فقلت نعم يا أمير المؤمنين ان العير اذا فصلت من خيبرَ وعليها التمر يقع الغراب على آخر العير فيطردها السواق يقول هذا تقدمْ الى أوائل العير فكل على غير عجل والقود الطوال الأعناق والمسانيف المقدّمة ثم أنشدني

لعَمري لئن عَشَّرتُ من خشيةِ الرَّدى نُهاقَ الحِمارِ انني لجَهولُ

قلتُ نعم يا أمير المؤمنين كان الرجل من العرب اذا دخل خيبر أكبّ على أربع وعشّر تعشير الحمار وهو أن ينهق عشر نهقات متتابعات يفعل ذلك ليدفع عن نفسه حُمّى خيبر ثم أنشدني قول الآخر

أجاعِلٌ أنتَ بَيقوراً مُضَرَّمةً ذريعةً لكَ بين الله والمطرِ

قلت نعم كانت العرب اذا أبطأ المطر تشدّ العُشر والسَّلَع وهما ضربان من النبت في أذناب البقر وألهبوا فيه النار وشرّدُوا بالبقر تفاؤلاً بالبرق والمطر ثم أنشدني

لعَمرُكَ ما لَام الفتى مثلُ نفسِهِ اذا كانتِ الأحياءُ تُعدَى ثيابُها
وآذَنَ بالتصفيقِ من ساء ظنُّهُ فلمْ يدرِ من أيّ اليدَينِ جوابُها

قلت نعم يا أمير المؤمنين كان الرجل اذا ضلّ فى المفازة قلب ثيابه وصاحَ كأنه يومئ الى انسان ويشتدّ شدة ويصفّق بيديه فيهتدى الطريق ثم أنشدني

قَوْداءُ تملكُ رَحلها مثلُ اليتيم من الأرانب

قلت نعم يقول هـذه ناقة مثل اليتيم من الآكام واليتيم الواحد من كل شئ والارانب الآكام ثم أنشدني لآخر أيضاً

الى الله أشكو مُجسمةً هجرِيَّةً تعاورَها مَرُّ السنين الغوابرِ

فعادت رزايا تحملُ الطينَ بعدما تكونُ قِرى للمعتفينَ المفاقرِ

قلت هذا رجل فى بستانه نخيل أتى عليها الدهرُ فجفت فقطعها وصيّرها أجزاعاً وسقّف بها البيوت فقال هذه الأجزاع كانت تحمل الرطب فآكل وأُطعم الأضياف فجفت فقطعتها وسقّفت بها البيوت فهي تحملُ الطين يعنى ما فوقها من اللبن والتراب وغير ذلك ثم أنشدني لرجل آخر

وسَربٍ ملاحٍ قدرأيتُ وُجوهَهُمْ إناثٌ أدانيه ذكورٌ أواخرُه

قلت يعنى الاضراس ثم أنشدنى لآخر

فاني اذاً كالثورِ يُضرَبُ جنبهُ اذا لم يَعَفْ شُرْباً وعافَتْ صواحبُه

قلت نعم كانت العرب اذا أوردت البقر الماء فشربت الثيران وأبت البقر ضربت الثيران حتى تشرب البقر وهو كما قال كالثور يُضرَب لما عافت البقر ثم أنشدني

ومنحدِرٍ منْ رأسِ برْقاء حطّهُ مخافةُ بَيْنٍ أو حبيبٌ مُزايلُ

قلت نعم يعنى الدموع والبرقاء العين لأن فيها سواداً وبياضاً حطّهُ أساله حبيب محبوب مزايل مفارق قال فوثب الرشيد فجذبني الى صدره وقال لله درّ أهل الأدب ثم دعا بجارية فقال لها احملى الى منزل الكسائى خمس بدر على أعناق خمسة أعبدٍ يلزمون خدمته ثم قال استنشدهما يعنى ابنيه فأنشدنى محمد الأمين

وإنى لعَفٌّ الفقرِ مشتركُ الغنى وتاركُ شكلٍ لايوافقهُ شكلى

وشكلى شكلٌ لايقومُ بمثلهِ من الناسِ إلاّ كلُّ ذى نيقةٍ مثلى

ولِى نيقةٌ في المجد والبذل لم يكنْ تأنقَها فيما مضى أحدٌ قبلى

وأجعلُ مالي دونَ عِرضي جُنّةً لنفسي وأستغني بما كانَ من فضلي

وأنشدني عبد الله المأمون

بكَرَتْ تلومُكَ مطلعَ الفجرِ ولقد تلومُ بغير ماتدري
ماإنْ ملكتُ مصيبةً نزَلَتْ اذْ لايحكّمُ طائعاً أمري
ملكُ الملوكِ عليَّ مقتدرٌ يُعطي اذا ماشاء منْ يُسْرِ
فلرُبَّ مُغتبطٍ بمرزئةٍ ومُفجَّعٍ بنوائبِ الدهرِ
ومُكاشحٍ لي قد مدَدْتُ لهُ نحراً بلا ضرَعٍ ولا غمْرِ
حتى يقولَ لنفسهِ لهَفاً في أي مذهبِ غايةٍ أجري
وترى قناتي حينَ يَغمزُها غمزُ الثّقافِ بطيئةَ الكَسْرِ

فقال ياعلي فكيف تراهما فقلت

أرى قمرَيْ أفقٍ وفرْعي بَشامَةٍ يزينُهُما عِرْقٌ كريمٌ ومحتِدُ
يَسُدّانِ آفاقَ السماءِ بشيمَةٍ يؤيدُها حزمٌ وعَضْبٌ مُهَنّدُ
سَليلَيْ أميرِ المؤمنينِ وحائزَيْ مواريثِ ماأبقى النبيُّ محمدُ

ثم قلت ياأمير المؤمنين زرع زكا أصله وطاب مغرسه وتمكّنت عروقه وعذُبت مشاربه غذاهما مَلكٌ أعزّ نافذ الأمر واسع العلم عظيم الحلم والقدر علاهما فعليا وحكمهما فتحكما وعلمهما فتعلما فهما يطولان بطوله ويستضيئان بنوره وينطقان بلسانه ويتقلّبان في سعادته فما رأيت أحداً من أبناء الخلفاء أذرب منهما لسانا ولاأعذب كلاما ولا أحسن ألفاظاً ولا أشد اقتداراً على تأدية ماحفظا ورويا فأسألُ الله ان يزيدهما الايمان تأييداً وعزًّا ويمتع أمير المؤمنين بهما ويمتعهما بدوام قدرته وسلطانه مابقي ليل وأضاء نهار فضمهما الى صدره وجمع يديه عليهما فلم يبسطهما حتى رأيت دموعه تتحادر على صدره رِقّةً عليهما واشفاقاً ثم أمرهما بالخروج قال ثم أقبل علينا وقال كأنكم بهما وقد نجم القضاء ونزلت مقادير السماء وبلغ الكتاب أجله وانتهي الأمر الى وقته المحدود وحينه المسطور الذي لايدفعه دافعٌ ولا يمنع منه مانع وقد تشتت أمرهما وافترقت كلمتهما وظهر تعاديهما وانقطعت الرقة بينهما حتى تسفك الدماء وتكثر القتلى وتهتك ستور النساء ويتمنى كثير

من الأحياء انهم بمنزلة الموتى قلت يا أمير المؤمنين أو كائن ذلك قال نعم قلت لأمر رأيتهُ أو رؤيا أُريتها أو لشيء تبيّن لك في أصل مولدهما أم لأثر وقع لأمير المؤمنين في أمرهما قال بل أثر واجب صحيح حملته العلماء عن الأوصياء وحملته الاوصياء عن الأنبياء عليهم السلام •• قال وحدَّث الأصمعي انه دخل ذات يوم على أمير المؤمنين الرشيد وكان لايحجب عنه وكان في فرد رجليه خُفٌّ وفي الأخرى جَوْربٌ لعلّةٍ كان يجدها فسامره ساعةً ثم نهض ليخرج فقال له الرشيد ياأصمعي ماذا تشتهي ان يتخذ لك ليتقدّم فيه وتتغدّى معنا فقال أشتهي رُقاقاً وجوزلا فلم يعرف الرشيد ماقاله الأصمعي وكره ان يسأله عنه فتقدم الى الطباخ ان يتبعه ويسأله من تلقاء نفسه ويوهمه انه تقدم اليه فيه فلم يعرفه فقال له الرقاق معروف والجوزل الفرخ السمين فمضى الطباخ وعرف الرشيد ذلك وأصلح للأصمعي ماطلبه وعاد فتغدّى مع الرشيد فلما أكل أمر بأنْ يحمل معه عشرون الف درهم •• وحدث الاصمعي قال دخلت ذات يوم على الرشيد فقال لي اكتبْ ياأصمعي ولو على تكتك أو طرف ثوبك

كنْ مُوسِراً انْ شئتَ أوْمُعسراً لابُدَّ في الدنيا منَ الهمّ
وكلّما زَادَكَ في نعمةٍ زادَ الذى زادكَ في الغَمّ

قال فكتبت البيتين •• قال وقال الاصمعي بينما أنا ذات يوم قد خرجت في الهاجرة والجوّ يلتهب ويتوقد حرّاً اذ أبصرت جارية سوداء قد خرجت من دار المأمون ومعها جرّة فضة تستقي فيها ماء وهي تردد هذا البيت بحلاوة لفظ وذرابة لسان

حَرُّ وجدٍ وحَرُّ هجرٍ وحَرُّ أيُّ عيشٍ يكونُ منْ ذا أمَرُّ

قال فقلت لها ياجاريةُ ماشأنك فقالت اني من دار أمير المؤمنين المأمون وأنا أحب عبداً له أسود وانه قد هجرني ولا أحسن ان أخرج سري الى أحدٍ قال فمضيت واستأذنت على المأمون واذا هو نائم فأذن لي وقد كان أمر أن لاأحجب عنه على أي حال كان فدخلت عليه وهو في مرقده فقال ماجاء بك ياأصمعي في هذا الوقت قلت ياأمير المؤمنين تهب لي جاريتك السوداء وعبدك الاسود فلاناً فقال قد فعلت ذلك وهما لك افعل بهما ماشئت فخرجت من عنده وأحضرتهما وجمعت من أهل الدار من حضر وأعتقتهما

وزوّجت الجارية من العبد ثم عُدت الى المأمون فقلت يأمير المؤمنين اني فعلت كيت وكيت واني أريد الآن ماأجهزهما به فأمر لكل واحد منهما بعشرة آلاف درهم وأمر لي بمثل ذلك وخرجت من عنده وعاد هو الى نومه •• وحدثنا عبد الله بن سلام قال لما وُلد العباس بن الفضل دخل الناس على الفضل بن يحيى يهنؤنه به وفيهم أبو النضير فوقف بين يديه وهو يقول

ويفرحُ بالمولودِ من آل برمكٍ　　بُغاةُ الندى والسيفِ والرُّمحِ والنصل

* وتنبسطُ الآمالُ فيه لفضلِهِ *

فأرتجَ عليه فوقف لا يمكنه ان يجيزه فقال له الفضل يأبا النضير تمّم قال أعزّ الله الأمير قال ويحك فقل:

* ولا سيَّما ان كانَ من وَلدِ الفَضْلِ *

•• قال هذا والله أصلح الله الأمير طلبتهُ فلم أقدر عليه وتمللت بغيره •• قال وقيل لأبي العيناء مابال العمى قد صار في صغاركم وكباركم حتي انه يلحق الطفل منكم فقال نعم الطينة الملعونة والدعوة المشؤمة وذلك انه سلّم بعض الخلفاء رجلاً من آل أبي طالب الى جدّنا الاكبر فقتله ودعا عليه فلحقتنا دعوته فما تراه بنا فهو من تلك الدعوة •• واجتاز أبو العيناء ذات يوم فسمع غناء لم يعجبه فسأل أبو العيناء عن صاحب الغناء فلما قيل له انه أبو الحمار قال صدق الله ﴿ انّ أنكرَ الأصواتِ لَصوتُ الحميرِ ﴾ وكان عمًّا لمحمد بن أحمد بن يحيى بن أبي البغل •• •• قيل ولما صدر المعتصم بالله عن بلاد الروم وصار بناحية الرقّة قال لعمرو بن مسعدة ياعمرو أشرت عليّ بالرخّجي فوليتهُ الاهواز فقد قعد في سلّة الدنيا يأكلها خَضْماً وقَضْماً فقلت يأمير المؤمنين فأنا أوجّهُ اليه رسولا يبعث اليك بالأموال ولو على أجنحة الطير قال كلاّ ولكن اشخص اليه بنفسك كما أشرت به قال ففكرت في ان أنزل عن الوزارة وأصير مستحثاً على عامل فقلت يأمير المؤمنين أنا أقع اليه قال فضع يدك على رأسي انك لاتقيم ببغداد الا يوما واحداً حتى تلحق به فوضعت يدي على رأسه وحلفت له وانحدرت الى بغداد فسلمت على أهلي واخواني وأخذت زُلالاً فعلّقت عليه الخيش وبُسط لي فيه الطبري وملأته

بالثلج وسرنا فلما صرنا بين دير العاقول ودير هرقل اذا أنا برجل على الشط يصيح يا ملاح رجل غريب أريد دير العاقول فاحملني يأجرك الله فقلت احملوه فقال يا مولاي هذا رجل من هؤلاء الشحاذين يؤذيك ويقذر عليك زلالك فقلت احمله ويلك فقرب اليه الزلال فحمله في مؤخره وحضر الغداء فتحوبت أن لا أدعوه فقلت له هلم فقام حتى جاء فأكل أكل جائع نهم الا انه كان نظيف الأكل فلما فرغ من الغداء أردت منه ما تفعله العامة بالخاصة ان يقوم فيغسل يده ناحيــة فلم يفعل فغمزه الغلام وسائر الغلمان فلم يقم فتناومت عليه فلم يقم فقلت له ما صناعتك قال حائك جعلت فداك فقلت هذا أنا فعلته بنفسي فقال لي وأنت فما صناعتك فقلت كاتب فقال الكتاب خمسة فأيهم أنت فأوردعلي شيئاً عجبت منه فقلت عدهم .. قال كاتب رسائل يجب أن يعرف الوصول والفصول والترغيب والترهيب والجوابات قلت نعم .. قال وكاتب خراج يجب أن يعــرف المساحة والذراع والاشوال والتقسيط قلت نعم .. قال وكاتب قاض يجب أن يعرف الحرام والحلال والتأويل والتنزيل والمحكم والمتشابه والمقالات والاختلافات قلت نعم .. قال وكاتب جند يجب أن يعرف الحلي والشيات قلت نعم .. قال وكاتب شرطة يجب أن يعرف الشجاج والجراحات فأيهم أنت قلت كاتب رسائل قال فصديق لك تكاتبه في المحبوب والمكروه تزوجت أمه كيف تكتب اليــه تهنئة أو تعزية قلت هو والله الى التعزية أقرب قال فكيف تعــزيه قلت لا أجــده الى ذلك سبيلا قال فلست بكاتب رسائل قلت أنا كاتب خراج قال فولاك أمير المؤمنين بلدة وأمرك بالنفوذ فخرجت الى عملك ورتبت عمالك في العمل فجاء اليك قوم يتظلمون من عامل زاد عليهم في المساحة فخرجت معهم فوقفوا على قراح كأنه قابل قثا كيف تمسحه قلت اضرب وسطه في طرفيــه قال تنثني عليك القطوع قلت فكيف أمسحه قال لست بكاتب خراج قلت أنا كاتب قاض قال فان رجلا خلف حرة حاملا وسرية حاملا فولدتا في ليلة واحــدة الحرة جارية والسرية غلاما فلما علمت الحــرة بذلك حملتها الغيرة على ان وضعت الجارية في مهد السرية وأخــذت الابن فقالت السرية من الغد الابن لي فتحاكما في ذلك الى القاضي وأنت حاضر فقال لك اقض بينهما بم كنت تقضي قلت لا علم لي بذلك قال لست بكاتب قاض قلت أنا كاتب

جندٍ قال الله أكبر تقدم اليك رجلان من أهل عملك أو من أهـل عسكرك إسماهما واحدٌ يقال لهذا أحمد ولهذا أحمد هذا مشقوق الشفة من فوق وهذا من أسفل كيف تحليهما قلت اكتب أحمد الأعلم وأحمد الأعلم قال اذاً يأخذ هذا عطاء هذا وهذا عطاء هذا قلت فكيف أصـنع قال لست بكاتب جند قلت أنا كاتب شرطة قال تقـدم اليك رجلان قد شجّ الآخر مُوضحةوشجهالآخر مأمومة كم بينهما من الابل قلتلاأدري قال لست بكاتب شرطة فقلتُ فسّرْ ما قلت قال أما الرجل الذى تزوجت أمه فتكتب اليه ان الأقدار تجري بخلاف محاب المخلوقين وستر فى عافية خير من شائنة فى أهلهـا والله يختار للعباد فخار الله لك فى قبضها اليـه فان القبور أكرم الأكفاء وأما القراح فتمسح اعوجاجه ثم تنظر مبلغ الطرفين فتضرب بعضه فى بعض فاذا استوى فى يدك عقدُه رجعت الى المستوى فضربته فيه حتى يخرج سواء وأما الحرّة والسريّة فيُذاق لبنهما فأيهما كانت أحدُّ لبناً فالابن لها وأما الجند فتكتب هذا أحمد الأعلم وهذا أحمد الأفلح وأما الشجة ففى المأمومة ثلاثة وثلاثون من الابل وفى الموضحة خمس من الابل فترد عليه ما بين ذلك قلت ألست تزعم أنك حائك قال أنا حائك كلام قعد بى الدهر فخرجت أريد بعض القرابة فصادفته قد صُرف عن العمل فبقيت على هذه الحالة قال فدعوت الحجام فنظّفه ودعوت له بثلاث خِلعوصرت به الى الرُخجيّ وكلمته فى أمره فوهب له خمسين الف درهم وحمله على ثلاثة من الظهر ورجعت الى أمير المؤمنين بالأموال فقال ياعمرو ما رأيت فى طريقك فأخبرته بقصة الرجل فأطال التعجب منـه وقال مافعل قلت يصير اليّ فى كل يوم قال لما يصلح من الأعمال قلت للهندسة قالفولّه قال عمرو فنظرتاليه بعدذلك وهو يركب فىموكبٍ عظيم ‥ البيهقىّقال البحترى كنت قاعداً مع المتوكل اذ مرّت سحابة فقال قُل فيها فقلت

ذاتُ ارتجاعٍ بحنينِ الرّعدِ جَرورةُ الذّيلِ صَدُوقُ الوعدِ
مَسفوحةُ الدّمعِ بغيرِ وجدِ لها نسيم كنسيمِ الوَرْدِ
ورنّة مثـلُ زَئير الأُسْد ولمعُ برْقٍ كسُيوفِ الهندِ
جاءت بهِ ريحُ الصّبا من نجدِ فانتثرَتْ مثلَ انتِثار العِقدِ

فأضحتِ الأرضُ بعَيشٍ رغدِ كأنما غُدرانها فى الوَهدِ
* يلعَبنَ من حَبابها بالنّردِ *

ثم أنشدته لمروان بن أبي حفصة

لما سَمِعتُ ببيعةٍ لمحمدٍ شفَتِ النفوسَ وأذهبت أحزانَها
بايعتُ مغتبطاً ولو لم تنبسطْ كفى لبيعتِهِ قطعت بَنانَها

حتى انتهيت الى قوله

رجَحت زُبيدةُ والنساءُ شوائلٌ والله أرجحَ بالتقى ميزانَها

فصاح بي صَيحةً فقال كذبت وأنتَ يا عربدة قلْ رجحت قبيحة ثم قال أنشدني فأنشدته للطائيّ

لستُ لرَبع عفا ولا قِدَمِهِ ولستُ من كاتبٍ ولاقلمِهِ
فانَّ مَن يفخرُ الملوكُ بهِ ويستميرُ الكريمُ من كرمِهِ
ألحقَنى بالملوكِ مُعتصمٌ باللهِ والمسلمون فى عِصمِهِ
خُلقتَ منْ طينةٍ مباركةٍ فالبر من خيمِهِ ومن شِيَمِه
ما زالَ احسانُهُ ونعمتُهُ علىَّ حتى غرِقتُ فى نعمِه
فأسألُ اللهَ فضلَ نعمَتِه والأمنَ من بأسِهِ ومن نقَمه

فلما سمعها ارتاح وقال أحسنت والله وما جزاؤك الا أن أقطعك من موضعك الى حيث تبلغ أمنيتك فلم تعط قال ففكرت ساعة ثم قلت تعطيني فتراً فى فتر من قلبك فقال أحسنت أحسنت أنت والله فى هذا أشعر من الطائى فى شعره ثم قال أنشدني فأنشدته للحسين بن الضحاك

كمْ لك لما احتملَ القطينُ من زفرة يتبعها الأنينُ
وعَبرةٍ تحدرُها الشؤون إنّى ببغدادَ لمُستكينُ
حظُّ الغريبِ الشوقُ والشجونُ يا لائمى لكل يوم هونُ
إليكَ عنّي انّي مفتونُ ألشعر منى كاسدٌ ودونُ
وحانَ من تحريكه تسكينُ قدْ ركبَتْ أربابها الديونُ

بضاعةٌ أكسدَها المأمونُ إمامُ عدلٍ للتقى أمينُ

قال أحسنت يا أبا عبادة فما ذا فعل به المأمون بعد إذ هجاه قلت أعيذك بالله من أن يجسر على هجاء المأمون قال فمن القائل فيه

ولا فرحَ المأمون بالملك بعدَهُ ولا زالَ فى الدنيا طريداً مُشرَّدا

قلت يا أمير المؤمنين دعاه الموقُ والحين الي هذا قال لا بأس فانه قد تلا فى هذا الكلام قوله

رأى اللهُ عبدَ الله خير عبادِهِ فملّكه واللهُ أعلم بالعبدِ

قال فقلت يا أمير المؤمنين أثقلت ظهرى بالفوائد فقال إنا نأخذ ونعطي ونأتى بما يحيى المهج

مساوى من ذم الادب

قال بعضهم كثرة الأدب فى غير طاعة الله قائدة الذنوب ٠٠ وقال ما أحد زيد فى عقله الا انتقص من رزقه وأنشد في ذلك

ثنتان من أدواتِ العلم قد ثنتا عنان شأوي عمارمتُ من هممي
أما الدواة فأضنى حبها بدني وقلّ المالَ منى حرفةُ القلمِ
والعلمُ يعلمُ أني حين أندُبهُ لدفع نائبةٍ خلوٌ من العصمِ

ولآخر وقيل انه للخليل بن أحمد

ماازددتُ فى أدبى حرفاً أُسّر به إلّا تبينتُ حرفاً تحتهُ شومُ
إنّ المقدّم فى حذقٍ بصنعتهِ أنى توجه فيها فهو محرومُ

مساوى اللحن

قال يونس بن حبيب النحويّ أول من أسس العربية وفتح بابها ونهج سبيلها أبو الاسود الدئلى واسمه ظالم بن عمرو فقال له الحجاج أتسمعنى ألحن على المنبر قال كلا الأمير أفصح العرب قال أقسمت عليك قال حرفاً واحداً تلحن فيه فقال وما هو قال فى القرآن

قال ذاك أشنع له فما هو قال تقول لو كان آباؤكم وأبناؤكم حتى تبلغ أحبَّ اليكم من الله ورسوله تقرؤهابالرفع قال فقال له لاجرم لاتسمع لي لحناً أبداً فنفاه الى خراسان وعليها يزيد بن المهلب فكتب يزيد الى الحجاج انا لقينـا العدو وفعلنا وصنعنا واضطررناهم الى عُرعُرة الجبل فقال الحجاج مالابن المهلب ولهذا الكلام فقيل ظالم بن عمرو هناك قال فذاك اذاً ٠٠ قال وقال المأمون وقد سمع من بعض ولده كلاماً أسرع فيه اللحن الى لسانه ما على أحدكم أن يتعلم العربية فيقيم بها أوده ويزين مشهده ويتملك مجلس سلطانه بظاهر بيانه ويفل حجج خصـمه بسَنان حكمـته اويسر أحـدكم أن يكون لسانه كلسان عبده وأمته ولا يزال اسير كلمته قاتل الله القائل حيث يقول

ألم تر مِفتاح الفؤاد لسانهُ ... اذا هو أبدى ما يقولُ من الفم
وكائن ترى من صامت لك مُعجبٍ ... زيادته أو نَقصُهُ في التكلم
لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُه ... ولم يبق إلا صورة اللحم والدّم

وفى الحديث المرفوع رحم الله عبداً أصلح لسانه ٠٠ قيل وكتب غسان بن رُفيع الى أبي عثمان بكر بن محمد المازنى النحوىّ

تفكّرت في النحو حتى مَلِلتُ ... وأتعبتُ نفسى به والبدنْ
وأتعبت بكراً وأصحـابهُ ... بطول المسائل في كل فنْ
فكنتُ بظاهره عالمـاً ... وكنتُ بباطنه ذا فِطنْ
خلا أنّ باباً عليه العفـا ... ء للفاء ياليتهُ لم يكُنْ
وللواو باب الي جنبـهِ ... من المقت أحسبهُ قدلُعِنْ
اذا قلت هات لماذا يُقـا ... لُ لستُ بآتيك أو تأتيَنْ
أجيبوا لما قيل هذا كذا ... على النصب قالوا الإضمار أنْ

قال وكان الوليد بن عبد الملك لحّانة فدخل عليه اعرابي فقال من ختنَك قال رجل من الحيّ لا أعرف اسمه فقال عمر بن عبد العزيز ان أمير المؤمنين يقول من ختنُك فقال هاهو ذا بالباب فقال الوليد لعمر ما هذا فقال النحو الذى كنتُ أخبرُك عنه فقال لاجرم لا أصلي بالناس حتى أتعلمه ٠٠ وسمع اعرابى رجلا يقول أشهد أن محمداً رسولَ الله فقال

يفعل ماذا ٠٠ قال وقال مولى لزياد أيها الأمير أخذوا لنا حمار وحش فقال له ما تقول ويحك فقال أخذوا لنا إيراً فقال زياد الاول خير ٠٠ قال وجاء رجل الى زياد فقال ان أبينا هلك وان أخينا غصبنا على ميراثنا من أبانا فقال زياد ما ضيعت من نفسك أكثر مما ضيعت من ميراثك فلا رحم الله أباك حيث ترك ولداً مثلك ٠٠ قال وعزم رجل من أهل الشام على لقاء المأمون فاستشار رجلا من أصحابه فقال على أى جهة أصابح أن ألقى أميرالمؤمنين قال على الفصاحة قال ليس عندى منها شيء واني لألحنُ في كلامي كثيراً قال فعليك بالرفع فانه أكثر مايستعمل فدخل على المأمون فقال السلام عليك يا أميرُ المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال يا غلام اصفع قفصفع قال بسمُ اللهُ فقال ويلك ما أصابك بالرفع قال وكيف لا أرفع من رفع الله فضحك وقضى حاجته ٠٠ قال واختصم رجلان الى عمر بن عبدالعزيز فجعلا يلحنان فقال الحاجب قُما فقد أوذيتما أميرُ المؤمنين فقال عمر أنت والله أشد إذاء اليَّ منهما ٠٠ وعن أبى داود قال أرسل المعتصم الى أشناس فطلب منه كلب صيد فوجه به اليه فرده وهو يعرج فكتب اليه أشناس بشعر قاله

الكلب أخذتَ جيِّدْ مكسورَ رجلِ جبتَ
رُدْ جيدْ كما كلبْ كنتَ أخذتَ

فكتب اليه المعتصم

الكلبُ كان يعرُجُ يومَ الذى به بعثْتَ
لو كان جاء مخبراً خبرْ رجلْ كما أنتَ

قال وقال بشر المريسيّ وكان كثير اللحن قضى لكم الأمراء على أحسن الوجوه وأهنؤها فقال القاسم التمار هذا على قوله

انّ سُلَيمى والله يكلؤها ضَنَّتْ بشيءٍ ما كان يَرزؤها

فكان احتجاج القاسم أطيب من لحن بشر ٠٠ قال وكان زياد النبطيّ شديد اللكنة وكان نحوياً فدعا غلامه ثلاثا فلما أجابه قال فمن لدن دأوتك فقل لى الى ان جيتنى ما كنت تصنأ يريد دعوتك وتصنع ٠٠ قال ومرّ ماسرجويه الطبيب بمعاذ بن سعيد وقال ياماسرجويه انى أجد فى حلقي بححاً قال هو من عمل بالغم فلما جاوزه قال ترانى

لأحسن أن أقول باسم ولكنه قال بالعربية فأجبته بخلافه •• وقال ثمامة بكرّ أحمد بن أبي خالد يوما يعرض القصص على المأمون فمرّ بقصة فلان اليزيديّ وكان جائعاً فصحّف وقال فلان الثريدى فضحك المأمون وقال يا غلام ثريدة ضخمة لأبي العباس فانه أصبح جائعاً فخجل أحمد وقال ما أنا بجائع ياسيدى ولكن صاحب القصة أحمق وضع على نسبته ثلاث نقطات كأثافى القِدر قال دع هذا فالجوع اضطرّك الى ذكر الثريد والقدر فجاؤه بصحفة عظيمة كثيرة العُراق والودك فاحتشم أحمد فقال المأمون بحياتي عليك إلا عدلت نحوها فوضع القصص ومال الى الثريد فأكل حتى انتهى فلما فرغ دعا بطشت فغسل يده ورجع الى القصص فمرّ بقصة فلان الحمصى فقال فلان الخبيصى فضحك المأمون وقال ياغلام هات جاما فيه خبيص فان طعام أبي العباس كان مبتوراً فخجل أحمد وقال ياأمير المؤمنين صاحب هذه القصة أحمق فتح الميم فصارت كأنها ثنتان قال دع عنكُ هذا فلولا حمقه وحمق صاحبه متّ جوعا فجؤه بجام فيه خبيص فأتى عليه وغسل يده وعاد لي القصص فما أسقط بحرف حتى فرغ •• حدثنا العباس بن جرير قال كان للمهدى خصيّ كان به معجبا فضم اليه معلماً نحوياً يعلّمه القرآن وكان الخصىّ عجمياً لا يُفصح فقال فى هلْ أتى يوما عبوساً كثيراً وقال فى الجن نكمُدُ منها مكاعد للسمع •• فقال النحوى

ولقلُ الجبال أهونُ مما كلّفونى منَ الخصىّ نجاحِ
نفّرَ النحوَ حينَ مرَّ بلحييـ...... ـه فألفيتُهُ شديد الجماحِ
قال فى هلْ أتى فأوجع قلبى كثيراً وكدّهُ بالصُّياحِ

•• وقال رجل من الصالحين انا أعربنا فى كلامنا حتى مانلحن لقد لحنّا فى أعمالنا حتى مانعرب وأنشد في مثله

أما ترانى وأثوابي مُقاربةٌ ليست بخزٍّ ولا منْ خزّ كتّان
فانّ في المجدِ همّاتى وفي لغتى عُلويّةٌ ولسانٌ غير لَحّان

——✱✱✱✱✱✱——

محاسن الشعراء

قال الخليل بن أحمد الشعراء أمراء الكلام يجوز لهم شق المنطق واطلاق المعنى ومد المقصور وقصر الممدود .. وقال معمر بن المثنى أبو عبيدة افتتح الشعر بامرئ القيس وختم بابن هرمة .. وقال أبو عبيدة الشعراء في الجاهلية من أهل البادية أهل نجد منهم امرؤ القيس والنابغة وزهير ودُريد بن الصمة ومنهم كُثيّر في الاسلام فهؤلاء الشعراء الفحول الذين مدحوا وفخروا وذموا ووصفوا الخيل والمطر والديار وأهلها وأشعر أهل المدُن أهل يثرب وأهل الطائف وعبد القيس وليس في بني حنيفة شاعر وأشعر الشعراء ثلاثة امرؤ القيس والنابغة وزهير ثم الأعشى وأشعر الفرسان ثلاثة عنترة بن شداد ودُريد بن الصمة وعمرو بن معديكرب وأشعر الشعراء المقلّين ثلاثة المتلمّس والمسيّب بن علس وحُصين بن حُمام المرّي وأشعر العرب وأجودهم طويلة جمعت جودةً مع طول ثلاثة طرفة بن العبد في قوله

* لخولةَ أطلالٌ ببُرقة ثهمَدِ *

.. والحارث بن حلّزة في قوله

* آذنتنا ببينها أسماء *

.. وعمرو بن كلثوم في قوله

* ألاَ هُبّي بصحنكِ فاصبحينا *

وأشعر أهل زماننا ثلاثة جرير والفرزدق والأخطل .. قيل وسئل الأخطل أيكم أشعر فقال أنا فخرُنا الفرزدق وأمدحنا وأوصفنا للخمر أنا وأسهبنا وأنسبنا وأسبّنا جرير وأرجز الرجّاز في الاسلام وقبله العجاج فانه فتح أبواب الرجز واستوقف. ووصف الديار وأهلها ووصف الخيل والمطر ومدح وذمّ فذهب في الرجز مذهب امرئ القيس في القصيد وهو أرجز الرّجاز وقد قيل أرجز الرّجاز ثلاثة العجّاج وابنه رؤبة وحميد الارقط .. وقال بعضهم أبو النجم العجلي وأجود الاراجيز قول رؤبة

* وقاتمِ الأعماق خاوي المخترقْ *

•• وقول أبي النجم

* الحمدُ لله الوهوبِ المجزل *

قيل وقال مسلمة بن عبد الملك لخالد بن صفوان صفْ لنا جريراً والفرزدق والأخطل فقال أصلح الله الأمير أما أعظمهم فخراً وأبعدهم ذكراً وأحسنهم غزلا وأحلاهم معاني وعللاً الطامي اذا زخر والحامي اذا زأر والسامي اذا نظر الذى ان هدَر قال وان خطر صال وان طلب نال الفصيح اللسان السبّاق في الرهان فالفرزدق وأماأهتكهم ستراً وأغزرهم بحراً وأرقهم شعراً والاغرّ الابلق الذي ان طلب لم يُسبقْ وان طُلب لم يلحق الواصف للفرسان الناعت للاظعان بحلاوة وبيان فجرير وأما أحسنهم نعتاً وأقلهم فوتاً وأمدحهم بيتاً الذي ان هجا وضع وان مدح رفع وان حاز أفظع البعيدُ المتان الماضى الجنان المداح للسلطان فالأخطل وكلهم أصلح الله الامير طويل النجاد رفيع العماد ذكيّ الفؤاد •• قال فصفْ لنا الشعراء العشرة فقال قصتهم مفسرةٌ •• أما أحسنهم نسيبا وتشبيبا وأشدهم تأليبا فامرؤُ القيس •• وأما أفخامهم مقالا وأنبلهم رجالا وأكرمهم فعالا فزهير •• وأما أرجحهم كلاما وأنبلهم مقاما وأشرفهم أيّاما فأوس بن حجر •• وأما أفصحهم لسانا وأبينهم بياناً وأشدهم اذعاناً فالنابغة •• وأما أطردهم للصيد وأجمعهم في الكيد وأدرجهم في القيد فعديّ بن زيد •• وأما أوصفهم للسلاح وأنعتهم للقداح والحرب ذات الكفاح فابن مقبل •• وأما أوصفهم للسنين وأكسبهم للمئين وأمدحهم أجمعين فالحطيئة •• وأما أهجاهم للرجال وأبذّهم في المقال وأضربهم للامثال فطرفة •• وأما أعفهم عن الكأس وأحضّهم على البأس وأصدقهم عند الناس فسلامة بن جندل •• قال وقال العتابي في ذكر أبي نواس لو أدرك الخبيث الجاهلية مافُضّلَ عليه أحد •• وقال أبو عمرو بن العلاء أشعر الناس في صفة الخمر ثلاثة الاعشى والاخطل وأبو نواس •• وقال ابراهيم النظّام كأنما كُشف لأبي نواس عن معاني الشعر فاختار أحسنها •• وقال أبو عبيدة أبو نواس للمحدثين كامرئ القيس للاوائل هو فتح لهم هذه الفطن ودلهم على المعانى

في مدح الشعراء

قال لما قال حسّان بن ثابت للحارث بن عوف المرّى وهو مشرك

وأمانةُ المرّيّ حيثُ لقيتَهُ مثلُ الزجاجةِ صَدْعُها لم يجبر

قال الحارث للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد أجرني من شعر حسان فوالله لو مزج به البحر لمزجه •• قال وكان كعب بن مالك ينشد رسول الله صلى الله عليه وسلم

قَضينا مِنْ تِهامَةَ كلَّ رَيْبٍ وخيبرَ ثم أجمَمنا السُّيوفا

نخبرُها ولو نطقتْ لقالتْ قواطِعُهنّ دَوْساً أوْ ثقيفا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهو أسرعُ فيهم من السهم في غَلَس الظلام •• قال ولما أنشد عبد الله بن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم

فثبّتَ الله ما آتاكَ مِنْ حَسَنٍ تثبيتَ موسى ونَصْراً كالذى نُصرا

أقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم متبسّماً ثم قال وإياك فثبّت الله وهو الذى يقول يوم مؤتة

أقسمتُ يانفسِ لتنزلنّه طائعة أوْ لتكرهِنّه

* مالى أرَاكِ تكرَهين الجنّة *

قال وحدا رجل برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول

تالله لوْلا اللهُ مااهتدينا ولا تصدّقنا ولا صَلّينا

فأنزِلَنْ سكينةً علينا وثبّتِ الأقدامَ ان لاقَينا

والمشركونَ قد بغَوْا علينا اذا أرادُوا فتنةً أبيْنا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقولها قال أبى قال يرحمه الله

مساوى الشعراء

قيل ليس أحد من الناس آكل للسحت وأنطق بالكذب ولا أوضع ولا أطمع

ولا أقلّ نفساً ولا أدنى همة من شاعر ولذلك قال أبو سعد المخزومي

الكلبُ والشاعرُ في حالةٍ ياليتَ أنى لم أكُنْ شاعرَا
هلْ هوَ إلاّ باسطٌ كَفّهُ يَستطِمُ الواردَ والصادرَا

قال ولما قال الهذيل الأشجعي فى عبد الملك بن مروان

اذا ذاتُ دَلٍّ كلمتهُ بحاجةٍ فهمَّ بأنْ تقضى تنحنح أوْ سعلْ

قال عبد الملك أخزاه الله فلربما جاءنى السعلة والنحنحة وأنا وحدى فى المتوضأ فاذكر قوله فأردّها .. قال ولما قال الشاعر فى شهر بن حوشب

لقدْ باعَ شهرٌ دينهُ بخريطةٍ فمنْ يأمنُ القُرّاء بعدكَ ياشهرُ

فلم يلبس خريطة حتى مات .. قالْ وقال الفرزدق مادخلت مسجداً قط أريد الصلاة ونظرت الى سواريه الاّ ذكرتُ قول جرير

ودّتْ قُفَيْرَةُ أنّ مسجدَ قومها كانتْ سواريَهُ أيورٌ بغالِ

وانه لم ينظر فى المرآة الا ذكر قوله

لها برَصٌ بجانبِ إسكتيها كَعنفقةِ الفرزدق حينَ شابا

.. ويروى ترى برصاً .. وقال كعب بن جُعيل مكثتُ دهراً أهجو الناس ولا أُهجى حتى انبرى لى غلام من تغلب فقال

تَسمّيتَ كعباً بشرّ العظامِ وكان أبوكَ يُسمّى الجُعَلْ
وأنتَ مكانُكَ منْ وائلٍ مكانَ القُرادِ من استِ الجملْ

فما رفعت رأسى حتى الساعة

ذكر من كره الشعر

قال اسحاق بن سليمان الهاشمى دخلت على المنصور يوما والايوان قد غصّ بأهله فقال بلغنى انك تقول الشعر قلت نعم ياأمير المؤمنين قال فانشدنى شيئاً منه فأنشدته قصيدة طويلة فيها مدح له فلما فرغتُ قال يابنيّ مالك وللمديح اياك واياه واحذر الهجاء

فانهما لايُشبهانك وعليك من الشعر بالبيتين والثلاثة تقول ذلك تطرّباً وتذكر فيه فضلا وتحبباً •• قال وقال معاوية بن أبي سفيان لعبدالرحمن بن الحكم يابن أخي انك قد لهِجْتَ بالشعر فاياك والتشبيب فتهجّن به كريماً والهجاء فتثير به لئيماً وإياك والمدح فانه كسب الخسيس ولكن آفخر بمآثر قومك وقل من الأمثال ماتزين به نفسك وتؤدّب به غيرك فان لم تجد بُدًّا من المديح فقل كما قال الاول

أحللْتُ رَحلي في بني ثُعَلٍ ان الكريمَ للكريمِ محلْ

•• قيل وسئل رجل عن الشعر فقال أسرَى مرُوءة الدنىّ وأدنى مروءة السرى

ماقيل فى ذم الشعر

قال الاصمعى أنشد رجل بشّاراً العقيلىّ بيت الطرّماح

فما للنوَى لابارَكَ الله فى النوَى وهمٌّ لنا منها كهمّ المباينِ

فقال ان هذا البيت لو وثبت عليه الشاة لأكلته يعنى إعادته النوي فى البيت مرتين فقلت صدق بشّار إعادة الأسماء فى بيت أكثر من مرة عِيّ •• قال وكتب محمد بن أبى عون الى محمد بن عبد الله بن طاهر

قدْ بعثنا بزَهرةِ البُستانِ بِكْرَ ماقدْ أتى من الرّيحانِ

ياسميناً ونرْجساً قدْ بعثنا وبعثنا بسوْسنِ البُستانِ

فقرأهما محمد وقال ثلاث مرات قد •• وكتب اليه

عونُ دقّ الالهُ منْ فيكَ أدْنا هُ وأقصاهُ ياعيِيّ اللسانِ

حشْوُ بيتيكَ فيه قدٌ وقدٌ قدّكَ اللهُ بالحُسامِ اليمانى

ومنه مضاحيك الشعر

قيل دخل رجل على الرشيد فقال ياأمير المؤمنين انى هجوت الروافض قال هات فقال

شمساً ورَغماً وزَيتوناً ومَظلمةً مِنْ أنْ ينالوا من الشيخينِ طُغياناً

فقال فسّرْ فقال ياأمير المؤمنين أنت في مائة الف لاتفهم هذا فأفهمه وأنا وحدى فضحك وأمر له بصلة ‥ الحمدوني قال أتاني رجل فقال قلت شعراً أحب أن أعرضه عليك فقلت هات فقال

انّ لى حُباً شديداً ليسَ يُنحيهِ الفِرارُ

فقلت نعم هو شعر فقال

انّ منْ أفلتَ منهُ لابِس ثوبَ المخازى

فقلت ذاك راء وهذا زاي قال لاتنقطه فقلت فهبنى لم أنقطه ذاك مرفوع وهذا مخفوض قال ياأحمق أنا أقول لاتنقطه وأنت تعجمه ‥ وجاء رجل الى حاجب ابراهيم بن اسماعيل عامل المدينة فقال أدخلنى عليه فانى قد مدحته ولك نصف مايصلنى منه فقال أنشدني ماقلتَ فيه فقال لاأفعل قال لاأدخلك قال فانى أنشدك قال هات قال قلت

كاد الأميرُ على تكرُمِهِ أن لا يكونَ لأمّه بظرُ

فقال الحاجب ياعاضّ بظر أمه كان يعطيك ستمائة سوط لى منها ثلاثمائة امض الى حرَقِ الله وناره

محاسن المخاطبات

قال ذكروا ان ابن القِريّة دخل على عبد الملك بن مروان فبينا هو عنده اذ دخل بنو عبد الملك عليه فقال من هؤلاء الفتية يا أميرالمؤمنين قال ولد أمير المؤمنين قال بارك الله لك فيهم كما بورك لأبيك فيك وبارك لهم فيك كما بورك لك فى أبيك فحشا فاه دراً ‥ قال وقال عمارة بن حمزة لأبى العباس وقد أمر له بجوهر نفيس وصلك الله يا أمير المؤمنين وبرّك فو الله لئن أردنا شكرك على انعامك ليقصرنّ شكرنا عن نعمتك كما قصر الله بنا عن منزلتك ‥ قال ودخل شبيب بن شبة على المهدىّ فقال يا أمير المؤمنين ان الله جل وعز حيث قسم الدنيا لم يرض لك الا بأرفعها وأشرفها فلا ترض لنفسك من الآخرة الا بمثله

مارضي لك من الدنيا وأُوصيك يا أمير المؤمنين بتقوى الله فانها عليكم نزلت ومنكم قُبلت واليكم تَرَد ٠٠ قال وقال ابراهيم الموصلي للهادي وقد غناه صوتاً أعجبه ان من كان محله من الانبساط وتقارب الندام محلّي جرّأه البسط على الطلب وبعثته المنادمة على الرجاء وقد نصب لي أميرُ المؤمنين لقربي منه مشارع الرغبة وحثّني مكانــ حالي عنده على الكروع في النهل من يده فقال له سل حاجتك شفاهاً فاني جاعل فملي اجابتك اليه حاضرا فسأله قيمــة خمسمائة الف درهم فأعطاه الف الف درهم ٠٠قيل ودخل اسحاق بن ابراهيم الموصلي على الرشيد فقال كيف حالك فقال

سَوامي سَوامُ المكثرين تجملاً ومالي كما قد تعلمــينَ قليلُ
وآمرةٍ بالبخل قلت لها اقصُري فذلك شيءٌ ما اليهِ سَبيــلُ
وكيف أَخافُ الفقرَ أوأُحرَمُ الغنى ورأيُ أمير المؤمنينَ جميلُ
أرى الناسَ خلاّنَ الجوادولاأرى بخيــلا له في العالمينَ خليلُ

فقال الرشيد هذا والله الشعر الذي صحت معانيه وقويت أركانه ولذ على أفواه القائلين وأسماع السامعين يا غلام احمل اليه خمسين الف درهم قال اسحاق كيف أقبل صلتك يا أمير المؤمنين وقد مدحت شعري بأكثر مما مدحتك قال الأصمعي فعلمت انه أصيد للدرهم مني ٠٠ قال وقال المأمون لابراهيم بن المهدي شاورت في أمرك فأشاروا على بقتلك فقال اما أن يكونوا نصحوك فيما جرت به السياسة وحكمت به الرياسة فقد فعلوا ولكنك تأبى أن تستجلب النصر الا من حيث عودك الله فان عاقبت فلك نظير وانّ عفوت فليس لك نظير وان جرمي يا أمير المؤمنين أعظم من أن أنطق فيه بعذر وعفو أمير المؤمنين أجل من أن يفي به شكر فقال المأمون مات الحِقد عند هذا العذر فاستعبر ابراهيم وبكى فقال له المأمون مالك قال الندم اذكان ذنبي الى من هذه صفته في الانعام عليّ ٠٠ وحدثني سعيد بن مسلم قال قال المأمونــ لابراهيم بن المهديّ بعد المؤانسة واخراج ماكان في قلبه عليه يا عم ما الذي حملك على منازعة مَن جرى قدر الله عز وجل له بتمام أمره واصلاح شأنه قال طاب صلاح حالي يا أمير المؤمنين وتوفر ماتتسع به يدي على خاصتي وعامتي قال فقدر ماشئت وهو لك مشاهرة قال اذاً تجدني بحيث تُحبّ

ويجري حكمك عليّ وفيّ كما يجري في أحد عبيدك وقد قلت في ذلك

أري الحر عبداً للذي تَربُّ كفّهِ شَراهُ بما قد غاظَهُ غايةَ الحمدِ
على أنّ مِلكَ الحرّ أسنى ذريعةً الي المجدِ من مالٍ يُصانُ ومن عبدِ
وان خصّ يَبيعُ مِلكِ حرٌّ بنعمةٍ اذا قوبلتْ بالشكر قارنها الحمدُ

فقال لئن كان ذلك كذلك اني لأهل أن أرفعك بمواد نعمتي عليك عن أن يقال هذا فيك أو تمتهنك عين أحد بذلة .. قال ودخل المأمون ذات يوم الى الديوان فنظر الى غلام جميل على أذنه قلم فقال من أنت يا غلام قال يا أمير المؤمنين الناشئ في دولتك والمتقلب في نعمتك والمؤمل لخدمتك الحسن بن رجاء فقال المأمون بالاحسان في البديهة تتفاضل العقول يُرفع عن مراتب الديوان الى مراتب الخاصة ويعطى مائة الف درهم معونةً له ففعل به ذلك .. قال ودخل يزيد بن جرير على المأمون وكان وجد عليه فقال أيزيد قال نعم يا أمير المؤمنين غذيّ نعمتك وخرّيج صنيعتك وغرس يدك الذي لم يشركك فيه مصطنع ولم يسبقك الى تخريجه أحد ولم أزل يا أمير المؤمنين بعفوك بعد سخطك راجياً وببصيرة رأيك في الانفراد بردّي الي ما عودتني واثقاً حتى أقامني الله جل وعز هذا المقام الذي فيه ادراكي أملي ونيلي محبتي فان رأى أمير المؤمنين أن يشهرني برضاه كما شهرني بسخطه فعل ان شاء الله فقال قد رضي عنك أمير المؤمنين .. قال ووصف يحيي بن خالد الفضلَ بن سهل وهو غلام على المجوسية للرشيد وذكر أدبه وحسن مذهبه وجودة معرفته فعمل على ضمه الى المأمون فقال يوماً ليحيي أدخِل اليّ هذا الغلامَ المجوسيّ حتى أنظر اليه ففعل يحيي ذلك فلما مثل بين يديه وقف وتحيّر وأراد الكلام فأُرتجَ عليه وأدركته كبوة فنظر الرشيد الى يحيي نظر منكرٍ لما كان تقدم من تقريظه إياه فانبعث الفضل فقال يا أمير المؤمنين ان من أبين الدلالة على فراهة المملوك شدة افراط هيبته لسيده فقال له الرشيد أحسنت والله لئن كان سُكوتك لتقول هذا انه لحسن وان كان هذا شيء أدركك عند انقطاعك انه لأحسن وأحسن ثم جعل لا يسأله عن شيء الا رآه مقدّماً فيه مبرزاً فضمه الى المأمون في ذلك اليوم .. وقال الفضل بن سهل للمأمون وقد سأله حاجة لبعض أهل بيوتات دهاقين سمرقند ووعده

تعجيل انفاذها فتأخر ذلك عليه يا أمير المأمنين هب لوعدك تذكراً من نفسك وهبْ سائلك حلاوة نعمتك واجعل ميلك الى ذلك فى الكرم حاثاً على اصطفاء شكر الطالبين لتشهد القلوب بحقائق الكرم والألسن بنهاية الجود فقال قد جعلت اليك اجابة سؤالي عني بما ترى فيهم وأخذتك بالتقصير فيما يلزم لهم من غير استئمار ولا معاودة فى اخراج الصكاك مَن أخصر المال متناولا قال اذاً لا تجدنى فى معرفتى بما يجب لأمير المؤمنين لاهيا بما يديم له حسن الثناء ومن دعائهم طول البقاء ٠٠ قال وقال الفضل بن سهل للمأمون يا أمير المؤمنين اجعل نعمتك صائنة لماء وجوه خدمك عن اراقته فى غضاضة السؤال فقال المأمون والله لا كان ذلك الا كذلك ٠٠ قال ودخل العتابي على المأمون فقال يا أبا كلثوم خُبّرت بوفاتك فغمّتنى ثم جاءتني وفادتك فسرّتني فقال يا أمير المؤمنين كيف أمدحك أو بماذا أصفك ولا دين الا بك ولا دنيا الا معك فقال سلنى عما بدا لك قال يداك بالعطية أطلق من لساني بالمسألة ٠٠قال وتكلم المأمون يوماً فأحسن فقال يحيي بن أكثم يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك إن خضنا فى الطب فأنت جالينوس فى معرفته أو فى النجم فأنت هرمس فى حسابه أو فى الفقه فأنت على بن أبي طالب رضى الله عنه فى علمه وان ذكر السخاء كنت حاتماً في جوده أو الصدق فأنت أبو ذر فى صدق لهجته أو الكرم فأنت كعب بن مامة فى ايثاره على نفسه أو الوفاء فأنت السموءل بن عاديا فى وفائه فاستحسن قوله وتهلل وجهه ٠٠ قال وقال ابراهيم بن المهدى للمأمون يا أمير المؤمنين ليس للعاقى بعد القدرة عليه ذنب وليس للمعاقب بعد الملك عذر قال صدقت فما حاجتك قال فلان قال هو لك ٠٠ قال وقال الواثق يوماً لأحمد بن أبى دؤاد وقد تضجّر بكثرة حوائجه قد أخليت بيوت الأموال بطلباتك للائذين بك والمتوصلين اليك فقال يا أميرالمؤمنين نتائج شكرُها متصل بك وذخائر أجرُها مكتوب لك ومالى من ذلك الا عشق الألسن لخلود المدح فيك فقال يا أبا عبد الله والله لا منعتك ما يزيد فى عشقك وتقوى به منتك اذ كانا لنا دونك وأمر فأخرج له ثلاثون الف دينار يفرقها فى الزوّار ٠٠ قال وقدم أبو وجزة السُلَمي على المهلب بن أبي صفرة فقال أصلح الله الأمير انى قطعت اليك الدهناء وضربت اليك أكباد الابل من يثرب فقال هل أتيتنا بوسيلة أو قرابة أو عِشرة قال لا

ولكني رأيتك لحاجتي أهلا فان قمت بها فأهل ذاك أنت وان يحل دونها حائل لم أذمم يومك ولم أيأس من غدك فقال المهلب يعطى ما في بيت المال فوجد فيه مائة الف درهم فدفعت اليه فأنشأ يقول

يامَنْ على الجودِ صاغَ اللهُ راحتَهُ فليسَ يُحسِنُ غيرَ البذلِ والجودِ
عمَّتْ عطاياكَ من بالشرقِ قاطبــةً وأنتَ والجودُ منحوتانِ من عودِ

قل ودخل الكوثر بن زُفر على يزيد بن المهلب فقال أصلحك الله أنت أعظم قدراً من أن يستعان عليك ويستعان بك لست تفعل من المعروف شيئاً الاوهو أصغر منك وليس من العجب أن تفعل ولكن العجب أن لا تفعل. قال سل حاجتك قال تحملت عن قومي عشر ديات وقد نهكتني قال قد أمرنا لك بها وأضعفناها بمثلها فقال الكوثر ان ماسألتكم بوجهي لمقبول منــك وأمامابدأتني به فلا حاجة لي فيه قال ولم وقد كفيتك ذل السؤال قال لأني رأيت الذي أخــذته مني بمسألتي اياك أكثر مما نالني من معروفك فكرهت الفضــل على نفسي قال يزيد فأنا أسألك بحقــك عليَّ فيما أملتني له من انزالك اليَّ الأ قبلتها فقبلها

——————

مساوي المخاطبات

قيل دخل أبو علقمة النحويّ على أعين الطبيب فقال له اني أكلت من لحوم هذه الجوازئ فطسئت طسأة فأصابني وجع ما بين الوابلة الي دأية العنق ولم يزل يربو وينمو حتى خالط الخِلب والشراسيف فهــل عندك دواء قال نعم خذ خرْفقا وسلفقا فزقزقه واغسله بماء روث واشربه قال لا أدرى ما تقول قال ولا أنا ما أدرى ماتقول •• وقال له آخر اني أجد معمعة في بطني وقرقرة فقال له أما المعمعة فلا أعرفها وأما القرقرة فهو ضراط لم ينضج •• قيل وأتى رجل الى الهيثم بن عريان بغريم له قد مطله في حق له فقال أصلح الله الأمير ان لي على هذا حقاً قد غلبني عليه فقال له الآخر أصلحك الله ان هذا باعني عنجدا وقد استنسأته حولا وشرطت ان أعطيه مياومة فهو لايلقاني

فى لقم الا اقتضانى فقال له الهيثم أمن بني شيبة أنت قال لا قال فمن بني هاشم قال لا قال فمن أكفائهم من العرب قال لا قال ويلي عليك انزع ثيابه يا حرسي فلما أرادوا أن ينزعوا ثيابه قال أصلحك الله ان ازارى مرعبل فدعه فلو ترك الغريب فى موضع لتركه فى هذا الموضع •• قال ومر أبو علقمة ببعض الطرق فهاجت به مرة فوثب عليه قوم وأقبلوا يعضون ابهامه ويؤذنون فى أذنه فأفلت من أيديهم وقال مالكم تتكاكؤن على كما تتكاكؤن على ذى جنة افرنقعوا عنى فقال رجل منهم دعوه فان شيطانه هندى يتكلم بالهندية •• وقال مرة لحجام يحجمه اشدد قصب الملازم وارهف ظبة المشارط وخفف الوضع وعجل النزع وليكن شرطك وخزاً ومصك نهزاً ولا تكرهن أبياً ولا تردن آتياً فوضع الحجام محاجمه فى جونته ومضى

محاسن المكاتبات

قال وقال كعب العبسى لعروة بن الزبير قد أذنبت ذنباً الى الوليد بن عبد الملك وليس يزيل غضبه شئ فاكتب اليه فكتب لو لم يكن لكعب من قديم حرمته ما يغفر له عظيم جريرته لوجب بأن لا تحرمه التفيؤ بظلال عفوك الذي تأمله القلوب ولا تعلق به الذنوب وقد استشفع بى اليك فوثقت له منك بعفو لا يخلطه سخط فحقق أمله فى وصدق ثقتي بك فكتب اليه الوليد قد شكرت رغبته اليك وعفوت عنه لمعوله عليك وله عندى الذي تحب ان لم تقطع كتبك عنى فى أمثاله وفى سائر أمورك •• قال وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الى بعض اخوانه أما بعد فقد عاقنى الشك من عزيمة الرأي ابتدأتني بلطف من غير خبرة ثم أعقبتني جفاء من غير ذنب فأطمعنى أولك في إخائك وآيسنى آخرك من وفائك فلا أنا فى غير الرجاء مجمع لك اطّراحاً ولا فى غدو انتظار منك على ثقة فسبحان من لو شاء كشف بايضاح الرأي فيك فاما أقمنا على ائتلاف أوافترقنا على اختلاف •• قال وسخط مسلمة بن عبد الملك

على العريان بن الهيثم فعزله عن شرطة الكوفة فشكا ذلك الى عمر بن عبد العزيز فكتب اليه ان من حفظ نعم الله رعاية حق ذوى الأسنان ومن اظهار شكر الموهوب له صفح القادر عن الذنوب ومن تمام السؤدد حفظ الودائع واستتمام الصنائع وقد كنت أودعت العريان نعمة من نعمك فسلبتها عجلة سخطك وما أنصفته اذ غصبته على أن وليته ثم عزلته وخليته وأنا شفيعه فأحب أن تجعل له من قلبك نصيباً ولا تخرجه من حسن رأيك فيضيع ما أودعته ويتوى ما أفدته فرضى عنه ٠٠ قال وغضب سليمان بن عبد الملك على أبي عبيدة مولاه فشكا الى سعيد بن المسيب ذلك فكتب اليه أما بعد فان أمير المؤمنين في الموضع الذى يرتفع قدره عن أن تعصيه رعيته وفى عفو أمير المؤمنين سعة للمسلمين فرضى عنه ٠٠ قال وطلب العتابى من رجل حاجة فقضى له بعضها وماطله ببعض فكتب اليه أما بعد فقد تركتنى منتظراً لرفدك وصاحبُ الحاجة محتاج الى نعم هنيئة أو لا مريحة والعذر الجميل أحسنُ من المطال الطويل وقد كتبت

بسطتَ لساني ثمّ أوثقتَ نصفَهُ فنصفُ لساني بامتداحِكَ مُطلَقُ
فان أنتَ لم تنجز عِداتى تركتَني وباقى لسانِ الشكرِ باليأسِ موثَقُ

قال ولما بنى المهدى بريطة بنة أبى العباس كتب اليه يحيى بن سعيد بن قيس الانصارى أدام الله لك جميل ما أنعم عندك وأوفر ما يجرى به القدر لك ولا زالت يد الله تحوطك فى المحبوب وتدرأ عنك المكروه وهنئت بهذه النعمة وملّيتها أمنا من زوالها بطول البقاء والمدة فقالت له ريطة ما لهذا الكلام ثمن فقل وكيف ونحن أطلقنا باحساننا اليه وانعامنا عليه لسانه فينا ونزيده من الثواب اثمنه علينا ٠٠ قال وأمر الرشيد جعفر بن يحيي أن يعزل أخاه الفضل بن يحيي عن الخاتم ويقبضه اليه قبضاً لطيفاً فكتب الى أخيه قد رأى أمير المؤمنين أن تنقل خاتم خلافته عن يمينك الى شمالك ٠٠ فكتب اليه الفضل ما نتقلت عنى نعمة صارت اليك ولا خصتك دونى ٠٠ أحمد بن يوسف الكاتب ٠٠ قال أمرني المأمون أن أكتب الى الآفاق فى الاستكثار من المصابيح فى المساجد فلم أدر كيف أكتب لأنه شئ لم أسبق اليه فاسلك طريقته ومعناه فأتانى آت في منامي وقال لي اكتب فان فيها أنساً للمجتهدين وأضاءة للسابلة ونفياً لمكامن الريب وتنزيهاً

لبيوت الله عزّ وجلّ عن وحشة الظلم فكتب بذلك •• قال وكتب عمرو بن مسعدة الى المأمون فى رجل من بني ضبّة يستشفع اليه فى زيادةٍ في منزلته وجعل كتابته تعريضاً أما بعد فقد استشفع بي فلان ياأمير المؤمنين لتطوّلك فى الحاقه بنظرائه من الخاصّة فيما يرتزقون فأعلمته ان أمير المؤمنين لم يجعلني فى مراتب المستشفعين وفى ابتدائه بذلك تعدّى طاعته والسلام فكتب اليه المأمون قد عرفنا توطئتك له وتعريضك النفسك وأجبناك اليهما ووافقناك عليهما •• وحدثنا عبد الله بن ميمون قال تأخر الجارى من الرزق لابراهيم بن اسحاق الموصلى عنه فى أيام المأمون فكتب اليه ياأمير المؤمنين مافوق جودك فى العاجلة مرتقى لآمالنا ولا الى غير دولتك متطلّع لقلوبنا فلم تتأخر الافادات عنّا ويعسر نيْلُ المحبوب علينا فقال المأمون ماسمعت فى التصريح والاشارة بالطلب أحسن من هذا وأمر باخراج فائته وبجائزة ثلاثمائة الف درهم •• قال وأولم المأمون على بعض ولده فكتب اليه ابراهيم بن المهدى لولا ان البضاعة تقصر عن الهمة لانبعت السابقين الى البرّ وخفت صحيفتها وليس لى فيها ذكر فبعثت بالمبتدأ به ليمنه وبركته والمختوم به لنظافته وطيبه جراب ملح وجراب أشنان •• وكتب ابراهيم بن المهدى الى صديق له بعث اليه بهديّة لو كانت التحفة على حسب مايوجبه حقك لأجحف بنا أداء حقك ولكنه على مايخرج من حدّ الحشمة ويوجب الانس وقد بعثت اليك بكذا •• وحدثنا أبو الودغ قال أول كتاب ورد على المأمون بالخلافة كتاب الحارث بن سباع الخراسانى فانه كتب اليه قد أظلّنا أمير المؤمنين بخلافته تحت جناح الطمأنينة وبلغنا بها مدى الأمنيّة فأدام الله له من كرامته مايتعاطون له أقاصى وأدانى رعيته وجعله أعزّ خليفة وجعلنا أسمع وأطوع رعية فقال المأمون للفضل بن سهل أتعرف ماقيمة هذا الكلام قال نعم ياأمير المؤمنين قال وماهي قال تلقيك له بالسرور فأعجبه قوله واستحسنه •• قال وكتب عبد الله بن طاهر الى المأمون من خراسان بعدت داري عن أمير المؤمنين وعن ظلّ جناحه وعن خدمته وان كنت حيث تصرّفت لاتفيأ الا به وقد اشتد شوقي الى النظر الى رؤيته المباركة والتزين بحضور مجالسه وتلقيح عقلي بحسن رأيه فلا شيء عندي آثر من قربه وانْ كنتُ فى سعة من

عيش وهبهُ الله جلّ ذكره لي به فان رأى أمير المؤمنين ان يأذن لي في المصير الى دار السلام لأحدث عهداً بالنعم عليّ وأَهنأ بالنعمة التي أقرّها لديّ فعل فأجابه المأمون قربك اليّ يا أبا العباس حبيب وأنا اليك مشتاق وانما بعدت دارك عن أمير المؤمنين بالنظر لك والتخيير لحسن العاقبة فالزم مكانك واتبع قول الشاعر

رأيتُ دُنُوّ لدارٍ ليسَ بنافعٍ اذا كان ما بينَ القلوب بَعيدَا

وحدثنا خصيف بن الحارث عن أبي رجاء قال قدم مع المأمون رجل من دهاقين الشاش وعظمائهم على عِدَة سلفت من المأمون له من توليته بلداً وان يضم اليه مملكته فطال على الرجل انتظار خروج المأمون وأمره له بذلك فقصد عمرو بن مسعدة وسأله انفاذ رقعة الى المأمون من ناحيته فقال عمرو اكتب ماشئت فاني أوصله قال فتولّ ذلك عني يكن لك عليّ نعمتان فكتب عمرو ان رأى أمير المؤمنين ان يفك أسر عبده من ربقة المطال بقضاء حاجته أو يأذن له في الانصراف الى بلده فعل ان شاء الله تعالى فلما قرأ المأمون الرقعة دعا عمراً فجعل يعجبه من حسن لفظها وايجاز المراد فيها قال عمرو فما نتيجتها يا أمير المؤمنين قال الكتاب له في هذا الوقت بما سأل لئلاّ يتأخر فضل استحساننا كلامه وبجائزة مائة الف درهم صلة عن دناءة المطل وسماجة الاغفال ففعل عمرو ذلك . . وحدثنا اسماعيل بن أبي شاكر قال لما أصاب أهل مكة سنة ثمان ومائتين السيلُ الذي شارف الحجر ومات تحت هدمه خلقٌ كثير كتب عبد الله بن الحسن العلوى وهو والي الحرمين الى المأمون يا أمير المؤمنين ان أهل حرم الله وجيران بيته وأُلاّف مسجده وعمرة بلاده قد استجاروا بفيء معروفك من سيل تراكمت احداثه في هدم البنيان وقتل الرجال والنسوان واجتياح الأموال وجرف الأمتعة والأثقال حتى ماترك طارفاً ولا تالداً يرجع اليهما في مطعم وملبس قد شغلهم طلب الغذاء عن الاستراحة الى البكاء على الأمهات والاولاد والآباء والأجداد فأجرهم يا أمير المؤمنين بعطفك عليهم واحسانك اليهم تجد الله مكافئك عنهم ومثيبك عزّ الشكر لك منهم قال فوجّه اليهم المأمون بالأموال الكثيرة وكتب الى عبد الله أما بعد فقد وصلت شكيّتك لأهل حرم مكة الى أمير المؤمنين فبلاهم الله بفضل رحمته وأنجدهم بسيب نعمته وهو

متبعٌ ماأسلفه اليهم بما يخففه عليهم عاجلا وآجلاً ان أذن الله جل وعزّ في تثبيت عزمه على صحة نيّته فيهم قال فكان كتابه هذا أسرّ الى أهل مكة من الأموال التي أنفذها اليهم .. قال أحمد بن يوسف دخلت على المأمون يوماً ومعه كتاب يعجب به كتبه الى عمرو بن مسعدة فالتفت اليّ وقال أحسبك مفكراً فيما رأيت قلت لم وقى الله أمير المؤمنين المكروه قال انه ليس بمكروه ولكني قرأت كلاما نظيرا لخبر خبرني به الرشيد سمعته يقول البلاغة التقرب من معنى البُغية والتباعد من حشو الكلام ودلالة بالقليل على الكثير فلم أتوهم ان هذا الكلام يُسبك على هذه الصيغة حتى قرأت هذا الكتاب والله لأقضينّ حق هذا الكلام وكان الكتاب استعطافاً على الجند فيه كتابي الى أمير المؤمنين ومن قبلي من أجناده وقوّاده في الطاعة والموالاة والانقياد على أحسن ماتكون عليه طاعة جند وقد تأخرت أرزاقهم واختلّت أحوالهم قال تأمر باعطائهم لثمانية أشهر .. قال ولما بعث طاهر بن الحسين برأس محمد الأمين كتب اليه آتى الله أمير المؤمنين من شكره مايزيد به في نعمته عليه وأياديه لديه فقد كان من قدر الله جلّ وعزّ في اعانة أمير المؤمنين على الظفر بحقه وسلامة الأولياء ووفاة محمد بن الرشيد مالا دافع له من القضاء في الخلق والاستبداد بالأمر لنفوذ مشيئته فيما أحب من اعزاز واجلال وموت وحياة فيهنئ أمير المؤمنين فوائد تطوّل الله عليه وليعزّه عن أخيه الرضا بما يؤول اليه أهل الارض والسماء من الانقراض والفناء فكان المأمون يقول والله لسروري بتعزيته أوقعُ بقلبي من تهنئته .. قال وكتب اليه الفضل بن سهل أما بعد فان المخلوع وان كان قسيم أمير المؤمنين في النسب واللحمة فقد فرق الكتاب بينه وبينه في الولاية والحرمة لقول الله جــلّ وعزّ فيما اقتصّ علينا من نبأ نوح حيث يقول(انه ليس من أهلكَ انهُ عملٌ غيرُ صالحٍ) ولاصلة لأحد في معصية الله ولا قطيعة فيما كانت القطيعة في ذات الله وكتبت الى أمير المؤمنين وقد قتــلَ الله جلّ وعزّ المخلوع وردّاه رداء نكثه وعجّل لأمير المؤمنين ما كان ينتظر من وعده فالحمد لله الذي ردّ الى أمير المؤمنين معلوم حقه وكبتَ المكايد له في خفر عهده ونقض عقده حتى ردّ بذلك أعلام الدين الى سبيلها بعد دروسها والسلام .. قال وكتب المعتصم الى عبد الله بن طاهر أما بعد

فان المأمون أحله الله دار كرامته رآك لأكثر الذي أنت له فيه أملا وقد جمع الله لك الى حسن رأيه كان فيك جميل رأيي لما محضته من حسن الطاعة وكرم الوفاء وشكر الاحسان وقد اتصلت الاخبار بانك في كفاية من أولياء أمير المؤمنين وأموال خراسان وفي منعة من خاصتك وعامتك عن ان ينالك عدوك أو أحد ممن يخالك بسوء فاكتب بشرح ذلك الى أمير المؤمنين ليعرفه ان شاء الله فلما وصل كتابه قال عبد الله لكاتبه اسماعيل بن حماد ماتقول في هذا الكتاب قال كتاب تعريض بانك خارج من طاعته مالك أمر نفسك دونه قال فأجبه عنه وكتب اليه أما بعد ياأمير المؤمنين فان حزب الله وان قلوا وأنصار المؤمنين وان ضعفوا فهم الغالبون وما أنا بشئ في ملاقاة عدو أوثق مني بعز دولة أمير المؤمنين فأما الأيدي فقليلة والأموال فزرة وفي الله وفي أمير المؤمنين أعظم الغنى فقبل عذره وحسن موقع كتابه منه •• قال وكتب أحمد بن اسرائيل الى الواثق وقد عزله عن ديوان الخراج وأمر بتقييده ليصحح حساباته ياأمير المؤمنين بم يستحق الاذلال من أنت بعد الله ورسوله مؤئل عزه واليك مفزع أمله ولم تزل نفسه راجية لابتداء احسانك اليه وتتابع نعمك لديه وعينه طامحة الى تطولك عليه ورفعك منه والزيادة في الصنيعة اليه فهب له ياأمير المؤمنين مايزينك واعف عما لايشينك فما به عنك معدل ولا على غيرك معول فأمر باطلاقه •• قال وكتب جعفر بن محمد بن الأشعث الى يحيى بن خالد يستعفيه من العمل شكري لك على ماأريد الخروج منه شكر من نال الدخول فيه •• وكتب علي بن هشام الى اسحاق بن ابراهيم الموصلي ماأدرى كيف أصنع أغيب فاشتاق وألتقي فلا أشتفى ثم يحدث لي اللقاء نوعا من الحرقة للوعة الفرقة •• وكتب معقل الى أبي دلف فلان جميل الحال عند كرام الرجال وأنت ان لم ترتبطه بفضلك عليه غلبك فضل غيرك عليه •• وكتب رجل الى أخ له أما بعد فقد بان لنا من فضل الله جل وعز مالانحصيه لكثرة مانعصيه وما ندرى مانشكر أجميل مانشر أم قبيح ماستر أم عظيم ماأبلى أم كثير ماعفا غير انه يلزمنا في الأمور شكره ويجب علينا حمده فاستزد الله من حسن بلائه بشكرك إياه على حسن آلائه •• وكتب رجل الى أخ له أوصيك

بتقوى الله الذى ابتدأك بإحسانه وأتمّ عليك نعمه بافضاله وصبر عليك مع اقتداره ولا يغررك إمهاله فانه ربما كان استدراجا عافانا الله واياك من الاغترار بالامهال والاستدراج بالاحسان ‥ قال وكتب أبو هاشم الحرّانى الى بعض الأمراء عِوَضى من أمل الامير متأخر والصبر على الحرمان متعذّر ‥ وكتب رجل الى محمد بن عبد الله إن من النعمة على المُثنى عليك أن لايخاف الافراط ولا يأمن التقصير ولا يحذر ان تلحقه نقيصة الكذب ولا ينتهي من المدح الى غاية الاّ وجد في فضلك عوناً على تجاوزها ومن سعادة جدّك ان الداعي لك لايعدم كثرة المادحين ومساعدة من النيّة على ظاهر القول ‥ وكتب رجل الى أبي عبد الله بن يحيى رأيتنى فيما أُتعاطاه من مدحك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر المضيء الزاهر الذى لايخفى على ناظر وأيقنت انى حيث انتهى من القول منسوبٌ الي العجز مقصر عن الغاية فانصرفت عن الثناء عليك الى الدعاء لك ووكلت الاخبار عنك الى علم الناس بك ‥ قال وكتب المهلّب بن أبي صفرة الى عبد الملك بن مروان لما هزم الشراة أما بعد فانا لقينا المارقةَ ببلاد الاهواز وكانت للناس جولةٌ ثم ثاب أهل الدين والمروءة ونصرنا الله جلّ وعزّ عليهم ونزل القضاء بأمر جاوزت النعمة فيه الأملَ فصاروا درّية رماحنا وضرائب سيوفنا وقتل رئيسهم في جماعة من حماتهم وذوى الثبات منهم وجلا الباقون عن عسكرهم وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأولها تماماً وكمالا والسلام ‥ وكتب المهلب الى الحجاج فى فتح الأزارقةِ الحمد لله الكافى بالاسلام ما وراءه الذى لا تنقطع موادّ نعمته حتى تنقطع من خلقه موادّ الشكر وانا كنا أُعطينا من الله جل وعز على عدونا حالين يسُرّنا منهم أكثر مما يسوءنا ويسوءهم منا أكثر مما يسرهم فلم يزل الله جل وعز يزيدنا وينقصهم ويعزنا ويخذلهم حتى بلغ الكتاب أجله وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ‥ أخبرنا ابن أبي السرح ان الحجاج أغزى جيشاً فظفروا وان صاحب جيشه كتب اليه الحمد لله الذي جعل لأوليائه امام نصره موعداً قوّى به قلوبهم وقدم الى أعدائه بين يدي خذلانه ايامهم وعيداً أرعب به مناصلهم وزعزع معه قلوبهم فلما بلغ هذا الموضع طوى ما كان لنشره من الكتاب ولم يقرأ ما بعده ثم التفت الى الرسول فقال خبّرنا هذا الكلام

المبتدأ به ان العدو ولىّ من غير حرب فقال صدق الأمير صدّق الله ظنه وأصاب أصاب الله رأيه •• قال وكتب مروان بن محمد الى عبد الله بن على يوصيه بحُرَمه فكتب اليه عبد الله يا مائق ان الحق انا فى دمِك والحق علينا فى حُرَمك •• وكتب علىّ رضوان الله عليه الى زياد بن أبيه لئن بلغنى عنك خيانة لأشدنّ عليك شدة أدعُك فيها قليل الوفر ثقيل الظهر ••قال وكتب رجل الى أبي مسلم حين خرج أحسن الله لك الصحبة وعصمك بالتقوى وألهمك التوفيق ﴿ان الأرضَ لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾ فسر فيها راغباً الى الله ورسوله والرضي من هذه الأمة بالكتاب والسنة واعلم ان التقوى أسّ ما تبنى عليه أمرك فان ضعف الأساسُ تَداعى البنيان ودخل الأعداء من كل مكان فتألّف الأعلام من الرجال وسروأتهم وتصفح عقولهم ومروآتهم فكلما ارتضيت رجلا فغُرّه عن عزائم رأيه واصرف نظرك الى تصرف حاله فان وجدته على خلاف ما أنت عليه فلا تعجل بالقاء أمرك اليه فتدخله الوحشة منك والنفور عنك لكن اقرعه بالحجة فى رفق وسُقه الى شَرَك المحجة فى لين حتى يتكشف لك ثوب الظلمة عن النور وتظهر لك وجوه الأمور فانه سيكثر أعوانك على الحق ويسهل لك منهاج الطرق فاذا كثرت العدّة من أصحابك وأمكنتك الشدة على أعدائك فحارب الفئة الباغية والائمة الطاغية الذين أباحوا حمى المسلمين وأجروا عليهم أحكام الفاسقين وقادوهم بجرائر المِهن واستذلوهم فى البر والبحر واعلم ان من عرف الله جل وعز لم يَر لأهل البغي جماعة ولا لأئمة الضلالة طاعة وكلما غلبت على بلدةٍ فامسك عن القتل واظهر فى أهله العدل لتسكن اليك النفوس ويثوب نحوك الناس وينتشر فعلك فى الخاصة والعامة فتستدعى أهواءها وتستميل آراءها وتهش اليك من الآفاق نفوس عرانين الكرم ومصابيح الظُلَم من ذوى الأحساب الكريمة والبيوت القديمة التى شرفها الاسلام وزينها الايمان لتزرع بذلك المحبة فى قلوب العباد ويكونوا لك دواعى فى نواحي البلاد تمم الله لك أمرك وأعلى كعبك •• قال ولما استقامت المملكة لأبرويز وانقضى ما بينه وبين بهرام جور أمر أن تكتب تلك الحروب والوقائع الى منتهاها ففعلت الكتبة ذلك وعرضته على أبرويز فلم يرض صدره فقال غلام من أولاد الكتاب ان أمر الملكُ كتبت صدرَه فقال شأنك

فتناول القلم وكتب ان الدهر لم يخلُ في تارات عقبه وتصرفِه ووجوه تنقله في حالات من العجائب ولم تنصرم فيه فنونها على طول مداه ولم يزل في تقلّب عصرَيهِ وصفحات أزمنته وطبقات أحايينه تحدث فيه جلائل الأمور وغرائب الأنباء وتنجم فيه قرون وتعقب فيه أعقاب بعد أسلاف وتعفو آثار وله في تلونه تصريف أنباء معجبة وأحاديث فيها معتبرَ وعظة ومختبر ومن أعاجيب ذلك أمر بهرام بن بهرام ولقبه جور فعرضه على أبرويز فأعجبه ذلك وأمر برفع درجته وتقديمه وتعظيمه

مساوي المكاتبات

قال الجاحظ كتب ابن المراكبي الى بعض ملوك بغداد جعلت فداك برحمته •• وقرأت على عنوان كتابٍ لأبي الحسن السمّري للموت لناقبلة •• وقرأت أيضاً على عنوان كتاب الى ذاك الذى كتب اليّ •• وكتب بعضهم الى ابن له عليل يا بني اكتب الى بما تشتهي فكتب اليه أشتهي قلنسوة فكتب اليه انما سألتك أن تكتب لى بما تشتهي من الغذاء فكتب اليه أشتهي دهن خل وزبيب فكتب اليه أنزل الله عليك الموت فانك ثقيل •• قال ونقش بشر بن عبد الله على خاتمه بشر بن عبد الله بالرحمن لا يشرك فقال أبوه هذا والله أقبح من الشرك

محاسن الخطب

قال خطب خالد بن صفوان خطبة نكاح فقال الحمد لله جامعاً للحمد كله وصلى الله على محمد وآله أما بعد فقد قلتم ماسمعنا وبذلتم فقبلنا وخطبتم فأنكحنا فبارك الله لكم ولنا • قال وخطب محمد بن الوليد بن عتبة الى عمر بن عبد العزيز أختَه فزوجه وخطب فقال الحمد لله ذي العزة والكبرياء وصلى الله على محمد خاتم الانبياء وقد زوجتك على ما في كتاب الله جل وعز (إمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ باحسانٍ) •• وخطب عبد الله بن

جعفر فقال الحمد لله الذي ليس من دونه احـتراز ولا لذاهب عنه مجاز السميع المنيع ذي الجلال الرفيع وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له فى سلطانه ولا سميّ له فى برهانه وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم أما بعد فان لكل شئ سبباً مضت به الأقدار وأُحصيت فيه الآثار على وقوع أقضيته وحلول مدته والصهر لسبب شابك يجمع المختلف ويقرب المؤتلف وفلان بن فلان قد بذل لكم الموجود ووعدكم الوفاء المحمود فأجيبوه الى ما رغب فيه تحمدوا العاقبة وتدخروا الأجر للآخرة ٠٠ وخطب أبو عبيـدة خطبة نكاح بالبصرة وحضره اعرابى فقال الحمد لله أكثر مما حمدتم وربنا أعظم مما وصـفتم ندع الفصول ونتبع الأصول كفعل ذوى العقول وقد سمعنا مقالتكم وشفّعنا خاطبكم وقبلنا ما بذلتم والسلام عليكم ٠٠ وخطب اعرابيّ الى قوم فقال الحمد لله ولى الانعام وصلى الله على محمد خير الأنام وعلى آله وسلم أما بعدفانى اليكم معشر الاكفاء خاطب وفى سبب الالفة بيننا وبينكم راغب ولكم علىّ فيمن خطبت أحسن ما يجب للصاحب على الصاحب فأجيبونى جواب من يري نفسه لرغبتى محلاولما دعتنى الطلبة اليـه أهلا فأجابه اعرابى آخر أما بعد فقد توسلت بحرمة وذكرت حقاً وأملت مرجواً فحبلك موصول وعرضك مقبول وقد أنكحنا وسلمنا والحمد لله على ذلك ٠٠ قال وكان الحسن البصرى يقول فى خطبة النكاح بعد حمد الله والثناء عليه أما بعد فان الله عز وجل جمع بهذا النكاح الأرحام المنقطعة والأنساب المتفرقة وجعل ذلك فى سُنة من دينه ومنهاج واضح من أمره وقد تزوج فلان بن فلان بفلانة ابنة فلان وبذل لها من الصداق كذا وكذا فاستخيروا الله وردوا خيراً ٠٠ قال وحضر المأمون إملاكاً فسأله بعض من حضر أن يخطب فقال الحمد لله والمصطفى رسول الله عليه وعلى آله السلام وخير ما عمل به كتاب الله قال الله جـل وعزّ (وأنكحوا الأيامى منكمْ والصالحين منْ عبادكم وإمائكمْ إن يكونوا فقراء يُغنِهِمُ اللهُ من فضـلهِ واللهُ واسعٌ عليمٌ) ولو لم يكن النكاح آية منزلة وسنة متبعة الا لما جعل الله جل اسمه فى ذلك من تأليف البعيد وإدناء الغريبِ لسارع اليه العاقل المصيب وبادر اليه المختار اللبيب وفلان من قد عرفتموه فى نسب لم تجهلوه يخطب اليكم فتاتكم فلانة ويبذل لها من الصداق كذا فشفعوا شافعنا

وأنكحوا خاطبكم وقولوا خيراً تحمدوا عليه وتؤجروا أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

مساوي الخطب

قيل واستعمل الوليد بن عبد الملك اعرابياً على بعض مدن الشام فلما صعد المنبر قال الحمد لله أحمده وأستعينه من يهده الله فليس بضال ومن يضلل فأبعده الله أما بعد فو الله لقد ذكر لي انكم تأتون الأندرين فتشربون من خمورها وما الذي عرّضكم أخزاكم الله لما يشين أعراضكم فان كنتم لا بد فاعلين فليشرب الرجل قعباً أو قعبين أو ثلاثة ان كان طيباً ولقد بلغني انكم تأتون بالليل النساء اللواتي قد غاب أزواجهن واني أعطي الله عهداً اني لا أجد رجلا يأتي امرأة ليلا الا قطعت ظهره بالسياط فاذا قدم عليهن أزواجهن فأتوهن حلالا وأيما رجل أصاب في بيته رجلا فليأخذ سلبه فقال له كاتبه أيهما يأخذ سلب صاحبه أيها الأمير فقال أيهما غلب فكانت المرأة تقول لزوجها قد أحل لنا الأمير الزناء ٠٠ وحكي عن جُحى ان أباه قال له دع ما أنت عليه من الجنون والمجون والخلاعة وتَرزّن حتى أخطب لك بعض بنات أهل الثروة والشرف فقال نعم يا أبتاه فتزين وتبخر وصار الى مجمع الناس فقعد وهو صامت وقد حضر أشراف الناس وعظماؤهم فقال له أبوه تكلم يا بنيّ فقال الحمد لله أحمده وأستعينه ولا أشرك به حيّ على الصلاح حيّ على الفلاح فقال أبوه يا بنيّ لا تُقم الصلاة فاني على غير وضوء

محاسن الامثال

آتيه في البَرْدَين ٠٠ يعني قبل أن يشتد الحر وبعد ما يسكن والمعنى فيه أيضاً بالغداة والعشى ٠٠ قال الشاعر

يسِرْنَ الليلَ والبَرْدَين حتى ... إذا أظهرنَ رفّعنَ الظِلالاَ

وقولهم هلك في الأحمرَين ٠٠ يعنون اللحم والخمر ٠٠ وقولهم انه لماويل النجادين

يريدون كماله وتمامه فى جسمه •• وقولهم انه لغمر الرداء أى كثير المعروف وأنشد الأصمعي

غمرُ الرداءِ إذا تبسَّمَ ضاحِكاً غلقتْ بضحكتِهِ رقابُ المالِ

وقولهم انه لسَبطُ البنان اذا كان شجاعاً سخياً •• وقولهم شديد الجَفْن اذا كان صبوراً على السهر •• وقولهم انه لطيب الحُجزة اذا كان عفيفاً قال النابغة

رِقاقُ النعالِ طيّبٌ حُجُزاتهُمْ يُحيّونَ بالرّيحانِ يومَ السَّباسِبِ

وقولهم انه لطاهر الثياب أى ليس فى قلبه غشٌّ وقد روى فى تفسير قول الله جل وعز (وثيابَكَ فطهّر) أي طهر قلبك وأنشد

ثيابُ بني عوفٍ طَهارَى نقيّةٌ وأوْجُهُهُمْ بيضُ المشافرِ غُرّانُ

يعنون بثيابهم قلوبهم •• وقولهم انه لطيب الأثواب أى طاهر الأخلاق •• قال بعض الأنصار

ومواعظٌ منْ رَبنا تهدِى لنا بلِسانِ أزهرَ طيّبِ الأثوابِ

وقولهم تحسبها حمقاء وهي بأحسن •• يضرب مثلا لمن يظن به الجهل فاذا اختبرته وجدته عاقلا •• وقولهم من أجدب انتجع أى من احتاج طلب •• ويقال ان صعصعة بن صوحان كان يأكل مع معاوية فجعل معاوية يأكل من دجاجة بين يديه فمدّ صعصعة يده فجذب الدجاجة فقال له معاوية انتجعت فقال من أجدب انتجع •• وقولهم من لى بالسانح بعد البارح •• يضرب مثلا لرجل يسيء اليه انسان فيقال له احتمل فانه سيحسن فيما بعد وأصلُ ذلك ان رجلاً مرّت به ظباء بارحةٌ فتطيّر منها فقيل له لا تتطير فانها سوف تسنح لك فقال من لى بالسانح بعد البارح وذلك ان العرب كانت اذا خرجت فمرّت بها ظباء عن يمينها قالت يمن وبركة فاذا مرّت عن يسارها تشاءمت بها وقالت هذا يوم نحس والسانح ماجاء عن يمينك والبارح ماجاء عن يسارك والقعيد ماجاء من ورائك والناطح مااستقبلك

مساوي الامثال

قولهم ذهب منه الأطيبان •• يعنون الشباب والطعم وقالوا هو الأكل والنكاح •• وقولهم نعوذ بالله من الأمرّين يعنون الفقر والهرم •• ويقال وقيت شرّ الأجوفين يعنون البطن والفرج •• وقولهم أماطِله العصرين يعنون الغداة والعشيّ •• وقال الشاعر

أماطِلُهُ العصرَين حتى يَملّني ويرضى بنصف الدَّين والأنفُ راغمُ

وقولهم أفناه المَلَوان يعنون الدهر ومقاساة الغمّ ••وقولهم أبلاه الجديدان يعنون الليل والنهار•• وقال الشاعر

انّ الجديدَين فى طولِ اختلافهما لاينقصان ولكنْ ينقصُ الناسُ

وقولهم فلان قصير يدِ سرباله أى انه قليل المعروف••وأنشد الأصمعي

ولا تنكحي إنْ فرّق الدهرُ بيننا قصيرَ يدِ السربالِ مثلَ أبانِ

وقولهم انه لجعدُ البنان أى هو بخيل •• وقولهم الحُمّى أضرعتني لك واليك يقول الحاجة أذلّتني اليك ولك •• وقولهم من مدحنا فليقصد يقول من مدحنا فليقل الحق فان المادح بالباطل غير ممتدح •• وقولهم انك تشجّ وتأسو أى انك تصلح وتفسد وتأسو تداوى قال الشاعر

* يدٌ تَشُجُّ وأخرى منكَ تأسونى *

وقولهم سكت ألفاً ونطق خَلْفاً يضرب مثلا للرجل العيّ الذى يسكته العيّ عن الكلام والخلف من الكلام الذى يشين صاحبه مثل خلف السوء يقال فلان خَلَفٌ من أبيه اذا كان صالحاً فاذا كان رديئاً قيل خَلْف ••قال لبيد

ذَهبَ الذينَ يُعاشُ في أكنافهمْ وبقيتُ فى خَلْفٍ كجلدِ الأجربِ

وقولهم شرّ الرأى الدبَريُّ يروى ذلك لأمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وهو ان يعرف الرجل وجه نجاح حاجته بعد فوت الحاجة •• وقولهم أُحشّكَ وترُوثُني أى أوليك خيراً وتوليني شراً والاصل في ذلك ان رجلا كان يحتش لفرسه

وفرسه بقربه فراث على رأسه فقال له أحسّك وتروثنى •• وقولهم ان الخبيث عينه فراره أى يتبيّن الخبث فى الخبيث من غير اختبار •• وقد قيل ان الجواد عينه فراره أى تتبين فيه الجودة من غير اختبار يقال فرس جواد بيّن الجودة •• ونظر اعرابى الى صيّاد فقال

انّ الخبيثَ عينهُ فرارُهُ في فَمِهِ شَفْرَتهُ ونارُهُ
ممشاهُ ممشى الكلبِ وازْدِجارُهُ أطلسَ يُخفِى شخصَهُ غُبارُهُ

ويقال ان رجلا ضاف امرأة بالبادية وللمرأة ابنةٌ فقالت لها ياأمه لاتضيفيه فان الخبيث عينه فراره فلما أظلم الليل راود المرأة عن نفسها وكانت عفيفة فقالت أمها لولا حق الضيافة لانقلبتَ محروباً فاستحيي الرجل فولّى وهو يقول

تقولُ أُمُّ عامرٍ للغَمْرِ قِلْ فان تقِلْ فعندنا ماءٌ وظِلْ
ولبنٌ تنهلُ منهُ وتَعِلْ أما الذي سألتنا فلا يحِلْ

•• وقولهم

خلاَ لكِ الجوُّ فبيضى واصفرى ونقِّرى ماشئتِ أنْ تنقّرى
* قد رُفعَ الفَخُّ فما ذا تحذَري *

•• قيل كانَ طرفة بن العبد البكرى مع عمه وهو صغير فى بعض أسفارهما فنزلا على ماء فنصب طرفة فخه للقنابر وقعد لها وهنّ يحذرن الفخّ وينقرن مما حوله فقال

فاتلكُنّ الله من قنابرِ مُنتبذاتٍ فى الفلا نوافرِ

وأخذ فخه ورجع الي عمه فلما تحمّلوا أقبلت القنابر تلتقط ماكان ألقاه لهنّ من الحب فالتفت فرآهن فقال

يالكِ منْ حمَّرَةٍ بمعمرِ خلاَ لكِ الجوُّ فبيضى واصفرِى
* ونقِّرى ماشئتِ أنْ تنقّرِى *

وقولهم لو تُرك القطا لنام كانت حذَام بنت الريان ملك معد وأن رجلا من حمير سار الي أبيها فى حمير فلقيهم الريّان في احياء ربيعة فالتقوا فى أرض تدعي المرامة فاقتتلوا يومين وليلتين ثم رجع الحميرى الى عسكره وهرب الريّان وسار يومه وليلته فلما

أصبح الحميري ورأي عسكر الريّان سار في طلبه وجعلوا يمرون ويُثيرون القطا وجعات القطا تمر على عسكر الريّان فانتبهت ابنته فقالت لقومها

ألاَ ياقومنا ارتحلوا وسيرُوا فلوْ تُرِكَ القطا ليلاً لناما

فارتحلوا واعتصموا برؤس الجبال ورجع القوم ففي ذلك يقول حميد

اذا قالتْ حَذَامِ فصدقوها فانّ القوْلَ ماقالتْ حَذَامِ

محاسن الجواب

قيل دخل رجل على كسرى ابرويز فشكا عاملا له غصبه على ضيعة له قال كسرى منذُ كم هي في يدك قال منذ أربعين سنة فقال أنت تأكلها منذ أربعين سنة ماعليك ان يأكل منها عاملي سنةً فقال ما كان على الملك ان يأكل بهرام جور الملك سنة واحدة فقال ادفعوا في قفاه واخرجوه فاخرج فأمكنته التفاتة فقال دخلت بمظلمة وخرجت بثنتين فقال كسرى ردّوه وأمر بردّ ضيعته وجعله في خاصته •• ويقال ان سعيد بن مرّة الكندى حين أتى معاوية قال له أنت سعيد فقال أمير المؤمنين سعيد وأنا ابن مرّة •• قيل ودخل السيد بن أنس الأزديّ على المأمون فقال أنت السيد فقال أنت السيد ياأمير المؤمنين وأنا ابن أنس •• وقيل للعباس بن عبد المطلب أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو عليه الصلاة والسلام أكبر مني وولدت قبله وقيل انه قال وأنا أسنّ منه •• قيل وقال الحجاج للمهلّب أنا أطول أم أنت فقال الأمير أطول وأنا أبسط قامةً •• قال ووقف المهدى على امرأة من بني ثُعَل فقال لها ممن العجوز قالت من طيء قال مامنع طيئاً أن يكون فيها آخر مثل حاتم فقالت الذى منع العرب أن يكون فيها آخر مثلك فأعجب بقولها ووصلها •• قال وقدم وفدٌ من العراق على عمر بن عبد العزيز فنظر عمر الى شابٍ فيهم يريد الكلام فقال عمر أولو الاسنان أولى فقال الفتى ياأمير المؤمنين ان الأمر ليس بالسنّ ولو كان كذلك لكان في المسلمين من هو أسنُّ منك فقال صدقت تكلم قال ياأمير المؤمنين انا لم نأتك رغبةً ولا رَهبةً

أما الرغبة فقدمت علينا في بلادنا وأما الرهبة فقد آمننا الله بعدلك من جورك قال فما أنتم قال وَفدُ الشكر قال لله أنت ماأحسن منطقك ٠٠ وقيل انه لما استوثق أمرالعراق لعبد الله بن الزبير وجّه مصعبٌ اليه وفداً فلما قدم عليه الوفد قال وددت انّ لي بكل خمسة منكم رجلا منهم فقال رجل من أهل الشام بل وددت ان لي بكل عشرة منكم رجلا منهم فقال رجل من أهل العراق ياأمير المؤمنين عَلِقناك وعلقتَ بأهل الشام وعَلِقَ أهلُ الشام آلَ مروان فما أعرف لنا ولك مثلاً الا قول الأعشى

عُلّقتها عرَضاً وعُلّقَتْ رجلاً غَيرى وعُلّقَ أُخرى غيرَها الرجلُ

فما وجدنا جوابا أحسن من هذا ٠٠ وقيل انه عزم الفضل بن الربيع على تطهير بعض ولده فأتى الرشيد فقال ياسيدي قد عزم عبدكَ على تطهير ولده خَدَمِك فان رأى أمير المؤمنين ان يزيّن عبده بنفسه ويصل نعمته هذه بنعمه المتقدّمة ويتمّ سروره فعل متفضلاً على عبده متمنّناً بذلك فقال نعم فغدا اليه وقد أصلح جميع مايحتاج اليه ووضعت الموائدُ وقعد الناس يأكلون وأقبل الرشيد يدور في داره فرأى صبياً صغيراً أول مانطق فقال ياصبي أيما أحسن داركم هذه أمْ دار أمير المؤمنين فقال دارنا هذه أحسن مادام أمير المؤمنين فيها فاذا صار أمير المؤمنين الى داره فداره أحسن فضحك منه الرشيد وتعجب من مجابته ووهب له عشر قَرياتٍ ومائة ألف درهم ٠٠ وقال مسلمة ابن عبد الملك ماشيءٌ يؤتاه العبد بعد الايمان بالله أحب اليّ من جواب حاضر فان الجواب اذا تعقّب لم يكُ شيئاً ٠٠ وأنشد في مثله في مالك بن أنس صاحب الفقه

يأبى الجوابَ فما يُراجَعُ هيبةً والسائلونَ نواكسُ الأذقانِ
هذا التقيُّ وعزّ سلطان التقيُ فهوَ المطاعُ وليسَ ذا سُلطانِ

مساوي الجواب

قيل انه اجتمع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم فذكر عمرو الزبرقان فقال بأبي أنت وأمي يارسول الله انه لمطاع في أدانيه شديد

العارضة جواد الكف مانع لما وراء ظهره فقال الزبرقان بأبي أنت وأمي يارسول الله والله انه ليعرف مني أكثر من هذا ولكنه يحسدني فقال عمرو والله يانبيّ الله انه لزَمِرُ المروءة ضيّق المعطن لئيم العم أحمق الخال والله ما كذبت في الاولى ولقد صدقت في الأخرى ولكني رضيتُ فقلت بأحسن ماأعلم وسخطت فقلت بأسوأ ماأعلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحراً ٠٠ وذكروا ان الوليد بن عقبة قال لعقيل ابن أبي طالب غلبك أبو تراب على الثروة والعدد فقال له نعم وسبقني واياك الى الجنة فقال الوليد أما والله ان شدقيك لمتوضّمتان من دم عثمان فقال عقيل مالك ولقريش وانما أنت فيهم كمنيح الميسر فقال الوليد والله اني لأرى لو أن أهل الأرض اشتركوا في قتله لوردوا صَعودا فقال له عقيل كلاّ ما ترغب له عن صحبة أبيك ٠٠ قال وقال المنصور لقواده صدق القائل أجِع كلبك يتبعك فقال أبوالعباس الطوسي يا أمير المؤمنين أخاف أن يلوح له رجل برغيف فيتبعه ويدعك ٠٠ قال وقال رجل من قريش لخالد بن صفوان ما اسمك قال خالد بن صفوان بن الأهتم قال ان اسمك لكذب ما أنت بخالد وان أباك لصفوان وهو حجر وان جدك لأهتم والصحيح خير من الأهتم فقال له خالد من أي قريش أنت قال من بني عبد الدار من هاشم قال لقد هشمتك هاشم وأمّتك أمية وجمحت بك جُمح وخزمتك مخزوم وأقصتك قصيّ فجعلتك عبدها وعبد دارها تفتح اذا دخلوا وتغلق اذا خرجوا ٠٠ قيل ومرّ الفرزدق بالمربد فرأى خليفة الشاعر فقال للفرزدق يا أبا فِراس مَن القائل

هوَ القَينُ وابنُ القَينِ لا قَينَ مِثلُهُ ... لِفَطحِ المَساحي أوْ لقَدِ الأداهمِ

فقال الفرزدق الذي يقول

هو اللصُّ وابنُ اللص لا لِصّ مثلُهُ ... لقطعِ جدارٍ أو لطَرّ دراهمِ

والدراهم أيضاً ٠ قيل ودخل أبو العتاهية على المأمون حين قدم العراق فأنشده شعراً يمدحه به فأمر له بمال وأقبل عليه يحدثه اذ ذكر أبو العتاهية القدَرية فقال يا أمير المؤمنين مافي الأرض فئة أجهل ولا أضعف حُجة من هذه العصابة فقال المأمون أنت رجل شاعر وأنت بصناعتك أعلم فلا تخطّاها الى غيرها فلست تعرف الكلام فقال ان

جمع أمير المؤمنين بيني و بين رجل منهم وقف على ما عندى من الكلام قال ثمامة فوجه الىّ رسولا فلما دخلت قال يا ثمامة زعم هذا انه لاحجة لك ولا لأصحابك قلت فليسل عما بدا له فقال المأمون سَلهُ يااسماعيل قال أقطعُهُ ياأمير المؤمنين بحرف واحد قال شأنك فأخرج أبو العتاهية يده من كمه وحركها وقال ياثمامة من حرك يدى هذه قلت حركها من أمه زانيـة فضحك المأمون حتى فحص برجله وتمرغ على فراشه وقال زعمت انك تقطعه بكلمة واحدة فقال أبو العتاهية شتمني يا أمير المؤمنين قلت ناقضتَ يا عاض بظر أمه قال فماد المأمون فى الضحك حتى خفتُ عليه من ضحكه وشدة ما ذهب به ثم قلت ياجاهـل تحرك يدك وتقول من حركها فان كنت أنت المحرك لها فهـو قولى وان تكن الأخرى فاشتمتك فقال المأمون يااسماعيل عندك زيادةٌ في الكلام فان الجواب قدمضى فيما سألت فانطق بحرف حتى انصرف • • قال وقالت عاتكة بنت الملاءة لرائض أماوجدت عملا شراً من عملك انما كسبُك باسْتِك فقال جعلت فداكِ ليس بين ما أكسب و بين الذى تكسبين به الا أصبعان قالت ويلى عليك خذوه فطابه حَشَمُها ففاتهم ركضا

محاسن المسايرة

قال فيما يُحكي عن أنوشروان انه بينا هو فى مسيرة له كان لا يسايره أحد من الخلق مبتدئاً وأهل المراتب على مراتبهـم فان التفت يميناً دنا منه صاحب الحرس وان التفت شمالا دنا منه الموبذ فأمره باحضار من أراد مسايرته فالتفت فى مسـيره هذا يمنة فدنا منه صاحب الحرس فقال فلان فأحضره فقال عرفتَ حديث اردشير حين واقع ملك الخزر وكان الرجل قد سمع من أنو شروان هذا الحديث مرة فاستعجم عليه وأوهمه أنه لايعرفه فحدثه أنو شروان بالحديث وأصغى اليه الرجل بجوارحه كلها وكان مسيرهما على شاطئ نهر وترك الرجل النظر الى موطئ قوائم دابته لاقباله على حديث أنوشروان فزلت احدى رجلَى دابّته فمالت بالرجل الى النهر فوقع فى الماء ونفرت دابته فابتدرها حاشيةُ الملك وغلمانه حتى أزالوها عن الرجل وجذبوه من تحتها وحملوه على أيديهـم

فاغتم لذلك أنو شروان ونزل عن دابته وبُسط له هناك وأقام حتى تغدى موضعه ذلك ودعا للرجل بثياب من خاص كسوته وأُلقيت عليه وأكل معه وقال كيف أغفلت النظر الى موطأ حافر دابتك قال أيها الملك ان الله جل وعز اذا أنعم على عبدٍ بنعمة قابله بمحنة وانه جل ذكره أنعم عليّ نعمتين عظيمتين منها اقبال الملك على بوجهه من بين هذا السواد الأعظم ومنها هذه الفائدة واقبال هذا الجيش الذي حدث فيه اردشير حتى لو رحلت من حيث تطلع الشمس الى حيث تغرب فيه كنت رابحاً فلما اجتمعت عليّ هاتان النعمتان الجليلتان في وقتٍ واحدٍ قابلتهما هذه المحنة ولولا أساورة الملك وخدمه كنت بعرض هلكة ولو غرقت حتى أذهب عن جديد الأرض كان الملك قد أبقى لي ذكراً مخلداً باقياً ما بقي الضياء والظلام فسرّ بذلك أنو شروان وقال ماظننتك بهذه المنزلة فحشا فاه جوهراً ودراً ثميناً واستبطنه حتى غلب على أكثر أمره ٠٠ وحكي عن يزيد بن شجرة الرهاوي انه بينا هو يسير مع معاوية ومعاوية يحدثه عن خزاعة ويومها وبني مخزوم وقريش وكل هذا قبل الهجرة وكان يوم إشراف الفريقين على الهلكة حتى جاءهم أبو سفيان فارتفع ببعيره على رابية ثم أومأ بكمه الى الفريقين فانصرفوا فبينا معاوية يحدث يزيد بن شجرة بهذا الحديث اذ صكّ وجهَ يزيد حجر عائر فأدماه وجعلت الدماء تسيل من وجهه على ثوبه ما يمسحه فقال له معاوية لله أنت أما ترى ما نزل بك قال وما ذاك يا أمير المؤمنين قال هذا دم وجهك يسيل على ثوبك فقال عتق ما يملك ان لم يكن حديث أمير المؤمنين ألهاني حتى غمر فكري وغطى على قلبي فما شعرت بشيء حتى نبهني له أمير المؤمنين فقال له معاوية لقد ظلمك من جعلك في الف من العطاء وأخرجك عن عطاء أبناء المهاجرين وحماة أهل صفين وأمر له بمئة الف درهم وزاد في عطائه الف درهم وجعله بين ثوبه وجلده ٠٠ وحكي عن أبي بكر الهذلي انه كانساير أبا العباس السفاح اذ تحدث أبا العباس بحديث من أحاديث الفرس فعصفت الريح فرمت طستاً من سطح الى طريق أبي العباس فارتاع من معه ولم يتحرك أبو بكر لذلك ولم تزل عينه مطابقة لعين أبي العباس فقال له ما أعجب شأنك يا هذلي لم تُرع مما راعنا فقال يا أمير المؤمنين ان الله جل وعز يقول ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾

وانما للمرء قلب واحد وأنا فلما غمر السرور قلبى بفائدة أمير المؤمنين لم يكن لحادث فيه مجال وان الله جل وعز اذا تفرد بكرامة أحد وأحب أن يبقى له ذكرها جعل ذلك على لسان نبيه أو خليفته وهذه كرامة خصصتُ بها مالَ اليها ذهنى وشُغل بها فكرى فلو انقلبت الخضراء على الغبراء ما حسست بها فقال أبو العباس لئن بقيتُ لك لأرفعن منك ما لا تطيف به السباع ولا تحط عليه العقبان٠٠ وحكى عن قُباذ انه ركب ذات يوم والموبذ يسايره اذ راثت دابة الموبذ وفطن قباذ لذلك فغم ذلك الموبذ فقال له قباذ فى أول كلام مَرّ ما أول ما يستدل به على سخف الرجل قال أن يعلف دابته فى الليلة التى يركب الملك فى صبيحتها فضحك قباذ وقال له لله أنت ما أحسن ما ضمّنت كلامك بفعل دابّتك وبحق ماقدمتك الملوك وجعلت أحكامها فى يدك ووقف ودعا له بدابّة من خاص مراكبه وقال تحول من هذا الجانى عليك الى ظهر هذا الطائع لك٠٠ وحكي عن معاوية ابن أبى سفيان انه بينا هو يسير وشرحبيل بن السمط يسايره اذ راثت دابة شرحبيل وساءه ذلك فقال معاوية يا أبا يزيد انه كان يقال ان الهامة اذا عظمت دلت على وفور الدماغ وصحة العقل قال نعم يا أمير المؤمنين إلا هامتي فانها عظيمة وعقلي ضعيف ناقص فتبسم معاوية وقال كيف ذاك لله أنت قال لإعلافى دابتي مكّوكَين من شعير فتبسم معاوية وحمله على دابة من مراكبه٠٠ ويقال ان سعيد بن سَلْم بينا هو يساير موسى الهادي وعبد الله بن مالك امامه والحربةُ بيده فكانت الريح تسفى التراب الذى تثيرُهُ دابةُ عبد الله فى وجه موسى وعبد الله فى خلال ذلك يلحظ موضع مسير موسى فيطلب أن يحاذيه فاذا حاذاه ناله من ذلك التراب مايؤذيه حتى اذا كثر ذلك من عبد الله قال موسى لسعيد أما ترى ما لقينا من هذا الخائن فى مسيرنا هذا فقال له سعيد والله يا أمير المؤمنين ماقصر فى الاجتهاد ولكنه حرم حظ التوفيق

مساوى المسايرة

ذكر عن عبدالله بن الحسن انه بينا هو يساير أبا العباس السفاح بظهر مدينة الانبار

وهو ينظر الى بناء قد بناه اذ قال أبو العباس هات ما عندك يا أبا محمد وهو يستطعمه الحديث بالأنس منه فأنشده

أَلَمْ تَرَ حَوْشَباً أَمْسَى يُبَنِّي ... بِنَاءً نَفْعُهُ لِبَنِي بُقَيْلَهْ
يُرَجِّي أَنْ يُعَمَّرَ عُمْرَ نُوحٍ ... وَأَمْرُ اللهِ يَحْدُثُ كُلَّ لَيْلَهْ

فتبسم أبو العباس وقال لو علمنا لاشترطنا حق المسايرة فقال عبد الله يا أمير المؤمنين بوادر الخواطر وإغفال المشايخ قال صدقت خذ في غير هذا • وذكر عن المدائني قال بينا عيسى ابن موسى يساير أبا مسلم في منصرفه عن أبي جعفر في اليوم الذى قتل فيه إذ أنشد

سَيَأْتِيكَ ما أَفْنَى القُرُونَ الَّتِي مَضَتْ ... وما حَلَّ فِي أَكْنَافِ عادٍ وجُرْهُمِ
ومَنْ كانَ أَسْنَى مِنْكَ عِزًّا ومَفْخَراً ... وأَنْهَضَ بِالجَيْشِ اللُّهَامِ العَرَمْرَمِ

فقال أبو مسلم هذا مع الأمان الذى أعطيت فقال عيسى عتق ما يملك ان كان هذا لشيء من أمرك وما هو الا خاطر قال فبئس والله الخاطر

محاسن المسامرة

قال الكسائي دخلت على الرشيد ذات يوم وهو في إيوانه وبين يديه مال كثير قد شق عنه البدر شقاً وأمر بتفريقه في خدم الخاصة وبيده درهم تلوح كتابته وهو يتأمله وكان كثيراً ما يحدثني فقال هل علمتَ من أول من سنّ هذه الكتابة في الذهب والفضة قلت يا سيدى هذا عبد الملك بن مروان قال فما كان السبب في ذلك قلت لا علم لى غير انه أول من أحدث هذه الكتابة فقال سأخبرك كانت القراطيس للروم وكان أكثر من بمصر نصرانياً على دين الملك ملك الروم وكانت تطرز بالرومية وكان طرازها أباو ابنا وروحاً قديماً فلم يزل كذلك صدر الاسلام كله يمضى على ما كان عليه الى ان ملك عبد الملك فتنبه عليه وكان فطناً فبينا هو ذات يوم اذمر به قرطاس فنظر الى طرازه فأمر أن يترجم بالعربية ففعل ذلك فأنكره وقال ما أغلظ هــذا في أمر الدين والاسلام أن يكون طراز القراطيس وهي تحمل في الأواني والثياب وهما يعملان بمصر وغير ذلك مما يطرّز من ستور

وغيرهامن عمل هذا البلد على سعته وكثرة ماله وأهله تخرج منه هذه القراطيس فتدور في الآفاق والبلاد وقد طرّزت بشرك مثبت عليها فأمر بالكتاب الى عبدالعزيز بن مروان وكان عامله بمصر بابطال ذلك الطراز على ما كان يطرّز به من ثوب وقرطاس وستر وغير ذلك وان يأخذ صنّاع القراطيس بتطريزها بسورة التوحيد ﴿وشهدَ اللهُ أنهُ لا إلهَ إلاَّ هوَ﴾ وهذا طراز القراطيس خاصةً الى هذا الوقت لم ينقص ولم يزد ولم يتغير وكتب الي عُمّال الآفاق جميعاً بابطال مافي أعمالهم من القراطيس المطرّزة بطراز الروم ومعاقبة من وُجد عنده بعد هذا النهى شئ منها بالضرب الوجيع والحبس الطويل فلما أثبتت القراطيس بالطراز المحدث بالتوحيد وحمل الى بلاد الروم منها انتشر خبرها ووصل الى ملكهم فترجم له ذلك الطراز فأنكره وغلظ عليه فاستشاط غضبا وكتب الي عبدالملك ان عمل القراطيس بمصر وسائر مايطرّز هناك للروم ولم يزل يطرّز بطراز الروم الى ان أبطلته فان كان من تقدّمك من الخلفاء قد أصاب فقد أخطأت وان كنت قد أصبت فقد أخطأوا فاختر من هاتين الخلّتين أيتهما شئت وأحببت وقد بعثتُ اليك بهدية تشبه محلك وأحببت ان تجعل ردّ ذلك الطراز الى ما كان عليه فى جميع ما كان يطرّز من أصناف الاعلاق حاجةً أشكرك عليها وتأمر بقبض الهدية وكانت عظيمة القدر فلما قرأ عبد الملك كتابه ردّ الرسول وأعلمه أن لاجواب له ولم يقبل الهدية فانصرف بها الى صاحبه فلما وافاه أضعف الهدية ورد الرسول الى عبد الملك وقال انى ظننتك استقللتَ الهدية فلم تقبلها ولم تجبنى عن كتابى فأضعفتُ لك الهدية وأنا أرغب اليك فى مثل مارغبت فيه من ردّ هذا الطراز الى ما كان عليه أوّلا فقرأ عبد الملك الكتاب ولم يجبه ورد الهدية فكتب اليه ملك الروم يقتضى أجوبة كتبه ويقول انك قد استخففت بجوابي وهديتى ولم تسعفنى بحاجتى فتوهمتك استقللت الهدية فأضعفتها فجريت على سبيلك الاول وقد أضعفتها ثالثة وأنا أحلف بالمسيح لتأمرنّ بردّ الطراز الى ما كان عليه أو لآمرنّ بنقش الدنانير والدراهم فانك تعلم انه لاينقش شئ منها الا ماينقش فى بلادى ولم تكن الدراهم والدنانير نقشت فى الاسلام فينقش عليها من شتم نبيك ماذا قرأته ارفضّ جبينك له عرقاً فأحب ان تقبل هديتى وترد الطراز الى

ماكان عليه وتجعل ذلك هدية بررتني بها وتبقى على الحال بيني وبينك فلما قرأ عبدالملك الكتاب غلظ عليه وضاقت به الارض وقال احسبني أشأم مولود وُلد فى الاسلام لأنى جنيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من شتم هـذا الكافر مايبقى غابر الدهر ولا يمكن محوُهُ من جميع مملكة العرب اذ كانت المعاملات تدوو بين الناس بدنانير الروم ودراهمهم وجمع أهل الاسلام واستشارهم فلم يجد عند أحد منهم رأياً يعمل به فقال له رَوْح بن زنباع انك لتعلم الرأى والمخرج من هذا الامر ولكنك تتعمد تركه فقال ويحك منْ قال الباقر من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم قال صدقت ولكنه ارتج عليَّ الرأى فيه فكتب الى عامله بالمدينة ان أشخص الى محمد بن على بن الحسين مكرماً ومتعه بمائتى الف درهم لجهازه وبثلاثمائة الف درهم لنفقته وأزح علّتــه فى جهازه وجهاز من يخرج معــه من أصحابه واحتبسَ الرسول قبــله الى موافاته عليه فلما وافى أخبره الخبر فقال له الباقر لايعظمنَّ هذا عليك فانه ليس بشئ من جهتين احداهما ان الله جلَّ وعزَّ لم يكن ليطلق مايهددك به صاحب الروم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم والأخرى وجود الحيلة فيه قال وما هي قال تدعو فى هذه الساعة بصنّاع يضربون بين يديك سككاً للدراهم والدنانير وتجعل النقش عليها سورة التوحيد وذكر رسول الله وسلم أحدهما فى وجه الدرهم والدينار والآخر فى الوجه الثانى وتجعل فى مدار الدرهم والدينار ذكر البلد الذي يضرب فيه والسنة التى تضرب فيها تلك الدراهم والدنانير وتعمد الى وزن ثلاثين درهماً عدداً من الثلاثة الاصـناف التى العشرة منها عشرة مثاقيل وعشرة منها وزن ستة مثاقيل وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل فتكون أوزانها جميعاً واحداً وعشرين مثقالا فتجزئها من الثلاثين فتصير العدة من الجميع وزن سبعة مثاقيل وتصب سنجات من قوارير لاتستحيل الى زيادة ولا نقصان فتضرب الدراهم على وزن عشرة والدنانير على وزن سبعة مثاقيل وكانت الدراهــم في ذلك الوقت انما هي الكسروية التى يقال لها اليوم البغلية لأن رأس البغــل ضربها لعمر بن الخطاب رحمــه الله بسكة كسروية فى الاسلام مكتوب عليها صورة الملك وتحت الكرسي مكتوب بالفارسية نوش خُر أى كل هنيئاً وكان وزن الدرهم منها قبل الاسلام مثقالا والدراهم التى كان وزن العشرة منها

وزن ستة مثاقيل والعشرة وزن خمسة مثاقيل هي السميرية الخفاف والثقال ونقشها نقش فارس ففعل عبد الملك ذلك وأمره محمد بن على بن الحسين ان يكتب السكك في جميع بلدان الاسلام وان يتقدم الى الناس فى التعامل بها وان يتهددوا بقتل من يتعامل بغير هذه السكك من الدراهم والدنانير وغيرها وان تبطل وترد الى مواضع العمل حتى تعاد على السكك الاسلامية ففعل عبد الملك ذلك ورد رسول ملك الروم اليه يعلمه بذلك ويقول ان الله جل وعز مانعك مما قدرت ان تفعله وقد تقدمت الى عمالي في أقطار الارض بكذا وكذا وبإبطال السكك والطراز الرومية فقيل لملك الروم افعل ما كنت تهددت به ملك العرب فقال انما أردت أن أغيظه بما كتبت به اليه لاني كنت قادراً عليه والمال وغيره برسوم الروم فأما الآن فلا أفعل لان ذلك لايتعامل به أهل الاسلام وامتنع من الذى قال وثبت ما أشار به محمد بن علي بن الحسين الي اليوم قال ثم رمي بالدرهم الى بعض الخدم وقال على بالخازن فأقبل الخازن فقال ائتنى بالجبل فأتاه بحق فيه خاتم ياقوت يتقد كأنه مصباح فقال للخادم ضع لنا هذا على هذا الدرهم الذى معك وليكن على مقدار أصبعي ثم قال أتعرف هذا الخاتم فقلت لا ياسيدى قال ان ملك الترك كان غزا فى زمن أبي مسلم سمرقند وعليها عامل له يقال له صبيح بن اسماعيل ومع ملك الترك قائد لملك الصين كان جليلا عنده عظيم القدر بمنزلة ولي العهد أمده به لصهر كان بينهما في سبعين الف رجل وان صبيح بن اسماعيل ظفر بعسكر التركي وهزمه وغنم عامة مافيه وأسر كافة رجاله وأسر القائد الصينى فيمن أسر فكان هذا الخاتم فى أصبعه فأخذه منه وبعث به الى أبي مسلم فبعث به أبومسلم الي أبي العباس فأعجب به اعجاباً شديداً ودعا له من يبصره من الجوهريين والمقومين وسألهم عن قيمته فلم يحسنوا ان يقوموه فلم يزل مرفوعا فى خزانتـه الي ان مات فلما أخرج ما كان فى خزانته من الجواهر والذخائر لتباع اخرج هذا الخاتم فنودى عليه وطلبـه المنصور وعيسى بن موسى وتزايدا عليه فبلغ به المنصور أربعين الف دينار وحرص على شرائه واشتدت عليه مزايدة عيسى اياه فيـه فلما رأى عيسى ان ذلك قد غاظه أمسـك عن مزايدته فاشتراه المنصور بأربعين الف دينار فما ظنك بشئ يشتريه المنصور بهذه الجملة

فى ذلك الزمان وكان الدرهم أعزّ من الدينار فى زمانا فلم يزل فى خزانته الى ان ولى المهدى فأخرجه ووهبه لى من دون أخي الهادى وذلك انه جعل ولاية العهد له فأرضاني عن ولاية العهد بهذا الخاتم وبأشياء أخر فلما ولى الهادى طلب مني الخاتم فمنعته ولجّ فيه لجاجاً شديداً وبعث الى سعيد بن سَلْم الباهلى يدعوني فعلمت لما يدعوني فأخذت هذا الخاتم وأخرجتهُ من أصبعي فلما توسطت الجسر قلت لسعيد انظر الى هذا الخاتم ثم رميت به في دجلة ومضى سعيد الي الدار فأخبر الهادى بما كان منى فبعث بالغوّاصين الى الموضع الذى ألقيت فيه الخاتم فطلبوه أشد طلب فلم يقدروا عليه فلما صار الأمر الينا بعثنا بالغوّاصين فأخرجوه فها هو ذا عنـدى ثم قال يا على أتعبناك بذكر هـذه الاموال وقد عوّضناك لاصغائك الينا بخمسين الف درهم فحملت بين يدىّ وحكي بعد ذلك ان هذا الخاتم صار الى المأمون فوهبه لبوران بنة الحسن بن سهل ذي الرياستين ثم صار الي المعتصم ثم الى المعتزّ والمستعين فنقشه المستعين ثم صار كل خليفـة ينقش عليه اسمه حتى نقصت من قيمته وهو الآن عند الخليفة المقتدر بالله

مساوى المسامرة

على بن محمد بن سليمان الهاشمى قال حدثنى ابى عن سليمان بن عبدالله قال وفدت على أبى العباس فكان يدعونى فى كل ليلة مُقامي عنده ويعقب بين أصحابه وأهل الاقدار والأدب ومن يحضر بابه فيسامرونه فاذا كانت الليلة التى يحضره فيها سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة المخزومى وجدّته أم هانئٍ بنت أبي طالب وكانت قد كبرت سنه وشهد عامة سلطان بني أمية وكانت السن قد أرعشتهُ فقال له يا سعيد حدّثْ عن بني أمية فانك لاتزال تحدّث عنهم وعن جوهرهم فقال يا أمير المؤمنين حضرت الجمعة ونحن مع الوليد ابن يزيد فمضينا نريد الجمعة فاذا سرادق قد ضُمّتْ اليـه سرادقات ومدّت الحجرُ فى جنبتيه ووضع المنبر وأخذ الناس يتطوّعون وينتظرون الفريضة فلما زالت الشمس أذّن المؤذن فآذنه بالصلاة فاذا أصوات الملاهي والمعازف والمزامير مقبلة من مِضْرَبه نحونا

فما راعنا الا به على هذا الذي يسميه اللعّابون الداربازى عليه غلالةٌ وازار مصبوغان بالزعفران لايواريان عورته متّشح بازار وهو متخلّق فى فمه مزمار حتى أشرف علينا وهو يقول طُوط طُوط وحكاه الشيخ برعشته فضحك أبو العباس حتى استلقى على فراشه وضرب مرافقه برجليه

محاسن الاغضاء

حُكى عن بهرام جور انه خرج يوماً لطلب الصيد فاحتمله فرسه حتى دفع الى راعٍ تحت شجرة وهو حاقن فقال للراعي احفظ عليّ عنان فرسى حتى أريق ماء فأخذ بركابه حتى نزل وقبض على عنان الفرس وكان عنانه ملبساً ذهباً فوجد الراعى غفلة من بهرام فأخرج من خفه سكّيناً فقطع به أطراف اللجام فرفع بهرام رأسه فنظراليه فاستحيي ورمي بطرفه الى الارض وأطال الاستبراء ليأخذ الراعي حاجته من اللجام وجعل الراعى يفرح بابطائه عنه حتى اذا ظنّ انه قد فرغ وأخذ من اللجام حاجته قال ياراعى قدّم اليّ فرسي فانه سقط فى عينى شيء وغمض عينه لئلا يوهّمه انه يتفقد حلية اللجام فقرب الراعي منه فرسه فركبه فلما ولى قال له الراعى أيها العظيم كيف آخذُ الى موضع كذا وكذا مكاناً بعيداً قال بهرام وما سؤالك عن هذا الموضع قال هناك منزلى وما وطئت هذه الناحية قط غير يومي هذا ولا أراني أعود اليه أبداً فضحك بهرام وفطن لما أراده الراعي وقال أنا رجل مسافر وأنا أحق بأن لا أعود الى ههنا أبداً ثم مضي فلما نزل عن فرسه قال لصاحب مراكبه ان معاليق اللجام وهبتها لسائل مرّ بى فلا تتهم أحداً ٠٠ وحكى عن أنو شروان انه قعد فى يوم نيروز أو مهرجان ووضعت الموائد ودخل وجوه الناس وكسرى بحيث يراهم ولا يرونه فلما فرغ الناس من الطعام وجاؤا بالشراب فى آنية الفضة وجامات الذهب فشرب الأساورة وأهل الطبقة العالية فى آنية الذهب فلما انصرف الناس ورفعت الموائد أخذ بعض أولئك القوم جام ذهب فأخفاه فى قبائه وأنو شروان يلحظه فصرف وجهه عنه وافتقد صاحب

الشراب الجامَ فصاح لا يخرجن أحـد من الدار حتى يفتش فقال كسرى لا تعرضن لأحد وانصرف الناس فقال صاحب الشراب إنا قد فقدنا بعض آنية الذهب فقال الملك صدقت أخذهامن لا يردها ورآها من لا يخبرك بها •• وحكي عن معاوية بن أبي سفيان انه قعد للناس في يوم عيد ووضعت الموائد وبِدر الدراهم للجوائز والصلات فجاء رجل من الجماعة فقعد على كيس فيه دنانير والناس يأكلون فصاح به الخدم تنحّ فليس لك هذا الموضع فسمع معاوية وقال دعوا الرجل يقعد حيث أحب وأخذ الكيس وقام فلم يجسر أحد أن يدنوَ منه فقال الخدم أصلح الله الأمير انه قد نقص من المال كيسٌ فيه دنانير فقال أنا صاحبه وهو محسوب عليّ لكم •• وأحسن من هذا ما فعله جعفر بن سليمان بن عليّ وقد عثر برجل أخذ درة رائعة ثمينة من بين يديه فطلب بعد أيام فلم يوجد فباعها الرجل ببغداد وقد كانت وصفت لأصحاب الجوهر فأُخذ وحُمل الى جعفر فلما رآه وبصر به استحيي منه وقال ألم تكن طلبت هذه الدرة مني فوهبتها منك قال نعم فقال لا تعرضوا له فباعها الرجل بأُلوف دنانير

مساوي الاغضاء

قال بعث زياد الى رجال من بني تميم وجمع العرفاء فقال اخبروني بصلحاء كل ناحية فأخبروه فاختار منهم رجالا فضمنهم الطريق وحدّ لكل واحد منهم حداً فكان يقول لو ضاع بيني وبين خراسان شيء لعلمت مَن أخذه وكان يدفن النباش حياً وينزع أضلاع اللصوص •• قيل وقال عبد الملك للحجاج كيف تسـير في الناس قال انظر الى عجوز أدركَتْ زياداً فاسألهـا عن سيرته ثم اعمل بهـا قال عوف الاعرابي فأخذ والله بسيء أخلاقه وترك أحسنها •• وقال واختصم الى زياد رجلان فقال أحدهما أصلح الله الأمير هذا يدلّ عليّ بخاصـة زعم انها له منك فقال صدق وسأخبرك ان كان الحق لك عليه قضيت عليه وقضيت عنه وان كان الحق له عليك أخذتك به أخذاً عنيفاً

محاسن التأنى

قال بعض الحكماء التؤدة يمن وفى اليمن النجح وأنشد فى ذلك القطامى

قد يُدركُ المتأنّى بعضَ حاجتِهِ وقد يكونُ مع المستعجلِ الزّللُ

وقال النبى صلى الله عليه وسلم من حُرِم الرفق فقد حرم الخير ٠٠ ولأمير المؤمنين علىّ ابن أبي طالب رضى الله عنه

إصبر على مَضَضِ الإدلاجِ بالسَّحر وفى الرواحِ على الحاجاتِ والبُكَر

لا تضجرَنَّ ولا يعجزكَ مطلبها فالنجحُ يتلفُ بين العجز والضجرِ

إني وجدتُ وفى الأيام تجربةٌ للصّبرِ عاقبةً محمودةَ الأثرِ

وقلَّ مَنْ جدَّ فِى أمرٍ يحاولهُ فاستصحب الصبرَ إلا فاز بالظفرِ

وقال النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها عليك بالرفق فان الرفق لا يخالط شيئاً الا زانه ولا يفارق شيئاً إلّا شانه وخلق الله جل وعز السموات و لأرض فى ستة أيام ولو شاء جل وعز قال لها كونى فكانت ٠٠ وفى المثل رب عجلة تهب رَيثا يقول رب عجلة يراد بها صلاح الأمر فتفسده حتى لا يصلح الا بعد مدة طويلة فكأنها كانت ريثا ٠٠ وهذا قريب من قول بزرجمهر إن شراً من التواني الاجتهاد فى غير حينه ٠٠ وأنشدنا ابن حمزة

الخرَقُ شؤمٌ والأناةُ سعادةٌ فاستأنِ حلمكَ في أمورك تَسلَمِ

وكان يقال ان من الحزم الأناة والتثبتُ فان العجلة لا تزال تورث أهلها حسرة وندامة وأنشد

الرّفقُ يمنٌ والأناةُ سعادةٌ فاستأنِ فى رفقٍ تلاقِ نجاحا

مساوى العجلة والحدة

قيل سأل المأمون أحمد بن أبى خالد عن أخلاق أبى عبادٍ ثابتٍ الكاتب فقال هو يا أمير المؤمنين أحد من سيف سعيد بن العاص وانزَق من مجنون البكرات قال ما أتبين

ذلك فيه قال لموضع الخلافة وعلى ذاك فان حركته نحرك فأراد المأمون أن يمتحنه فدخل عليه فعرض ما معه من الحوائج فأمره أن يوقع فيها ثم خرج فلما صار بالباب قال ردوه فرجع فقال افعل في الاهوازيين ما قلت لك ولا تعرض فيه رقعة قال نعم ثم خرج فلما صار بالباب قال ردوه فأتاه الرسول فقال ارجع فرجع فقال قل لعمرو بن مسعدة أخّر أمر أبي دلف حتى آمرك بما أريد ثم خرج فلما صار بالباب قال ردوه فأتاه الرسول فقال ارجع فتناول الدواة وقال الساعة والله أضرب بها وجهك القبيح يابن الخبيثة قال الغلام ما ذنبي قال ينبغي أن تقول قد ذهب الى النار ورجع فقال ارفع في غد فيما تعرض قصة الهاشميين قال نعم ثم قال والله لاأرجع بعدهافضحك المأمون حتى أمسك بطنه وقال انطلق راشداً •• قال وقعد المأمون ذات يوم وأبو عباد يكتب بين يديه إذ دخلت شعرة بين سنّي القلم فأهوى لإخراجها باسنانه ثم كتب فاذا هي على حالها فأهوى اليها ثانية فقطع طرفها وبقي أصلها ثم كتب فاذا هي قد أعمّت حروفه فأخذ القلم فاتكى عليه باسنانه وكسره وقال لعنك الله ولعن من براك ولعن من أنت له فضحك المأمون وقال بحقّ قيل فيك ماقيل

محاسن المكافأة

قال بعض الحكماء لا يكونن سلاحك على عدوك أن تكثر سبه وشتمه فانك انما تخبر عن خبره فيك وعجزك عنه ولكن عامله بالكظم وساتره بالحيلة فان أقدمت أقدمت مع الفرصة وان غُلبت على الظفر لم تغلب على ستر العجز •• وقيل الأدب الصبر على كظم الغيظ حتى تملك الفرصة •• وقال أبو عمرو بن العلاء لما قدم عبدالملك المدينة خطب فقال يا أهل المدينة إنا والله ما نحبكم ما ذكرنا ما فعلتم بناولا تحبوننا ما ذكرتم ما فعلنا بكم وانما مثلنا ومثلكم كمثل حية كانت في جحر الى جنبها خباء رجُل فوثبت عليه فلسعته فقتلته فجاء أخو المقتول يطلب بثأره فقالت له الحية لا تقتلني حتى أؤدي اليكُ دية أخيك ففارقها على ذلك وعاهدها فكانت تؤدى اليه في كل يومين مالا

فلما استوفى أكثر الدية قال والله لو قتلتها كنت قد أدركت ثأرى وأخذت الدية فعمل فأساً وحددها فلما خرجت اليه أهوى اليها بالفأس فأخطأها ورجعت الى جحرها فأُسقط فى يده فقالت أما والله ما الثأر أدركت ولا الدية استوفيت فقال تعالي أعاقدك أن لا يبدأك منى مكروه حتى أستوفى منك الدية فقالت أما ما رأيت قبر أخيك تجاهك وذكرت أنا الضربة فان أثق بك ولن تثق بي ثم أنشد

ألا هلْ لنا ،ولىٌّ يحبُّ صلاَحنا فيَعذِرَنا من مُرّةَ المتناصِرَه

وأنشد فى مثله

ظلمتُ الناسَ فاعترَفوا بِظلمي فتبتُ فأزمَعوا أن يَظلموني
فلستُ بِصابرٍ إلّا قليلاً فان لم ينتهوا راجَعتُ دِيني

.. آخر

إياكَ من ظُلم الكريم فانهُ مُرٌّ مذاقتُه كطعم العلقمِ
ان الكريمَ اذا رآكَ ظلمتَهُ ذكرَ الظُّلامَةَ بعد نوم النُّوَّمِ
فجفا الفِراش وباتَ يطلُبُ ثأرَهُ أنِفاً وان أغضَى ولم يتكلمِ

محاسن الشدة

ذكروا ان جُندب بن العنبر كان شديد البأس وان عوانة بن زيد عيَّره يوماً فقال

هلْ يسودُ الفتي اذا قَبحَ الوجــهُ وأمسَى تراهُ غيرَ عتيدِ
وإذا ماتكلّمَ القومُ يوماً فى النّدَى قال غيرَ سديد

وكان جُندب فيه دمامة مع امساك غير انه كان ليثاً فى الحرب فأجابه

ليسَ زَينَ الفتى الجمالُ ولكنْ زَينه الضربُ بالحسام التليدِ

وكان جندب عائفاً فقال والله لاتموت حتى تنصر عليك ظعينة وان عوانة خرج يوما يتصيّد على فرسه ومعه قوسه فسار غير قليل اذ عرضت له جارية قد حملت وطباً من لبن فهمَّ بها فدنا فقال تمكّنيني طائعة أو تقهرين فقالت لاحداهما فنزل اليها فأخذت

ساعديه باحدي يديها فما زالت تعصرهما حتي تركتهما وما يستطيع ان يحركهما ثم كتفته بوتر قوسه وشدّت حبل الفرس في جيده ثم قالت خذ بنا نحو محلة جندب فمرّ يقود الفرس في جيده حبل فلما قارب الحيّ بصر بجندب مقبلا فناداه أيها المرء الكريم انصر أخاك ظالماً أو مظلوما فذهب مثلاً فأطلقه .. ومنهم كليب بن شؤبوب الأزديّ كان أخبث أهل زمانه في قطع الطريق وحده وكان كثير الغارة على طيء فدعا حارثة بن لأم الطائي رجلا من قومه يقال له عبرم وكان شجاعا فقال له أما تستطيع أن تكفينا هذا قال نعم فأرسل العيون حتى علم مكانه فانطلق اليه حتى وجده نائماً في ظلّ اراكة وفرسه مشدود عنده فنزل عبرم ورجل معه فمشيا حتى أخذ كل واحد منهما باحدى يديه فانتبه ونزع يده اليمني فقبض على حلق صاحب اليسري وهو عبرم فما زال يخنقه حتى قتله وقد كان أعدّ قوما فلحقوه وهم عشرة فوجدوه قتيلا وأخذوا كليباً فكتفوه وساقوه وأنشأ خوذة بن عبرم يرثي أباه ويقول

الى الله أشكو أن أؤوبَ وقدْ ثوَى ... مَلاذي وثابي سيدُ القومِ عبرَمُ
فماتَ ضياعاً هكذا بيدِ امرىء ... لئيمٍ فلوْ أُدمي لما كنتُ أُثلَمُ
ولكنْ ثوَى لم يكلمِ السيفُ جيدَهُ ... ولا نالهُ رُمْحٌ ولم يُرَقِ الدّمُ
فأنتَ ابنُ شؤبوبٍ فيالهفتا لهُ ... وما جزٌّ من أظفارهِ منكَ أكرمُ
سأسقيكَ قبلَ الموتِ كأساً مزاجها ... ذُعافٌ من السمّ النقيع وعلقَمُ

.. فأجابه كليب

أخوذةُ إنْ تفخرْ وتزعُمْ بأنني ... لئيمٌ ويأبى لي قتالي عبرمُ
فأقسمُ بالبيتِ المحرّم من منًى ... وبرّ يميني صادقاً حينَ أقسمُ
لَضَبٌّ بقفرٍ من قفارٍ وضبعةٌ ... وخزعٌ ويربوعُ الفلاَ منكَ أكرمُ
ألاَ عجباً منْ فخرِ هذا وأُمّهُ ... سواديّةٌ والجدُّ عاجٌ مكدّمُ
أتوعدُني بالمنكرات وانني ... صبورٌ على ماناب جلْد مصمّمُ
وأعلمُ أني ميّتٌ لامحالةً ... فلا جزَعاً ان كنتَ ذلك تعلَمُ

فأراد خوذة قتله فمنعه أصحابه حتى يذهبوا به الى حارثة فلما انتهوا اليه قال له حارثة

يا كليب أنت أسير فقال من يرَ يوماً يُرَ به فذهبت مثلا فدفعه الى خوذة فخنقه حتى مات

•• ومنهم هُدْبة بنُ خَشْرَم قتل ابن عمٍّ له يسمى زيادة بن زيد فحُبس ليقاد به فلم يزل محبوساً حتى شبَّ ابن المقتول فدخل عليه السجن وهو يلاعب صاحباً له بالشطرنج فقيل له قمْ الى القتل فقال حتى أفرغ من لعبي فلما فرغ خرج وجعل يهرول فقيل له مابالك تأتي الموت هكذا فقال لا آتيه الا شدًّا فلقيه عبد الرحمن بن حسان فقال أنشدني فأنشده

ألاَ علّلاَني قبلَ نوحِ النوائحِ وقبلَ اطّلاَعِ النفسِ بين الجوانحِ

وقبلَ غَدٍ يالهفَ نفسي على غَدٍ اذا راحَ أصحابي ولستُ برائحِ

اذا راح أصحابي وخُلِّفتُ ثاوياً بِداويةٍ بينَ المِتانِ الصحاصحِ

قال ثم أقعد ليقاد فنظر الى أبويه فقال

أبلياني اليومَ صبراً منكما انَّ حُزناً منكما بادٍ لشرْ

لا أرَى ذَا الموتِ يُبقي أحداً انَّ بعدَ الموتِ دارَ المستقرْ

ثم نظر الى امرأته فقال لها

فلا تَنكحي انْ فرّقَ الدهرُ بيننا أغمَّ القفا والوجه ليسَ بأنزَعا

وكوني حبيساً أولاَ روعَ ماجدٍ اذا ضَنَّ أغساسُ الرجال تبرعا

قالت زوجته الى جزّار فأخذت مُدْيته فقطعت بها أنفها وجاءته مجدوعة فقالت أتخاف أن يكون بعد هذا نكاح فرسف في قيوده وقال الآن طاب الموت فلما قُدّم ليقاد بابن عمه وأخذ ابن زيادة السيف فضوعفت له الدية حتى بلغت مائة الف درهم فخافت أم الغلام ان يقبل ابنها الدية ولا يقتله فقالت اعطي الله عهداً لئن لم تقتله لأتزوجنّه فيكون قد قتل أباك ونكح أمك فقتله •• قال ولما واقع طلحة والزبير عثمان بن حُنيف عامل عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه على البصرة خرج حُكيم بن جبلة العبديّ فشدّ عليه رجل من أصحاب طلحة فقطع رجله فزحف الى رجله حتى أخذها ورمي بها قاطعها فقتله ويقول

يا رِجلُ لا تُراعي إنّ معي ذِراعي

م حبا الى المقتول فاتكأ عليه فقيل له ياحكيم من ضربك فقال وسادتي ٠٠ وعن معاذ ابن الجموح قال سمعت الناس يوم بدر يقولون أبو الحكم لايخلصنّ اليــه يريدون أبا جهل فلما سمعتها جعلتــه من شأني فصمدت نحوه فلما أمكنني حملت عليــه فضربته ضربة أطننتُ قدمه بنصف ساقه فوالله ماشبهتها حين طاحت الا بالنواة تطيح من تحت مِرْضخة النوى قال وضربني عكرمــة بن أبي جهــل على عاتقي فطرح يدي فتعلّقت بجلدة من جنبي فاجهضني القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومي واني لأسحبها خلفي فلما آذتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت بها حتى طرحتها ٠٠ قيل ولما حمل رأس محمد بن عبد الله بن الحسن الى المنصور من مدينة الرسول عليه وعلى آله الســلام قال لمُطير ابن عبد الله أما تشهد أن محمداً بايعني قال اشهد بالله لقد أخبرني أن محمداً خير بني هاشم وانك بايعت له قال يابن الزانية أما قلت قال الزانية ولدتك قال يابن الزانيــة الفاعلة أتدري ماتقول قال التي تعني خير من أمك فأمر به فوتّد في عينيه فما نطق ٠٠ قيل وقدم اعرابي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستحمله فقال خــذ بعيراً من إبل الصدقة فنظر الى بعير منها فتعلق بذنبه ونازعه البعير فاقتلع ذنبه فقال عمر هل رأيت أشدّ منك قال نعم خرجت بامرأة من أهلي أريد بها زوجها فنزلت منزلا أهله خُلوف فدنوت من الحوض فاذا رجل قد أقبل ومعه ذود له فصرف ذوده الى الحوض وأقبل نحو المــرأة ولا أدري مايريد فلما قرب منها ساورها فناداني فلما انتهيت اليــه كان قد خالطها فجئتُ أدفعه فأخذ رأسي فوضعه بين ذراعه وجنبه فما اســتطعت ان أتحرّك حتي قضى ما أراد ثم قام فاضطجع وقالت نِعم الفحل هذا لوكانت لنا منه سَخْلَةٌ فأمهلته حتى امتلأ نوما ثم قمتُ اليه فضربت ساقه بالسيف فأطننتها فوثب فهربتُ وغلبه الدم فرماني بساقه فاخطأني وأصاب بعيري فقتله فقال عمر فافعلت المرأة فقال هذا حديث الرجل فكرّر عليه مراراً كل هذا يقول هذا حديث الرجل ٠٠ عمر بن شبّة النميري أبو زيد قال كان عليّ بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين من آل الافطس وكان يلقب بالجزري فتزوّج رُقيّة بنت عمرو العثمانيــة وكانت تحت المهدي فبلغ ذلك الهادي فأرسل اليه فحمله وقال أعياك النساء الا امرأة أمير المؤمنين

فقال ماحرّم الله عزّ وجلّ على خلقه الا نساء جدّي صلى الله عليه وسلم فأما غيرهن فلا ولا كرامة فشجه بمخصرة كانت في يده وأمر بضربه خمسمائة سوط وأراده على ان يطلقها فلم يفعل فحمل من بين يديه في نطع فألقى ناحية وكان في يده خاتم سرى فرآه بعض الخدم وقد غشى عليه فأهوي الى الخاتم فقبض على يد الخادم فدقّها فصاح الموت دقّ يدي فسمعه الهادى فدعاه فرأى مابه فاستشاط فقال تفعل هذا بخادمي مع استخفافك بي وقولك لى قال قل له وسله ومره ان يضع يده مرة على رأسك ليصدقن ففعل ذلك موسى فصدقه الخادم فقال أحسن والله أنا أشهد انه ابن عمي لو لم يفعل ذلك لانتفيت منه وأمر باطلاقه ووصله بمائة الف درهم ‥ قيل وخطب عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه فقال تقول قريش جزع ابن أبي طالب من الموت والله لعليٌّ آنس بالموت من الطفل بثدى أمه ‥ قيل ولما كان في حرب صفين والناس فى أشد مايكون من الحرب قال على رضوان الله عليه الا ماء فاشتريه فأتاه شابٌ من بني هاشم بشربة من عسل فتناوله وقال يافتى عسلك هذا طائفيٌّ قل سبحان الله فى هذا الوقت تعرف الطائفيّ من غيره فقال انه لم يملأ صدر ابن عمك شئ قط ‥ وحكي عنه رضوان الله عليه انه قال ماأبالي وقعت فى الموت أو وقع الموت عليّ ‥ حدثنا الوضّاحي عن معمر بن وهيب قال قال عبد الملك بن مروان عند موته للوليد وهو يبكي عند رأسه ماهذا البكاء وحنين النساء ثكلتك أمك الا تتأهب للخلافة بشدة سطوتك وقلة رحمتك لناقض بيعتك وتجريد سيفك للمبدي ذات طويّته فقال له قبيصة بن ذؤيب ليس هذا أمر الله جلّ وعزّ فقال ما كنت لآمر بغيره ثم قال

بنُوالحرْبِ لانَعيي بشئٍ نُريدُه ... ولَسناعلى ماأحدَثَ الدهرُنجزَعُ
جِلادٌعلى رَيبِ الزمانِ فلن ترى ... على هالكٍ عيناًلنا الدهرَ تدمعُ

وأنشدنا غيره في مثله

وإنا لقومٌ ماتفيضُ دُموعُنا ... على هالكٍ مناوانْ قَصَمَ الظهْرَا
ولَسنا كمنْ يبكى أخاهُ بعبرَةٍ ... فيعصرُهامن جفْن مقلتهِ عَصْرَا
ولكننا نَشْفى الفؤادَ بغارَةٍ ... تَلَهّبُ منْ قُطْرَيْ جوانبها جمْرَا

•• ولآخر في مثله

سَقياً ورَعياً وايماناً ومغفرةً ... للباكياتِ علينا يومَ نرتحلُ

يُبكي علينا ولا نبكي على أحدٍ ... لنحنُ أغلظُ أكباداً من الابلِ

•• ولآخر في نحوه

اذا استلَبَ الخوفُ الرجالَ قلوبَها ... صبرْنا على الموتِ النفوسَ الغواليا

حِذارَ الأحاديثِ التي غِبَّ يومِها ... عقَدْنَ بأعناقِ الرّجالِ المخازيا

•• وآخر في مثله

مُقتّلونَ وقتّالونَ مِيتتهم ... كما تَقتّلُ أُسدُ الغابِ في الأجمِ

والقتلُ عادتهم والقتلُ مَكرُمةٌ ... ولا يموتونَ منْ داءٍ ولا هَرَمِ

وبالوُجوهِ جراحٌ ماتَشينُهمُ ... وما بهم طعنةٌ في ظهر منهزمِ

•• ولآخر في مثله

سَدِكَتْ أناملهُ بقائمِ سيفه ... وبنشر فائدَة وذُرْوَة منبر

ما إنْ يزالُ اذا الرماحُ شجرْنهُ ... متسربلاً سربالَ طيبِ العُنصُرِ

يَلقَى الرماحَ بِصَدْرِهِ وبنحرِهِ ... ويقيمُ هامَتَهُ مَقامَ المِغفَرِ

أوما إلى الكَوْماءِ هذا طارق ... نحَرَتْنيَ الأعداء ان لم تَنحَرِ

•• وللمأمون

نحنُ الذينَ اذا تخمّطَ عُصبَةٌ ... من مَعشرٍ كنا لها أنكالاَ

وترى القُرُومَ مخافةً لقرومنا ... قبلَ اللقاءِ تقطّرُ الأبوالاَ

نَرِدُ المنيةَ لانخافُ وُرودَها ... تحتَ العَجاجةِ والعيونُ تلالاَ

نُعطي الجزيلَ فلا نَمُنُّ عطاءنا ... قبلَ السؤالِ ونحملُ الأثقالاَ

واذا البلادُ على العبادِ تزلزلتْ ... كنّا لزَلزَلةِ البلادِ جبالاَ

مساوى الجبن

قيل في المثل هو أجبن من هجرس وهو القرد وذلك انه لا ينام الا وفي يده حجر

مخافة أن يأكله الذئب •• وحدثنا رجل بمكة قال اذا كان الليل رأيت القرود تجتمع فى موضع واحد ثم تبيت مستطيلةً واحداً فى أثر واحد فى يد كل واحد منها حجر لئلا ترقد فيأتيها الذئب فيأكلها فان نام واحد سقط الحجر من يده فزعت فتحوّل الآخر فصار قدامها فلا تزال كذلك طول الليل فتصبح وقد صارت من الموضع الذى باتت فيه على ثلاثة أميال وأقلّ وأكثر جبناً •• وقيل أيضاً هو أجبن من صافر وهو طائر يتعلق برجليه وينكس رأسه ثم يصفر ليلته كلها خوفاً من أن ينام فيؤخذ •• ويقال أيضاً ان الصافر هو الذى يصفر لريبةٍ ••وذكروا ان رجلا كان يأتي امرأة وهي جالسة مع بنيها وزوجها فيصفر لها فتقوم وتخرج عجزها من وراء الباب وهي تحدّث ولدها فتقضى حاجتها وحاجته وينصرف فعلم بذلك بعض بنيها فغاب عنها يومها ثم جاء في ذلك الوقت وصفر ومعه مسمار محمىً فلما جاءت لعادتها كواها به فجاء الرجل بعد ذلك فصفر فقالت قد قلينا صفيركم فضرب به الكُميت مثلاً فى قوله

أرجو لكم أن تكونوا فى مودّتكم كلباً كورهاء تقلى كلَّ صفّارِ
لما أجابت صفيراً كانَ يألفها من قابسٍ شيّطَ الوجعاء بالنارِ

وقيل أيضاً هو أجبن من المنزوف ضرطاً وكان من جبنه ان نسوة من العرب لم يكن لهن رجل فتزوجت واحدة منهن برجل كان ينام الى الضحى فاذا أتينه بصبوحهِ قلن له قم فاصطبح فيقول لو لعادية تنبهننى فقلن هذه نواصى الخيل فجعل يقول الخيل الخيل ويضرط حتى مات فضرب به المثل •• قيل وخرج رُهم بن خُشرم الهلالى ومعه أهله وماله يريد النقلة من بلد الى بلد فلقيه قوم من بني تغلب فدهش ورعب رعباً شديداً فقال يا بني تغلب شأنكم المال وخلوا عن الظعينة فقالوا رضينا أن ألقيت الرمح فرجع اليه عقله وقال أوَمعي رمح وحمل عليهم فقتل منهم رجلا ثم صرع آخر وأنشأ يقول

رُدّا على آخرها الأتاليَا ان لها بالمشرفيّ حاديا
* ذكّرتنى الطعنَ وكنتُ ناسيا *

فانهزم الباقون ونجا هو بالمال والظعينة ومرّ نحو وطنه سالماً •• قيل وكان في بني ليث رجل جبان فخرج رهطه وبلغ ذلك ناساً من بني سُليم كانوا أعداءهم فلم يشعرِ الرجل

الا بخيل قد أحاطت بهم فذهب يفرُّ فلم يجد مفراً ووجدهم قد أخذوا عليه كل وجه فلما رأى ذلك جلس ثم أبرز كنانته وأخذ قوسه وقال

ماعلّتي وأنا جَـلدٌ عابِلُ   والقوسُ من نَبعٍ لها بُلابِلُ
يَرِنُّ فيها وَتَرٌ عُنابِلُ   إلاّ أُقاتلْكم فأُمي هابِلُ
أكلَّ يومٍ أناعنكم ناكِلُ   لاأطعنُ القومَ ولا أُقاتِلُ
* الموتُ حقٌّ والحياةُ باطلُ *

فقاتلهم فانهزموا فصار بعد ذلك أشجع قومه .. قيل وخرج أبو دُلامة مع رَوْح بن حاتم الى بعض الحروب فلما التقى الجمعان قال أبو دلامة لروح أصلح الله الأمير لو أن تحتي فرساً من خيلك وفي وَسَطي الف دينار لأشجيت أعداءك نجدة واقداماً فقال روح ادفعوا اليه ذلك فدفع اليه فلما أخذه أنشأ يقول

إني أعوذُ برَوْحٍ أن يُقدّمَني   إلى القتالِ فيشقى بي بنو أسدِ
إنّ المهلبَ حُبَّ الموتِ أورثكُمْ   ولم أرِثْ نجدةً في الموتِ من أحدِ

فأجابه رَوْح

هَوِّنْ عليكَ فانْ أُريدك في الوغى   لتَطاعُنٍ وتَنازُلٍ وضِرابِ
كُنْ آخراً في القومِ تنظرُ واقفاً   فان انهزمتَ مشيتَ في الهُرّابِ

فأجابه أبو دُلامة

هذِي السُّيوفُ رأيتُها مشهورَةً   فتركتُها ومضَيتُ في الهُرّابِ
ماذا تقولُ لما يَجيءُ ولا يُرَى   من بادراتِ الموتِ من نُشّابِ

فضحك روح فأعفاه وانصرف .. وحدثني أبو مالك عبد الله بن محمد قال لما تُوُفيَ أبو العباس السفاح دخل أبو دُلامة على أبي جعفر المنصور والناس عنده يعزونه فقال ياأمير المؤمنين كان أبوالعباس أمر لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوباً وهو مريض فلم أقبضها فقال المنصور للخازن ادفعها اليه وسيره الى هذا الطاغية يعني عبد الله بن عليّ فقال أبو دُلامة ياأميرالمؤمنين أعيذك بالله أن أخرج معهم فاني والله مشؤم فقال لعله يغلب شؤمك فاخرج مع العسكر فقال والله ما أحبُّ لك يا أمير المؤمنين أن تجرب ذلك فاني لا أدري

على أى الفريقين يكون فقال أبو جعفر دعنى من هذا ما نريد غير المسير فقال يا أمير المؤمنين والله لأصدقنك اني شهدت تسعة عساكر كلها هُزِمَت فأنا أعيذك بالله أن تكون العاشر فاستفرغ أبو جعفر ضحكا وأمره أن يتخلف .. قال وقيل لجبان انهزمت فغضب عليك الأمير فقال يغضب عليّ الأمير وأنا حيّ أحب اليّ من أن يرضى عني وأنا ميت .. قال وقيل لبعض الجبّان مالك لا تغزو فقال والله انى لأبغض الموت على فراشي فكيف أمرّ اليه ركضاً .. قال وقال الحجاج لحميد الأرقط وقد أنشده قصيدة يصف فيها الحرب ياحميد هل قاتلت قط قال لا أيها الأمير الا فى النوم قال وكيف كانت وقعتك قال انتبهتُ وأنا منهزم .. وقال عمرو بن بحر الجاحظ سمعت بلالا يحكى عن أصحابه ان رئيسهم كان يسمي ابريقياء وانهم خرجوا فى سفر فاذا بعشرة نفر من اللصوص قد تعرضوا لهم قال وكان أشد أصحابنا والمنظور اليه منا فتىً يقال له دومنى بطل شديد لا يهوله شيء مطاعن مسابق فحمل على رجل منهم فعطف عليه الرجل فقطع أنف دومنى ونزع خصييه وكسر أسنانه فرجع منهزماً فغاظني ذلك فوثبت وأخذت كسائى وطويته بطاقين ولففته على يديّ وأخذت عصاي وأخذ آخر ملحفةً والدنّه فلفها على ذراعيه وأخذ آخر طبقاً كبيراً من أطباق الفاكهة فستر به وجهه وخرجنا وتقدم رئيسنا ابريقياء وقد لفّ على يده قطيفة وهو يقول

* إنْ تنكرُونى فأنا ابنُ كلبِ *

فقال له بعض اللصوص ما ننكر ذلك عليك فشدّ عليه ابريقياء بأسفل دَنّ كان معه فلم يحِكْ فيه فأخذ اللص أسفل الدنّ فرمي به أبريقياء فهشم وجهه وكسر أسنانه وتنحى أبريقياء وأقبل منا آخر يسمى لقوة وأنشأ يقول

انّ عصايَ فاعلموا مُقَيَّرَهْ أضربُ بها وجهَ اللصوصِ الكفَرَهْ

ثم شد على واحد منهم فضرب مَفرق رأسه فلم يحِكْ فيه واستلب العصا منه وطلاه بها طلياً فاذا هو قد خلع منكبه وكسر أضلاعه وبقى لايحلى ولا يُمِرّ ثم أقبل فتى من أصحابنا وفى يده مِجرفة وهو يقول

أنا ابنُ كهلٍ في يَدىّ مِجرَفَهْ والله لو كان بكفي مِغرَفَهْ

وهيَ لعَمري قد كفتني ملحفَهْ والدتي كريمةٌ منظّفهْ

قتلتكمْ فكيفَ عِندِي بجُرَفَهْ

فضرب بالجرفة واحداً من اللصوص فأخطأه وعطف عليه اللص فأخذها من يده ثم ضربه بها ضربةً فدار سبع مراتٍ وسقط وقد غُشي عليه فلما رأيت ذلك عدتُ الى الطعان وأنا أقول

أنا فلانٌ سيدُ الفتيانِ أنا ابنُ حمرانَ فتى الميدانِ

أحلفُ باللهِ وبالفرقانِ لأضربَنّ القومَ بالميانِ

ضربَ غلامٍ ماجدٍ كَشحانِ والعجزُ منسوبٌ الى الجبانِ

فأشد على واحد منهم فأضرب كفيه فوثب قبل أن تصل اليه الضربة فضربني فهشم أنفي وكسر أسناني وخرجت مغشياً عليّ ثم فتحت عيني فلم أر منهم أحداً ولا أدري كيف أخذوا فالحمد لله على الظفر

ماقيل في ذلك من الشعر

ما أحسنَ الضربةَ في وجههِ إنْ لم تكنْ رمحةَ بِرْذَوْنِ

•• ولآخر

وَيَحسِبُها الشجاعُ قراعَ سَيفٍ ويحسِبُهَا الجبانُ قراعَ ثورِ

•• آخر

جبانٌ اللقاء وعندَ الخُوَا نِ أمضى وأشجعُ من رُستمِ

فلو كنتَ تفعلُ ذا في الحروبِ أغَرْتَ على التركِ والدَّيلَمِ

كاتب الحسن بن زيد

ظلّتْ تُشجّعُني ضلا بتضليلٍ وللشجاعةِ خَطْبٌ غيرُ مجهولِ

هاتِي شجاعاً بغيرِ القتلِ مصرَعهُ أوجِدكِ ألفَ جبانٍ غيرِ مقتولِ

الحربُ تُوسعُ من يصلَى بها حرَباً يُتمَ البنينَ وإثكالَ المثاكيل

واسمُ الوغى اشتُقَّ من غوغاء تبصرها ... يغدون للموتِ كالطيرِ الأبابيلِ
والله لو أنّ جبريلاً تكفلَ لي ... بالنصرِ ماخاطرَتْ نفسى بجبريلِ
هل غير أنْ يعذُلونى أنني فشلٌ ... فكل هذا نعم فاغزوا بتعذيلي
إنْ أعتذرْ من فرارى فى الوغى أبداً ... فكانَ ذلك عذراً غيرَ مقبولِ
إسْمَعْ أُخَبّرْكَ عنْ بأسي بذى سَلَمٍ ... خلافَ بأس المساعير البهاليلِ
لما بَدَتْ منهم نحوى عَشَوْزَنَةٌ ... تُشَرِّعُ الموتَ فى عرضي وفى طولي
فقلتُ ويحكمُ لا تُذهِبوا جَلدِى ... رُمحى كسيرٌ وسيفى غيرُ مسلولِ
لما اتقيتهمُ طَوْراً بذاتِ يدِ ... وانصعتُ أطوى الفلاَ ميلاً الى ميلِ
اللهُ خلّصنى منهمْ وفلسفتى ... حتى تخلصتُ مخضوبَ السراويلِ

•• ولآخر

أضحتْ تُشجّعني هندٌ وقد علمتْ ... أنّ الشجاعةَ مقرونٌ بها العطَبُ
لاَ والذي حجّتِ الانصارُ كعبتَهُ ... مايشتهي الموتَ عندى من له أرَبُ
للحربِ قومٌ أضلَّ اللهُ سعيَهمُ ... اذا دعتهم الى حَوْماتها وَثَبوا
ولستُ منهم ولا أهوى فعالَهمُ ... لا القتلُ يعجبنى منهمْ ولا السلَبُ

قطربُ النحوىّ

مالى وما لَكِ قد كلفتِني شططاً ... حملَ السلاحِ وقولَ الدارعين قِفِ
أمِنْ رجالِ المنايا خلتِني رجلاً ... يُمسِى ويُصبحُ مُشتاقاً الى التلَفِ
تَمشى المنونُ الى غيرى فأكرهُها ... فكيفَ أمشى اليها عارىَ الكتفِ
هلْ خِلتِ أنّ سوادَ الليلِ غيّرنى ... وانّ قلبى فى جنبىْ أبى دُلَفِ

محاسن النظر فى المظالم

قال دخل رجل فى جماعة من الناس على سليمان بن عبد الملك وهو جالس للعامة فقال ياسليمان أذكرك يوم الاذان فقال فارتاع لما دعاه باسمه وقال ويحك وما يوم الاذان

قال قول الله جلّ ذكره (فأذّنَ مؤذّنٌ بينهم أنْ لَعنَةُ الله على الظالمين) فبكى سليمان وقال له ماحاجتك فقال أنا جار في ضيعتك الفلانية وقد ظلمني وكيلك فأضرّ ذلك بي وبعيالي قال قد وهبتُ لك الضيعة وكتب الى وكيله بتسليمها اليه .. قيل وقدم رجل من حُلوان مصر على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقال ياأمير المؤمنين ان والدك ولي بلادنا فكتب الى عبد الملك يخبره ان حلوان صافية وهي أرض خراج فاقطعها اياه فورثتها أنت واخوتك فاتّق الله ولا تظلمنا كما ظلمنا أبوك فانه كان شيخاً ضعيف المخرج وأنت رجلٌ مخرج فقال عمر ان كان أبي كما ذكرت فهو أبي لاأبوك نازعني منازعة جميلة ولا تشتم عرضي فان لي فيها شركاء اخوة وأخوات لايرضون أن أقضي فيها بغير قضاء قاض أقوم معك الى القاضي فان قضي لي اصطبرت وان قضى لك سلمت قال ان قمت معي الى القاضي فقد أنصفتني فقاما جميعاً الى القاضي فقعدا بين يديه فتكلم عمر بحجته وتكلم الرجل فقضى القاضي للرجل فقال عمر ان عبد العزيز قد أنفق عليها الف الف درهم فقال القاضي قد أكلتم من غلّتها بقدر ذلك فقال عمر وهل القضاء الا هذا لو قضيت لي ماوليتَ لي عملا أبداً نخرج الى الرجل من حقه .. قال ودخل نفر من القرّاء وفيهم رجل ذكر ظُلامة له علي عمر فقال ياأمير المؤمنين اذكر مقامي هذا فانه مقام لايشغل الله جلّ وعزّ عنه كثرة من تخاصم اليه من الخلائق يوم تلقاه بلا ثقة من العمل ولا براءة من الذنوب فقال عمر ويحك اردد كلامك فردّه عليه فجعل يبكي وينتحب حتى اذا أفاق قال ماحاجتك قال عاملك على اذربيجان ظلمني وأخذ من مالي عشرة آلاف درهم فكتب بردّ ذلك عليه وبعزل عامله وقال انظروا هل اخلولق له من ثوب أو تقطع له من حذاء فحسب ذلك فبلغ عشرين ديناراً فأمر بدفعها اليه .. قال وبينا عمر رحمه الله يسير على بغلته اذ جاء رجل فتعلق بلجامها فقال أتيتك بعيدَ الدار مظلوما قال له من أين أنت قال من حضرموت أرضي وأرض آبائي أخذها الوليد وسليمان فأكلاها فنزل عمر عن بغلته يبكي حتى جلس على الارض ثم قال من يعلم ذلك قال أهل البلد قاطبةً قال يكفيني من ذلك شاهدا عدل اكتبوا له الى بلاده ان أقام شاهدَيْ عدل ان الارض له ولآبائه فادفعوها اليه فلما ولي الرجل قال انظروا

هل هلكت له راحلة أم نفد له زاد أو تخرّق له من حذاء فحسبوا ذلك فبلغ ثلاثين ديناراً فأتى بها فصدّت في يده .. قال ابن عيّاش وخرج عمر ذات يوم من منزله على بغلة له وعليه قميص ومُلاءة اذ جاء رجل على راحلة حتى أناخها وسأل عن عمر فقيل له قد خرج وهو راجع الآن فأقبل عمر ومعه رجل يسايره فقيل للرجل هذا أمير المؤمنين فقام فشكا اليه عديّ بن ارطاة في أرض له فقال عمر قاتله الله أما والله ماغرّنا الا بعمامته السوداء أما اني قد كتبت اليه فضلاً عن وصيتي ان من أتاك ببينة على حق له فسلمه اليه ثم قد عنّاك اليّ فكتب الى عدي بردّ أرضه وقال للرجل كم أنفقت قال تسألني عن نفقتي وقد رددت عليّ أرضاً هي خير من مائة الف درهم قال انما ردّها عليك حقك أخبرني كم أنفقت قال ما أدري قال احزروه فاذا هو ستون درهماً فأمر له بها من بيت المال فلما ولى صاح به فرجع فقال وهذه خمسة دراهم من مالي فكل بها لحماً حتى تبلغ .. الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت قال أخبرني دهقان السياحين قال كان لسعيد بن مالك الى جنبي ضيعة وكان رجلا حديداً فأتيته فقلت له أعدني على نفسك فأمر فوجئ في عنقي فقلت لأرحلنّ الى عمر فدخلت على امرأتي فاعلمتها ذلك فقالت اني أخاف أن لاتصنع شيئاً ويجترئ عليك فقلت اني أكره أن يحدث العجم بأني قلت شيئاً ولم أفعله قال فخرجت حتى قدمت المدينة فسألت عن عمر رحمه الله فدُلِلتُ عليه وأرشدت اليه فلما أتيت منزله دخلت فاذا عمر رضى الله عنه جالس على عباءة فرفع رأسه اليّ وقال كأنك لست من أهل الملة فقلت أنا رجل من أهل الذمة قال فما حاجتك قلت لسعيد بن مالك ضيعة الى جانبي واني أتيته أستعديه على نفسه فأمر بي فوُجئت في عنقي فقلت لأرحلنّ الى عمر فقال عمر يايرَفى ائتني بالدواة والمكتب فأتاه بجراب فأدخل يده وأخرج صحيفة فكتب فيها ثم أخرج سيراً يشدها به فلم يقدر عليه فتناول خيطاً من العباءة التي تحته وقد تنشرت جوانبها فشدها به فأردت أن لا آخذها ثم تناولتها متثاقلا فكأنه عرف مافي نفسي فقال ائته فان كفاك والا فأقم واكتب اليّ قال فخرجت حتى قدمت على أهلي فقالوا ماصنعت قلت أتيت رجلا لم يقدر علي سير يشدّ به صحيفته حتي تناول خيطاً من عباءة كانت تحته قد تفزّرت وتنشّر

جوانبها فشدّها به قالوا وما عليك من ذلك ان نفذ أمره قال فأتيت سعيداً فناولته الكتاب فلما قرأه أرعدت فرائصه حتى سقط الكتاب من يده وقال ويلك ماصنعت إذهب فالارض لك فقلت لاأقبلها فقال لا والله لاأخذتها أبداً قال وكان نسخة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى سعيد بن مالك سلام عليك أما بعد فان مهرزاد دهقان السيلحين ذكر ان له ضيعة الي جانبك وانه أتاك يستعديك على نفسك فأمرت به فوجئت عنقه فاذا جاءك كتابي هذا فأرضه من حقه والا فأقبل اليّ راجلا والسلام •• قيل ولما وليَ المأمون الخلافة عُرضت عليه سيرة أبي بكر رحمه الله وفي آخرها وكان يأخذ الأموال من وجوهها ويضعها في حقوقها فقال أمير المؤمنين لايطيق ذلك ثم عرضت عليه سيرة عمر رضي الله عنه وفي آخرها وكان يأخذ الاموال من وجوهها ويضعها فى حقوقها فقال أمير المؤمنين لايطيق هذا ثم عرضت عليه سيرة عثمان رحمه الله وفي آخرها وكان يأخذ الاموال من وجوهها ويضعها فى حقوقها فقال أمير المؤمنين لايطيق هذا ثم عرضت عليه سيرة علي رضي الله عنه وفى آخرها وكان يأخذ الاموال من وجوهها ويضعها في حقوقها فقال أمير المؤمنين لايطيق هذا ثم عرضت عليه سيرة معاوية بن أبي سفيان وفى آخرها وكان يأخذ الاموال من وجوهها ويضعها كيف شاء فقال ان كان فهذا •• وأخبرنا بعض أصحابنا قال شهدت المأمون يوما وقد خرج من باب البستان ببغداد فصاح به رجل بصرى يا أمير المؤمنين اني تزوجت بامرأة من آل زياد وان أبا الرازى فرّق بيننا وقال هي امرأة من قريش قال فأمر عمرو بن مسعدة فكتب الى أبي الرازى انه قد بلغ أمير المؤمنين ماكان من الزيادية وخلعك إياها اذ كانت من قريش فمتى تحاكمت اليك العرب لاأم لك فى أنسابها ومتى وكلتك قريش يابن اللخناء بأن تلصق بها من ليس منها فخلّ بين الرجل وامرأته فلئن كان زياد من قريش انه لابن سُمَيّة بغيٍّ عاهرة لايفتخر بقرابتها ولا يتطاول بولادتها ولئن كان ابن عُبيد لقد باء بأمر عظيم اذ ادّعى الى غير أبيه لحظٍّ تعجّله ومُلكٍ قهره •• وحدثنا غيره قال شهدت المأمون يوما وقد ركب بالشمّاسيّة وخلفَ ظهره أحمد بن هشام فصاح به رجل من أهل فارس الله الله ياأمير المؤمنين فان أحمد بن هشام ظلمني

واعتدى عليّ فقال كن بالباب حتى أرجع فانظر فى أمرك فلما مضى التفت الى أحمد ابن هشام فقال مايؤمنك منا ان نوقفك وصاحبك هذا على رؤس هذه الجماعة وتقعد مع خصمك حيث يقعد ثم يكون محقاً وتكون مبطلا فكيف ان كنت فى صفته وكان فى صفتك فوجّه اليه من يحوّله عن بابنا الى رحلك وأنصفهُ من نفسك واعطه ماأنفق في طريقه الينا ولا تجعل لنا ذريعة الى لاعتك فوالله لو ظلمت العبّاس ابني كان أهونَ عليّ من ظلمك ضعيفاً لايجدُني فى كل وقت ولا يخلو له وجهي ولا سيما من كان يتجشّم السفر البعيد ويكابد حرّ الهواجر وطول المسافة قال فوجّه اليه أحمد بن هشام فحوّله الى مضربه وكتب الى عامله برد ماأخذ منه ووصل الرجل بأربعة آلاف درهم ‥ قال وتنازع رجلان بباب الجسر أحدهما من العظماء والآخر من السوقة فقنّعه الرجل فصاح السوقى واعُمرَاه ذهب الاسلام فأخذ الرجل وكتب بخبره الى المأمون فدعاه وقال له ماكانت حالك فأخبره وأحضر خصمه وقال له لم قنّعت هذا فقال ياأمير المؤمنين هذا رجل معاملى وكان سيّئ المعاملة وكنت صبوراً على ذلك منه فلما كان فى هذا اليوم مررت بباب الجسر فأخذ بلجام دابّتي وقال لاأفارقك حتى تخرج الي من حقى فقلت له انى أبادر الى باب اسحاق بن ابراهيم فقال والله لو جاء اسحاق ومن ولى اسحاق مافارقتك فما صبرت حين عرّض بالخلافة ان قنّعته فصاح واعمراه ذهب الاسلام منذ ذهب عمر فقال للرجل ماتقول قال كذب عليّ وقال الباطل فقال الرجل لى جماعة يشهدون على مقالته ياأمير المؤمنين فان أذنت لى أحضرتهم قال المأمون للرجل من أين أنت قال من أهل فامية فقال أما ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول من كان جاره نبطيّا واحتاج الى ثمنه فليبعه فان كنت انما طلبت سيرته فهذا حكمه فى أهل فامية ثم أمر له بألف درهم وأمر صاحبه ان يُنصفه ‥ وحدثنا أبو الفضل الهاشمى عن قحطبة بن حميد بن قحطبة قال قعد المأمون للمظالم ذات يوم فلم يزل قاعداً الى ان قلنا قد فاتته الصلاة فكان آخر من دُعى امرأة فقالت السلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فنظر المأمون الي يحيي بن أكثم فقال وعليك السلام تكلّمي ياأمة الله فقالت

يا خيرَ مُنتصفٍ يُهدَى به الرَّشدُ ويا إماماً به قد أشرقَ البلدُ
أشكو اليكَ عقيدَ الملك أرْملةً عدَا عليها فلا تقوَى به الأسدُ
فابتزَّ مني ضياعي واستبدَّ بها ففارقَ العيشَ مني الأهلُ والولدُ

فقال المأمون

في دُونِ ماقلتِ عيلَ الصبرُ والجلدُ وقد تقطعَ مني القلبُ والكبدُ
هذا أوَانُ صلاةِ الظهر فانصرفي وأحضري الخصمَ في اليوم الذي أعِدُ
والمجلسُ السبتُ انْ يُقضَ الجلوسُ لنا ننصفْكِ فيه والاَّ المجلسُ الأحدُ

قال فانصرفت فلما كان يوم الأحد جلس فكان أول من دعا به المرأة فسلمت فردَّ المأمون عليها السلام وقال أين الخصم رحمك الله قالت هو واقف على رأسك وقد حيل بيني وبينه وأومأت الى العباس ابنه فقال يا أحمد بن أبي خالد خذ بيده فاقعده معها فال ففعل ذلك فجعلت تعلو على العباس بصوتها وتقول ظلمتني واعتديت عليَّ وأخذت ضيعتي فقال لها أحمد ماهذا الصياح انك بين يدي أمير المؤمنين تناظرين الأمير فقال المأمون دعها يا أحمد فان الحق أنطقها والباطل أخرسه فلم يزالا يتناظران حتى حكم المأمون لها برد ضيعتها ثم قال يا أحمد اردد عليها ما جباه العباس من ضيعتها وادفع اليها عشرة آلاف درهم ترمّ بها ما أراه من سوء حالها واكتب الى والينا وقاضينا بارفاقها والنظر في أمرها وأوغر لها خراج ضيعتها بالشئ الطفيف وليكن ذلك فى يومنا هذا فما برحت حتى قُضِيَتْ حوائجها وخرجت •• وعن الحسن بن سهل قال جلس المأمون ذات يوم للمظالم واذا هو برجل قد مثل بين يديه وفى يده رقعة فيها سطران بسم الله الرحمن الرحيم مظلمة من أمير المؤمنين أطال الله بقاءه فقال أمظلمة مني قال أفأخاطب بالخلافة سواك قال له وما ظلامتك هذه قال ثلاثون الف دينار قال وما وجهها قال ان سعيداً وكيلك اشترى مني جوهراً بثلاثين الف دينار وحمله الي منزلك ولم يوفر عليَّ المال قال فاذا اشترى سعيد منك الجوهر تشكو الظلامة مني قال نعم اذا كانت الوكالة قد صحت له منك قال ان كلامك هذا يحتمل ثلاث جهات أما أول ذلك فلعل سعيداً قد اشترى هذا الجوهر منك كما زعمتَ وحمله الينا وأخذ المال من بيت المال ولم يوفره عليك

أو لعله قد وفره وادعيت باطلا أو اشتراه لنفسه أمّا فى العاجل فلا يلزمنى لك حق ولا أعرف لك ظلامة فقال الرجل ان الله جل وعز قد أهّلك لموضع رفيع واختصك بنسب جعلك أولي الخلق معه بالانصاف والانتصاف فانك مناسب لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسترعاك على خلقه فهلا تحملنى على كتاب الله جل وعز وسُنة ابن عمك رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى رسالته الى أبى موسى الأشعرى وهي التى اتخذ تموها صدور أحكامكم ووصية لقضاتكم اذ يقول البينة على من ادّعي واليمين على من أنكر قال المأمون فانك والله قد عدمت البينة فما يجب لك الا حلفةٌ ولئن حلفتها لأنا صادقٌ اذ كنت لا أعرف لك حقاً يلزمنى قال فاذاً أدعوك الى الحاكم الذى نصبته لرعيتك قال نعم يا غلام عليّ بيحيي بن أكثم فاذا هو قد مثل بين يديه فقال يا يحيي قال لبيك يا أمير المؤمنين قال اقض بيننا قال فى حكم وقضية قال نعم قال لا أفعل قال ولم قال لانّ أمير المؤمنين لم يجعل داره مجلس قضائى قال قد فعلت قال فانى أبدأ بالعامة أولا ليصح المجلس للقضاء قال افعل ففتح الباب وقعد فى ناحية من الدار وأذن للعامة ونادى المنادى وأخذ الرقاع ودعا بالناس ثم دعا الرجل المتظلم فقال له يحيي ما تقول قال أقول أن تدعو بخصمى أمير المؤمنين المأمون فنادى المنادي فاذا المأمون قد خرج فى رداء وقميص وسراويل قد أرسلها على عقبيها فى نعل رقيق ومعه غلام يحمل مصلى حتى وقف على يحيي وهو جالس فقال له اجلس فطرح المصلى ليقعد عليه فقال له يحيي يا أمير المؤمنين لا تأخذ على خصمك شرف المجلس فطرح له مصلى آخر فجلس عليه وقال له يحيي ما تقول فقال لى على هذا ثلاثون ألف دينار قال ومن هذا قال أمير المؤمنين المأمون بالله قال له يحيي يا أمير المؤمنين قد سمعت ما يقول قال سَله ماوجهها فأعاد خبر الوكيل فقال المأمون ما أعرف له حقاً فأقبل على الرجل فقال قد سمعت ألك بينة قال لا قال فما تريد قال ما يوجبه الحكم لمن عدم البينة قال المأمون ويحك قد لججت في اليمين قال يا أمير المؤمنين أتحلف قال أى والله ولا أوطئ نفسي العِشوة فى اعطاء رجل ما لا يجب له ظلماً فقال قل والله فاستحلفه غموساً ثم وثب يحيي عند فراغ المأمون من يمينه فقام على رجليه فقال له المأمون ما أقامك فقال انى كنت

في حق الله جل وعز حتى أخذته منك وليس الآن من حقك أن أتصدر عليك وقبض على الرجل لئلا يخرج فقال المأمون ارفقوا به ثم قال يا غلام احضرني ما ادّعى من المال فلما أحضر قال خذه اليك والله ما كنت أحلف على فجرة ثم أسمح لك فأفسد ديني ودنياي والله يعلم ما دفعتُ اليك هذا المال الا خوفاً من هذه الرعية لعلها ترى أني تناولتك من وجه القدرة واني منعت واجبك بالاستطالة عليك وانها لتعلم الآن ما كنت أسمح لك باليمين والمال فقال يا أمير المؤمنين أفأُحاطُ في المال حتى أصلَ الى حيث آمن عليه قال أي والله ولو بالتغزُّغز وأسبيجاب فأخرج الرجل مع المال وبُذرق به الى أن بلغ مأمنه (ومنه روايات)

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الرجل اذا ظُلم فلم ينتصر ولم يجد من ينصره فرفع طرفه الى السماء ودعا قال الله جل وعز لبيك عبدي أنصرك عاجلا وآجلاً •• وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قولهم انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قال تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه •• قال وقال الفُضيل بن عياض بكي ابني فقلت له ما يُبكيك فقال أبكي على من ظلمني وأخذ مالي أرحمه غداً اذا وقف بين يدي الله عز وجل وسأله فلا تكون له حجة •• قال وقال الحسن البصري يا أيها المتصدق على السائل ترحمه ارحم أولا من ظلمت •• وروي عن عبد الله بن سلام انه قال قرأت في بعض الكتب قال الله تبارك وتعالى اذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني •• وقال خالد اياكم ومجانيق الضعفاء يريد الدعاء (ومنه توقيعات)

قال وقع المأمون في كتاب متظلم من أحمد بن هشام اكفني أمر هذا الرجل والا كفيته أمرك •• ووقع في رقعة رجل من العامة تظلم من عليّ بن هشام يا أبا الحسن الشريف من يظلم من فوقه ويظلمه مَن دونه فاعلمني أي الرجلين أنت •• وقال عمرو بن مسعدة كتبت الي عامل دستبي كتاباً أطلته فأخذه المأمون من يدي وكتب قد كثر شاكوك فاما عدلت واما اعتزلت •• ووقع في رقعة رجل تظلم من الرُّستمي ليس من البرّ أن تكون آنيتك ذهباً وقدورك فضة وجارك يَطوى وغريمك يعوى •• قال ووقع هشام بن عبد الملك في رقعة متظلم من العامة أتاك الغوث ان كنت صادقاً وحل بك النكال ان

كنت كاذباً فتأخر أو تقدّم •• قال ورفع رجل الي المنصور قصة يتظلم فيها من عامل فارس فوقّع له ان آثرت العدل صحبتك السلامة ووقع لقوم متظلمين شكوا سيرة واليهم كما تكونون يولى عليكم •• ووقع يحيي بن خالد لمتظلم من بعض الولاة أنصِف من وليت أمره والا أنصفهم من ولي أمرك •• ووقع بعضهم الى صاحب مظالم ما أراني سالماً من المآثم بتوليتي اياك المظالم يا رديء المختبر اعتزل غير محمود الأثر •• قيل وقال رجل للمعتصم يا أمير المؤمنين ظلمني من وافق اسمه فعله فقال المعتصم ابغا سله ممن يتظلم فاني أراه يتظلم من ظلوم فسأله فقال من ظلوم فتبسم المعتصم وقال لابن أبي دؤاد ما أبعد الرجل فى قوله قل لها بحياتي أنصفيه •• قال وأخبرنا ابراهيم بن محمد قال كنا مع المتوكل فى بعض متنزهاته فوقف على تل كلّه حصىً قد غسله المطر فاستحسنه فنزل فصلى وسبح ثم قال فى دعائه اللهم انك خلقتني ولم أك شيئاً ثم صيرتني فوق هذا الخلق وأنت قادر أن تزيل هذا كله فارزقني العدل والنصفة وألق فى قلبي لهم الرأفة والرحمة ثم بكى وأخذ كفاً من ذلك الحصى فجعله على رأسه وجعل يقلب خده ووجهه على الأرض ثم قام فركب

مساوى أخذ الجار بالجار

قال قال الحجاج بن يوسف لآخذن السمي بالسمي والولي بالولي والجار بالجار وقد لعن الناس قائل هذا البيت

أرى أخذَ البريّ بغير جُرْمٍ   تجنبَ ما يُحاذرُهُ السَّقيم

وقال الحارث بن عُباد فى هذا المعنى

لم أكنْ من جُناتِها علمَ اللهُ   وانى بحرّها اليومَ صالى

•• وقيل

* لعلّ لهُ عذْراً وأنتَ تلومُ *

وأنشد في مثله النابغة

تحمّلتَني ذنبَ امرئٍ وتركتَهُ كذِي العُرِّ يُكوى غيرُهُ وهو راتعُ

•• وكانوا اذا أصاب ابلَهم العرّ كووا السليم ليذهب العر عن السقيم فاسقموا الصحيح من غير أن يبرأ السقيم وكانوا اذا أوردوا البقر الماء فلم تشرب ضربوا الثور ليقتحم الماء فتتبعه البقر فقال الشاعر في ذلك

هجوني اذ هجرتُ جِبالَ سَلمى كضربِ الثّورِ للبقرِ الظّماءِ

•• وقال غيره

كما ضُربَ اليَعسوبُ أنْ عافَ باقرٌ وما ذنبُهُ ان عافتِ الماءَ باقرُ

وقال غيره

إذا عَرَكَتْ عِجلٌ بِنا ذَنبَ طيءٍ عَرَكنا بتَيمِ اللاتِ ذَنبَ بني عِجلِ

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان

وإنّ امرأً يُمسي ويُصبحُ سالماً منَ الناسِ إلّا ما جنى لَسَعيدُ

•• قيل وأُتي عبد الصمد بن عليّ بأُناسٍ من الشُطّار فأمر بضربهم وحلق رؤسهم ولحاهم ففُعل بهم ذلك وكان فيهم رجل سُناطٌ فقيل له ان هذا ليست له لحية فهل نزيده في الضرب قال لا ولكن احلقوا لحية هذا الشرطيّ مكانه

محاسن السطوة

قيل وبلغ من عدل هرمز بن كسرى أنو شروان انه ركب ذات يوم الى ساباط المدائن متنزّهاً وكان ممره على كروم وبساتين وان رجلا من أساورته اطلع على كرم فرأى فيه حِصرِماً غضاً فأمر غلامه فنزل اليه وأخذ منه عناقيد وقال له انطلق به الى المنزل ليطبخ مرقةً حصرمية فأقبل حافظ ذلك الكرم فتعلق بالغلام وصاح حتى بلغ ذلك صاحبه ففزع وتخوف عقوبة الملك فدفع مِنطقتَه الى حافظ ذلك الكرم وكانت محلاّة بالذهب مرصعة بالجوهر فافتدى بها نفسه من عقوبة الملك ورأى ان لحافظ ذلك الكرم عليه الفضل •• وبلغ من عدله أيضاً ان ابنه أبرويز وقع مركب من مراكبه في

بعض مسيره في زرع على طريقه فأفسده فأقبل صاحب الزرع الى ذلك المركب فأخذه وصار الى الموكل بالنظر فى مظالم الرعيـة فرفع أمره الى الملك فأمر الملك بالفرس ان تُجدعَ أذناه ويقطع ذنبه ويغرّم صاحبه كسرى أبرويز مقدار مائة ضعف مما أفسد من ذلك الزرع فخرج الموكل بذلك من عنـد الملك لينفذ أمر الملك في فرس ابنه فتحمل عليه ابنه بنفر من عظماء المرازبة وسألوه ان يصفح عما أمر به الملك على ان يغرّم كسرى لصاحب الزرع ألفى ضعف ماأفسد المركب من زرعه فلم يجبهم الموكل الى ذلك وأخذ الفرس فجدع أذنيه وقطع ذنبه وغرّم كسرى مائة ضعف ماأفسد المركب من زرع الرجل ورده عليه •• وحكي عن بهرام جور ان رجلا من خاصته في مسيره الي ملك الترك أخذ من امرأة أكار شبزتين فشكت ذلك الي بهرام فأمر بالرجل فضربت عنقه ودُفع سلبه الى المرأة بدلاً من تينها •• قيل وبلغ من عـدل كسري انوشروان انه اتخذ وصيفتين وأمر ان تقوم واحدةٌ عن يمينه وتقوم الاخرى عن شماله بأيديهما قضيبان من ذهب وهو جالس لينظر في أمور الناس فكان اذا كاد أن يسهو حرّكتاه بالقضيب وقالا له والرعيـة يسمعون أيها الملك انتبه أنت مخلوق لاخالق أنت عبدلامولى أنت فانٍ لاباق ليس بينك وبين الله جلّ وعزّ قرابة فانظر لنفسك وأنصف الناس فمضى على هذا حتى أتاه اليقين ••وقال اردشير تعطيل الحدود تضرية للمجرمين ويوم العدل على الظالم أمرّ من يوم الظالم على المظلوم •• المدائنى قال مرّ رجل من الدهاقين أيام زياد بحمار قد حمل عليه خمر فأخذه الحرس وقالوا ألم تعلم ان الأمير قد نهي عن ادخال الخمر الى المصر قال بلى وهذا الخمر للأمير فلما بلغ زياداً ذلك قال هذا رجل احتال للوصول اليّ فدعا به وقال ماأمرك قال لي أرض عند نهر المرأة فيها نخل فأرسـل ابن المرأة غلمانه ليصرموا بعض النخل فقلت لهم خـذوا حاجتكم منها ولا تفسـدوا فأخذوا ماأرادوا وأتوه فأخبروه بمقالتي فأرسـل اليّ وضربني وعقر نخلي فأرسل زياد معه رجلا وقال له انطلق به فاذا كنت قريباً من الارض التى يذكر فسلْ من لقيت من رجل وامرأة عما يقول فان اجتمعوا على مقالة واحدة ورأيت النخل قد عقر فخذ الذى أمر بقطعها فأجّله ثلاث ساعات فان أتاك بقيمة النخل لكل نخـلة

ألف درهم نخلّ سبيله وان مضت الثلاث الساعات ولم يأتك بذلك فاضرب عنقه وائتني برأسه ومضى الرسول وسأل فكان الأمر كما حكاه فاغرم قاطع النخل أربعين الف درهم وحمل المال الى زياد فقال لو أتيتنى برأسه كان أحب الىّ ودفع المال الى صاحب النخل

محاسن العفو

قيل أخذ مصعب بن الزبير رجلا من أصحاب المختار بن أبي عبيد فأمر بضرب عنقه فقال أيها الأمير ما أقبح بك ان أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة فأتعلّق بأطرافك وأقول يارب سل مصعباً فيم قتلني فقال اطلقوه فقال أيها الأمير اجعل ماوهبت لى من عمرى فى خفض فقال اعطوه مائة الف درهم قال بأبي أنت وأمى أشهدك أن لابن قيس الرقيّات منها النصف لقوله

انما مُصعبٌ شهاب من الله تجلّتْ عن وجههِ الظلماء

فضحك مصعب وقال لقد تلطّفت وان فيك لموضعا للصنيعة وأمر له بالمائة الالف ولابن قيس بخمسين الف درهم ‥ وذكر عن أبي العباس السفاح انه غضب على رجل فذكره فى ليلة من الليالى فقال له بعض جلسائه ياأمير المؤمنين ان فلانا لو رآه أعدى خلق الله له لرحمه واُنغضَ قلبه له قال ولم ذلك قال بغضب أمير المؤمنين عليه قال ماله من الذنب ماتبلغ به العقوبة هذا المبلغ قال مُنّ عليه ياأمير المؤمنين برضاك قال ماهذا وقت ذاك قال ياأمير المؤمنين انك لما صغّرت ذنبه طمعت له فى رضاك فقال انه من لم يكن بين غضبه ورضاه فُرْجةٌ لم يحسن ان يغضب ولا يرضى وعلى هذا اخلاق الملوك ‥ قيل وحضر صالح المرّىّ مجلس المنصور وعنده نفر من أهل بيته وقد ولي سعيد بن دَعْلَج احداث البصرة فدعا بنفر من أهل الجنايات ليعاقبهم فلما أُتي بهم تحرّك صالح ليقوم فقال له رجل ممن حضر أين تقوم والله ما أحتاج الى جلوسك عنده الا الساعة فقال صدقت وقال ياأمير المؤمنين ان الله جلّ وعزّ يقول فى كتابه والكاظمين

الغيظَ والعافينَ عن الناس والله يحب المحسنين فبكى المنصور حتى اخضَل لحيته بالدموع وأمر بتخليتهم ٠٠قيل وأُتى المنصور بجانٍ فأمر فيه بعقوبة غليظة فقال له العباس بن محمد ياأمير المؤمنين انك غضبت لله جل ذكره فلا تغضب له بأكثر مما غضب لنفسه وقد تبين لك مايجب على مثله من الحد فأمر باطلاقه ٠٠ قال وحدثنا المدائنى قال كان سهل بن سعد القشيري خرج مع محمد وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن على المنصور فقال المنصور هذا كان عندنا من الفقهاء والعلماء فكيف خرج علينا ثم قال له المنصور والله لأقتلنك قتلة ماقتلتها أحداً فقال ياأمير المؤمنين ان تحنث فى يمينك هذه خير لك عند الله من أن تبربها واعلم ياأمير المؤمنين انك ان قتلتنى قتلت أربعة آلاف حديث سمعتها من الضحاك بن مزاحم عن جدك عبْد الله بن العباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لايرويها أحد غيرى قال فوضع يده على خده وقال هات قال حدثنى الضحاك ابن مزاحم عن جدك عبد الله بن العباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل الجنة حزَنٌ برَبوة وعمل النار سهل بسهوة والسعيد من وُقى شر الفتن ومن ابتلى فصبر فيالها ثم يالها وما امتلأ عبد غيظاً فكظمه الا ملأه الله ايماناً قال هات قال حدثنى الضحاك بن مزاحم عن جدك عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرف المؤمن قيامه بالليل وعُزلته عن الناس فأمره بالجلوس ثم قال هل من أحد يضمنك على ان تلزمنا فتسمر عندنا وأقام معه ٠٠ وقيل انه سَخط المهدى على بعض القحاطبة فقال لأأراه الا والسيف مسلول والنطع منشور فأتى به وقد سل السيف ونشر النطع فبكي فقال ألك مثل حركتك وتبكي فقال مابكيتُ جزعاً من الموت ولكن بكيت ان ألقى الله وأنت ساخط على فقال المهدى ياغلام ادرج النطع واغمد السيف

* ان الكريمَ اذا خادَعتهُ انخدَعا *

٠٠قيل وعاتب المهدى شبيب بن شيبة فى شيء بلغه عنه فاعتذر اليه وقال والله لو كان لى ذنب لأقررت ولكن عفوأمير المؤمنين أسرع الي من براءتى ٠٠وقال موسى بن عبد الله أُتي موسى برجل فجعل يقرره بذنوبه ويتهدده فقال الرجل ياأمير المؤمنين اعتذارى مما

تقر عنى به ردٌّ عليك واقرارى يوجب لى ذنباً ولكنى أقول

فانْ كنتَ ترجو فى العقوبة رحمةً   فلا تزهدنْ عند المعافاةِ فى الأجر

فأمر باطلاقه ٠٠ وقال العباس بن قيس أتي الهادى برجل أراد ان يضرب عنقه فقال ياعدوّ الله ائتمناك فخنتَ واستنجدناك فلم تنجدنا وأعطيناك فلم تشكرنا فقال الرجل يأأمير المؤمنين ان كلامي وحجتى ردٌّ عليك وفيّ أكثر مما قال أمير المؤمنين وعفوه واحسانه يأتيان على ذلك فكأنما كان ناراً صُبَّ عليها الماء فخلى سبيله ٠٠ وحكي عن الرشيد فى عبد الله بن مالك الخزاعى حين غضب عليه فأمر أهله وحشمه وجميع قراباته ان يتجنبوا كلامه ومعاملته ومعاطاته حتى أثر ذلك فى بدنه وتحاماه أقرب الناس اليه من ولد واهل فلم يدنُ منه أحدٌ ولم يطف به فجاءه محمد بن ابراهيم الهاشمى وكان أحد أودّائه فى جوف الليل فقال له ان لك عندى يداً ماأنساها ومعروفاً ماأكفره وقد علمت ماتقدم به أمير المؤمنين فى أمرك وها أنا بين يديك ونصبَ عينيك فمرني بأمرك فوالله لأجعلن نفسى وقايةً لك فقال له عبد الله خيراً وأثني عليه وأخبره بعذره فيما وجد عليه الرشيد فلما دخلُ عليه قال له أين كنتَ في هذه الليلة قال عندعبدك يأأمير المؤمنين عبد الله بن مالك كنتُ عنده وهو يحلف بطلاق نسائه وعتق مماليكه وصدقة ماله مع عشرين بدنةً يهديها الى بيت الله الحرام حافياً راجلا ان كان مابلغ أميرالمؤمنين سمعه الله جلّ وعزّ من عبد الله ولا اطلع عليه ولا همّ به أو أظهره قال فأطرق الرشيد ملياً مفكرا ومحمد يلحظه ووجهه يشرق مرة ويسفر أخرى وكان قد حال لونه حين دخل عليه ثم رفع رأسه فقال أحسبه صادقا يامحمد فمره بالرواح الي الباب قال وأكون معه قال نعم فانصرف محمد الى عبد الله فبشره وأمره بالركوب رواحاً فدخلا جميعاً فلما أبصر عبد الله بالرشيد انحرف نحو القبلة وخرَّ ساجداً ثم رفع رأسه فاستدناه الرشيد فدنا وعيناه تهملان فأكبّ عليه وقبّل بساطه ورجليه وموطأ قدميه ثم طلب ان يأذن له فى الاعتذار فقال مابك حاجةٌ الي ان تعتذر اذقد عرفت عذرك قال فكان عبد الله يري بعد ذلك اذا دخل على الرشيد بعض الانقباض فشكا ذلك الي محمد فقال محمد يأأمير المؤمنين ان عبدك عبد الله يشكو أثراً باقياً من تلك النبوة التى كانت

من أمير المؤمنين ويسأل الزيادة في بسطه فقال الرشيد انا معشر الملوك اذا غضبنا على أحد من بطانتنا ثم رضينا عنه بقي لتلك الغضبة أثر لايخرجه ليل ولا نهار .. قيل ومدح شاعر أبا حاتم كاتب الديوان فلم يصله بشيء فانشأ يقول

لتنصفنّي ياأبا حاتمٍ أو لأصيرنّ الى حاكمِ
أوّلَ ماأتلفتَ من ماله خمسين ألفاً في شرى هاشمِ
خمسين ألفاً وَضحاً كلها من مالِ هذا الملكِ النائمِ

فاحتفظها صاحب الخبر ورفعها الى الرشيد فقال صدق لولا اني نائم ماكانت أموري تجرى على هذا السبيل وأمر باخراج الجرائد من الدار اليه فأول ماوجد على منصور ابن زياد عشرة آلاف الف درهم فحدّث صالح صاحب المصلّي قال دعاني الرشيد وهو على كرسي فقال اذهب الساعة فخذ منصور بن زياد بالخروج من عشرة آلاف الف درهم فان لم يوردها بينك وبين المغرب فاضرب عنقه وجئني برأسه وأنا نفيٌ من المهدى لئن أنت دافعت عنه لأضربنّ عنقك قلت ياسيدى فان أعطاني بعضها ووقّتَ لي في بعضها وقتاً قال لا تخرجت فأعلمته الخبر فأسقط في يده وقال ماأراد الا قتلى لأنه يعلم ان مقدار مالي لايبلغ مابه طالبني ولكن تأذن لي أن أدخل بيتي فأودّع أهلي فأذنت له فدخل ودخلت معه وبقيت واقفاً فبعث الى أمهات أولاده وبناته ونسائه ان اخرجن اليّ كما كنتنّ تخرجن عند موتي فان هذا آخر أيامي ولا سِترَ لكُنّ بعدي فخرجن اليه مشققات الجيوب مخمّشات الوجوه بصراخٍ شديد فبكى اليهن وبكين اليه وبكيتُ معهنّ ثم ودّعهنّ وخرج وهنّ في أثره واضعات التراب على رؤسهن ثم قال ياأبا مقاتل لو أذنت لي في المصير الى أبي علي يحيي بن خالد البرمكي فكنت أوصيه بولدى وأهلي فقلت امض وصرنا اليه وقد نزل في ساعته وهو على كرسي يغسل يده فلما توسطنا الدار جعل منصور يبكي ويمشي اليه حتى دنا منه وهو يسأله عن الحال فيمنعه البكاء من إخباره فأقصصت عليه قصته فقال ارجع الى أمير المؤمنين وسله ان يهبهُ لي قلت مالي الي ذلك سبيل ولا يراني الا والمال معي أو رأس منصور كما أمرنى فقال لخادم له إئت فلانةَ فسلها كم لنا عندَها من المال فانصرف وذكر ان عندها خمسة آلاف الف

درهم فقال لى احملها وابلغ أمير المؤمنين رسالتى فى باقيها فأعلمته أن لاسبيل الى حمل بعضها دون بعض فأطرق ثم رفع رأسه ثم قال ياغلام ائت دنانير فقــل لها تبعث الى بالجوهر الذى وهبه لها أمير المؤمنين فبعثت اليه بحُق فقال هــذا جوهر ابتعناه لأمير المؤمنين بمائتى الف دينار وهو عارف به وقد جملته له بمائة الف دينار وهو الفا الف درهم واحمل اليه هذه السبعة الآلاف الالف والرسالة فأبيت فوجه الى الفضــل ابنه انك كنت أعلمتنى انك على ابتياع ضيعة نفيسة وقد أصبتها ولا يوجد مثلها فى كل وقت وابتياعها فرصة فاحمل الىّ مالها فعاد الرسول ومعه الفا الف درهم ووجه الى جعفر ابنه أن يوجه اليه بالف الف درهم فأنفذ اليه صكًّا أو صكاكاً الى الجهبذ بها فقبضت المال ووافيت الرشيد قبل المغرب وهو منتصب على حالته ينتظر رجوعى اليه فأخبرته الخبر فلما انتهيت الى خبر الحُقّة قال صدق وقد ظننت انه لاينجيه غيرهم احمل هــذا المال أجمعَ الى أبي علي واردده عليه وأعلمه انى قــد قبلت ذلك عن منصور ورددته عليه ففعلت ذلك ولقيني بعد ذلك يحيي منصرفاً من الدار ومنصور معه يسايره ويضاحكه والناس خلفه فقلت والله لأنصحن هذا الشيخ الكريم فدخلت معــه ودخل منصور ودعا بغدائه فلما نهض منصور قلت ياأبا على اني والله مارجعت معك الا لنصحك وقد رأيت مكان هذا الرجل منك وكنا حين حملت المال أنهضته مني فوالله ماقطع نصف الصحن من الدار حتى تمثّل بهذا البيت

فما بُقيا علىّ تركتمانى ولكنْ خفتما صَردَ النبال

فعارض أكرم فعلك بالأم خصلة فيه فدعانى الامتعاض من ذلك الى اخبارك فاني من تعلم فى مودّتك وطاعتك فأكبّ على الارض ساعة ثم رفع رأسه فقال أعــذره فقد كان عقله عزب عنه فى ذلك الوقت قال فكان عذره له أحسن من إحيائه اياه ٠٠ قيل وأمر الرشيد يحيي بن خالد بحبس رجل جَنى جناية فحبسه يحيي وسأله عنه الرشــيد فقيل هو كثير الصلاة والدعاء فقال للموكل به اعرض عليه ان يكلمنى ويسألنى اطلاقه فقال له ذلك الموكل به فقال قل لأمير المومنين ان كل يوم يمضى من نعمتك ينقص من محنتي والأمر قريب والموعد الصراط والحكم الله فخرّ الرشيد ساجداً مغشياً عليــه

وأمر باطلاقه .. قيل وأُتي الرشيد برجل قد وجب عليه الحد فأمر ان يُضرب فضرب فقال ياأمير المؤمنين قتلتني قال الحق قتلك قال ارحمني قال لست بأرحم لك ممن أوجب عليك الحد ثم أمر باطلاقه .. قال وقال الرشيد للجهجاه أزنديق أنت فقال كيف أنا زنديق وقد قرأت القرآن وفرضت الفرائض وفرقت بين الحجة والشبهة قال والله لأضربنك حتى تقر قال هذا خلاف ماأمر الله جلّ وعزّ به أمر أن يضرب الناس حتى يقروا بالايمان وأنت تضربني حتى أقر بالكفر فالتفت الجهجاه الى أبي يوسف القاضي فقال له افته لايهلك في دينه .. قال وبلغ الرشيد ان عبد الملك بن صالح دعا الي نفسه فأمر بحبسه ثم دعاه ذات يوم فقال أكفراً للنعمة واظهاراً للغدر قال كلا ياأمير المؤمنين ولكنه مقالة كاشح واحتيال حاسد قال هذا قُمامةُ كاتبك يذكر صحة ذلك قال اسمعنيه ياأمير المؤمنين قال اخرج ياقمامة وكان من وراء الستر فخرج فقال له لقد انطويت عليه وواطئت من خالفه قال ياأمير المؤمنين كيف لايكذب عليَّ من خلفي من يبهتني في وجهي مع نعمتي عليه واحساني اليه قال فهذا عبد الرحمن ابنك فقال هو بين مأمور وعاقٍ فان كان مأموراً فلا ذنب له وان كان عاقا فأقل عقوبته الشهادة بالزور علي قال فما الحكم قال أولى الناس بصفحك عنه من لاشفيع له اليك الا حلمك فقال الرشيد

أُريد حَياته ويريدُ قتلي عَذيرَك من خليلكَ من مُراد

والله لكأني أنظرُ الى شؤونها وقد همع والي عارضها قد لمع وكأني بالوعيد قد أورى ناراً فأقلع عن براجم بلا معاصم ورؤس بلا غلاصم مهلا مهلا بني هاشم فبي سهل الله الوعر وصفى الكَدَر وألقت الأمور أزمتها واندفع نَذارِ مِن حلول داهية تخبوط باليد لبوط بالرجل فقال عبد الملك أفذاً أتكلم أم توأماً قال بل توأماً فقال يا أمير المؤمنين اتق اللهَ فيما ولّاك وراقبه فيما استرعاك ولاتجعل الشكر بموضع الكفر ولا الثواب بمحل العقاب والله الله في رحمك أن تقطعها بعد ان وصلتها بظن يؤثم ثم بقول باغٍ ينهس اللحم وولغ في الدم فقد جمعتِ القلوب على محبتك وذللتِ الرجال لطاعتك وكنت كما قال أخو كلاب لبيد بن ربيعة

وَمَقامٍ ضَيقٍ فرَّجتهُ بلساني وبَياني وجدَلْ
لوْ يَقومُ الفِيلُ أوفيالهُ زَلّ عن مِثل مَقامي وزَحَلْ

فوثب الرشيد من مجلسه واعتنقه وجعل يقبل مابين عينيه ويسترجع ويعتذر ثم خلع عليه حُلَلَ الرضى وتَنفّسَ الصعداء وقال والله لقد دعوته واني لأرى موضع السيف من قفاه وها أنا ذا نادمٌ على ما كان مني والله جل وعز يتجاوز بقدرته عن ذلك .. قال وظفر المأمون برجل كان يطلبه فلما دخل عليه قال يا عدو الله أنت الذي تفسد في الأرض بغير حق يا غلام خذه اليك واسقه كأس الموت فقال يا أمير المؤمنين فدعني أصلي ركعتين أختم بهما عملي قال ليس الي ذلك سبيل قال فدعني أنشد أبياتاً قال هات فقال

زعموا بأنّ الصقرَ صادفَ مرّةً عُصفورَ بَرٍّ ساقَه المقدورُ
فتكلمَ العُصفورُ تحتَ جَناحِهِ والصقرُ مُنقضٌّ عليه يطيرُ
ما كنتُ خامِيزاً لمثلكَ لقمةً ولئن شُوِيتُ فإنني لحقيرُ
فتهاونَ الصقرُ المدل بصَيدِهِ كرَماً وأفلتَ ذلكَ العُصفورُ

فقال المأمون أحسنت ما جرى ذلك على لسانك الا لبقية بقيت من عمرك فأطلقه وخلع عليه ووصله .. قال وقال عبد الله صاحب المأمون دخلت على المأمون فاذا نطعٌ مبسوط ورجل فوقه على رأسه رجل مسلول سيفه فلما نظر اليّ المأمون قال يا عبد الله شأنك والرجل فحسرتُ عن ذراعي وقمت فوق رأسه واخترطت سيفي فسلط على المأمون النعاس فجعل يخفق برأسه ويقول أستخير الله فلما كان من المساء قال لي شأنك والرجل احفظه فطرحت حمائل سيفي في عنقه وأردفته خلفي وذهبت به الي منزلي ثم عدتُ اليوم الثاني الي المأمون ففعل كفعله أمس فلما كان اليوم الثالث قال لي المأمون خل عن الرجل واعطه عشرة آلاف درهم فأردفته خلفي ولم أجعل حمائل السيف في عنقه فقال لي مالك لم تلق حمائل السيف في عنقي قلت انه قد عُفي عنك قال فخل عني اذاً قلتُ أمرني أن أعطيك عشرة آلاف درهم قال لا حاجة لي فيها خل عني قال اذا أمرنا بامر انتهينا اليه ثم قلت له كنت تهمهمُ في قفاي اذا أنا أردفتك بشيء فما كنت تقول قال كنت أقول اللهم أنت كل يوم في شأن لا يشغلك شأن عن شأن فاجعلني من

شأنك حتى تنقل ما في قلب هــذا الرجل من الغضب الى الرضى ومن الغلظة الى اللين والرقة يا أرحم الراحمين •• وعن ابراهيم بن المهدىّ انه بينا هو فى مجلس المأمون اذ تكلم بكلام أسقط فيه وكان كلامه يحتمل أمرين فقام وعلم انه قد أخطأ فقال ان رأى سيدى أن يأذن لى فى الكلام قال قُلْ قال نساؤه طوالق وماله صدقة وعبيده أحرار وكل نذر وضعه الله جل وعز بين عباده فى عنقــه دون الخلق حتى يفى به ان كان ما تكلم به الا لجهة كذا وكذا وتأويل كذا وكذا قال فتبسم المأمون وقال اجلس انّى والله ماذهبتُ حيث ظننت وما كنت لأعفو عن الكل وآخذ بالجزء ولولا اني في مجلس يرقّ عن الاغضاء على أكثر الحالات ثم بلغ منى رجل ما يبلغ من عبده ماوجدعندي الّا الصفح والعفو وما أحسبنى أوجر عليه اذ كان لا يؤثر فىّ وانما الأجر بقسط الألم وميزان المضض •• وعن بعضهم ان والياً أتى برجل قد جنى جناية فأمر بضربة فلما مدّ قال بحق رأس أمك الا عفوت عنى فأبى فقال بحق عينيهـا قال اضرب قال بحق خديها ونحرها قال اضرب قال بحق سرتها قال دعوه لا يخدر الى أسفل

مساوى تمدى السلطان

قال قال جبل بن يُصبُهرى اياك أن تصحب السلطان بالجراءة عليه والتقصـير فى المعرفة بقدره والتهاون بأمره ولكن صحبتك له بالحذر وشدة التوقى كما تصحب الاسد الضارى والفيل المغتلم والافعى القاتلة ولا تصحب الصديق الا بالتواضـع ولين الجانب واصحب العدوّ بالحجة فيما بينك وبينه والاعذار عليه واصحب العامةبالبرّ والبشر الحسن •• وقد قيل سبعٌ غشوم خيرمن والٍ ظلوم •• وحدثنا اسماعيل بن أبى خالد قال أُتي الوليد بن عبد الملك برجل من الخوارج وعنده عمر بن عبد العزيز وخالد بن الريّان فقال له الوليد ماتقول فى أبى بكر قال صاحب نبي الله فى الغار وثانى اثنين رحمــه الله وغفر له قال فما تقول فى عمر قال هو الفاروق رحمه الله وغفر له قال فما تقول في عثمان قال كان سُنيّاتٍ من خلافته ملازما للعدل قال فما تقول في مروان بن الحكم قال لعن

الله ذاك قال فما تقول في عبد الملك قال ذلك ابن ذاك لمن الله ذاك قال فما تقول فيّ قال بنيّ ذينك وأنت شر الثلاثة فقال ياعمر ماتقول فيما تسمع قال ياأمير المؤمنين ماأحد أعلم بهذا منك وأنت أعلى به عيناً مخالجٌ عليه والله لتقولن فقال أما إذ أبيت ياأمير المؤمنين الا أن أقول فسُبّ اباه كما سبّ إياك وان تعفو أقرب للتقوى قال ليس الا هذا قال لا ياأمير المؤمنين الا ان تدخلك جبريّة فأما الحق فليس الا هــذا فالتفت الى خالد بن الريّان وهو قائم على رأسه ثم قام وهو غضبان فقال خالد والله ياعمر لقد نظر اليّ أمير المؤمنين نظرة ظننت انه سيأمرني بضرب عنقك قال ولو أمرك كنت تفعل قال أي والله قال أما انه كان يكون شرًّا لكما وخيراً لي ثم سكت عنه وبقى ذلك فى قلبه فلما قام الوليــد من مجلسه دخل على امرأته أم البنين بنت عبد العزيز وهي أخت عمــر فقال أخوك الحروريّ والله لأقتلنه فمكث أياما وعمــر فى منزله لايحضر الباب ولا يلتمس المعذرة فأتاه رسول الوليد وقت القائلة فدعاه فلما دخــل من باب القصر عُدِل به الى بيت فأدخل فيه وطُيّن عليه الباب فرجع صاحب دابته الى أهله فأخبرهم فأخبروا أخته بذلك فبحثَتْ عن خبره فلم تجد أحداً يخبرها بخبره وذلك يوم الثالث فقيل لها ان فلاناً الخصيّ يعلم علمه فأرسلت اليه فأعلمها بموضعه فدخلت على الوليد فناشدته الله والرحم وقبلت يده فقال قدوهبته لك ان أدركته حياً قال ففتحوا عنه الباب فوجدوه قد انثنى عنقه فحملوه الى منزله وعالجوه فلما توفى الوليد وكان سليمان بعده فهلك وتولى عمر الخــلافة جاء خالد بن الريّان فى اليوم الذى استخلف فيه عمر رحمــه الله متقلداً سيفه فقال له عمر ياخالد انطلق بسيفك هذا فضعه فى بيتك واقعد فيه فانه لاحاجة لنا فيك أنت رجل اذا أمرت بشيء فعلته لاتنتظر لدينك فلما ولى خالد نظر عمر فى قفاه فقال اللهم يارب انى قد وضعته لك فلا ترفعه أبداً فما لبث الا جمعــة حتى ضربه الفالج فقتله ٠٠ قال ولما قالت التغلبيــة للجحّاف بن حكيم فى وقعــة البشر فضّ الله عمادَك وأطال سهادك وســلبك حياتك فوالله لئن قتلت الا نساء كالدمي أسافلهــن دميّ وأعاليهن نديّ فقال لمن حوله لولا ان يلد منها حكيم لخليت سبيلها فبلغ ذلك الحســن البصرى فقال انما الجحّاف جذوة من نار جهنم ٠٠ قيل ولما بني عبيدالله بن زياد البيضاء

بالبصرة أمر أصحابه ان يسمعوا من أفواه الناس فأتى برجل قيل انه تلا ﴿أتبنونَ بكلّ ريعٍ آية تعبثون وتتخذون مصانعَ لعلكم تخلدُون﴾ فقال مادعاك الى هذا قال آية من كتاب الله عزّ وجل حضرت قال والله لأعملنّ فيك بالآية الثانية ﴿واذا بطشتم بطشتم جبارين﴾ فأمر فبني عليه ركن من أركان القصر .. قيل ان الحجاج لما أتى المدينة أرسل الى حسن بن حسن فقال هات سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه فقال لاأفعلُ قال فجاء الحجاج بالسيف والسوط والعصا فقال والله لأضربنك بهذه العصا حتى أكسرها ثم قال لأضربنك بهذا السوط حتي أقطعه ثم لأضربنك بهذا السيف حتى تبرُدَ أو تأتيني بهما فقال الناس ياأبا محمد لاتتعرّضنّ لهذا الجبار قال فجاء الحسن بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه فوضعهما بين يدي الحجاج فأرسل الحجاج الى رجل من آل أبي رافع فقال له هل تعرف سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلطه بين أسيافه ثم قال أخرجه فاخرجه ثم جاء بالدرع فنظر اليها فقال هناك علامة كانت على الفضل بن العباس يوم اليرموك فطُعن بحربة فخرقت الدرع فرفعناها فوجدنا الدرع على ماقال فقال الحجاج للحسن أما والله لو لم تجئني به وجئت بغيره لضربت به رأسك .. وذكروا ان الحجاج قال يوما لحاجبه أعسُس الليلة بنفسك فمن وجدته فجئني به فلما أصبح أتاه بثلاثة نفر فقال الحجاج لواحد منهم ما كان سبب خروجك بالليل وقد نادى منادٍ ألاّ يخرج أحد ليلا فقال أصلح الله الامير كنت سكران فغلبني السكر فخرجت ولا أعقل ففكر الحجاج ساعة ثم قال سكران غلبه سكره خلوا عنه لاتعودنّ وقال للآخر فأنت ماكان سببك قال أصلح الله الامير كنت مع قوم في مجلس يشربون فوقعت بينهم عربدة فخفت على نفسي فخرجت ففكر الحجاج في نفسه ثم قال رجل أحب المسالمة خلوا عنه ثم قال للآخر ماكان سبب خروجك قال لي والدة عجوز وأنا رجل حمّال فرجعت الى بيتي فقالت والدتي ماذقت اليوم طعاما فخرجت ألتمس لها ذلك فأخذني عسسُ الأمير ففكر ساعة ثم قال ياغلام إضرب عنقه فاذا رأسه بين رجليه

محاسن الحلم

حُكيَ عن انوشروان ان وفوداً وردوا عليه من قبل الملوك فأتوه واستأذنوا فأمر رجلا من بطانته ان يأتيه بتاجه فأقبل الرجل بالتاج فارتعشت يده وسقط التاج من يده فانكسر وذلك بعين كسرى فغضّ طرفه لئلا يرعبه فتناول الرجل التاج وقال له كسرى لابأس عليك انطلق الى الحاجب ومُرْه ان يصرف الوفود فى هذا اليوم •• وحكي عنه أيضاً انه دعا كاتبه وعرض عليه كتاباً ورد عليه من قبل اصبهبذ خراسان فيه أخبار من أخبار الترك فجعل يؤامره فيها وان رهطاً من خاصته قاموا خلف سريره فتسمّعوا عليه فعطس واحد منهم فالتفت كسرى ونظر اليهم وقال لاينبغي ان تسمعوا سر الملك وقد صفحتُ عنكم فلا تعودوا لمثل ذلك •• قال وقال رجل من قريش ماأظن معاوية أغضبه شئ قط فقال بعضهم ان ذكرت أمه غضب فقال مالك بن أسماء المني القرشي أنا أُغضبه ان جعلتم لى جُعلا ففعلوا فأتاه في الموسم فقال له ياأمير المؤمنين ان عينيك لتشبهان عيني أمك قال نعم كانتا عينين طال ماأعجبتا أبا سفيان ثم دعا مولاه شقران فقال له اعدد لأسماء المنى دية ابنها فاني قد قتلته وهو لايدرى فرجع وأخذ الجعل فقيل له ان أتيت عمرو بن الزبير فقلت له مثل ماقلت لمعاوية أعطيناك كذا وكذا فأتاه فقال له ذلك فأمر بضربه حتى مات فبلغ معاوية فقال أنا والله قتلته وبعث الى أمه بديته وأنشأ يقول

ألاَ قُلْ لأسماء المنى أُمّ مالكٍ فاني لَعمرُ الله أهلكتُ مالكا

•• قيل وجاء رجل الى الأحنف بن قيس فلطم وجهه فقال بسم الله يابن أخي مادعاك الى هذا قال آليتُ ان ألطم سيد العرب من بني تميم قال فبرّ يمينك فما أنا بسيدها سيدها حارثة بن قُدامة فذهب الرجل فلطم حارثة فقام اليه حارثة بالسيف فقطع يمينه فبلغ ذلك الأحنف فقال أنا والله قطعتها •• وعن اسحاق بن اسماعيل قال حدثنى أبي انه كان يتغدّى مع يحيي بن خالد البرمكي يوماً إذ طلب ارزّةً اشتهاها فأمر الطباخ باتخاذها بدُهن النارجيل فغلط الطباخ وجعل مكان الدهن نفطاً وأتاه بها فلما وضع

يده فيها قال ارفع ولم يقل شيئاً سوى ذلك .. وحكي جعفر ابن أخت أبي العباس قال دخلت على المأمون ويداه معلقتان من شيء رطب أكله قد مسته النار وهو يصيح ياغلام وكلهم يسمع صوته فما منهم أحد يجيبه فخرجت اليهم وأنا أفور غضباً فاذا بعضهم يلعب بالشطرنج وبعضهم بالكعاب وبعضهم يهارش الديوك فقلت يابني الفواعل أماتسمعون أمير المؤمنين يدعوكم فقال واحد حتى أقيس هذا الكعب وقال الآخر قد بقيت على ضربة وقال آخر امض فاني أتبعك فما علمت ماأخاطبهم به من الحنق عليهم فاذا المأمون قد صوّت بي وأنا أقذف أمهاتهم فأتيته وهو يضحك فقال ارفق بهم فانهم بشر مثلك فقلت تقول هذا وأنت معلق اليد فقال وهذه معاشرتك خدمك فقلت والله لو فعل بي هذا ولدي من دون خدمي لقتلته قال هذه أخلاق السوقة وأخلاقنا أخلاق الملوك فقلت لا والله ماهذه أخلاق الملوك ولا أخلاق الانبياء عليهم السلام .. وقال ثمامة بن أشرس والله اني لفي مجلس المأمون وعنده عمرو بن مسعدة وأبو عباد والعباسي ومحمد ابن أبي محمد اليزيدي اذا دخل عليّ بن صالح فقال محمد بن الفضل بن سليمان الطوسي بالباب قال يدخل فدخل وسلم وفي يده كتاب فأشار به الى المأمون فقال المأمون اذكر مافيه فقال ياأمير المؤمنين جعلني الله فداك سرٌّ من أسرار الخليفة لايحتمل اذاعته قال وان كان ذلك فاذكره قال ياأمير المؤمنين لستُ فاعلا قال ياهذا مايحضرنا من نكتمه أسرارنا فأبد ماعندك فأعاد محمد بن الفضل مثل قوله الاول والثاني فقال المأمون اني لأعلم مافي كتابك قال هذه كهانةٌ قال فنزل المأمون عن فرشه ورفع ستراً كان في ظهر مجلسه ودخل وأشار الينا وقال لاتبرحوا فجاء عليّ بن صالح فأخذ بيد الطوسي وقال قمْ فأنت أشأم من البسوس فأقعده خلف حائط بقرب المجلس لكي ان خرج لايراه وان دعاه أحضره قال فجعل كل واحد منا يرجف بجنس من المكروه وكلنا خائفون عليه فواحد يقول يأخذ الساعة أمواله وينفيه وآخر يقول يضرب عنقه قال فأبطأ علينا المأمون ثم خرج ووجهه مسفر ضاحكة سنه فقال سمعتم ماكلمني به هذا الخائن انه والله لما بلغ مني كلامه لم أجد بُدّا ولا دواء الاملاعبة الجواري والنساء ليزول عني ماقد تداخلني وقد أسمعني ماأكره بضع عشرة مرة واحتملته

مساوى من سخط عليه وحبس

فى الحديث المرفوع قال شكا يوسف عليه السلام الى ربه جلّ وعزّ طول الحبس فأوحى الله تبارك وتعالى اليه أنت حبست نفسك حيث قلت (ربّ السجنُ أحبُ اليّ مما يدعوننى اليه) ولو قلت العافية أحب اليّ عوفيت .. قال وكتب يوسف على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ودعا لاهل الحبس بدعوتين هما معروفتان فيهم الى اليوم اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولاتعم عليهم الاخبار فكل الناس يرحمونهم والاخبار من كل جهة عندهم .. قال ولما خرج جعفر الاحمرى من الحبس وأدخل على المهدى فى الحديد قال له يافاسق أزلك الشيطان وأغواك وفى غمرة الجهل أرداك وعن الهدى بعد البصيرة أعماك حتي تركت الطريقة ودخلت فيما لاأصل له ولا حقيقة كيف رأيت الله كشف أمرك وأعلن فسقك وأظهر ما كنت تخفى من سقم سريرتك وخبث نيتك فأوردك حوض منيتك وذلك بما قدمت يداك وما الله بظلاّم للعبيد قال جعفر لا والذى لم يزل بعباده خبيراً وبعث محمداً عليه وعلى آله السلام بالحق بشيراً وطهر أهله من دنس الريب تطهيراً ووقفنى بين يديك أسيراً وجعلك علينا سلطانا أميراً ماخنت الاسلام نقيراً ولا أضللت الهدى منذ كنت بصيراً فلا تقدم عليّ بالشبهة تقديراً يسعى ساعٍ سوف يُجزى بسعيه سعيراً فقال المهدى مايغنى عنك وسواسك فما تهذى من أمّ رأسك قد تناهت اليّ أخبارك وأدّاها من كان يقفو آثارك ويعرف أسرارك ومن بايعك من أعوانك الذين وازروك على ضلالك فأقلل لاأم لك تسجيعك فقد حل قضاؤك وحان حصادك فقال جعفر ان تقتلنى تقتل منى علماً فلا تجعل لى على ظهرك وزراً فأصير لك يوم القيامة خصماً وأنت تعلم انك لاتجىء بقتلى عدلا ولا تنال به فضلا فاتق الذي خلقك وأمرَ عباده ملكك وبالعدل فيهم أمرك ولا تحكم عليّ بحكم عن الهدي مائل فانك للدنيا مفارق وعنها راحل وكل ماأنت فيه فمضمحل زائل قال له المهدى تطلبنى وأنت المطلوب وبباطلك تغالب حقى وأنت المغلوب الآن ظهر فسادُك وبلغ غرسك ودبت عقاربك اللهم الا أن تقر بذنبك

وتعترف بجرمك وتتوب الى ربك وتحقن بالانابة دمك فان فعلت ذلك أمهلنا أمرك وأطلنا حبسك والا فاحتسب نفسك ولا تلم الا جهلك قال جعفر مالى ذنب فأستغفر ولا جرم فأعترف ولا لى بك قوة فأنتصر وأنت على ظلمى مقتدر فان كنت تعلم ان مابعد الموت مصدر ولا للعباد بعد البلى محشر ولا للظالم موعد يخاف منه ويحذر فاعمل من هذا ماشئت واستكثر قال المهدى لا والذى بمكة بيته الحرام وحوله الشعث العاكفون قيام ماأخشى فى اقامة الاحكام عليك وعلى أشباهك اثماً ولا وزراً فاستسلم للقتل ودع الكلام فانه اذا عقر الأساس تداعى النظام واذا انكسرت القوس تعطلت السهام وأنت فطالما أعنت على اطفاء النور بريح الظلام قال جعفر اعف فانك كريم جواد سامح ولا تقبل فيّ قول العدوّ الكاشح فانى من الاسلام على الطريق الواضح رفيق على أهله ولهم ناصح أبر العالمين بفهم راجح فلا تقدم عليّ بقول كاب نابح فقتلك اياى عمل غير صالح قال المهدى مذهبك واعتقادك تزعم ان الآخرة بعد فراق الساهرة وان الناس كانوا أعلاما زاهرة وأشجاراً ناضرة وزروعا غاضرة تلبث يسيراً ثم تعود هشيما وان من مات لايعود كما ان ضوء المصباح اذا طفئ لايرجع قال جعفر لا والذى يخلق ويبيدُ وهو أقرب الينا من حبل الوريد ماقلت ذلك وهو له شهيد وانى أخلص له التوحيد والتفريد والمشيّة والتحديد وأشهد انه الغفور الودود يعلم منقلب العبيد قال المهدى ان كنت تحب خلاص نفسك ورقبتك فأحضرنى كتاب زندقتك الذى بالجهل ألّفته وبالباطل زينته وبالضلال زخرفته سميته اسّ الحكمة وبستان الفلسفة زعمته مستخرجا من ديوان الالهام منظماً بحسن الكلام عنّفت فيه الاسلام وضللت فيه الانام فقال جعفر لا والذى خلق الظلمات والنور ودبر الأمور وهو قادر على أن يبعث من فى القبور ماهذا الا أفك مجترح وزور وان دينى لظاهر منير تقديمى ذرية من هو مع الله جلّ وعزّ فى كل فرض لازم امام النبيين فى البيت المعمور فاتق الذى خلقك وأمر عباده قلدك يعلم خفيات الامور قال المهدى وأصفح لك عن هذا فما حجتك فى كتابك الذى أضلّ أهل الشقاق والنفاق ومن منهم فى الاندية والاسواق يقرؤنه ويتدارسونه فى الآفاق أما بعد أعلمكم ان الله جلّ وعز عدل لايوالى الظالمين ولا

يرضى أفعال الجاهلين وانه ليس لله بولي من رضي بأحكام الجائرين فسيحوا في الارض حيث لاتنالكم أيدي المعتدين فان بني العباس طُغاةٌ كفرة أولياؤهم فسقة وأعوانهم ظلمة دولتهم شرّ الدول عجّل الله بوارهم وهدم منارهم والعاقبة للمتقين قال جعفر هذا والله بهتان عظيم جداً قذفني به قاذف عمداً وأنت تعلم انى ماخالفت لكم أمراً ولا عبت منكم أحداً فاقبل المعذرة وأقل العثرة وتغمد الهفوة واغتفر الذلة فانك راع مسؤل قال المهدى أو لم أبلغ انك في الغوغاء تحثهم على شق العصا ومخالفة الأمر وتحيدهم عن طاعة الخلفاء فأي داهية أدهي منك قال جعفر ما بُلّغتَ حقاً ولقد طوي النصيحة من أودع قلبك بهتانا وأفكا فلا تقبل فيّ قول من ظلم واعتدى وبفساد اليك سعى فان الله جلّ وعزّ سائله يوم يودّ الظالم أن لم يكن أميراً ولا كان المضل له وزيراً قال المهدى انك لجاهل ان تقيم اعوجاجك بكثرة احتجاجك هيهات لا يكدر صفوتي مزاجك وقد قيل من ظفر بحية لايأمن لسعها ثم لم يشدخ رأسها كانت سبب حتفه ولعمرى ان من يكون له عدو مثلك يرقب غِرّته وينتظر فورته ولا يطلق يده بقتله لعاجز قال جعفر وما بلغ الله بقدر النملة ونكاية النحلة وانما يكتفى مثلى من مثلك بلحظة فالكرماء رحماء بررة والقسوة في اللئام الشررة قال المهدى من تدنه أيامه لاحت في الظلام أعلامه وأسرع به ان يذوق حمامه ياغلام سيفاً قاطعاً وضاربا حاذقا قال جعفر ان كنت تؤمن بالمعاد وتتقي من الحشر يوم التناد يوم يجمع الله فيه العباد تعلم ان طالب ثأري لك بالمرصاد ومن لم يكن له في الموت خير فلا خير له في الحياة ان قدمتني أمامك فأنا قاعد لك على الجادة التي ليس عنها مرحل الحاكم يومئذ غيرك قال فسكت المهدي طويلا ثم التفت الى أصحابه فقال كيف أقدم على قتل رجل لايخاف مكيدتي ولا يرعبه سلطاني ولا يتقي سطوتي وأعواني يناصبني كلامي ويفسخ احتجاجي كيف ولو كنا بين يدى من لايُخاف جوره ولا يُتقى ميله وحيفه كان لسانه أمضى وقلبه أجرى وخصمه أذل واقاً خلوا سبيله فمضي ٠٠ وحكي عن عدى بن زيد انه كان ترجمانا بين كسرى وبين العرب وانه أشار على كسرى بتولية النعمان بن المنذر الملك وكان له عبد يعرف بعدي بن قيس فوشى الى النعمان بعدى بن زيد وذكر انه

كان السبب في تمليكه فسجنه النعمان وسخط عليه وتغير له وحبسه فكتب عدى بن زيد الى النعمان يستعطفه

أبا مُنذرٍ جازيتني الوُدَّ سُخطةً فما ذا جزاء المجرم المتبغّض
وان جزاء الحرّ منكَ كرامةٌ وليسَ بنصح فيكَ بالمتعرّض

فلم يحفل النعمان بقوله فقال يذكر حبسه

إنّ للدّهر صولةً فاحذرَنها لا تبيتنّ قد أمنتَ الدهورَا
قد يبيتُ الفتى صحيحاً فيرْدَى ولقد باتَ آمناً مسرورَا
إنما الدهرُ ليّنٌ ونَطوحٌ . يترُكُ العظمَ واهناً مكسورَا
فَسَلِ الناسَ أينَ آلُ قُبيسٍ طحطحَ الدهرُ قبلهم سابورَا
خطفتهُ منيّةٌ فتردّى وهوَ في ذاكَ يأمُلُ التعميرَا
ولقد عاشَ ذا جنودٍ وتاجٍ تَرْهَبُ الأُسدُ صولهُ والزئيرَا
وبنو الأصفر الكرامُ مُلوكُ الـ ـروم لم يُبْقِ منهمُ مذكورَا

ثم ان عديّا كتب الى صاحب له مقيم بباب كسري يقال له أُبَيٌّ

فأبلغْ أُبيّاً على نأيهِ وهلْ ينفعُ المرءَ ماقد علِمْ
بأنّ أخاكَ شقيقَ الفؤا دِ كادَ لنأيكَ أنْ يُخترَمْ
لدَى مَلكٍ موثَقٌ بالحدي دِ إما بحقٍّ وإما ظُلمْ
فلا تُلفَينّ كثيرَ الرقا دِ بلِ اصرم الرأيَ ثم اعتزِمْ

فلما قرأ هذه الابيات دخل على كسرى فأخبره بما كان من النعمان الى عدى فغضب كسرى وبعث برجل من مرازبته الى النعمان ان يطلق عدياً ويبعث به اليه فأقبل الرسول حتى دخل الى النعمان وأدّي اليه رسالة كسرى فقال نعم أنا أُطلقه ودسّ الى عدى من قتله ثم قال للرسول ادخل السجن حتى تخرجه فلما دخل اليه وجده ميتاً فرجع الى النعمان وقال له عجلت عليه وقتلته وأنا مخبر كسرى بذلك فوصله بألف دينار وسأله تحسين أمره عند كسرى فانصرف الرسول فأخبر كسري بموته وكان لعدي ابنٌ يقال له زيد فخاف النعمانَ على نفسه فهرب من الحيرة حتى أتى المدائن

فدخل على كسرى وتعرّف له فقرّبه وبرّه فقال لكسرى ذات يوم أيها الملك ان لعبدك النعمان ابنة يقال لها حُرْقة وأخت تسمى سُعْدَي وابنة عمّ تسمى لباب وليس فى جميع الاقاليم أحسن منهن فكتب كسرى الى النعمان ان احمل الىّ ابنتك حُرْقة وأختك سُعْدى وابنة عمك لباب على يدى خادم له فقال زيد أيها الملك ابعث بى مع الخصىّ فقال اخرج على اسم الله وعجّل علىّ بالنسوة فخرجا حتى قدما الحيرة فدخلا على النعمان ودفعا الكتاب اليه فلما قرأه قال أما فى عِين السواد وفارس مايغنى الملك عن العربيّات السود الأبدان الحمش السيقان فقال الخادم لزيد مايقول النعمان قال يقول مافى بقر فرس والسواد مايغنى الملك عن العربيات فخرج الخادم حتى أتى كسرى فأخبره بما سمعه من النعمان وقال أيها الملك ان الكلب الذى بعثت بى اليه قد سمن وتعدّى سوره فوقع ذلك في قلب كسرى وغضب على النعمان ودعا إياس بن قبيصة الكناني فولاّه مكان النعمان وأمره أن يكبل النعمان بالحديد ويبعث به اليه فبلغ ذلك النعمان فاستودع أهله وولده وخزائنه وسلاحه وابنته حرقة وخيله عند هانئ بن المزدلف ثم خرج حتي أتى المدائن فلقى زيد بن عدى فقال له يابن اللخناء لئن بقيت لك لأُلحقنك بأبيك فقال له زيد أما والله بنيتُ لك عند الملك بنية لاتصلح بعدها أبداً ثم دخل على كسرى ودخل زيد بعده فقال زيد أيها الملك ان هذا العبد اذا جلس على سريره ووضع التاج على رأسه ودعا بشرابه لم يظن ان لك عليه سلطاناً فأمر كسرى بالنعمان أن يُلقى بين أرجل الفيلة ففعل به ذلك فداسته الفيلة وقتلته وهيج ذلك حرب ذى قار •• وحدّث الهيثم بن الخليل الشيبى وكان موكلا بحبس البرامكة من قبل هرثمة ابن أعين قال أتي مسرور الخادم الحبس يوما ومعه خدم فى يد بعضهم منديل ملفوف على شئ فأمرنى باخراج الفضل بن يحيي فأخرجته فقال ان أمير المؤمنين يقول لك اصدقنى والا فقد أمرت مسروراً ان يضربك مائتى سوط فنكس رأسه ساعة فقال له مسرور ياأباالعباس الرأى لك أن لاتؤثر مالك على مهجتك فانى لا آمن ان نفّذت ماأمرني به أن آتى عليك ومع هذا فان صرت الى رضى أمير المؤمنين فان المال يأتيك كما أتاك وان يك غير ذلك فما حاجتك الى المال فرفع رأسه وقال والله يا أبا هاشم ما كذبت أمير

المؤمنين ولا كذبتك لو كانت الدنيا لي ثم خـيّرت بين الخروج منها وبين ان أُقرَعَ بعقرعة بسببها لاخترتُ الخروج منها وأمير المؤمنين يعـلم وأنت تعلم اني كنت أصون عرضي بمالي فكيف لا أصون الآن نفسي بمالي فان كنت أمرت بشيء فامض له فأمرنا بالمنديل فنفض وسقط منه سياط بثمارها فضربه مائتي سوط وتولى ضربه الخدم فضربوه أشد ضرب ولم يحسنوا ان يضربوه فضربته الحرّة وخيف عليه فقيل له ههنا فتىً كان في الحبس هو بصيرٌ بهذا فأتيته فسألته فقال لملك تعالج الفضل بن يحيي فقد بلغنا خبره قلت نعم قال فامض بي اليه قلت وتجسر على ذلك قال نعم والله لو قُطّعتُ لجئت به فلما رآه قال ليس بشيءٍ ضرب خمسـين سوطاً قلنا بل ضرب مائتين قال هذا أثر خمسـين وأحتاج أن أنيمه على باريّة وأدوس صدره فجزع الفضل من ذلك وأبي ان يفعل نحوٌ فناه تلف نفسه وناشدناه حتى فعل فأخذ بيده بعض من حضر وأخذت بيده الأخرى ثم جررناه على الباريّة فاذا عليها صورته من لحم ظهره فقال لابدّ لي من أن أعيـده فأعاده ثم اختلف اليه فبينا هو ينظر اليه يوما اذ خرّ ساجداً فقلت مالك قال بريءٌ أبو العباس باذن الله فدنوت منه فأراني في ظهره لحماً نابتاً كهيئة الدعاميص الحمر ثم قال أتحفظ قولي انه أثر خمسين سوطاً لو ضرب الف سوط ماكان أثرها بأشـد من ذلك ولكني قلت ماقلت لتقوى نفسه فيعينني على علاجه وخرج وسألني الفضـل ان ألقى بعض اخوانه وأعلمه انه يحتاج الى عشرة آلاف درهم فأتيت بعض اخوانه وأعلمتـه انه يحتاج الي عشرة آلاف درهم فسألني ان أحملها اليه وأمرني بدفعها الى الرجل الذى عالجه فلما مضيت بها اليه وجـدته غائباً عن منزله ورأيت بابه مُغلقاً فلتُ الى مسجد هناك منتظراً له حتى عاد فقمت اليه ودخلتُ منزله فاذا بيت فيه حصيران ومسورتان وطنبور وثلاث دساتيج وقناني وأقداح فقال ماحاجتك فأقبلت أعتـذر اليه واذكر حاله ثم أعلمته ماوجهني له فنخر نخرة حتى أفزعني ثم قال عشرة آلاف فجهدت الجهد كله به ان يقبلها فأبى فعدت الى الفضل فأعلمته فقال انه استقلها والله قلت لاأظن قال بلى والا فما معنى قوله عشرة آلاف درهـم ولكن تعود الى صاحبنا وتسأله عشرة آلاف أخرى وتحملها اليه فحملتها الي الرجل فنخر نخرة أشـد من نخرته الاولى ثم قال أنا

أعالج فتيً من الابناء بكراء أنا طبيب والله والله لو كانت عشرة آلاف دينـار ماقبلتها فخرجت من عنده وسألت عن معيشته فقيل له برجٌ يصعد اليه في كل يوم فيبيع فراخه وصيده ويعتكف على ماتراه فرجعت الى الفضل وأخبرته فتعجب ثم قال أخـبرنى بأعجب ماوأيته منا وأحسنه فاندفعت أحدثه فلما رأى إطنابى قال بالله أينا أحسن أفعالا نحن أم هذا الفتى فاذا هو يستقبح أفعالهم مع فعله ويستصغرها ٠٠ قال ودخـل ابن الزيات على الأفشين وهو محبوس مكبّل بالحديد فقال

اصبرْ لهاصبرَ أقوامٍ نفوسهمُ لاتستريحُ الى عقل ولا قَوَدِ

فقال الأفشين من صحب الزمان رأي الكرامة والهوان ثم قال

لم ينجُ منْ خيرِها أو شرِّها أحدٌ فاذكرْ شآبيبها انْ كنت من أحدِ

خاضتْ بك المنيةُ الحمقاء غمرتها فتلكَ أمواجها ترْميـكَ بالزبدِ

الشعر الاول والثاني لأبي سعد المخزومى ٠٠ قال حمدون بن اسماعيل بعث الأفشين الي المعتصم من الحبس أن ياأمير المؤمنين مثلى ومثلك مثل رجل ربي عجلا له حتى أسمنه وكبر وحسنت له وكان له أصحاب اشتهوا ان يأكلوا من لحمه فعرضوا له بذبح العجل فلم يجبهم الى ذلك فاتفقوا جميعاً على ان قالوا له ذات يوم ويحك ألم ترَ هذا الأسد وقد كبر والسبع اذا كبر رجع الى جنسه فقال لهم هذا عجل فقالوا هـذا سبع سلْ من شئت عنه وقد تقدموا الي جميع من يعرفه انه ان سألهم عنـه قالوا هو سبع فأمر بالعجل فذبح ولكنى أنا ذلك العجل كيف أقدر أن أكون أسداً الله الله فى أمرى فقد وجب حقى وأنت سيدى ومولاى فلم يلتفت المعتصم الي رسالته وغلظ عليه الأمر حتى قيل انه قد مات فقال المعتصم أرُوهُ ابنهُ فأخرجوه مكبّلا بالحديد فطرحوه بين يديه فلما رآه نتف لحيتـه ودعا بالويل والثبور ثم ردوه الى مـنزل ايتاخ وكان يطعم فى كل يوم رغيفاً حـتى مات فأخرجوه وصلبوه على باب العامـة ثم أحرق ورُمي به فى دجـلة ٠٠ قيل وكان العُجيف بن عنبسة ممن خرج مع العباس بن المأمون على المعتصم وسعي فى الخلاف عليه قال فحدثنا أبو طالب قال كنت مع محمد بن الفضل الجرجرائي فالتفت الي رجل عنده فقال حدّث أبا طالب بما حدثني به فأقبل عليّ الرجل يحدثني فسألته

عنه فقيل هو عمر بن عمرو القرقارة الكاتب قال كنت أتقلد ضياع عجيف بناحية
كسكر فرفع عليّ اني خربت ضياعه فكتب فى حملى فأدخلت عليه وهو فى داره التي
بسرّ من رأى وهو يطوف على الضياع وعلى رأسه برُطلة خوص فلما نظر اليّ قال
أخربت ضياعى وأخذت أموالي والله لاقتلنك ودعا بالسياط فبلت فرقاً منه فكاني
أنظر الي البول يأخذ في سراويلى يميناً وشمالا وأومأت الى الكاتب فالتفت الكاتب الى
عجيف فقال أيها الأمير أنت مشغول القلب بما تحتاج ان تأمر به وتشرف عليه وهذا
فى أيدينا فان كان مارُفع عليه حقاً فالأمير من وراء ذلك وان كان باطلا لم تأثم فيه فقال
الحبس فلبثت فى الحبس أياماً فوجّه اليّ كاتب عُجيف فأتيته فقال لي طاب لك المكان
ماممك فبررته بشئ فاطلقنى فقلت لغلامي قد نالنا من الحبس والغرم مانالنا وصديقى
فلان بن فلان صاحب الديوان احتاج ان آتاه لعلّ الله عزّ وجلّ ان يسهل عملا
فشخص فيه فأتيت صديقى ذلك فقال لى أنت فى الحياة ههنا عملٌ فى ديار ربيعة أقلدكه
فتقلدته وخرجت أنا وغلامي فما زلت أسير حتى أتيت باعيناثا فغمزنى البول فى السحر
وهي مقمرة فنزلت عن دابّتي وجلست وأنا أبول فقلت لغلامي ويحك اكأنى أبول فى
ثيابى فاطلب لى ماء فقال الناس نيام فلم أزل واقفاً حتى خرج بعض أوائل الانباط
فطلب الغلام منه ماء فجاء به فجعل هو والغلام يصبّان عليّ الماء وأنا أغسل ثيابى فقال
لى النبطى وأين بلت قلت ههنا قال هذا نطع عجيف قلت عجيف قال نعم قلت مايعمل
عجيف ههنا قال أو مابلغك ان أمير المومنين بعث اليه بشربة فأقامته ثلاثمائة مجلس فمات
فلُفّ فى نطع وها هو ذا فصبرت حتى أصبحت فنظرت الى النطع فقلت لااله الا الله
بينا أنا بالأمس بين يديه أبول من فرَقه حتى جئت فبُلت عليه ٠٠ قيل وسخط
المعتصم على الفضل بن مروان فأمر بحبسه وتقييده واستئدائه الف الف دينار
وستمائة الف دينار ورفعت فيه القصص فأقبل أحمد بن عمّار يقرؤها فوقعت فى يده
قصة فى نصف طومار فاذا فيها شعر فتوقف عن قراءتها فقال ماتوقّفك قال انه شعر
قال هاته فاذا فيها

لاتعجبنّ فما بالدهر من عجبٍ ولامن َالله من حصن ٍولاهرَبِ

يافضلُ لاتجزَعنْ ممّا ابتليتَ به ... من خاصم الدهرَ أجثاه على الركَبِ

كم من كريمٍ تشافى بيتِ مكرُمةٍ ... أتاكَ مختنقاً بالهمّ والكُرَبِ

أوليتهُ أمنكَ إذلالاً ومنقصةً ... فخابَ منكَ ومِن ذى العرش لم يخب

وكم وثبتَ على قومٍ ذوى شرف ... فما تلعثمتَ عن زورٍ وعن كذبِ

خنتَ الامامَ وهذا الخلق قاطبةً ... وجُرْتَ حتى أتي المقدورُ في الكتُب

جمعتَ شتى وقد أدّيتها جُملاً ... لأنتَ أخسرُ من حمّالة الحطبِ

فقال المعتصم ليُدْعَ صاحب القصة فدُعي فلم يجبْ فقال والله لو جاءني لدفعت اليه الفضل لينفذ فيه أمره ! •• وقال بعضهم رأيت على حائط دار الفضل بن مروان مكتوبا

تفرعنتَ يافضلَ بن مروانَ فاعتبر ... فقبلك كان الفضل والفضل والفضلُ

ثلاثةُ أملاكٍ مضوا لسبيلهمْ ... أبادَهمُ التنكيلُ والحبسُ والقتلُ

وانكَ قدْ أصبحتَ في الناسِ لعنةً ... ستُودى كما أودى الثلاثةُ من قبلُ

•• قيل وكان الواثق غضب على جعفر المتوكل أخيه لبعض أموره فأراد أن يقوّمه فوكل به عمر بن فرج فأتي جعفر الى محمد بن عبد الملك الزيات مستغيثاً به ليكلم أخاه فدخل عليه فمكث مليّا واقفاً بين يديه لايكلمه ثم أشار اليه ان يقعد فقعد فلما فرغ من نظره فى الكتب التفت اليه شبيهاً بالمتهدّد له فقال ماجاء بك قال جئت لتسأل أمير المؤمنين الرضي عنى فقال لمن حوله انظروا الى هذا يُغضب أخاه ثم يسألنى أن أسترضيه اذهب فانك اذا صلحت رَضيَ عنك فقام جعفر كئيباً حزيناً لما لقيه به من قبح اللقاء فخرج من عنده وكتب محمد بن عبد الملك الى الواثق حين خرج جعفر من عنده يا أمير المؤمنين أتاني جعفر بن المعتصم يسأل ان أسأل أمير المؤمنين الرضى عنه فى زيّ المخنثين له شعر فكتب اليه الواثق ابعث اليه فاحضرهُ ومُرْ من يجزُّ شعرهُ ويضرب به وجهه فحدّث عن المتوكل قال لما أتاني رسوله لبستُ سواداً لى جديداً وأتيته رجاء أن يكون قد أتاه الرضى عنى فلما دخلت عليه قال ياغلام عليّ بحجّام فدعي فقال خذ شعر هذا فأخذه على السواد الجديد ولم يأتنى بمنديل فأخذ عليه شعرى وضرب به وجهي فما دخلني شيءٌ من الجزَع مثل مادخلني فى ذلك اليوم قال فلما ولى جعفر.

الخلافة بعث الى محمد بن عبد الملك فدعاه فركب حتى أتى دار ايتاخ فأخذ سيفه وقلنسوته ودراعته فدفع الى غلمانه وانصرفوا وهم لايشكون انه مقيم عند إيتاخ ثم سُوهر ومُنع النوم وسئل عن شئ يعذّب به فدلّ على تنور من خشب فيه مسامير قيام فحدّثت عن أحمد بن أبي دؤاد انه قال هو أول من أمر بعمل التنور فابتلى به لصحة المثل كما تدين تدان وان شئت من بُر يوما بُرّ به وان شئت من حفر حفرة هوى فيها فعذّب فى التنور فحدّث الموكل بعذابه فقال كنت أخرج وأقفل عليه الباب فيمدّ يديه الى السماء جميعاً حتى يدق موضع كتفيه ثم يدخل التنور ويجلس وفى التنور مسامير حديد وفي وسطه خشبة معترضة يجلس المعذّب عليها اذا أراد أن يستريح .. قال المعذّب له فخاتلته يوما وأريته اني قد أقفلت عليه ثم مكثت قايلا ودفعت الباب فاذا هو قاعد فقلت أراك تفعل هذا فكنت اذا خرجت شددت خناقه فما مكث بعد ذلك الا أياما حتي مات فوُجد على حائط البيت الذي كان فيه من قبل التنور

لَعِبَ البلي بمعالمي ورُسومي ودُفنتُ حياً تحتَ رَدْم غموم
وشكوتُ غمّي حين ضقتُ ومن شكا كرْباً يضيقُ به فغيرُ مَلوم
لزمَ البلي جسمي وأوهنَ قوُتي انّ البلى لموكلٌ بلزُومي
أبُنيق قلّي بكاءكِ واصبرى فاذا سمعتِ بهالكٍ مغموم
فانعَيْ أباكِ الى نسائكِ واقعدى فى مأتمٍ يُبكي العيونَ وقومي
قولى له ياغائباً لايُرتجى حتى القيامة مُخبراً بقدُوم
ياعين كنتِ وما أكلّفُكِ البكا حتى ابتُليتِ فانْ صبرْتِ فدُومي

وقال في التنور الذي عذّب فيه

هِيضَ عظمى الغداةَ اذْ صرتُ فيه انّ عظمى قد كانَ غيرَ مَهيضِ
ولقد كنتُ أنطقُ الشعرَ دَهراً ثم حالَ الجريضُ دونَ القريضِ

وله أيضاً وهو يعذّب فى التنور وقيل انه آخر ماقاله

تمكّنتَ من نفسى فأزمعتَ قتلها وأنت رَخيُّ البالِ والنفسُ تذهبُ

كعصفورة في كف طفل يسومها ورود حياض الموت والطفل يلعب
فلا الطفل يدري مايسوم بكفه وفي كفه عصفورة تتضرب

قال وكان اسماعيل بن القاسم في حبس الرشيد فكتب اليه بسوء حاله فكتب في رقعته ليس عليك بأس فكتب اليه

أرقت وطار عن عيني النعاس ونام السامرون ولم يؤاسوا
أمين الله أمنك خير أمن عليك من التقي فيه لباس
تساس من السماء بكل بر وأنت به تسوس كما تساس
كأن الخلق ركب فيه روح له جسد وأنت عليه راس
أمين الله ان الحبس بأس وقد أرسلت ليس عليك باس

فأمر باطلاقه وصلته •• قيل انه لما غضب المتوكل على سليمان والحسن ابني وهب قال الحسن

أقول والليل ممدود سرادقه وقد مضى الثلث منه أو قد انتصفا
يارب ألهم أمير المؤمنين رضى عن خادمين له قد شارفا التلفا
لئن يكونا أساءا في الذي سلفا فلن يسيئا باذن الله مؤتنفا

فرضي عنهما وأمر باطلاقهما •• قال الكسروي وقع كسرى بن هرمز الى بعض المحتبسين من صبر على النازلة كان كمن لم تنزل به ومن طول له في الحبل كان فيه عطبه ومن أكل بلا مقدار تلفت نفسه •• ووقع بعضهم لمحبوس سأل الاطلاق أنت الى الاستيثاق أحوج منك الى الاطلاق وأنشد في هذا المعنى

ألا أحد يدعو لأهل محلة مقيمين في الدنيا وقد فقدوا الدنيا
كأنهم لم يعرفوا غير دارهم ولم يعرفوا غير الشدائد والبلوى

•• وقال أعرابي

ولما دخلت السجن كبر أهله وقالوا أبو ليلى الغداة حزين
وفي الباب مكتوب على صفحاته بأنك تنزو ساعة وتلين

•• ولابن المعتز

تعلمتُ في السجن نسجَ التكك ۞ وكنتُ امرا قبلَ حبسي مَلِكْ
وَقُيِّدتُ بعدَ ركوب الجيادِ ۞ وما ذاكَ الاّ بدوْرِ الفلكْ
ألم تبصر الطيرَ في جوّه ۞ يكادُ يُلامسُ ذاتَ الحُبُكْ
اذا أبْصَرتْهُ خطوبُ الزما ۞ ن أوقعنهُ في حبالِ الشرَكْ
فهاذاكَ منْ حالقٍ قدْ يصادُ ۞ ومنْ قعر بحرٍ يُصادُ السمكْ

•• ووجدنا فى أرض البيت الذى قتل فيه بخطه

يانفسُ صبراً لعلَّ الخيرَ عقباكِ ۞ خانتْكِ من بعد طول الأمن دنياكِ
مرَّتْ بنا سحراً طيرٌ فقلتُ لها ۞ طُوباكِ ياليتنى إيّاكِ طوباكِ

•• قال وكتب يحيى بن خالد البرمكي الى الرشيد من الحبس لأمير المؤمنين وخلف المهديين وخليفة رب العالمين من عبدٍ أسلمته عيوبه وأوبقته ذنوبه وخذله شقيقه ورفضه صديقه وزال به الزمان ونزل به الحدثان وحلَّ به الضيق بعد السعة والشقا بعد السعادة وعالج البؤس بعد الدعة ولبس البلاء بعد الرخاء وافترش السخط بعد الرضى وا كتحل السهود وفقد الهجود ساعته شهر وليلته دهر قد عاين الموت وشارف الفوت جزعا ياأمير المؤمنين قدَّمني الله قبلك من مَوْجِدتك وأسفاً على ماحُرمته من قربك لاعلى شيء من المواهب لأن الأهل والمال انما كانا لك وعارية في يدى منك والعارية لابدَّ مردودة فأما مااقتصصته من ولدى فبذنبه وعاقبته بجرمه وجريرته على نفسه فانما كان عبداً من عبيدك لاأخاف عليك الخطأ فى أمره ولا ان تكون تجاوزت به فوق ماكان أهله ولا كان مع ذلك بقاؤه أحبَّ اليَّ من موافقتك فتذكر ياأمير المؤمنين جعلنى الله فداك وحجب عنى فقدَك كِبَرَ سنى وضعف قوَّتى وارحم شيبتى وهبْ لي رضاك عنى ولْتَملْ اليَّ بغفران ذنبي فمنْ مثلي ياأمير المؤمنين الزلل ومن مثلك الاقالة ولست أعتذر اليك الا بما تحبّ الاقرار به حتى ترضى فاذا رضيت رجوتُ ان يظهر لك من أمرى وبراءة ساحتى مالا يتعاظمك معه مامننت به من رأفتك بى وعفوك عنى ورحمتك لى زاد الله في عمرك ياأمير المؤمنين وقدّمنى للموت قبلك وكتب فى أسفله

قُلْ للخليفةِ ذِي الصَّنا ئعِ والعطايا الفاشيَهْ
وابنِ الخلائفِ مِنْ قُرَيْـ ـشٍ والملوكِ الهاديَهْ
مَلِكِ الملوكِ وخيرِ مَنْ ساسَ الأمورَ الماضيَهْ
إنَّ البرامكةَ الذيـ ـنَ رُمُوا لَدَيْكَ بداهيَهْ
عَمَّتْهُمُ لكَ سُخْطَةٌ لَمْ تُبْقِ مِنْهُمْ باقيَهْ
فكأنَّهُمْ ممَّا بِهِمْ أعجازُ نخلٍ خاويَهْ
صُفْرُ الوُجوهِ عليهمُ خِلَعُ المَذَلَّةِ باديَهْ
مُتَفَرِّقِينَ مُشَتَّتِيـ ـنَ بكلِّ أرضٍ قاصيَهْ
بَعْدَ الإمارةِ والوزا رةِ والأمورِ السَّاميَهْ
ومنازلٍ كانوا بها فَوْقَ المنازلِ عاليَهْ
وتَحَرُّمٍ برضاعٍ أوْ في مُرْضِعٍ لكَ فاديَهْ
فاليَوْمَ قد رُمُوا لَدَيْـ ـكَ بما يُشيبُ النَّاصيَهْ
أضْحَوْا وجُلُّ مُناهُمُ منكَ الرِّضى والعافيَهْ
فإذا رَضيتَ فإنَّ أنْـ ـفُسَهُمْ بحكمِكَ راضيَهْ
فاليَوْمَ قد سَلَبَ الزَّما نُ كرامتي وبَهائيَهْ
واليَوْمَ قد ألقى الزَّما نُ جِرانَهُ بِفِنائيَهْ
ورَمى سَوَادًا مُقْلَتي فأصابَ حينَ رَمانيَهْ
يا مَنْ يَوَدُّ لِيَ الرَّدَا يكفيكَ وَيْحَكَ ما بِيَهْ
يكفيكَ ما أبصرْتَ مِنْ ذُلِّي وذُلِّ مكانيَهْ
يكفيكَ أنِّي مُسْتَبا حٌ مَعْشَري ونِسائيَهْ
ورُزِئْتُ مالِي كُلَّهُ وفَدَى الخليفةَ ماليَهْ
إن كانَ لا يُرْضيكَ إ لاَّ أنْ أذُوقَ حِمامِيَهْ
فلقد رأيتُ الموتَ مِنْ قَبْلِ المماتِ علانيَهْ
وفُجِعْتُ أعظمَ فَجْعَةٍ وفَنِيتُ قبلَ فنائيَهْ

ولَبستُ أثوابَ الذليـــلِ ولم تكُنْ بِلِباسِيَهْ
وعطِبتُ في سُخْطِ الاما مِ على رفيع بِنائِيَهْ
فانظُرْ بعينِكَ هل ترى الاَّ قُصوراً خالِيَهْ
وذخائراً مَقسُومَةً قُسِمْنَ قبلَ مماتِيَهْ
وحرائراً من بين صا رِخَةٍ عليَّ وباكِيَهْ
ونوادِباً يَنْدُبْنَنِي تحتَ الدُّجى بكُنائِيَهْ
يَابا علِيٍّ البرْمكـــيّ فما أُجيبُ الدَّاعِيَهْ
وبكاؤُهنَّ وقد سمعـــتُ مُقلقِل أحشائِيَهْ
أخليفةَ اللهِ الرِّضى لا تُشمِتَنْ أعدائِيَهْ
أُذكُرْ عُهُودَكَ لي وما أعطيتني بوفائِيَهْ
أُذكُرْ مُقاساتي الأمو رَ وخِدمتي وغنائِيَهْ
ارحَمْ جُعِلْتُ لك الفِدا كِبَرِي وشِدَّةَ حالِيَهْ
ارحَمْ أخاك الفضل والـــسابِقينَ مِنْ أولادِيَهْ
فلقد دعَوْكَ وقد دعَوْ تُكَ إن سمعتَ دُعائِيَهْ
أخليفةَ الرَّحمنِ ا نك لو رأيتَ بناتِيَهْ
وبكاء فاطمةَ الكئيـــبةَ والمدامعُ جارِيَهْ
ومقالها بِترَجُّعٍ وَاشقوتا وشَقائِيَهْ
مَنْ لي ولا مَنْ لي وقد قَصَمَ الزَّمانُ قناتِيَهْ
وعَدِمتُ صفوَ معيشتي وتغيَّرَتْ حالاتِيَهْ
مَنْ لِي وقد غضِبَ الزَّما نُ على جميعِ رجالِيَهْ
أودَى الزَّمانُ بجَوْرِهِ بِساتي وحُماتِيَهْ
يا عطفةَ الملِكِ الرِّضى عُودِي علينا ثانِيَهْ

فوقع الرشيد في رقعته ﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قريةً كانت آمنةً مُطمئنةً يأتيها رزقُها رغدًا مِن كلِّ مكانٍ فكفَرَت بأنعُمِ اللهِ فأذاقَها اللهُ لباسَ الجوعِ والخوفِ بما كانوا يصنعونِ ﴾

وقد قلت

يا آلَ بَرْمَكَ انما كُنتُمْ مُلوكاً عاديَهْ
فطغيتُمُ وبغَيتُمُ وكفرتُمُ نَعْمائيَهْ
هذا عقوبةُ مَنْ عصى مَنْ فَوْقَهُ وعصانيَهْ
كنتم كشيء قد مضى أحلامَ نَوْمٍ ساريَهْ

وتمثّل بقول مُهَلهِل

باتَ لَيْلِي بالأُنعَمَينِ طويلاَ أرْقُبُ النَّجمَ ساهراً أن يزولا
أزْجُرُ العَيْنَ أن تُبكّي الطُلُولاَ انّ في الصَّدْر مِنْ كُليبٍ غَليلا
انّ في الصَّدْر غُلّةً لَنْ تقَضّى ما دَعا في الغُصُونِ داعٍ هديلا
لم يُطيقُوا أنْ ينزِلوا فنزلنا وأخو الحربِ من أطاق النزولا

قال أبو أحمد بن القاسم بن واضح رحمه الله كان محمد بن الواثق وهو المهتدى بالله قبل الخلافة يكثر عنــد المعتز بالله الجلوس والخلافة يومئذ بسُرَّ من رأى فيرجع المعتز الى قول محمد في أموره وما يمضيه ويبرمه وكان كثير المعارضة لأُم المعتز فيما تأمر به وتنهى فلم تزل بالمعتز الى ان أمر باحداره الى مدينة السلام على كرهٍ منه فلما أمر بذلك كان وزيره أحمــد بن اسرائيل منحرفاً عن محمــد بن الواثق وأحب أن يخرجه مع حُرَمه نهاراً ليسوءه ويضَعَ منهُ فسأل محمد بن الواثق القاسم بن واضح لحالٍ كانت بينهما وزُلفةٍ كانت له عنــده متقدمة أن يدخــل مع صاحبه المعروف بالطوسي ويسأله أن يخرجه وحُرَمه ليلاً ففعل وكلم أحمد بن اسرائيل ورققه ولاطفَهُ فغضب أحمد واحتدَّ وكان غير حافظ للسانه قايل الفكر في العواقب متهوّراً فأطلق لسانه بكلام بَشِعٍ قبيح وقال من هو ومن بناته وحُرَمه الكذا الكذا حتى لا يخرجون نهاراً فقال القاسم ليت ان رجلي انكسرت ولم أحضر هذا المجلس وقام معه الطوسي رسول محمــد بن الواثق وما زال يسأله أن لا يرد خــبر المجلس ولا يحكي الكلام الذى بدر من أحمــد بن اسرائيل فوعده وخالفه لما فارقه ولم يصبر حتى مضى فحكاه لمحمد بن الواثق وأحدر محمــد مع حُرَمه نهاراً الي مدينة السلام فوقر ذلك في نفس محمد وحقده على أحمد بن اسرائيل

فلم يمض إلاّ القيل حتى قعد محمد بن الواثق فى الخلافة بعد قتل المعتز وكان رجلاً تقياً مُتأَلِّهاً يؤثر العدل والانصاف ويتحرَّج ويحب اظهار السنن الحسنة واقامة الدين على شرائعه المستوية واعلامه القديمة من الخلفاء الذين عدلوا الاّ أن أيامه قصرت وكان الأتراك قد غلبوا على الخلافة لكثرة معارضتهم للخلفاء واضعافهم أيديهم وابهائهم أمرهم فأمر لما ولى الخلافة بالقبض على أحمد بن اسرائيل وأبى نوح الكاتب والحسن ابن مخلد وكانت عليهم تدور دولة المعتز من قبله ورسم أن يضرب أحمد بن اسرائيل بباب العامة ألف سوط فان مات والاّ زيد ضرباً حتى يتلف وذلك لما كان منه من القول الذى كان سبب تلفه فراسل أحمد القاسم بن واضح في أن يشفع له الي المهتدى ففعل وكتب اليه رقعة وصلت مع خادم له اسمه مستطرف فوقع المهتدى هذا رجل لنا فى جنبه حدود أنت شاهد ببعضها ولا سبيل الى الصفح عنه وكان ذلك تذكيراً له بأمر المجلس وقول أحمد ما قاله فيه وفى حُرَمه وضرب أحمد الى ان تلف ثم كلم المهتدى في أمر أبي نوح الكاتب والحسن بن مخلد فقال لأبى نوح حرمةٌ وهي ان أمه كانت تهدى الينا كامخاً كالناطف المعقود وزيتوناً كأمثال البيض فأطلِقوا عنه وأما الحسن بن مخلد فقد بلونا منه نصحاً وميلا فردوه الى منزلته وتخاصا جميعاً وعادا فى الأمر وكان المهتدى فصيحاً شجاعاً فطناً عارفاً بالتدبير لو أُمهل ولم تعجل الأتراك الى قتله وكان خرج يوماً في هَيجٍ لهم وبيده المقرب سيف عمر بن الخطاب رضى الله عنه وحمل على الأتراك ووسط منهم جماعة قدّهم وقطعهم وكان اذا جلس للمظالم أمر بان توضع كوانين الفحم فى الأزِقة والمنازل عند تحرك البرد فاذا دخل المتظلم أمر بان يدفأ ويجلس ليسكن ويثوب اليه عقله ويتذكر حجته ثم يدنيه ويسمع منه ويقول ه‍ق يلحن المتظلم بحجته اذا لم يفعل به هذا وقد تداخلته رهبةُ الخلافة وألم البرد وكان الغالب على أمر الخلافة في أيامه وصيفٌ الكبير وداره معروفة بمدينة السلام فى مربعة الحرسي الى اليوم

---

*

محاسن الحبس

لعليّ بن الجهم

قالتْ حُبستَ فقلتُ ليس بضائري — حبسي وأيُّ مُهنَّدٍ لا يُغمَدُ
أوَما رأيتِ الليثَ يألف غِيلَهُ — كِبْراً وأوباشُ السِّباعِ تردَّدُ
والنارُ في أحجارها مخبوءةٌ — لا تصطلَى ان لم تُثِرْها الأزنُدُ
والبدرُ يُدرِكُهُ السِّرارُ فتنجلي — أيامُهُ وكأنَّهُ متجدِّدُ
والزاعبيَّةُ لا يُقيمُ كُعوبَها — الاّ الثِّقافُ وجَذوةٌ تتوقّدُ
غِيَرُ الليالي بادئاتٌ عُوَّدٌ — والمالُ عاريةٌ يُفادُ ويَنفَدُ
ولكلِّ حالٍ مُعقِبٌ ولرُبّما — أجلى لكَ المكروهُ عما تحمَدُ
لا يؤيِسنَّكَ مِنْ تفرُّجِ كُرْبةٍ — خطبٌ أتاكَ به الزمانُ الأنكَدُ
كم من عليلٍ قد تخطّاهُ الرَّدى — فنَجا وماتَ طبيبُهُ والعُوَّدُ
صبراً فان اليومَ يتبعُهُ غدٌ — ويَدُ الخليفةِ لا تُطاوِلُها يَدُ
والحبسُ مالم تغشَهُ لِدَنيّةٍ — تُزْري فنِعمَ المنزلُ المُتورَّدُ
لو لم يكن في الحبسِ الاّ أنه — لا يستذلُّكَ بالحجابِ الأعبُدُ
بَيتٌ يُجَدِّدُ للكريمِ كرامةً — ويُزارُ فيه ولا يَزُورُ ويُحمَدُ
يا أحمدَ بنَ أبي دُؤادٍ انما — تُدعى لكلِّ عظيمةٍ يا أحمدُ
أبلغ أميرَ المؤمنينَ ودُونَهُ — خَوضُ العِدَى ومَخاوِفٌ لا تَنفَدُ
أنتمْ بنو عمِّ النبي محمدٍ — أوْلى بما شرَعَ النبي محمدُ
ما كان من حَسَنٍ فأنتمْ أهلُهُ — طابَتْ مغارِسُكمْ وطاب المَحتِدُ
أمن السَّويّةِ يا ابنَ عمِّ محمدٍ — خَصْمٌ تُقَرِّبُهُ وآخرُ تبعِدُ
ان الذين سعَوْا اليكَ بباطلٍ — أعداءُ نعمتك التي لا تُجحَدُ
شَهِدُوا وغِبنا عنهُمُ فتحكَّمُوا — فينا وليسَ كغائبٍ مَنْ يشهَدُ
لو يجمَعُ الخصماءَ عندك مجلسٌ — يوماً لبانَ لكَ الطريقُ الأقصدُ

والشمسُ لولا أنها محجوبة عن ناظريك لما أضاء الفرقدُ

•• قال فعارضه عاصم بن محمد الكاتب لما حبسه أحمد بن عبد العزيز بتغيير حولة له فقال

قالتْ حُبستَ فقلتُ خطبٌ أنكدُ أنحى عليَّ به الزمانُ المرصدُ
لو كنتُ حراً كان سربي مطلقاً ما كنتُ أوخذُ عنوةً وأقيّدُ
أو كنتُ كالسيفِ المهنّدِ لم أكنْ وقتَ الشديدةِ والكريهةِ أغمدُ
أو كنتُ كالليثِ الهصورِ لما رعتْ فيَّ الذئابُ وجذوتي تتوقّدُ
من قالَ إنَّ الحبسَ بيتُ كرامةٍ فمكابرٌ في قوله متجلدُ
ما الحبسُ الاّ بيتُ كلّ مهانةٍ ومذلّةٍ ومكارهٍ ما تنفدُ
انْ زارني فيه العدوّ فشامتٌ يُبدي التوجُّعَ تارةً ويُفنّدُ
أو زارني فيه الصديقُ فموجعٌ يُذري الدموعَ بزفرةٍ تتردّدُ
يكفيكَ أنّ الحبسَ بيتٌ لاترى أحداً عليه من الخلائق يُحسدُ
عشنا بخيرِ برهةً فكبا بنا ريبُ الزمان وصرفهُ المتردّدُ
قصُرتْ خُطايَ وما كبرتُ وانما قصُرتْ لأني في الحديد مُصفّدُ
في مُطبقٍ فيه النهارُ مشاكلٌ لليل والظلماتُ فيه سرمدُ
تمضي الليالي لا أذوقُ لرقدةٍ طعماً فكيفَ حياةُ من لا يرقدُ
فتقولُ لي عيني الى كم أسهدُ ويقولُ لي قلبي الي كم أكمدُ
وغذايَ بعدَ الصومِ ماءٌ مفرد كم عيشُ من يغذوهُ ماءٌ مفردُ
واذا نهضتُ الي الصلاة تهجُّراً جذبتْ قيودي ركبتيّ فأسجدُ
فالي متى هذا الشقاءُ مؤكدٌ والى متي هذا البلاء مجدّدُ
يارِبِّ فارحمْ غربتي وتلافني اني غريبٌ مفردٌ متلدّدُ
مالي مجيرٌ غيرُ سيدي الذي مازالَ يكفلُني فنعمَ السيدُ
غذيتُ حشاشةُ مهجتي بنوافلٍ من سيبه وصنائعٍ لاتجحدُ
عشرينَ حولاً عشتُ تحتَ جناحه عيشَ الملوك وحالي تزيّدُ

انْ حدثتُ عن قصد المحجة قالَ لي ... مهلاً فذاك هو الطريقُ الأقصدُ
فيرُدني بترفّقٍ نحو التي ... فيها السلامةُ والسبيلُ الأرشدُ
فبَعُدتُ عنهُ مجبراً متكرّهاً ... الله يعلمُ ما أقولُ ويشهدُ
وخلا العدوّ بموضعي من قلبه ... فحشاهُ جمراً نارُهُ ماتخمدُ
هبني أسأتُ فلم حقدتَ اساءتي ... ما ان عهدتكَ مذ صحبتك تحقدُ
بل كنتَ تغتفرُ الذنوب تكرماً ... وتَظَلُّ تعفو دائماً وتغمّدُ
فاغفرْ لعبدك ذنبهُ متطوّلا ... فالحِقدُ منك سجيّة لاتُعهدُ
واذكرْ خصائصَ حُرمتي ومَقاوِمي ... أيامَ كنتَ جميع أمري تحمدُ
ياأحمد بن محمد ياذا الندى ... دُمْ لي على ما كنتَ لي ياأحمدُ
لا تُشمِتنَّ بيَ العدُوَّ وحلّني ... ببياض وجهك انّ وجهي أسودُ

•• ولغيره

الى الله فيما نابنا نرْفعُ الشكوى ... ففي يده كشفُ الضرورة والبلوي
خرجنا من الدنيا ونحنُ من اَهلها ... فلسنا من الأحياء فيها ولاالموتى
اذا دخل السجّانُ يوماً لحاجةٍ ... عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
ونفرحُ بالرؤيا فجلُّ حديثنا ... اذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا
فانْ حَسنتْ كانت بَطياً مجيئها ... وان قبحتْ لم ننتظر وأتتْ عجلاً

محاسن بر الآباء

حكي عن ميمون بن مهران انه قال كنت عند عمر بن عبد العزيز فوجدته يكتب الى ابنه عبد الملك أما بعد فان أحق من وَعى عني وفهم قولي أنت وان الله وله الحمد قد أحسن الينا في لطيف أمرنا وجليله وعلى الله جلّ وعزّ تمام النعمة فاذكر يابني فضل الله عليك وعلى أبيك فانك ان استطعت ان تصدّق ذلك كله بعمل تعمله وصلاة أو صوم أو صدقة قبل ذلك منك واياك والعزة والعظمة والكبرياء فانه من عمل

الشيطان وهو عدوٌّ مضلٌّ مبين ﴿ وانَّ النفسَ لأَمَّارةٌ بالسوءِ الّا مارحم ربى انْ ربى لغفورٌ رحيمٌ ﴾ واعلم ان الشباب الا ما وقي الله ودفع عونٌ على أمور كثيرة من السوء وفيه لعمرى معونة كثيرة على الخير لمن رزقه الله فاحذر شبابك واياك وان تعلم فى قلبك زُهُوًّا أو كبراً فانه مالم يكن من ذلك كان خيراً واحفظ لسانك ونفسك حفظاً ترجو فيه رحمة الله جلَّ وعزَّ ومغفرته واذكر صغر أمرك وحَقارة شأنك ولا تبغ فيما أعجبك من نفسك وفيما عسيت ان تفرُط فيه مما ليس معه غير الفكرة فى أمرك وأمره وليس كتابى هذا لان يكون بلغنى عنك الا خيراً غير انه قد بلغنى عنك شئٌ من بعض إعجابك بنفسك ولو بلغنى ان ذلك خرج عنك الى أمر كرهته لبلغك عنى أمر يشتدّ عليك كراهته وعرّفت مع ذلك ان الشباب والحرص والنعمة يحمل ذلك كله على أمر شديد الا ماوقي الله ودفع فكن يابنى على حذر فان الشيطان قلّ مايصيب فرصته بمن احترس منه بدعاء الله جلّ اسمه والتواضع له وأكثر تحريك لسانك فى ليلك ونهارك بذكر الله فان أحسن ماوصلت به حديثاً حسناً ذكر الله جلّ اسمه وأحسن ماقطعت به حديثاً سيئاً ذكر الله تبارك وتعالى وأعن على نفسك بخير نسأل الله لنا ولك حسن التوفيق والسلام .. قال ميمون ثم قال لى عمر ان ابني عبد الملك قد زين فى عينى وأنا متهم لنفسى فيه وأخاف أن يكون هواى فيه قد غلب على علمي به وأدركنى مايدرك الوالد من الاشفاق على ولده فأته واسبره ثم ائتنى بعلمه ثم انظر هل ترى منه مايشا كل النخوة فانه غلام حَدَثٌ ولا آمن عليه الشيطان قال ميمون فخرجت الي عبد الملك حتى قدمت عليه فاستأذنت ودخلت فاذا غلام ابن ست عشرة سنة جالس على حشيّة بيضاء أحسن الناس تواضعاً واذا مرافق بيضٌ وبساط شعر فرحّب بي ثم قال قد سمعت أبى يذكر منك ماأنت أهله واني أرجو أن ينفع الله بك وقد حسبت أن يكون قد غرّنى من نفسى حسن رأى والدى فىّ وما بلغت من الفضل كل مايذكر وقد حذرت أن يكون الهوى قد غلبه على علمه فأكون أحد آفاته قال ميمون فعجبت من اتفاقهما فقلت له اعلمنى من أين معيشتك قال من عطاى ومن غلّة زراعة اشتريت عن ظهر يدٍ ممن ورثها عن أبيه فوهبها لي فأغنانى بها عن فيْ المسلمين قال فقلت فما

طعامك فقال ليلة لحم وليلة عدسٌ وزيت وليلة خل وزيت وفى هذا بلاغ قال فقلت له أفما تعجبك نفسك فقال قد كان فيَّ بعض ما كان فلما وعظنى أبى فى كتابه بصَّرنى نفسى وما صغر من شأنى وحقّر من قدرى فنفعني الله جلّ وعزّ بذلك فجزاه الله من والد خيراً فقعدت ساعة أحدّثه وأتسمّع من منطقه فلم أر فتىً كان أجل وجهاً ولا أكمل عقلا ولا أحسن أدباً على صغر سنه وقلة تجربته منه قال ميمون فلما كان آخر ذلك أتاه غلام فقال أصلحك الله قد فرغنا قال فسكت فقلت ماهذا الذي فرغ منه قال الحمام أخلاهُ لي قال فقلت لقد كنت وقعت منى كل موقع حتى سمعت هذا قال فاسترجع وذعر وقال وما ذاك ياعمّ يرحمك الله قلت الحمام لك قال لا قلت فما دعاك الى ان تطرد عنه غاشيته كأنك تريد بذلك الكبر فتكسر على صاحب الحمام غلّته ويرجع من أتاه خائباً قال أما صاحب الحمام فانى أراضيه وأعطيه غلة يومه قال قلت هذه نفقة سرف خالطها الكبر وما يمنعك ان تدخل الحمام مع الناس وانما أنت كأحدهم قال يمنعنى من ذلك ان أرى عورة مسلم ورعاعٌ من الناس يدخلون بغير أزُر فأكره رؤية عوراتهم وأكره ان اجبرهم على أزر فيضعون ذلك منى على حدّ هذا السلطان الذى خلّصنا الله منه كفافاً فعظنى رحمك الله عظة أنتفع بها واجعل لى مخرجاً من هذا الأمر فقلت له ادخله ليلا فاذا رجع الناس الى رحالهم خلا لك الحمام قال لاجرم لاأدخله نهاراً أبداً ولولا شدّة برد بلادنا هذه مادخلته أبداً فأقسمت عليك لتطوينّ هذا الخبر عن أبى فانى أكره أن يظلّ علىّ ساخطاً ولعلّ الأجل يحول دون الرضى منه .. قال فأردت أن أسبر عقله فقلت ان سألى هل رأيت منه شيئاً تأمرنى ان أكذبه قال لا معاذ الله ولكن قل رأيت شيئاً فعظته عنه وسارع الى ماأردت من الرجوع فانه لايسألك عن التفسير لأن الله جلّ وعزّ قد أعاذه من بحث ماستر .. قال ميمون فلم أر والداً قط ولا ولداً قط رحمة الله وبركاته عليهما مثلهما .. وذكروا ان ضرار بن عمرو الضبيّ ولد له ثلاثة عشر ابناً كلهم بلغ ورأس فاحتمل ذات يوم فلما رأى بنيه رجالا معهم أهاليهم وأولادهم سرّه مارأى من هيأتهم ثم ذكر نفسه وعلم انهم لم يبلغوا ذلك حتى أسنّ هو ورقّ وضعف فقال من سرّه بنوه ساءته نفسه

فذهبت مثلا .. قيل ودخل الأمين على أبيه الرشيد وقد عُرضت له وصيفة جميلة فلم يزل محمد ينظر اليها وفطن له أبوه فقال يامحمد ماترى في هذه الوصيفة قال ماأرى بأساً قال فقل لك فيها .. قال أمير المؤمنين أحق بها مني قال فقد آثرك على نفسه فخـذها فأخذها فقال الرشيد

ولي ولدٌ لم أعصه مُذ ولدتهُ ولاشكّ في برّي به مُذ ترعرعا
تخـيرتهُ للملك قبلَ فِطامهِ وأقطعتهُ الدنيا فطيماً ومُرضعا
فلا الملكُ يخلو باعهُ من محمدٍ ولا هوَ منهُ بل هما هكذا معا

فنهض محمد ومعه الجارية فاتبعه طرفه فلما غاب قال

وانما أولادُنا بيننا أكبادُنا تمشي على الارض

وحكي عن بعض الاعراب انه كان يرقص ولده ويقول

كأنما ريحُ الولدْ ريحُ الخزامي بالبلدْ
أهكذا كل ولدْ أمْ لم يلد قبلي أحدْ

محاسن تأديب الولد

قيل نظر ابن عباس رحمه الله الى بعض ولده نائماً بالغداة فركلهُ برجله ثم قال قُمْ لا أنام الله عينك أتنام في وقت يقسم الله جل وعز فيه الأرزاق أو ما علمت انها النومة التي قالت العرب فيها مكسلة ومانعـة للحوائج وقد قيـل النوم على ثلاثة أوجهٍ خُرُق وحُمق وخُلُق فأما الخُرُق فنوم الضحي شغل عن أمر الدنيا والآخرة والحُمق النوم بين العصر والمغرب فانه لا ينامها إلاّ أحمق أو عليل أو سكران وأما الخلق فنوم الهاجرة الذي أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قال قيلوا فان الشيطان لا يقيل وقيل ان نوم الغداة يمحق الرزق ويورث الصُفار والكسل والبخَر .. وذكروا عن عبدالملك ابن مروان انه مات بعضُ ولده فجاءه الوليد ابنه وهو صغير فعزّاه فقال يا بُنيَّ لمصيبتى فيك أعظم وأفدحُ من مصيبتى بأخيك ومتى رأيت ابناً عزّى أباه فقال ياأمير المؤمنين

أمي أمرتني بذلك قال يا بُنيّ أهون عليّ وهو لعمري من مشورة النساء

مساوى جفاء الآباء

قال قال رجل لابنه يا ابن الزانية فقال (الزانية لاينكحها إلاّ زانٍ أو مشرك) •• وقال آخر لابنه يا بن الزانية قال لا تفعل لقد كنت أحفظ لأهلك من أبيك لأهله •• قل وقال اعرابي لابنه

وأُمّك قد روّيتُها فشفيتُها . على حاجةٍ مني وعَينُك تنظُرُ

•• فأجابه

وجَدِّي قد روّى عجوزاً فباتها فما كنت ترعاهُ وما كنت تشكُرُ

•• وقال بعض الاعراب في بنيه

إنّ بنيّ خيرُهُمْ كالكلب ألأَمُهمْ أولُهمْ بِسبّي
لم يغْنِ عنهمْ أدبي وضربي فليتني كنتُ عقيم الزبّ
* أو ليتني مِتُّ بغير عَقب *

وقيل لاعرابي وقد تزوّج بعد ما كبر وأسن لِمَ تأخرت عن التزوّج قال أبادر ابني باليُتم قبل ان يسبقني بالعقوق •• قال وقال رجل لأبيه يا أبتاه ان عظيم حقك لا يُبطل صغير حقي ولا أقول اني واياك بالسواء ولكن الله جل وعز لا يحب الاعتداء

محاسن بر الأبناء بالآباء والأمهات

عن طاوس عن أبيه قال كان رجل له أربعة بنين فرض فقال أحدهم إمّا أن تمرّضوهُ وليس لكم من ميراثه شئ وإمّا أن أمرضه وليس لي من ميراثه شئ قالوا بل تمرّضه وليس لك من ميراثه شئ فمرّضه حتى مات ولم يأخذ من ميراثه شيئاً قال فأُتي في النوم فقيل له آئت مكان كذا وكذا نخذ منه مائة دينار فقال أفيها بركة قالوا لا فلما

أصبح ذكر ذلك لامرأته فقالت خذها فان من بركتها أن نكتسي منها ونعيش بها فلما أمسي أتى في النوم فقيل له آئت مكان كذا وكذا فخذ منه عشرة دنانير فقال أفيها بركة قالوا لا قال فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته فقالت له مثل ذلك فأبي أن يأخذها فأتي في الليلة الثالثة فقيل له آئت مكان كذا وكذا وخذ منه ديناراً فقال أفيه بركة قالوا نعم قال فذهب فأخذ الدينار ثم خرج به الى السوق فاذا هو برجل يحمل حوتين فقال بكمْ هما قال بدينار فأخذهما منه وانطلق بهما الي بيته فلما شقهما وجد في بطن كل واحدٍ منهما درّةً لم يَر الناس مثلها فبعث الملك يطلب درّة يشتريها فلم توجد إلاّ عنده فباعها بثلاثين وقراً ذهباً فلما رآه الملك قال ما تصلح هذه إلاّ بأختٍ فاطلبوا أختها ولو أضعفتم الثمن فجاؤوه وقالوا أعندك أختها ونعطيك ضعف ما اعطيناك قال نعم فاعطاهم الثانية بضعف ما باع به الأولى •• قال وذكر المأمون بر الأبناء بالآباء فقال لم أر أحداً أبر من الفضل بن يحي فانه بلغ من برّه بأبيه انهما حيث حُبسا كان الفضل يُسخنُ ليحي الماء لوضوءه لأنه كان يتوضأ بالماء السخن فمنعهم السجّان ذات ليلة من إدخال الحطب والليل بارد فقام الفضل حين أخذ يحي مضجعه الى قمقمٍ كان يسخن فيه الماء فملأه من الجبّ ثم جاء به الى القنديل فأدناه منه فلم يزل قائماً والقمقم في يده حتى أصبح وقد سخن الماء فأدناه من أبيه •• قال ولما وجه عمر بن الخطاب رضى الله عنه الجيش الى اليرموك قام اليه أمية بن الأسكر الكناني فقال يا أمير المؤمنين هذا اليوم من أيامي لولا كبر سني فقام اليه ابنه كلاب وكان عابداً زاهداً فقال لكني يا أمير المؤمنين أبيع الله نفسي وأبيع دنياي بآخرتي فتعلّق به أبوه وكان في ظل نخل له وقال لا تدع أباك وأمك شيخين ضعيفين ربّياك صغيراً حتى اذا احتاجا اليك تركتهما فقال نعم أتركهما لما هو خير لي فخرج غازياً بعد ان أرضى أباه فأبطأ وكان أبوه في ظل نخل له واذا حمامة تدعو فرخها فرآها الشيخ فبكي فرأته العجوز يبكي فبكت وأنشأ يقول

لمن شيخان قد نشدا كلابا ... كتاب الله إن ذكر الكتابا
أناديه ويعرضُ لي حنينٌ ... فلا وأبي كلابٌ ما أصابا
تركتَ أباك مُرْعِشةً يداهُ ... وأمك ما تُسيغُ لها شرابا

فان أباك حين تركتَ شيخٌ ... يُطاردُ أينُقاً شُزُباً جِذابا
اذا رُتِعن إرقالاً سِراعاً ... أثرن بكلّ رابيةٍ ترابا
طويلا شوقُهُ يَبكيك فرداً ... على حزنٍ ولا يرجو الايابا
اذا غنّتْ حمامةُ بطن وَجّ ... على بيضاتها ذَكرا كلابا

فبلغت هذه الأبيات عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأرسل الى كلاب فوافاه فقال انه بلغنى ان أباك وجد لفراقك وجداً شديداً فما ذا كنت تبرّه قال كنت أبرّه بكل شىء حتى أنى كنت أحلب له ناقة فاذا حلبتها عرف حلبى فأرسل عمر رحمه الله الى الناقة فجىء بها من حيث لا يعلم الشيخ فقال له احلبها فقام اليها وغسل ضرعها ثم حلبها فى إناء فأرسل عمر رحمه الله بالاناء الى أبيه فلما أُتى به بكي ثم قال إنى أجد فى هذا اللبن ريح كلاب فقلن له نسوةٌ كنّ عنده قد كبرت وخرفت وذهب عقلك كلاب بظهر الكوفة وأنت تزعم إنك تجد ريحه فأنشأ يقول

أعاذل قد عذلتِ بغير علمٍ ... وهل تدرى العواذل ما أُلاقى
سأستعدى على الفاروق ربا ... له حج الحجيج على اتّساق
انِ الفاروقُ لم يرْدُدْ كلاباً ... الى شيخين ما لهما تواقى

فقال له عمر اذهب الى أبيك فقد وضعنا عنك الغزو وأجرينا لك العطاء قال وتغنت الركبان بشعر أبيه فبلغه فأنشأ يقول

لعَمرُك ما تركْتُ أبا كلابٍ ... كبيرَ السِنّ مكتئباً مُصابا
وأُمّاً لا يزالُ لها حنينٌ ... تنادِى بعدَ رقدتها كلابا
لكِسبِ المالِ أوطلبِ المعالي ... ولكنى رجوْتُ بهِ الثوابا

وكان كلاب من خيار المسلمين وقُتل مع علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بصِفّين وعاش أبوه أميّة دهراً طويلاً حتى خرف فمر به غلام له كان يرعي غنمه وأميّة جالس يحثو على رأسه التراب فوقف ينظر اليه فلما افاق بصر بالغلام فقال

أصبحتُ لهواً لراعي الضأنِ أعجبهُ ... ماذا يُريبكَ منّى راعيَ الضأنِ
انعِقْ بضأنك فى أرضٍ بمخضَرةٍ ... من الأباطحِ واحبسْها بجلدانِ

إِيْقَ بِضَأْنِكَ إِنِّي قَدْ فَقَدْتُهُمُ ... بِيضَ الوجوه بَنِي عمي وإِخواني

قال وحدثني من سمع أعرابياً حاملاً أمه في الطواف وهو يقول

إني لها مطيَّةٌ لا أذعرُ ... اذا الرِّكابُ نفرَت لا أنفرُ

ما حملَتْ وأرضعَتني أكثرُ ... اللهُ ربي ذو الجلالِ أكبرُ

ثم التفت الى ابن عباس رحمه الله فقال له أتراني قضيتُ حقها فقال لا والله ولا طلقةً من طلقاتها .. قال ونحر اعرابي جزوراً فقال لامرأته أطعمي أمي منه فقالت أيها أطعمها فقال قطّعي لها الوَرِكَ قالت ظوهِرَت بشحمةٍ وبُطِّنَتْ بلحمةٍ لا لعمر الله قال فاقطعي لها الكتف قالت الحاملة للشحم من كل مكان لا لعمر الله قال فما تقطعين لها قالت اللحي ظوهرت بجلدة وبُطِّنت بعظم قال فزوّديها الى أهلك وخلّي سبيلها .. وروى أن الحسن بن عليّ رضوان الله عليه كان يمتنع من مؤاكلة أمه صلوات الله عليها فسئل عن ذلك وهو ابن ست سنين فقال أخاف أن تسبق يدي الى لقمةٍ تقع عينُها عليها فأكون قد عققتها

مساوى عقوق البنين

الأصمعي قال حدثني رجل من الاعراب قال خرجت من الحي أطلب أعقّ الناس وأبرّ الناس فكنت أطوف بالاحياء حتى انتهيت الى شيخ فى عنقه حبل يستقى بدلوٍ لا تطيقه الابل في الهاجرة والحر الشديد وخلفه شاب في يده رشاء من قدّ ملوى يضربه به قد شق ظهره بذلك الحبل فقلت أما تتقي الله في هذا الشيخ الضعيف أما يكفيه ما هو فيه من مدّ هذا الحبل حتى تضربه قال انه مع هذا أبي قلت فلا جزاك الله خيراً قال اسكت فهكذا كان يصنع هو بأبيه وكذا كان يصنع أبوه بجده فقلت هذا أعقّ الناس ثم جُلْتُ أيضاً حتى انتهيت الى شابٍ في عنقه زبيل فيه شيخ كأنه فرخ فيضعه بين يديه فى كلّ ساعةٍ فيزقّه كما يزق الفرخ فقلت له ماهذا فقال أبي وقد خرف فأنا أكفله قلت فهذا أبر العرب فرجعت وقد رأيت أعقهم وأبرهم .. قيل وكانت

الخيزُران في خلافة موسى الهادي كثيراً ماتكلمه في الحوائج فكان يجيبها الى كل ماتسئل حتى مضت لذلك أربعة أشهر من خلافته فاجتمع الناس اليها وطمعوا فيا قبلها فكانت المواكب تغدو الى بابها وتروح قال فكلمته يوماً في أمرٍ فاعتل بعلة فقالت لا بُدّ من إجابتي قال لا أفعل قالت فانّي قد تضمنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالكٍ قال فغضب وقال ويلي عليه ابن الفاعلة قد علمتُ انه صاحبها والله لا قضيتها له قالت إذاً والله لاأسألك حاجةً أبداً فقال إذاً والله لا أبالي وحَمِى وغضب ثم قال مكانك حتى تستوعي كلامي والله وإلاّ فانا نفي من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بلغني انه وقف ببابك أحد من قوّادي وخاصتي وخدمي لأضربن عنقه ولأقبضنّ ماله فمن شاء فليلزم ذلك ماهذه المواكب التي تغدو وتروح الى بابك في كل يوم أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكّرك أو بيت يصونك إيّاك ثم إيّاك أن تفتحي بابك لمِلّيٍ ولا ذِميّ فانصرفَتْ ماتعقل ماتطأ فلم تنطق عنده بحُلْوَة ولا بمرّة بعد ذلك ●● قال يحيى بن الحسن وحدثني أبي قال سمعت خالصة تقول للعباس بن الفضل بن الربيع بعث موسى الهادي الى أمه الخيزران بأرزّة فقال اشتهيتُها فأكلتها فكلي منها قالت خالصة فقلت امسكي حتى تنظر فانّي أخاف أن يكون فيها شيء فأرسل اليها بعد ذلك كيف رأيت الأرزة قالت وجدتها طيبة فقال لِمَ لَمْ تأكلي منها والله لو أكلتِ لقد كنت استرحت منك فما أفلح خليفةٌ له أم ●● قيل وضرب ابراهيم بن بهنك العكيّ ابنه فذهب الابن فوشي بأبيه الى الرشيد وذكر انه يريد اغتياله فدفعه الرشيد الى ابنه فقيده وحبسه في بيت ودعا بأمهات أولاده فجعل يشرب معهن ليغيظ أباه فاستبطأه الرشيد فدعا به وقال له ان كذبت على أبيك استرضيناه لك وان كنت صدقت فلست أرى فعالك تشاكل أفعال الصادقين فلما انصرف من عنده دخل على أبيه بالسيف فضربه حتى قتله ولذلك قيل شرّ المرزئة سوء الخلف ●● قال ولما خلع شيرويه بن كسرى أباه وهمّ بقتله قال لعظيم من عظماء مرازبته ادخل على أبي فاقتله فانطلق المرزبان حتى دخل على كسرى فأخبره بما أمر به ابنه فقال له كسرى انصرف فلست بصاحبي فانصرف المرزبان الى شيرويه فأخبره بمقالة كسرى فوجّه رجلا آخر فلما دخل قال له مثل مقالته الاول فانصرف ولم يصنع ●

شيئاً واعتلّ على شيرويه بأنه لم يطب نفساً بقتله فالتفت شيرويه الى فتى يسمى هُرْمز بن مردانشاه وكان أبوه يقال له فاذوسبان بابل وخُطرنية وقد كان كسرى سأل المنجمين قبل ذلك بعامين عن ميتته فأخبروه انها على يدى رجل يكون عظيم بابل فلما سمع ذلك وقعت تهمته على مردانشاه فكتب اليه يأمره بالقدوم عليه فلما قدم تجنى عليه ثم أمر بقطع يمينه فقطعت فتناولها بيده الأخرى ووضعها فى حجره وجعل يبكى وينتحب فسمع كسرى ذلك فرحمه ورقّ له فأرسل اليه انه قد ندم على ما كان منه وأمره ان يسأله حاجة تكون عوضاً من ذَهاب يده فأرسل اليه مردانشاه ان وثّق لى بالأيمان المحرّجة ففعل كسرى ذلك وعاهده ان يجيبه الى جميع ما سأل فأرسل اليه ان حاجتى ان تأمر بقتلى فلا خير فى الحياة بعد يمينى فأمر كسرى به فضربت عنقه فلما دخل ابنه هرمز على كسرى قال له من أنت قال أنا ابن مردانشاه فاذوسبان بابل فقال أنت لعمرى صاحبي كنت قتلت أباك ظلماً فدونك وما أمرت به وكان معه طبرزين فضرب به كسرى على عضده فلم يحك فيه لان كسرى كان فى عضده خرزة لا يعمل الحديد فيه من أجلها فضرب الشابّ بيده الى عضده وقطع تلك الخرزة ثم ضربه بالطبرزين حتى مات وانصرف الى شيرويه فأخبره فأمر بقتله ثم هلك شيرويه بعد قتل أبيه بثمانية أشهر وقد قالت الحكماء ومن جرّب من الأوائل ان الرجل اذا قتل أباه وأخاه لم يمتع بعدهما الا أربعة أشهر أو ماهو فوق ذلك بيسير وربما سُلّط عليه السهر فلا يزال كذلك الى أن يتلف .. قال وقيل للمأمون ان بني على بن صالح مُجّان سفهاء فقال المأمون ياعلى أحضر ولدك الأكابر والأصاغر فاني أريد أرتبهم وأرشّحهم للأمر الذى يصلحون له فانصرف علىّ فأخبر ولده بذلك وأمرهم بالركوب فاستعدّوا وتزينوا بأحسن هيئة واستأذن لهم فدخلوا وسلّموا فقال لهم المأمون تركتم الأدب واطّرحتموه وآثرتم المجون والسفهَ هذا وأبوكم أحد الفقهاء والعلماء يُستضاء برأيه ويحمد مذهبه فأقبل على علىّ فقال أما على ذلك فما الذنب الا لك اذ تركتهم يتتابعون فى المجون وتركوا ما كان أولى بك وبهم أن تأخذهم به فقال علىّ ولا سيما ياسيدى هذا الكبير فانه باقعة لا والله مالى بهم قوة ولا يد وهذا الكبير أفسدهم وهتكهم وزيّن لهم سوء أعمالهم فصدّهم

عن السبيل فهم لايهتــدون فأطرق الأكبر مايترمرم بحرف فقال المأمون تكلم قال ياسيدى بلساني كله أو كما يتكلم الذليل بين يدى مولاه حتى يترك حجته ويسكت عن ايضاح جوابه مهابة لسيده قال تكلم بما عندك فقال ياأمير المؤمنين هل حمدت رأي أبينا وحمدت مذهبه وعلمه قال نم قال فأعتق مايملك وطلق مايطأ طلاق الحرَج والسنة وصدّق بما حوى وعليه ثلاثون حجة مع ثلاثين نذراً يبالغ به الكعبة ان لم يكن أبوه على طلب سكّر طبرزَد فلم يوجد فى خزانته ولم يكن وقتاً يوجد فيه سُكّرٌ ولا يقدر على ابتياع شئ منه فقال فيمَ يصلح للخزانة التى ليس فيها سكّر ثم قال الحمــد لله رب العالمين ولا أقول انا لله وانا اليه راجعون وان كانت المصيبة لأن ذلك انما يقال عنــد المصائب فى الأنفس ولكنى أحمــده على السرّاء والضرّاء والشدّة والرخاء كما حمــده الشاكرون وأنا أرجو أن أكون منهم ثم أقبــل على الخازن فقال ادعُ الوكيل فدعاه فقال مامنعك اذ فني السكر ان تشترى لنا سكرا قال لم يعلمني الخازن فقال للخازن لِمَ لم تعلمه قال كنت على ان أعلمه قال ماههنا شئ هو أبلغ فى عقوبتكما من ان أقوم على إحدى رجليّ وأن لا أضع الأخرى ولا أراوح بينهما حتى تحضرونى الف منّ سكر طبرزد ليس بمضرّس ولا وسخ ولا ليّن المكسر ولا بمحدث الصنعة ولا معوجّ القالب ثم وثب فقال ﴿ يُوفونَ بالنذْرِ ويخافونَ يوْماً كانَ شَرُّهُ مُستطيراً ﴾ والله والله لاأزال قائماً حتى أوْفى بنذرى قال فتبادر غلمانه ومواليه وبعض أولاده وعجائزه نحو السوق فواحد ينبّه حارساً وآخر يرمي كلباً وآخر يفتح دَرْباً وآخر يُوقظ نائماً وآخر يدعو بائماً والغلمان والجواري والجيران والسوقة والحرّاس فى مثل صيحة يوم القيامة ثم قال ياقوم أما لي من أهلي مساعد أين البنات العــواتق والابكار أين اللواتى كنت أغذوهن بطيب الطعام ولين اللباس يسرحن فيما ادّعــين من خفض العيش وغضارة الزهر أين أمهات الأولاد اللواتى اعتقدن العقد النفيسة وملكن الرغائب بعــد الحال الخسيسة أين الاولاد الذكور الذين لهم نُسعي ونحفد ونقوم ونقعد ولهم نروح ونغدو فبادرن اليه بناته وأمهاتهنّ فقامت واحدة منهنّ على ساق فقال أحسنتنّ أحســن الله جزاءكنّ لمثل هذا أردتكنّ ولاحظ الكبرى من بناته وآخر من بنيه وهما يراوحان

بين أقدامهما فقال يافلانة تراوحين ولا أراوح صدق الله جلّ وعزّ وبلّغ رسوله عليه وعلى آله السلام حيث يقول (انّ من أزواجكم وأولادكم عدوًّا لكم فاحذروهم) حذرني ربي جلّ وتعالى منكم ثم قال علي بن صالح ليس في خزانته سكر طبرزد وجائزته من أمير المؤمنين الف الف درهم وضيعته بالنهروان تُغل ثلاثمائة الف درهم وضيعته بالكوفة المعروفة بالمغيرة من أنبل ضيعة ماملك مثلها أحد بطسوج الدسكرة ولولا ان سعيداً السعدي أراح الله منه قطع شربها وغوّر مجارى مياهها حتي اندفنت أنهارُها وقلت عمارتها اضراراً بنا وتعدّياً علينا ماكان لأحد مثلها وعلى ان أكرتها ومزارعيها من أخابث خلق الله والله والله لو أمكنهم ان يقطعوا الحاصل وحاصل الحاصل ماأعطونا من ذلك شيئاً ومن أخبرك ان الضيعة لربّ الضيعة فقل له كذبت لاأم لك الضيعة ثلاثة أثلاث فثلث للسلطان وثلث للوكيل وثلث للاكار وانما يأتى رب الضيعة صُبابة كصبابة الاناء ومخة كمخة عرقوب يجبى الأكار وقت الدياس فيمر بهم الأبرز هذا يذبح له وهذا يخبز له وهذا يسقيه النبيذ وما نبيذهم الا العكر الاسود ووَضر الدبس وماء الأكشوث قبح الله ذلك شربا ماأنغله للجوف وأضره بالاعلاق النفيسة ثم يأتي وقت الكيل فن بين رقام رقم الله جلبابهُ وأعدّ له الهوان ومن بين كيال جعل الله له الويل لقوله جلّ وعز (ويل للمطففينَ) مايبالى أحد منهم على مايقدم لقد سمعت أمير المؤمنين يسأل قُضاته وكلهم بالحضرة هل عدلتم كيالا قط فكلهم يقول لا فان أطعموا الجداء الرضع وانى الخبز من دَستميسان ووهبت لهم الدراهم ظفر الأكار بحاجته فويل يومئذ لقبة السلطان ماذا يُحمل اليها من القِشْب والقِصل والمدر والزوان ويحشي فيها التبن ثم قال ياقوم لم أطنبت فى ذكر هؤلاء وما الذي أهاج هذا فى هذه الساعة حتي خُضت فيه أما كفانى انى قائم على رجلى على أحد جناحيّ قالوا هذا للسكر الذى ليس فى خزانتك منه شئ قال أجل والله اذا كان وكيلى مشتغلاً بزوجته وبناته ومصالح حالهنّ متي يفرغ للنظر فى مصالح خزانتى والله والله لقد حدّثت انه حلي بناته بألوف دنانير وقال لزوجته اخرجى الى الاعياد وادخلى للاعراس وَسَلي عن الرجال المذكورين واطلبي المراضع المعروفة والأنساب المرضية

لبناتك واخرجتهن فى الجمعات يتصفحن محاسن القرّات ويخترنَ أولى الانساب أو لم يرْوَ عن الثقات انهم كرهوا خروج الأبكار فى الجمعات التى فرض الله جلّ وعز فيهنّ السعي الى ذكره فنبغ قوم من هؤلاء المبتدعة خارجة خرجت ومارقة مرقت ورافضة رفضت الدين وأهل الدين فتركوا مافرض الله جل وعز عليهم ﴿فقاتلهم الله أنى يُؤفكونَ اتخذُوا أحبارَهمْ ورُهبانهمْ أربابا من دُون الله﴾ وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه ولا اثنين انه خطب الناس فقال فى خطبته ان الله جل وعز قد افترض عليكم الجمعة فى مقامي هذا فى يومى هذا من عامي هــذا الى يوم القيامة فمن تركها استخفافا بها وجحوداً بها فلا جمع الله شمله ولا بارك له فى أهله ولا حج له ولا جهاد حتى يتوب الي الله جــل وعز فمن تاب تاب الله عليــه ثم قال ياقوم ماالذى حركنا على هذه الفضيلة فى جوف هــذه الليلة قيل السكر الطبرزد قال أجلْ والله فما أحضرتمونى الف مَنّ سكر الى هذه الغاية أيانصح أيافتح أياصبح أيانجح تبادروا مولاكم فانه قد نصب وتعب من طول القيام والله لأحسب الثريّا مقابلة سَمْتَ رأسى ذهب والله الليل وجاء الوين ويلكم أدركوني فانى لُمريغ نومــة ولا بد لى من البكور نحو الدار فبادرن حرُمه الخاصة فخنوا الباعة وانبهوا السوقة وأخــذوا ماعندهم على غير سوم وجاؤا به فقال ماهــذا قالوا ماأمرت به قال فهل أخذتموه على الصــفة التى وصفت لكم قالوا نعم قال فهل وزنتموه واستوجبتموه قالوا لا قال ياأعداء الله أردتم أن تفسدوا ديني لا والله لايطمع منى فى هضيمة لا والله لايزال هذه حالى حتي تأخــذوه بيعاً صحيحاً لاشرط فيه ولا خيار ولا مثنويّة ولا على حدّ تلجئة هيهات يأبى الله جل وعزّ ذاك عليّ قال فرجعوا وساوموا الباعة وقطعوا ثمنه وأخبروه فقال يوزن بحضرتى فأتوه بالقبّان فقال من يزن منكم قال من أمرته قال زن يانصح فقد دنا الصبح وأرجح فان النبي صلى الله عليه وسلم اشترى فقال للوزان زن وارجح والله لولم يكن في الرجحان الا تحلّة القسم لكان فى ذلك مايدعو العلماء والفقهاء فى دين الله جل وعز الى العــمل به فجعل الغلام يزن ويرجح وهو يقول ٠٠ ويلك عجل فداك أهلك قــد دنا الصبح أوَ لم خرجت نفسي أو كادت فلما استوى الوزن خرّ مغشياً عليه مايدرى ارضاً توسّم

أو وسادا وكذلك كانت حال من كان فى مثل حاله فهذه يا أمير المؤمنين حال من أحمدت علمه وفهمه ورأيه فقال المأمون قاتلك الله ما أعجب أمرك على كل حال والله لئن كنت ولّدت هــذا عن أبيك في مقامك مالك فى الأرض نظير ولا فى السماء شبيه وان كنت حكيتَ عنه عياناً ووعيت فلقد أجدت الحكاية وأحسنت العبارة وما لأبيك في الدنيا شبيه وانك لتغمر مساويك بمحاسنك فلا تذكرنّ شيئاً من هذا بعد هذا المجلس فان عيبه فينا أفدح منه فى أبيك قال فذهب عليّ ليتكلم فقال المأمون لا ينبسنّ لسانك بحرف واحد ثم أمر بنيه بالانصراف

محاسن البنات

قال رسول الله صــلي الله عليه وســلم نعم الولد البنات مطلقات مجهزات مؤنسات مباركات مفلّيات فاليات مندّبات نادبات ٠٠قال ودخل عبد الله بن الزبير علي معاوية بن أبى سفيان وبنية له تمرّغ على صــدره فقال أمطها عنك يا أمير المؤمنين فانهن يقربن الأعــداء ويورثن البُعداء فقال معاوية مهلاً يا بن الزبير فما مرّض المرضى ولا ندب الموتي ولا بَرّ الأحياء كهُنّ فقال ابن الزبير قــد تركتهن آثر عنــدى من الأبناء ٠٠وحكى انه قال والله لقد دخلتُ وما أحدٌ أبغض الىّ منهنّ وإنى أخرج وما أحد أحب الىّ منهنّ ٠٠ وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من أحدٍ من أمتى وُلدت له جارية فلم يتسخط ما خلق الله جــل وعز إلاّ هبط ملَك من السماء بجناحين أخضرين موشحين بالدُر والياقوت في سُلّم من دُر ويزف من درجة الى درجة حتى يأتيه بالبركة فيضع يده على رأسها وجناحه على جســدها ثم يقول بسم الله وبالله محمــد رسول الله ربي وربّك الله نعم الخالق الله ضــعيفة خرجت من ضــعيف المنفقُ عليها مُعانٌ الي يوم القيامة ٠٠ وقال ابن المقفع لرجل ولدت له جارية بارك الله لك فى الابنة المســتفادة وجعلها لكم زينا وأجرى لكم عليها خــيراً فلا تكرهوهن فانهن الأمهات والأخوات والعمات والخالات ومنهن الباقيات الصالحات ورُب غلام ساء أهله بعــد

مسرتهم ورُب جارية فرحت أهلها بعد مساءتهم وأنشد فى ذلك

سخِطتَ بُنيّةً عما قليـلٍ   تُسَرُّ بها عيونُ الناظراتِ
فبارَكَ فى فُطيمة ربُّ موسى   وأنبتها نباتَ الصالحاتِ
وزادك عاجلا أُخرى سواها   اسُخطك إذ سخِطتَ على البنات

•• قال وكان لرجلٍ امرأتان فى دار واحدةٍ فولدت احداهن غلاماً والأُخرى جارية فكانت أم الغلام تقول

عافانى اليوم من الجواري   من كلّ سوداء كشنّ بالي

* لا تدفعُ الضيمَ عن العيال *

وقالت أم الجارية

وما علىَّ أن تكون جاريَهْ   تحفظ بيتى وتَرُدُّ العاريَهْ
تمشطُ رأسي وتكونُ الفاليهْ   وتحملُ الفاضل من خماريَهْ
حتى اذا ما بَلَغَتْ ثمانيهْ   وزُيِّنَتْ بنُقبةٍ يمانيهْ
زوّجتها مروان أو معاويهْ   أزواج صدق بمهور غاليهْ

محاسن بر البنات

عوانة قال بلغنا ان شيخاً من أصحاب معاوية كان يكاتب علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه وقد كان طعن فى السن فبلغ معاوية خبرُه فدعاه فقال أيها الشيخ انك لتكاتب علياً رضى الله عنه ولولا سنك لقتلتك فلا تفعل ولا تعُدْ فوقع كتاب له بعد ذلك الى علىّ رحمه الله فى يدى معاوية فدعاه وقال أتعرف هـذا الكتاب قال لعم كتبت فأجبته فأمر معاوية بقتله فانتهي الخبر الى ابنةٍ له صغيرة فجاءت حتى قامت بين يدى معاوية وأنشأت تقول

مُعاوى لا تقتل أباً كان مشفقاً   علينا فنبقى إنْ فقدناهُ شُرَّدا
وتوتَمُ أولادٌ صغارٌ بقتله   وان تعفُ عنه كنتَ بالعفو أسعدا

مُعاوِى هَبهُ اليومَ للهِ وحدهُ ولِلباكياتِ الصارخاتِ تلددا
مُعاوِى منكَ العلمُ والحلمُ والتقى وكنتَ قديماً يابن حرب مسددا

فعجب معاوية وأصحابه منها ودمعت عيناه ووهبه لها .. قيل وكان المأمون وجد على قائد من قوّاده فاستصفى ضياعه وداره وأنهب دوابه وماله وكان شيخاً فانياً ولم يكن له من الولد إلاّ بنيّة صغيرة فأجمع أن يضرب في الأرض ويطلب من فضل الله جل وعز ويخلف بنيته فبكت الابنة وقبضت على أبيها وقالت اقنع بما آتاك الله واصبر على محن الزمان ونوائب الدهر والزم الوطن وارحم وحدتي وضعفي وقلة حيلتي أو اذبحني فلا أبتلى بفراقك فبكى الشيخ وقال

تقولُ ابنتى لما أردتُ وداعَها وقد حضرتْني نية ورحيلُ
لعلَ المنايا فى رحالك تنبرى لنفسك تختلاً أو تغولُك غولُ
فتتركَنى أدعى اليتيمة بعدما تبينُ وعزّى بعد ذاك ذليلُ
أفي طلب الدنيا وربُّك بالذى تسيرُ لهُ راعٍ عليك كفيلُ
أليس ضعيفُ القومِ يأتيه رزقهُ يُساقُ اليه والبلادُ مُحُولُ
ويحرمُ جمع المال من قد يرومهُ يكدُّ عليه رحلهُ ويجولُ
فلو كنت فى طودٍ على رأس هضبةٍ لها تجف فيه الوُعولُ تقيلُ
مُصمّدةٍ لا يُستطاع ارتقاؤها ولا لنزُولٍ يُستطاعُ سبيلُ
إذاً لأتاك الرزقُ يحدُوه سائقٌ حثيثٌ ويهديه اليك دليلُ

قال فنمى الخبر الى المأمون فدعا بالشيخ فاستنشده شعره فأنشده فرقّ له وأمر برد جميع ما أخذ منه وأعاده الى مرتبته وزاده من عنايته .. قال وعاش يزيد بن زبيبة الشيباني دهراً طويلا حتى لحق زمن الحجاج وسعى مع ابن الأشعث فظفر به الحجاج وورد عليه كتاب عبد الملك بن مروان يأمره بقتله فلما دعا به قال له أيها الأمير اتق الله بسبع عشرة نسوة أو تسع عشرة نسوة ليس لهن قيمٌ غيرى قال احضرهن فلما حضرن سألهن الحجاج عن شأنهن فما منهن امرأة إلاّ وهي تقول اقتلنى ودعهُ فقامت بنيّة له صغيرة فبكت بكاءً حاراً موجعاً محرقاً وأنشأت تقول

أحجاج إمّا أن تجود بنعمة ... علينا وإمّا أن تقتلنا معا
أحجاج كم تفجع به ان قتلته ... ثلاثاً وعشراً واثنتين وأربعا
فمن رجلٍ دانٍ يقوم مقامه ... علينا فهلاّ لا تزدنا تضعضعا

فرحمه الحجاج وكتب الى عبد الملك يسأله العفو عنه فأجابه الى ذلك وأطلقه

مساوي من كره البنات

قيل وبُشر الأحنف بجارية فبكي فقيل له ما يُبكيك قال لِمَ لا أبكي وهي عورة وبكاؤها عبرة وهديتُها سرقة ونصرتها البكاء ومهنأها لغيرى ٠٠ وقال رجل وُلدت له جارية

قد كنتُ أرجو أن تكون ذكرا ... فشقها الرحمنُ شقاً مُنكرا
شقاً أبي اللهُ لهُ أن يُجبرا ... مثل الذى أبها وأكبرا

ومما قيل فيها من الشعر

لولا البُنيةُ لم أجزع من العدم ... ولم أجب في الليالى حندس الظُلَمِ
وزادنى رغبةً في العيش معرفتى ... ذُلَّ اليتيمة يجفوها ذوو الرَّحم
تهوَى بقاي وأهوى موتَها شفقاً ... والموتُ أكرمُ نزّالٍ على الحُرَم
مخافةَ الفقر يوماً أن يُلم بها ... فيكشف الدهرُ عن لحمٍ على وَضم
اذا تذكرتُ بنتى حين تندُبني ... فاضت لرحمة بنتى عبرتى بدم

٠٠ آخر

أحب بُنيّتي وودتُ أنّي ... دفنتُ بُنيتى فى جوف لحدِ
وما لى بغضها غرضاً ولكن ... مخافة ميتتى فتضيعَ بعدي
مخافة أن تصير الى لئيمٍ ... فيفضح والدى ويشين جدّى
فليت الله أكرمها بقبرٍ ... وان كانت أعز الناس عندى
فتستر عورتى وتكون أجراً ... اذا قدمتُها وكتمتُ وَجدي

وتُتبعَ بعد ذاك بأمّ صدقٍ فتؤنس بنتها وأعيش وحدي

.. ولآخر

فكل أبي بنتٍ يُرجّي ببعلها ثلاثة أصهارٍ اذا عُدّد الصِهرُ
فزوجٌ يراعيها وخِدرٌ يصونها وقبرٌ يواريها وخيرهمُ القبرُ

مساوى البنات

قيل وكان همام بن مُرّة غيوراً وله أربع بنات فجعلهن في قصر فلما بلغن مبلغ النساء اشتهين الرجال واستردن الأب وبعثن اليه فى ذلك بأبيات شعر فكتبت واحدةٌ منهن

أهمامُ بنُ مُرّة حنّ قلبي الى صلعاء مُشرفة القذال

فقال يأبنية أهب لك بيضة ولم يعرف المعنى وكتبت اليه الثانية

أهمامُ بنُ مُرّة حنّ قلبي الى شيءٍ يكونُ مع الرجال

فقال نعم ولم يعرف المعنى أهب لك سيفاً وكتبت اليه الثالثة

أهمامُ بنُ مُرّة حنّ قلبي الى ما بَين أفخاذِ الرجال

فقال نعم يا بُنية أهب لك فرساً فقالت الرابعة

أهمامُ بنُ مُرّة حنّ قلبي الى شيء أسدُّ به مبالى

فلما صرحت هذه عرف المعنى فزوجهن جميعاً .. وذكروا ان الضيزن الغسّاني ملك الحيرة سار اليه سابور ذو الأكتاف فتحصن الضيزن وحاصره شهراً وان مُليكة بنت الضيزن نظرت من ناحية السور الى سابور فهوِيَتهُ وأرسلَتْ اليه إني قد هويتك وسأدُلك على فتح هذه المدينة فقال افعلي وأنا لك وبين يديك فأسكرَت حُفّاظ السور وفتحت الأبواب فدخل سابور فقتل من قدر عليه وأخذ أباها أسيراً فلما أصبح سابور أمر فأدخل اليه الضيزن وهو قاعد على سرير من ذهب والجارية الى جانبه فلما رآها ضرب بيده ورجله وغُشي عليه وقال لها حين أفاق مالك سوّد الله وجهك كما

سوّدت وجهي وسلطه عليك فأمر به سابور فضربت عنقه وغنم هو وأصحابه غنائم كثيرة وانصرف الى دار مُلكه وأمر للجارية بمقصورةٍ فبُنيت لها فأسكنها فيها وأعجب بها اعجاباً شديداً فمكثت عنده حولاً ثم انه دعاها ذات ليلة فباتت معه على فراش حشوُهُ ريشٌ فقلقت قلقاً شديداً فقال لها مالك ياحبيبتي قالت ان فى الفراش شيئاً خشناً قد أقلقني ففتش الفراش فوجد تحت الريش ورقة آس واذا هي قد أثرت في جنبها بمقدار الورقة لرطوبة جسدها ولين بشرتها فقال لها ما الذى كان أبوك يغذوك به قالت بالمخ ولُباب الدرمك وهو الحوّارَى بالسكّر الطبرزد فقال والله لأ كافئنك فأمر بها فشُدّت ضفائرها الى أذناب فرسين فركضا فتقطعت

محاسن الاخوان

قال بعض الحكماء ليس للعقلاء تنعُّمٌ إلاّ بموّدات الاخوان ٠٠ وقال آخر الازدياد من الاخوان زيادة فى الآجال وتوفير لحسن الحال ٠٠ وقال المأمون الاخوان ثلاث طبقات طبقة كالغذاء لا يُستغنى عنه وطبقة كالدواء يحتاج اليه أحياناً وطبقة كالداء الذى لا يُحتاج اليه ٠٠ وقيل أبعد الناس سفراً من كان سفرُه فى ابتغاء أخٍ صالح ٠٠ وكان يقال أعجز الناس من فرط فى طلب الاخوان وأنشد

لعمرُك ما مالُ الفتى بذخيرة ولكن اخوان الثقات الذخائرُ

٠٠ وقيل صحبة الأخيار تورث الخير وصحبة الأشرار تورث الشر كالريح اذا مرت على النتن حملت نتناً واذا مرت على الطيب حملت طيباً ٠٠ وقال شيخ من الاعراب عاشروا الناس معاشرة ان عشتم حنوا اليكم وان متم بكوا عليكم ٠٠ وقيل فى ذلك

قد يمكثُ الناس حيناً ليس بينهمُ وُدٌّ فيزرعهُ التسليمُ واللطفُ
يُسلي الشقيقين طولُ النأى بينهما وتلتقى شعبٌ شتّى فتأتلفُ

٠٠ وقال آخر

كَمْ إخوةٍ لكَ لم يلدكَ أبوهمُ وكأنما آباؤهمْ ولدُوكا

وأقاربٍ لو أبصروكَ معلّقاً　　بنياط قلبك ماروُّا رحموكا

•• وقال عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه لابنه الحسن صلوات الله عليه ابذل لصديقك كل المودة ولا تطمئن اليه كل الطمأنينة وأعطه كل المواساة ولا تفض اليه بكل الأسرار •• وقال العباس بن جرير المودة تعاطفُ القلوب وائتلاف الأرواح وأنس النفوس ووحشة الأشخاص عند تنائي اللقاء وظهور السرور بكثرة التزاور وعلى حسب مشاكلة الجواهر يكون الاتفاق فى الخصال •• وكتب بعض الكتاب ان فلاناً أولانى جميلا من البشر مقروناً بلطيف من الخطاب فى بسط وجهٍ ولين كنف فلما كشفه الامتحان بيسير الحاجة كان كالتابوت المطلى بالذهب المملوء بالعذرة أعجبك حسنه مادام مطبقاً فلما فتح آذاك نتنه فلا أبعد الله غيره •• وقال بعضهم من لم يؤاخ من الاخوان إلاّ من لا عيب فيه قل صديقه ومن لم يرض من صديقه إلاّ بايثاره إياه على نفسه دام سخطه ومن جانب على غير ذنب اخوانه كثر عدوّه

مساوى الاخوان

أنشد لبعضهم

والله لو كرِهتْ كفّي مُنادمتي　　لقُلْتُ للكفّ بِينى إذ كرهتِني

•• ولآخر

فاني لو تخالفنى شمالي　　خلافك ماوَصلت بها يميني
إذاً لقطعتُها ولقلتُ بِينى　　كذلك أجتوى من يجتويني

•• ولآخر

من لم يُردكَ فلا تُردْهُ　　تَعبٌ كذ لم تستفدهُ
باعِدْ أخاكَ اذا نأى　　واذا دنا شبراً فزدْهُ

قال وسمعها الكسروي فقال

فى سعة الأرض وفى عرضها　　مُستبدَلٌ بالأهل والجار

فمن دنا منّا فأهلاً به ومن تولى فإلى النار

•• آخر

وقائل كيف تهاجرتما فقلتُ قولاً فيه إنصافُ
لم يكُ من شكلي فتاركتُهُ والناسُ أشكالٌ وألاّفُ

•• ولآخر

تودُّ عدوّي ثم تزعم أنني صديقك إن الرأي عنك لعازبُ
وليس أخي من ودّني رأي عينه ولكن أخي من ودّني وهو غائبُ

••وقد قالت الحكماء الأوائل نعوذ بالله من بوائق الثقات ومن الاغترار بظاهر المودات وأنشد الآخر

ان اختياريك على خبرَةٍ أعجبُ شيء مر في العالمِ

•• وأنشد لآخر

انّ اختياريك لاعن خبرَةٍ لفتْ الاّ الرجاء ومما يخطى النظرُ
كالمستغيثِ ببطنْ السيل يحسبهُ جرْزاً يُبادرُهُ إذْ بَلّهُ المطرُ

•• وأنشد لآخر

اذا كنتَ في قوْمٍ فقارنْ سراتَهمُ فانك منسوب الى منْ تُقارنُ

وبيت عدى بن زيد فى هذا المعنى مختار قديم

عن المرءِ لا تسألْ وأبصرْ قرينه فان القرينَ بالمقارنِ يقتدى

•• ولآخر في هذا المعنى

مشيُ البريّ معَ المقارف تهمةٌ ويُرى البريُّ مع السقيمِ فيلطخُ

•• ولآخر فى هذا المعنى

اذا اعتذَرَ الصديقُ اليك يوماً منَ التقصير عـذْرَ أخٍ مُقرّ
فصنهُ عنْ جوابك واغضُ عنهُ فانّ العفوَ شيمةُ كل حرّ

•• ولبعض الكتّاب

وصاحبٍ كانَ لي وكنتُ لهُ أشفقَ منْ والدٍ على ولدِ

وكانَ لي مُؤنساً وكنتُ لهُ ليستْ بنا حاجةٌ الى أحدِ
كنا كساقٍ تمشي بها قدمٌ أو كذراعٍ نيطتْ الى عضُدِ
حتى اذا أمكنَ الحوادثُ منْ حظي وحلَّ الزمانُ من عقدي
ازْوَرَّ عني وكانَ ينظرُ منْ عيني ويرمي عنْ ساعدي ويدي
حتى اذا استرْفدَتْ يدي يدَهُ كنتُ كمسترْفدٍ يدَ الأسدِ

محاسن الخصيان

من مناقب الخصيان ان الخصي لايصلَعْ ومتى خُصيَ قبلَ الانبات لمْ ينبت واذا خصيَ بعد استحكام نبات الشعر في مواضع الشعر تساقط كله الا شعر الرأس والحاجبين وأشفار العينين وانما يعرض لما يتولد من فضول البدن ولم يُرَ خصي قط مخنثاً ولا سمعنا به ولا ندري كيف ذلك ولا نعرف المانع منه ماهو وقد كانْ ينبغي أن يكون ذلك فيهم خلقة ويشمل جماعتهم اشبههم بالنساء وقربهم من الصبْيان وقد رأينا غير واحد من الاعراب مخنثاً ورأينا عدة مجانين مخنثين وأخبرني من رأى كردياً مخنثاً .. ومن فضائل الخصي ان المرأة تميل اليه لان أمره أسترُ وعاقبته أسلم وتحرس عليه لانه ممنوع عنها وترغب في السلامة من الولد والخصي اذا تنسَّكَ غزا ولزم الثغور وبادر بماله الى طرسوس وقيل فيهم

وانساء لمطمئنٍّ مُقيمٍ ورجال ان كانت الأسفارُ

وقد يُرى الخصيّ وكأن السيوف تلمع في لونه وكأنه مرآة صينية وجمارة أو قضيب فضة قد مسه ذهب وكأن في وجناته الورد ويعرض له صبر على طول الركوب والقوة على كثرة الركض حتى يجاوز في ذلك رجال الأتراك وفرسان الخوارج وهم أطول الناس أعماراً وما ذلك فيما أرى الا لعدم النكاح وقلة استنزاح النطف ولذلك يقال ان البغل أطول عمراً من سائر الدواب والعصفور أقلها أعماراً وما ذلك الا لكثرة سِفاد العصفور وقلة نزو البغال ولو أن أخوين أحدهما توأم أخيه خُصي أحدهما لخرج

الخصى منهما أجود خدمة وأفطن لأبواب المعاطاة وأذكي عقلا عند المخاطبة من أخيه الذي وُلد معه فى وقت واحد

مساوي الخصيان

قيل كل ذى ريح منتنة وكل ذى ذفر وصنان كريه المشم كالتيس وما أشبهه فانه متى خصى نقص نتنه وذهب صنانه غير الانسان فان الخصى يعود أنتن ماكان وصنانه أحدّ ويعترى الخصيان خبث العرق حتى توجد لأجسادهم رائحة لاتكون لغيرهم وكل شي من الحيوان يخصي فان عظمه يدق ويسترخي لحمه ويتبرأ من عظمه ويعود رَخصاً رطباً بعد ان كان عَضِلاً صُلباً والانسان اذا خصى طال عظمه وعرض ويعرض له طول القدم واعوجاج الأصابع ويعرض له سرعة التغير والتبدّل والانقلاب من حد الرطوبة والبضاضة وملاسة الجلد وصفاء اللون ورقته والتقبض الى الهزال وسوء الحال ويعرض للخصيان سرعة الرضى والغضب وحب النميمة وضيق الصدر لما أودع من سر وما أكثر مايعرض للخصيان البول في الفراش ولا سيما اذا بات أحدهم ممتلئاً من النبيذ ويعرض لهم حب الشراب والافراط فى شهوته ويعرض لهم سرعة الدمعة والعبثُ واللعب بالطير والفخ وما أشبه ذلك وجاء من أخلاق الصبيان ويعرض لهم الشرَهُ عند الطعام والبخل عليه والخصي تسخن معدته وتلين جلدته وتنحدر شعرته ويتسع دُبره والخاصى ربما عمد الي الصبي ليخصيه فتتقاّص احدي خصيتيه وتصير البيضة فى موضع لايمكنه ردها الى مكانها فيقطع ماظهر له ويبقى ذو بيضة واحدة فهو حينئذ لاامرأة ولا رجل ولا خصى وتخرج لحيته فلا يدعه الناس في دورهم فلا يكون مع الخصيان مقربا ولا مع الفحول مستخدماً وقد فاته غشيان النساء ولذّة النسل والتمتع بشم الأولاد .. وعلى ان في الخصيان شرها شديداً وميلا عجيباً الى النساء من ذلك ماحكي عن أبى المبارك الخصي ومساحته فى حفظ النساء فقال والله اني ربما اسمع نغمة المرأة فأظن ان كبدى قد ذابت وان عقلى قد اختلس وربما نزى فؤادي عند ضحك

احداهن حتى أظن انه قد خرج من فى فكيف ألوم عليه غيري •• وكان فى قطيعة الربيع خصى وكان أثيراً عند مولاه يثق به فى ملك يمينه وحرمه من ابنة وزوجة وأخت فأشرف يوما على مربد له فيه غنم وقد شد يدى شاة وقد ركبها من مؤخرها يكومها فلما أبصره كذلك وجم وتحير ورفع الخصى رأسه فلما أثبت مولاه مر مسرعا نحو باب الدار ليركب رأسه ويهيم على وجهه وكان المولى أقرب الى الباب منه فسبقه اليه فبقى الخصى ساعة ينتفض من حمى ركبته ثم فاضت نفسه فلم يمس الا وهو في القبر •• قال وكان الجماز يتعشق جارية لآل جعفر يقال لها طغيان وكان لهم خصي يسمي سنانا يحفظها وكان يتعشق الجارية أيضاً وحال بينها وبين الجماز ومنعها من الدنو منه •• فقال الجماز

مالِلمَقيتِ سنانٌ ولِلظباءِ المِلاحِ
أليس زانٍ خصيٌّ غازٍ بغير سلاحِ

••قيل ودخل معاوية بن أبي سفيان على امرأته ميسون بنت بجدل وهي أم ابنه يزيد ومعه خصى فاستترت منه فقال لم تستترين منه وانما هو بمنزلة المرأة فقالت كأنك ترى ان مُثلتك به تحلل له ماحرم الله عليه منى •• قيل وكان اسحاق بن مسلم العقيلى جالساً عند المنصور فمرّ خادم وضيء الوجه فقال ياأمير المؤمنين أي ولدك هذا قال ماهو لي بولد قال فأي إخوة أمير المؤمنين هذا! قال ماهو لي بأخ قال فمن هو قال فلان الخادم •• قال يا أمير المؤمنين فشمّة هذا وضمته أحب اليها من شمتك وضمتك •• قال فداخل المنصور من ذلك أمرٌ عظيم حتى تغير وجهه وأمر بمنع الخدم من دخول دار النساء

محاسن العبيد

قال مر عبيد الله بن معمر بحبشى يأكل تمراً وبين يديه كلب فلما وضع فى فه لقمة رمي الى الكلب بلقمة وتمرة فقال له عبيد الله هذا الكلب لك قال لا قال فكيف

صرت تطعمه وأنت تأكل قال اني لأستحي ذا عينين ان ينظر الي وأنا آكل فلا أطعمه قال له عبيد الله أأنت حر أم عبد قال عبد لبني غاضرة فأتاهم فقال لمن الحبشي قال صاحبه لي فقل بعه مني قال هو لك قال لا والله الا ان تأخذ ثمنه أو غلاما يكون محله فاشتراه ثم قال أشهدكم انه حر لوجه الله جل وعز ٠٠ قيل ومر عبد الله بن عمر براعٍ مملوك يرعى غنما فقال له بعني شاة من هذه الغنم فقال انها ليست لي فقال أين العلل فقال فأين الله جل وعز فاشتراه ابن عمر وأعتقه فقال اللهم قد رزقتني العتق الأصغر فارزقني العتق الأكبر أو قال فلا تحرمني العتق الأكبر ٠٠ قال وكان لكثير عزّة عبدٌ راعٍ يتولى بيع غنمه فباع عزّة وهو لايعرفها شيئاً من غنمه فقال يوما وهو يتقاضاها

قضى كلُّ ذي دين فوَفّى غريمَهُ وعَزّةُ ممطولٌ مُعنّى غريمها

فقالت له امرأة أتعرف عزة قال لا قالت فهذه والله عزة فقال لا والله لا آخذ منها شيئاً أبداً ورجع الى كثير فأخبره فأعتقه لما فعل

مساوي العبيد

محمد بن عبد الله بن عمر قال حدثني بعض الثقات ان رجلا من أهل السند من آل المهلّب بن أبي صُفرة اشترى غلاماً أسود فربّاه وتبنّاه فلما اشتد وترعرع هوى مولاته فراودها عن نفسها فأجابته الى ذلك فدخل مولاه يوما على غفلة فاذا هو على بطن مولاته فعمد اليه فجبّ ذكره وتركه يتشحّط في دمه ثم انه أدركته عليه رِقّة وتخوّف من فعله فعالجه حتى أبلّ من علّته وخرج من مرضه فأقام بعد هذا مدة يطلب غِرة مولاه ليثأر به ويدبر عليه أمراً يكون فيه شفاء قلبه وكان لمولاه ابنان أحدهما طفل والآخر يافع فغاب الرجل عن منزله لبعض أموره فأخذ الأسود الصبيين فصعد بهما الى ذروة سطح عال ولصبهما وجعل يعللهما بالطعام مرة وباللعب أخرى الى ان دخل مولاه فرفع رأسه فاذا هو بابنيه في شاهق فقال ويلك يافلان

عرضت ابني للموت فقال أجلْ وقد ترى موضعهما فوالله الذى لايحلف بأعظم منه لئن لم تجبْ نفسك كما جببتني لأرمين بهما فقال ويلك الله الله فى تربتى لك قال دع عنك هذا فوالله ماهي الا نفس واني لأسمح بها فى شربة من ماء قال فجعل يكرر عليه ويأبى وذهب ليروم الصعود اليهم فأهوى بهما ليرديهما من ذروة ذلك الشاهق فقال أبوهما ويلك فاصبر حتى أخرج المدْية فأفعل ما أردت فأخذ مدية واستقبله ليرى مايصنع بنفسه فرمي بذكره وهو يراه فلما علم انه قد فعل رمى بالصبيين وقال ذاك بذا وهذا زيادة فتقطع الصبيان وأخذ ذلك الأسود وكتب بخبره الى المعتصم بالله فأمر بقتله وان يخرج من مملكته كل عبد أسود .. وعن حميد الطويل كان رجل له غلام فباعه وقال للمشترى انى أبرأ اليك من كل عيب به الا عيباً واحداً قال وما هو قال النميمة قال أنت برىء منه فانى لاأقبل قوله قال فما لبث الا قليلا حتى أتي السيد وقال ان امرأتك بغي وهي تريد ان تقتلك وتتزوج غيرك قال وما يدريك قال قد عرفت ذلك فتناومْ عليها فانه سيظهر لك ماأقول وأتى المرأة فقال ان زوجك يريد أن يخلعك ويتزوج غيرك فهل لك أن أرقيك فيرجع اليك حبه قالت نعم ولك كذا وكذا قال آتيني بثلاث شعرات من تحت حنكه فلما دنت منه لتتناول الشعر قام اليها بالسيف ولم يشك فيما قاله الغلام فقتلها وجاء إخوة المرأة فقتلوا الزوج فذهبا جميعا بسوء صنيع عبدهما وقبولهما نميمته

﴿ومما قيل فيه من الشعر﴾

واذا ماجهلتَ ود صديقٍ فاختبرْ ماجهلتَ بالغلمانِ
ان وجهَ الغلامِ يخبرُ عما في ضميرالمولى منَ الكتمانِ

.. قال وكتب الطائي الى بعض اخوانه يسأله نبيذاً فأمر له بذلك ومنعه الغلام فقال

أبا جعفر وأصولُ الفتى تدلُّ عليه بأغصانه
أليسَ قبيح بأن امرأً رجاكَ لصالح أزمانه
فتأمرُ أنتَ باعطائهِ ويأمرُ فتح بحرمانهِ
ولستُ أحب الشريف الظريف يكون غلاماً لغلمانه

مساوي سوء معاملات الموالي لعبيدهم

•• قال وقال أبو العباس الموصلي كان لي جار فسمعت من داره استغاثة مضروبين فلما سألت عن الخبر قيل انه فقد دجاجة فكتبت أبياتاً في رقعة وشددتها في رجل دجاجة وألقيتها في داره وضمنتها

يا ذا الذي من أجل فرّوجة أظهرَ للعالم أخلاقه
ألقي على الغلمان من أجلها بالضرب والتعذيب أوراقه
رفقاً قليلا بعقوباتهم فانهم لم يعقروا الناقة

•• قيل وقدم اعرابي مصراً من الأمصار فدخل سوق النخاسين ليبتاع جارية فصادف جارية قد أقيمت لتباع يبرأ فيها من الاباق والسرقة والسكر والفجور وقد تحاماها الناس فاشتراها وأبرأهم من عيوبها فقال له رجل ياعبد الله لقد اشتريت داءً مالم يكن غيرك يأخذه بلا ثمن فقال انا لسنا نكره من مثلها ماتكرهون أما الاباق فوالله ان أدنى ماء من مياهنا لعلى مسيرة خمس ولربما سرى الرجل الهادي من حيث ينزل فيصبح بحيث يرى فأنى لها بالاباق وأما السرق فما عسى ان تسرق شاة أو بعيراً أو قتبا أو حلساً وأما السكر فوالله مانقدر على ريها من الماء فكيف تصيب شراباً وأما الفجور فان انا زنوجا يخدموننا فما نكره ان يقع عليها بعضهم فننتفع بولدها ثم عمد الى ثوبين مصبوغين كانا عليها فانتزعهما منها وقال مولاتك أحق بهما وألبسها مدرعة فبكت الجارية وقالت قد كانت مولاتي تدعو علي وتقول باعك الله في الاعراب فقال لانا نجيع كبده ونعري جلده ونطيل كده

محاسن مطالبة المعلمين بالتعلم

قيل كان الرشيد جعل محمداً الأمين في حجر الفضل بن يحيي وعبد الله في حجر جعفر بن يحيي فقال الفضل بن يحيي لهشيم بن بشير الواسطي ليكون أكثر ماتأخذ به

ولي العهد تعظيم الدماء فاني أحب ان يشرب الله قلبه الهيبة لها والعفاف عن سفكها ثم
ان الرشيد أرسل الى الأحمر النحوى فلما دخل عليه قال يأحمر ان أمير المؤمنين قد
دفع اليك مهجة نفســه وثمرة قلبه وصــير يدك عليه مبسوطة ومقالتك فيه مصــدقة
وطاعتك عليه واجبة فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين اقرئه القرآن وعلمه الآثار
والاخبار والسنن وروّه الأشــعار وبصّرهُ مواقع الكلام ومُرْه بالرزانة فى مجاســه
والإقتصاد فى نظره وسمعه فلا تمرّنّ بك ساعة الا وأنت مغتنم فيها فائدة تفيــده إياها
وكلمة نافعة يعيها ويحفظها من غير ان تخرق به فتميت ذهنه وتمله ولا تمعن في مسامحته
فيستحلى الفراغ ويألفه وقومه بالتقريب والملاينة فان أبى فالشدة قال الأحمر فكنت
كثيراً ماأشدد عليه فى التأديب وامنعــه الساعات التي يتفرغ فيها للهو واللعب فشكا
ذلك الى خالصة فأتتنى برسالة من أم جعفر تعزم علىّ بالكف عنه وان أجعل له وقتاً
أجمهُ فيه لتوديع بدنه فقلت الأمير قد عظم قدره وبعد صوته وموقعه من أمير المؤمنين
ومكانه من ولاية العهد لايحتملان التقصير ولا يُقبل منه الخطل ولا يُرضى منه بالزلل
فى المنطق والجهــل بشرائع الدين والعمى عن الأمور التى فيها قوام السلطان وإحكام
السياسة قالت صدقت غير انها والدة لاتملك نفسها ولا تقدر على كف اشفاقها وحذرها
ومع حذرها أمر ان شئت حدثتك به فقلت وما ذاك قالت حدثتنى السيدة انها رأت
في الليلة التى حملت فيها به كأن ثلاث نسوة دخلن عليها فقعدن منهن ثنتان واحدة عن
يمينها وواحدة عن يسارها فأمرّت إحدى الثلاث يدها على بطنها ثم قالت ملك ربحل
عظيم البذل ثقيــل الحمل سريع الأمر وقالت الثانية ملك قصير العمر سليم الصــدر
منهتك الستر وقالت الثالثة ملك قصّاف عظيم الاتلاف يسير الخلاف قليــل الانصاف
فانتبهت وأنا فزعة فلم أحس لهن أثراً حتى كانت الليلة التى وضعته فيها أتينى فى الخلق
الذى رأيتهن فقعدن عند رأسه واطلعن جميعاً فى وجهه ثم قالت واحدة منهن شجرة
نضرة وريحانة جنية وروضة زاهرة وعين غدقة قليل لبثها عجل ذهابها وقالت الثانيــة
سفيه غارم وطالب للمغارم جسور على المخاصم وقالت الثالثة احفروا قبره وشقوا لحده
وقــربوا أكفانه وأعــدوا جهازه فان موته خــير له من حياته قالت فبقيت متحيرة

وبعثت الى المنجمين والمعبرين ومن يزجرُ الطير فكل يبشرني بطول عمره ويعدني بقاءه وسعادته وقلبي يأبى الا الحذر عليه والتهمة لما رأيت في منامي وبكت خالصة وقالت يا أحمر وهل يدفع الاشفاق والحذر والاحتراق واقع القدر أو يقدر أحد على ان يدفع عن أحبائه الاجل قلت صدقت ان القضاء لايدفعه شئ ثم كان من أمره ما كان ثم اتخذ الرشيد قُطرُباً النحوي على الأمين وكان حماد عجرد يتعشق الأمين ويطمع فيه ان يتخذه عليه مؤدباً فلم يتهيأ له ذلك لتهتكه وقبيح ذكره في الناس وقد كان رام ذلك فلم يجب اليه فلما سمع ان قُطرباً قد استوى أمره وأجيب الى ذلك لستره وعفافه أخذ حماد المقيم والمقعد حسداً على ماناله قطرب من ذلك وبلغه من المنزلة الرفيعة والدرجة السنية فأخذ رقعة وكتب فيها أبياتا ودفعها الى بعض الخدم الذين يقومون على رأس الرشيد وجعل له على ذلك جعلا وسأله أن يودع الرقعة دواة أمير المؤمنين ففعل فما كان بأسرع من ان دعا الرشيد بالدواة فاذا فيها رقعة فيها هذه الأبيات

قل للامام جزاكَ الله مغفرةً ... لاتجمع الدهرَ بين السخل والذيب

السخلُ غِرٌّ وهَمُّ الذئبِ غفلتهُ ... والذئبُ يعلم ماالسخل من طيب

.. فلما قرأ الرشيد الرقعة قال انظروا أن لايكون هذا المعلم لوطياً انفوه من الدار فأخرجوه عن تأديب الأمين واتخذ عليه حماداً .. وكان عليه رقباء سبعين أو ثمانين .. قال ولما وُسم قطرب بهذه السمة القبيحة خاف ان يلحقه بعض مايكره فهرب الى الكرج وتوسل الي أبي دُلف ومعقل ببراعة الأدب فلما عرفا غزارة فنه ووقفا على معرفته اصطفياه لأنفسهما وأحلاه محلاً رفيعاً وقدماه على جميع أهل الأدب وأرغدا له في العطية فلما رأى قطرب برهما به وإلطافهما به رغب في المقام بالكرج وأثرى وكثر ماله فيقال ان أصل هذه الآداب التي وقعت بالكرج الى أبي دلف ومعقل من علم قطرب وتصنيفه الكتب وان المأمون سأل أبا دلف من خلفت بالجبل منسوبا الى الأدب قال ماخلفت غير قطرب فقال المأمون صدقت ان لقطرب لهلا من هذا الشأن .. وعن أبي محمد اليزيدي قال كنت أؤدب المأمون وهو

في حجر سعيد الجوهري فأتيته يوماً وهو داخل فوجهت اليـه بعض غلمانه يعلمه بعوضـي فأبطأ عليّ ثم وجهت اليـه آخر فأبطأ فقلت لسعيد ان هـذا الفتى ربما تأخر وتشاغل بالبطالة قال أجَلْ ومع هذا اذا تأخر تعرّم على خدمه ولقوا منه أذى فقوّمه بالأدب فلما خرج أمرتُ بحمله وضربته تسع دِرر قال فانه ليدلك عينه من أثر البكاء إذ أقبل جعفر بن يحيى فاستأذن وأخذ منديلاً فمسح عينيه وجمع ثيابه وقام الى فراشه وقعد عليه متربعاً ثم قال يدخل فدخل وقمت عن المجلس وخفت أن يشكوني اليه فألقى منه ما أكره قال فأقبل عليه بوجهه وحديثه حتى أضحكه وضحك فلما هم بالحركة دعا بدابته وأمر غلمانه فسعوا بين يديه ثم سأل عني فجئت فقال خذ مابقي من حُزْني فقلت أيها الأمير لقـد خفت أن تشكوني الى جعفر ولو فعلت ذلك لتنكّر لي قال إنّا لله أتراني يا أبا محمد كنت أطلع الرشيد في هذه فكيف جعفر أطلعه على أنّي أحتاج الى أدب يغفر الله لك خذ في أمرك فقد خطر ببالك مالا تراه أبداً ولو عدت في كل يوم مرة .. وكان لسعيد الجوهري غلام قد لز بالمأمون في الكتاب فكان اذا احتاج المأمون الى محو لوحه بادر اليـه فأخذ اللوح من يده فمحاه وغلب على غلمان المأمون ومسحه وجاء به فوضعه على المنديل في حجره فلما سار المأمون الى خراسان وكان من أخيه ما كان خرج اليه غلام سعيد فوقف بالباب حتى جاء أبو محمد اليزيدي فلما رآه عرفه فدخل فأخبر المأمون فقال له مستبشراً بقدومه لك البشرى ثم أذن له فدخل عليه فضحك اليـه حين رآه ثم قال أتذكر وأنت تبادر الى محو لوحي قال نعم يا سيدي فوصله بخمسمائة ألف درهم ثم اتخذ الرشـيد الحسن اللؤلؤي بعد أبي محمـد اليزيدي على المأمون فبينا هو يطارحه شيئاً من الفقه إذ نعس المأمون فقال له اللؤلؤي نمت أيها الأمـير فقال المأمون سوقي ورب الكعبة خذوا بيده فبلغ الرشـيد ما صنع فقال متمثلا

وهل يُنبتُ الخطّيَّ إلاّ وشيجه ... وتغرس إلاّ في منابتها النخلُ

*

محاسن المعلمين

قال شهد رجل عند سوّار القاضي فقال ما صناعتك قال مُعلم قال فأنا لا نجيز شهادتك قال ولم قال لانك تأخذ على التعليم أجراً قال وأنت تأخذ على القضاء بين المسلمين أجراً قال أكرهت عليه قال فهبك أكرهت على القضاء فمن أكرهك على أخذك الأجر والرزق على الله فقال هلم شهادتك فأجازها ٠٠ قال وكان لشريح القاضي ابن يكثر البطالة فنظر اليه شريح يوماً وهو يُهارش بكلاب له فكتب معه رقعة الي معلمه وفيها هذه الابيات

ترك الرواح لأكلاب يسعى بها ... طلبَ الهراشَ مع الغواةِ الرجسِ
فاذا أتاك فعضّه بملامةٍ ... وعظنه موعظةَ الرفيقِ الأكيس
فاذا هممت بضربة فبدرّة ... واذا ضربت بها ثلاثاً فاحبس
وليحملن مني اليك صحيفة ... نكراء مثل صحيفة المتلمس
واعلم بأنك ما أتيت فنفسه ... مع ما يُجرّعني أعزّ الأنفس

فضربه المعلم عشرا وعشرا فقال له شريح لم ثنيت عليه الضرب فقال العشر الأولى للبطالة والثانية للبلادة حيث لا يدرى ما يحمل

مساوى المعلمين

قيل كان معلم يصلى بالناس فى شهر رمضان وكان يقف على ما لا يوقف عليه فقرأ واتبعوا ما تتلو الش ثم قال الله أكبر فركع ثم قام فى الثانية فقلت ما تراه يصنع فلما قال ولا الضالين فقال يا طين على مُلك سُليمان ٠٠ قال وسمعت معلماً يقرأ بالناس فى شهر رمضان وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بُنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيداً وأكيد كيداً فمهل الكافرين أمهلهم رويداً ٠٠ وقال بعضهم الله جل وعز أعان على عرامة الصبيان برقاعة المعلمين ٠٠ وقال فيهم بعض الشعراء

وهل يستفيد العقل من كان دهره يروح على أنثى ويغدو على طفل

** وقال آخر

اذا كنت ورّاقاً فأنت محارف وحسبك نوكا أن تكون معلما

محاسن السؤال

قال الجاحظ سمعت شيخاً من المكدين وقد التقى مع شاب منهم قريب العهد بالصناعة فسأله الشيخ عن حاله فقال لعن الله الكدية ولعن أصحابها من صناعة ما أخسها وأقلها انها ما علمت تخلق الوجه وتضع من الرجال وهل رأيت مكديا أفلح قال فرأيت الشيخ قد غضب والتفت اليه فقال يا هذا أقلل من الكلام فقد أكثرت مثلك لا يفلح لانك محروم ولم تستحكم بعد وان للكدية رجالا فما لك ولهذا الكلام ثم التفت فقال اسمعوا بالله يجيئنا كل نبطي قرنان وكل حائك صفعان وكل ضراط كشحان يتكلم سبعاً في ثمان اذا لم يصب أحدهم يوماً شيئاً ثلب الصناعة ووقع فيها أو ما علمت أن الكدية صناعة شريفة وهي محببة لذيذة صاحبها في نعيم لا ينفد فهو على بريد الدنيا ومساحة الأرض وخليفة ذي القرنين الذي بلغ المشرق والمغرب حيث ما حل لا يخاف البؤس يسير حيث شاء يأخذ أطايب كل بلدة فهو أيام النرسيان والهيرون بالكوفة ووقت الشبوط وقصب السكر بالبصرة ووقت البرني والأزاذ والرازقي والرمان المرمر ببغداد وأيام التين والجوز الرطب بحلوان ووقت اللوز والرطب والسختيان والطبرزد بالجبل يأكل طيبات الأرض فهو رخي البال حسن الحال لا يغتم لأهل ولا مال ولا دار ولا عقار حيث ما حل فملفه طبلي أما والله لقد رأيتني وقد دخلت بعض بلدان الجبل ووقفت في مسجدها الأعظم وعليّ فوطة قد ائتزرت بها وتعممت بحبل من ليف وبيدي عكازة من خشب الدفلى وقد اجتمع اليّ عالم من الناس كأني الحجاج بن يوسف على منبره وأنا أقول يا قوم رجل من أهل الشام ثم من بلد يقال لها المصيصة من أبناء الغزاة والمرابطين في سبيل الله من أبناء الركاضة وحرسة الاسلام غزوت مع والدي أربع

عشرة غزوة سبعاً في البحر وسبعاً فى البر وغزوت مع الأرمنى قولوا رحم الله أبا الحسن ومع عمر بن عبيد الله قولوا رحم الله أبا حفص وغزوت مع البطال بن الحسين والربرداق بن مدرك وحمدان بن أبي قطيفة وآخر من غزوت معه يازمان الخادم ودخلت قسطنطينية وصليت فى مسجد مَسلمة بن عبد الملك من سمع باسمي فقد سمع ومن لم يسمع فأنا أعرّفه نفسي أنا ابن الغُزَيل بن الركان المصيصى المعروف المشهور في جميع الثغور والضارب بالسيف والطاعن بالرمح سدٌّ من أسداد الاسلام نازل الملك على باب طرسوس فقتل الذرارى وسبى النساء وأُخذ لنا ابنان وحُملوا الى بلاد الروم فخرجت هارباً على وجهى ومعي كتبٌ من التُجّار فقُطع علىّ وقد استجرت بالله ثم بكم فان رأيتم أن تَرُدوا ركناً من أركان الاسلام الى وطنه وبلده فوالله ما أتممتُ الكلام حتى انهالَتْ علىّ الدراهم من كل جانب وانصرفت ومعي أكثر من مائة درهم فوثب اليه الشاب وقبّل رأسه وقال أنت والله معلم الخير فجزاك الله عن اخوانك خيراً

أصناف المكدين وأفعالهم

منهم المكيّ وهو الذى يأتيك وعليه سراويل واسع دَبيقىّ أو نرسيّ وفيه تِكة أرمنيّة قد شدها الى عنقه فيأتى المسجد فيقول أنا من مدينة مصر ابن فلان التاجر وجهّني أبى الي مرْوَ فى تجارةٍ ومعي متاع بعشرة آلاف درهم فقُطع علىّ الطريق وتُركتُ على هذه الحال ولست أحسن صناعة ولا معى بضاعة وأنا ابن نعمة وقد بقيت .. ومنهم السحرى الذى يبكّر الى المساجد من قبل أن يؤذّن المؤذّن .. والشجوى الذى كان يؤثر في يده اليمنى ورجليه حتى يُرى الناس انه كان مقيداً مغلولاً ويأخذ بيده تكة فينسجها يوهمك انه من الخلدية وقد حُبس في المطبق خمسين سنة .. ومنهم الذرارحي الذى يأخذ الذراريح فيشدها في موضع من جسده من أول الليل ويبيت عليه ليلته حتى يتنفط فيخرج بالغداة عريان وقد تنفّط ذلك الموضع وصار فيه القيح الأصفر ويصب على ظهره قليل رماد فيوهم الناس انه محترق .. ومنهم الحاجور وهو

الذي يأخذ الحلقوم مع الرئة فيدخل الحلقوم في دبره ويشرّح الرئة على فخذه تشريحاً رقيقاً ويذر عليه دم الأخوين •• ومنهم الخاقاني الذي يحتال في وجهه حتى يجعله مثل وجه خاقان ملك الترك ويسوّده بالصبر والمداد ويوهمك انه ورم وزكيم للمغلطة ••ومنهم السكوت الذي يوهمك انه لايحسن أن يتكلم •• ومنهم الكان وهو الذى يواضع القاص من أول الليل على أن يعطيه النصف أو الثلث فيتركه حتى اذا فرغ من الأخذ لنفسه اندفع هو فتكلم •• ومنهم المفلفل الرفيقان يترافقان فاذا دخلا مدينة قصدا أنبل مسجد فيها فيقوم أحدهم فى أول الصف فاذا سلّم الامام صاح الذى فى آخر الصف بالذى فى أول الصف يا فلان قل لهم فيقول الآخر قل لهم أنت أنا أيش فيقول قل ويحك ولا تستح فلا يزالون كذلك وقد علّقا قلوب الناس ينتظرون مايكون منهما فاذا علما انهما قد علّقا القلوب تكلما بحوائجهما وقالا نحن شريكان وكان معنا أحمالُ بَزٍّ كُنّا حملناها من فُسطاط مصر نريد العراق فقطع علينا وقد بَقينا على هذه الحال لا نحسن أن نسأل وليست هذه صناعتنا فيوهمان الناس انهما قد ماتا من الحياء •• ومنهم زُكيم الحبشة الذى يأتيك وعليه دُرّاعة صوف مضرّبة مشقوقة من خلف وقدّام وعليه خُفّ تغرى بلا سراويل يتشبه بالغُزاة •• ومنهم زُكيم المرحومة المكافيف يجتمعون خمسة وستة وأقل وأكثر وقائدهم يبصر أدنى شئ عينه مثل عين الخفاش يقال له الاسطيل فهو يدعو وهم يؤمنون •• ومنهم الكاغاني الذى يجنن أو يتصارع ويزبد حتى لا يشك أحد فى جنونه وانه لا دواء له لشدّة ما ينزل به •• ومنهم القرسي وهو الذى يعصب ساقيه أو ذراعيه عصباً شديداً ويبيت على ذلك ليلة فاذا تورّم واحتقن فيه الدم مسحه بشئ من صابون ودم الأخوين وقطر عليه من سمن البقر وأطبق عليه خرقة ثم كشف بعضه فلا يشك من رآه انه أكلة نعوذ بالله منها •• ومنهم المشبّب الذى يحتال للصبي حين يولد بأن يُزمنه أو يُعميه ليسأل به الناس وربما جاءت أمه أو يجئ أبوه فيتولى ذلك فإما أن يكسبا به أو يكرياه فان كان عندهما ثقة وإلاّ أقام بالأولاد والأجرة كفيلا •• ومنهم الفيلوَر وهو الذى يحتال لخصيتيه حتى يُريك انه آدر وربما أراك ان بها شرطاً أو جرحاً وربما أراك ذلك في دبره وتفعل المرأة ذلك بفرجها

٠٠ ومنهم الكاخان الغلام المكدي اذا واجر وعليه مسحةٌ من جمال وعمل المملين جيماً والعوّاء الذى يسأل بين المغرب والعشاء ويطرب في صوته ٠٠ ومنهم الاسطيل وهو المتعامي الذى ان شاء اراك انه أعمي وان شاء أراك انه ممن نزل في عينه الماء وان شاء أراك انه لا يبصر ٠٠ ومنهم المزيدى وهو الذى يدور ومعه دريهمات يقول هذه دريهمات قد جُمعت لي فى ثمن قطيفة فزيدونى فيها رحمكم الله ٠٠ ومنهم المستعرض الذى يعارضك وهو ذو هيئة فى ثياب صالحة يريك انه يستحي من المسئلة ويخاف أن يراه معرفة فيعرض لك اعتراضاً ويكلمك خفتاً ٠٠ ومنهم المطيّن وهو الذى يطيّن نفسه من قرنه الي قدمه ويأخذ البلاذر يريك انه يأكل البلاذر

ومن نوادرهم

قيل انه أتى سائل داراً يسئل منها فأشرفت عليه امرأة من الغرفة فقال لها يا أمة الله لله أن تصدقى عليّ بشيء قالت أى شيء تريد قال درهماً قالت ليس قال فدانقاً قالت ليس قال ففلسا قالت ليس قال فكسوة قالت ليس قال فكفاً من دقيق قالت ليس قال فزيت حتى عد كل شيء يكون فى البيوت وهي تقول ليس فقال لها يا زانية فما يُجلسك مُرّى تصدقى معي ٠٠ قال الأصمعي وقفت على سائل بالمربد وهو يقول

* قَدْ رَهنتُ القِصَاعَ مِنْ شهوَةِ الخُبزِ *

فقلت له أتمه فقال أتمه أنت فقلت

* فمَنْ لي بمَنْ يَفُكُّ القِصَاعا *

فقال اضمم اليه بيتاً فقلت

مارَهنتُ القِصاعَ يا قَومِ حتى ... خِفتُ واللهِ أن أموت ضياعا

فقال أنت والله أحوج الي المسئلة وأحق بها منى ٠٠ ولأبي فرعون الاعرابي السائل

وصبية مثل صِغار الذّرِّ ... سُود الوجوه كسواد القِدر

كلّهمُ مُلتزق بصدرِي ... حتى اذا لاح عمودُ الفجر

ولاحتْ الشمسُ خرجتُ أسري | أسبقهم الى أصول الجدر
ألا فتًى يحملُ عني إصري | هذا جميعُ قصتي وأمري
فاسمع مقالي وتوقَّ شرّي | فأنت أنت بغيتي وذُخري
كَنيتُ نفسي كُنيةً في شعري | أنا أبو الفقر وأمّ الفقر

قال قال الأصمعي رأيت سائلاً وقد تعلّق بأستار الكعبة من بني تميم وهو يقول

أيارب رب الناس والمن والهدى | أما ليَ في هذا الأنام قَسيمُ
أما تستحي مني وقد قمتُ عارياً | أناجيكَ يا ربي وأنت كريمُ
أترزُقُ أبناء العلوج وقد عصوا | وتتركُ قَرْماً من قُرُوم تميم

قال ورأيت رجلا آخر من الاعراب وقد تعلّق بأستار الكعبة وهو يقول

يارب إني سائلٌ كما ترى | مشتملٌ شميلتي كما ترى
وشيختي جالسة فيما ترى | والبطنُ مني جائع كما ترى

* فما ترى يا ربنا فيما ترى *

.. قال وأتى سائل من الاعراب الى بني عبد العزيز بن مروان فقال أتت علينا سنون لم تُبق زرعاً حصيداً ولا مالاً تليداً إلاّ اجتاحته بزوبره واصله وأنتم أئمة أملي وقصد ثقتي فلم يعطوه شيئاً فقال

بنو عبد العزيز اذا أرادوا | سماحاً لم يَلِقْ بهمُ السماحُ
لهم عن كل مكرمةٍ حجاب | فقد تركوا المكارم واستراحوا

قال ومر سائل منهم برجل يكني أبا الغمر ضخم عريض وكان بواباً لبعض الملوك فقال له أعن المسكين الضعيف الفقير المحتاج فقال ما ألحف جائعكم وأكثر سائلكم أراحنا الله منكم فقال السائل اسكت فوالله لو فُرّق قوت جسمك في عشرة أجسام منّا لكفانا طعامك ليوم شهراً وإنك لنبيه الضرطة لو ذُرى بها بيدر لكفته الريح عظيم السلحة لو ضُربت لبنا لكفت سوراً .. قال وقال اعرابي وهو يسأل رحم الله من أعطي من فضل وآثر من قلة وواسى من كفاف .. قيل ودخل رجل منهم على هشام بن عبد الملك بن مروان فقال يا أمير المؤمنين أتتنا سنون ثلاث فأما الأولي فأذابت الشحم وأما

الثانية فأمحضت اللحم وأما الثالثة فهاضت العظم وعندك أموال فان كانت لله جل وعز فبثها في عباد الله وان كانت لهم ففيم تحبسها عنهم وان كانت لك فتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين •• قال ودخل أزهر السمان على المنصور فشكا اليه الحاجة وسوء الحال فأمر له بألف درهم وقال يا أزهر لا تأتنا في حاجة أبداً قال افعل يا أمير المؤمنين فلما كان بعد قليل عاد فقال له يا أزهر ماحاجتك قال جئت لأدعو لأمير المؤمنين قال بل أتيتنا لمثل ما أتيت به فى المرة الاولى فأمر له بألف درهم وقال يا أزهر لا تأتنا ثالثة فلا حاجة لنا فى دعائك قال نعم ثم لم يلبث ان عاد فقال يا أزهر ما جاءبك قال دُعاء كنت سمعته منك أحب أن آخذه عنك فقال لا ترده فانه غير مستجاب وقد دعوت به الله جل وعز أن يُريحنى من خلقتك فلم يفعل •• وممن سأل الخلفاء أيضاً ربيعة بن ربيعة ذكروا انه دخل على معاوية بن أبي سفيان فقال يا أمير المؤمنين زوجني بعض بناتك فقال قد شغلناهن بأكفائهن قال فولّنى شرطة البصرة قال قد وليتها من كفاها قال فهب لي قطيفة قال أما هذا فنعم •• ومنهم أبو دُلامة دخل على المنصور فقال يا أمير المؤمنين تأمر لي بكلب صيدٍ قال اعطوه قال كلب بلا صقر قال اعطوه صقراً قال كلب وصقر بلا بازبانٍ قال اعطوه غلاماً بازباناً قال فلا بُدّ لهم من دار قال اعطوه داراً قال فمن أي شئ يعيشون قال قد أقطعتك أربعمائة جريب منها مائتا جريب عامر ومائتان غامر قال وما الغامر قال الخراب قال فأنا أقطعتك أربعة آلاف جريب بالدهناء غامرة قال فقد جعلتُها كلها عامرة فهل بقى لك شئ قال نعم تدعنى أقبّل يدك قال ليس الى ذلك سبيل فقال ما منعتنى شيئاً أهون على عيالي من هذا •• قال وبعث المنصور الى زياد بن عبد الله مالاً وأمره أن يفرّقه فى القواعد والأيتام والعميان فدخل اليه أبو حمزة الرقى فقال أصلح الله أمير المؤمنين قد بلغنى الكبر فاكتبنى في القاعدين قال يغفر الله لك انما القواعد النساء اللواتي قعدن عن الأزواج قال فاكتبني فى العميان فان الله جل ذكره يقول (فانها لا تعمى الأبصارُ ولكن تَعمَى القلوب التى فى الصدور) وأنا أشهد ان قلبي أعمى وأكتب ولدى فى الأيتام فان من كنتُ أباه فهو يتيم قال اكتبوه فى العميان واكتبوا ولده فى الأيتام •• قال وقالت اعرابية لحاتم بن عبدالله

الطائى أتيتك من بلاد نائية شاسعة تخفضنى خافضة وترفعنى رافعة لملمات من الأمور نزلن بى فبرين عظمى وأذهبن لحمي فتركنني بالجريض قد ضاق بي البلد العريض لم يتركن لى سبدا ولم يبقين لي لبدا غاب الوالد وهلك الرافد وأنا امرأة من هوازن أقبلت فى أفناء من العرب أسأل عن المرجو نائله والمحمود سائله والمأمون جانبه فقيل لي أنت فاصنع بى إحدى ثلاث إمّا أن تحسن صفدي أو تقيم أودي أو تردني الى بلدي فقال أجمعهن لك وحباً ففعل بها ذلك كله .. قال وجاءت اعرابية تسئل فقالت يا قوم طرائد زمانٍ وفرائس نازلةٍ ولحمان وضمٍ نبذتنا الرجال وأنشزتنا الحال وأطمعنا السؤال فهل من مكتسب للأجر أو راغب فى الذخر .. وسأل اعرابي فقال سنة جردت وحال جهدت وأيدٍ خمدتْ فرحم الله من رحم وأقرض من لا يظلم .. وسأل اعرابي فقال أين الوجوه الواضحات الصباح والعقول الراجحات الصحاح والصدور الرحاب السماح والمكارم الثمينة الرباح .. وسأل اعرابي فقال رحم الله امرأ لم تمج أذنه كلامي وقدّم لمعاذه من سوء مقامي فان البلاد مجدبة والحال مسغبة والحياء زاجرٌ ينهى عن كلامكم والفقر عاذر يدعو الى إخباركم فرحم الله امرأ واسى بمير أو دعا بخير فقال رجل ممن يا اعرابى فقال أخٌ فى كتاب الله وجارٌ في بلاد الله وطالب خير من رزق الله .. وسأل آخر فقال نقص الكيل وعجفت الخيل وقل النيل فهل من رحيم أجره لله فانه لا غنى عن الله لقوله جل وعز ﴿من ذا الذى يقرضُ الله قرضاً حسناً﴾ لم يستقرض ربنا جل وعز من عدم ولكن ليبلو ويختبر .. وسأل آخر فقال إنى رجل من مدينة الرسول عليه وعلى آله السلام مشيتُ حتى انتعلت الدم فرحم الله من حملنى على نعلين فكأنما حملني على ناقتين فلا قليل من الأجر ولا غنى من الله جل وعز .. وقيل لسائل اعرابى أين منزلك قال مالي منزل انما اشتمل الليل اذا عسعس وأظهر بالنهار اذا تنفس

*

مساوى الثقلاء

قال بُختيشوع للمأمون لا تجالس الثقلاء فإنا نجدُ فى كتب الطب أن مجالسة الثقيل حُمّى الروح ٠٠ وقال بعضهم سخنة العين النظر بها الى الثقلاء ٠٠ قال ونقش رجل على خاتمه أبرَمْتَ فقُمْ فكان اذا جلس اليه الثقيل ناوله إيّاه ٠٠ قيل ودخل أبو حنيفة على الأعمش يوماً فأطال جلوسه فقال لعلي قد ثقلت عليك قال وإنى لأستثقلك وأنت فى منزلك فكيف وأنت عندى ٠٠ قيل واجتمع أصحاب الحديث عند شَريك بن عبد الله فتبرَّم بهم وأضجروه فصاح بهم وفرقهم فلم يبرحوا فقال بعضهم أنا أطردهم عنك قال نعم وانطرد معهم ٠٠ قيل وأتى رجل ابن المقفع فى حاجة فلم يصل اليه وكان مستثقلا له فكتب بيتاً فى رقعةٍ وأرسل به اليه

هل لِذِى حاجةٍ اليك سبيلُ وقليـلٌ تلبُّثى لا كثيرُ

فوقع اليه

أنت ياصاحبَ الكتاب ثقيلُ وقليـلٌ من الثقيلِ كثيرُ

فأجابه الرجل

قد بدأتَ الجواب منك بفُحش أنت بالفحش والبذاء جديرُ

فضحك وقضى حاجته ٠٠ قال وكتب اعرابى الي حماد الراوية المعروف بعجرد وكان حماد يستثقله

إنّ لى حاجة فرأيُك فيها لك نفسي الفدا من الأوصابِ
وهي ليست مما يُبلِّغُها غيـري ولا أستطيعُها فى كتابِ
غير أنى أقولُها حين ألقا كَ رُوَيداً أسرها باكتئابِ

فكتب اليه اكتب بالحاجة ياثقيل فكتب

إنّي عاشقٌ لجُبّتِكَ الدُّكـناءِ عشقاً قد حال دون الشرابِ
فاكْسُنيها فدَتْكَ نفسي وأهلي أتعزّى بها على أصحابي
ولك الله والأمانةُ إني أجعلنها عُمري أميرَ ثيابي

•• وقد قيل اذا علم الثقيل انه ثقيل فليس بثقيل •• ومما قيل فيهم من الشعر

سألتُكَ بالله إلاَّ صدَقْتَ وعلمي بأنك لا تصدِقُ
أتبغض نفسك من بُغضِها وإلاَّ فأنت اذاً أحمقُ

•• ولآخر

قُلْ للبغيض أخي البغيـ ـض ابن البغيض ابن البغيضه
أنت الذى حَمَلَتْكَ أُ مُّك بين فاحشةٍ وحيضه
ضاقَتْ على الثَّقلَين مِنْ بغضائك الأرضُ العريضه
ودعَتْ ملائكةُ السما ء عليكَ دَعوى مستفيضه

•• ولآخر

يا من تبرَّمَتِ الدنيا بطلعته كما تبرَّمَتِ الأجفانُ بالسَّهَدِ
يمشى على الأرض مجتازاً فأحسبه من بُغض طلعته يمشي على كبدى

•• آخر

شخصك فى مُقلة النديمِ أثقل من رِعيةِ النجومِ
يا رائحاً رَوْحةً علينا أثقلَ من سَبْةِ اللئيمِ
إني لأرجو بما أقاسي منك خلاصاً من الجحيمِ

•• ولآخر

يا مُفْرِغاً فى قالب البُغضِ بُغضُكَ يشكوك الى بُغضِ
كأنما تمشى على ناظرى اذا تخطأتَ على الأرضِ

•• ولآخر

يا من له حركاتٌ على النفوسِ ثقيله
وليس يعرفُ معنى قصيرةٍ من طويله
أورَثتنى بجلُوسى اليك حُمّى مليله
فاصفح لنفسك عنّي فإنَّ كفّي عليله

•• ولآخر

أيا مَنْ أعرَضَ الرَّبُّ عن العالَمِ من بغضه
ومن عاذ مليك المو تِ بالرحمن من قبضه
ويا من بُغضُهُ يشهد بالبغض على بُغضه

مساوى الحمق

قيل فى المثل هو أحمق من عِجْل ٠٠ هو عِجل بن لُجيم بن صَعْب بن علىّ بن بكر بن وائل وذلك انه قيل له ما سميت فرسك ففقأ عينه وقال الأعور أو قال سميته أعور وقال الشاعر فيه وفى قومه

رَمتنى بنو عجلٍ بداء أبيهمُ وأى امرىء فى الناس أحمق من عجلِ
أليس أبوهُمْ عارَ عَينَ جوادِهِ فصارت به الأمثال تُضرب فى الجهلِ

٠٠ ويقال هو أحمق من هبنّقة وبلغ من حُمقه انه ضل له بعير فجعل ينادي من وجد البعير فهو له فقيل له فلِمَ تنشده قال وأين حلاوة الوجدان ٠٠ واختصمَتْ اليه بنو الطفاوة وبنو راسبٍ في رجل ادّعاه هؤلاء وهؤلاء فقالت الطفاوة هذا من عرافتنا وقالت بنو راسب هذا من عرافتنا ثم قالوا قد رضينا بأول طالع علينا فطلع عليهم هبنّقة فلما رأوه قالوا إنّا لله من طالع علينا فلما دنوا قصوا عليه قصتهم فقال هبنّقة الحكم فى هذا بين يُذهب به الى نهر البصرة فيُلقى فيه فان كان راسبياً رَسَبَ وان كان طفاوياً طفا فقال الرجل لا أريد أن أكون من أحد هذين الحيين ولا حاجة لي في الديوان ٠٠ وكان هبنّقة يرعي غنم أهله فيرعي السمان فى العشب وينحي المهازيل عنه فقيل له ويحك ماتصنع فقال أصلح ما أصلح الله وأفسد ما أفسد الله أو قال لا أفسد ما أصلح الله ولا أصلح ما أفسد الله ٠٠ وقال الشاعر

عِشْ بجدٍّ فلن يضرَّكَ نوكٌ انما عَيْشُ مَنْ ترى بالجدودِ
عِشْ بجدٍّ وكُنْ هَبنّقَةَ العيـ سى نوكا أو شيبةَ بنَ الوليدِ

رُبَّ ذي إِرْبَةٍ مُقِلٍّ من الما ... لِ وذي عُنجُهِيَّةٍ مجدودِ

وكان شيبة من عقلاء العرب ٠٠ وقيل أيضاً هو أحمق من دُغَة وهي مارية بنت مغنج تزوّجت في بني العنبر وهي صغيرة فلما أصابها المخاضُ ظنت انها تريد الخلاء فخرجت تبرّز فصاح الولد فجاءت منصرفة فقالت يا أمه هل يفتح الجعر فاه قالت نعم يدعو أباه فسبّت بنو العنبر بذاك فقالوا لهم بنو الجعراء ٠٠ وقيل أيضاً هو أحمق من الممهورة إحدى خَدَمتيها وهي امرأة أخذها رجل ليفجر بها فقالت لا أمكنك من نفسي حتى تمهرني فقال قد مهرتك إحدى خدمتيك وهما خلخالاها فرَضيت ومكنتهُ من نفسها ٠٠ وقيل هو أحمق من جهيزة وهي عرس الذئب لانها تدع ولدها وترضع ولد الضبُع ٠٠وقال الكُميت

كما خامرَت في حُضنها أم عامرٍ ... لذي الحبل حتى عال أوسٌ عيالها

ـأوس ـهو الذئب ٠٠ وقيل هو أحمق من نعامة لانها تدع الحضن على بيضها وتحضن بيض نعامة أخرى ٠٠ وقال ابن هرمة

فإني وتركي ندى الأكرمين ... وقدحي بكفّي زناداً شَحاحا

كتاركةٍ بيضَها بالعَراء ... ومُلبسةٍ بيض أخرى جناحا

٠٠وقيل هو أحمق من باقل وكان اشتري عنزاً بأحد عشر درهماً فقالوا له بكَم اشتريت العنز ففتح كفّيه وفرق أصابعه وأخرج لسانه يريد أحد عشر درهماً فعيروه بذلك وقيل ان الذى اشتراه ظبي فلما فتح أصابعه أفلت الظبي ٠٠ وقالوا فى باقل

يلومون فى حُمقه باقلاً ... كأنَّ الحماقة لم تُخلَقِ

ولا تُكثروا العذل فى عيِّه ... فللعِيُّ أجملُ بالأمْوَقِ

خروج اللسان وفتحُ البنان ... أحب الينا من المنطقِ

٠٠قيل وقدم وفدٌ من العراق على سليمان بن عبد الملك فقضوا حوائجهم وانصرفوا فقال رجل منهم بلغني ان أمير المؤمنين يبرز للعامة فأنا أقيم بعدكم يوماً أو يومين فلعلي ان أراه وأسمع كلامه ثم أتبعُكم فلما كان الغد برز سليمان للناس وجلس على سريره وأذن للعامة فدخلوا وفيهم العراقي فجلس فى سماط سليمان الى جنب رجل أحمق من أهل

الشام فقال له الأحمق ممن الرجل قال أنا من أهل العراق قال فعل الله بك وفعل وجعل يشتمه ويذكر أباه وعرضه وقال مثلك يقعد في سماط أمير المؤمنين والعراقى يناشده الله ويسأله أن يكف عنه فيأبى الى ان قال سليمان أيكم يخبرني من الذي يقول

أنخن القرونَ فعقلتها كعطف المسيب عراجين ميلا

ويفسر لنا قوله فله جارية برحالتها والشامي مقبل على العراقى لايفتر عن شتمه ويقول ياجاسوس فقال له كف عني فاني أنفعك قال وهل معك خير قال نعم قم فقل لأمير المؤمنين أنا أعرف من قال هذا وأفسره فاذا قال من قاله فقل امرؤ القيس فاذا قال ماعنى به فقل البطيخ فقال الشامي ياأمير المؤمنين أنا أعرف من قال هذا وأفسره فقال هات قال امرؤ القيس فتبسم سليمان وقال فما عنى به قال البطيخ فضحك سليمان حتى استلقى على فراشه ثم قال ويحك عمن أخذت هذا العلم فقال عن هذا العراقى فأشار سليمان الى العراقى فأقبل اليه فقال له من أنت قال رجل من أهل العراق كنت قدمت مع فلان وفلان فقضوا حوائجهم وانصرفوا فأقمت أرقب جلوس أمير المؤمنين فقعدت الى هذا الشامي فلم يدع سباً ولا شتما الا استقبلني به فقلت له كف عني فاني أنفعك قل لأمير المؤمنين كذا وكذا فكان منه ماقد سمعته فضحك وقال أتعرف أنت من قاله قلت كثير عزة قال وما عنى به قلت قرون الرأس والمسيب الخادم والمراجين قد اختلفوا فيه فقال بعضهم عناقيد الكرم وقال بعضهم عراجين النخل فأمر له بجائزة سنية وقال له الحق بأصحابك ٠٠ وحكى عن أبى عباد الكاتب انه قال كنت يوما عند المأمون فدعا بالغداء وكان يستنزل من قام من مجلسه عند ذكر الطعام ويقول هذا من أخلاق اللئام فقدموا اليه بطيخاً على أطباق جدد فجعل يقور بيده ويذوق البطيخة فاذا حمد حلاوتها قال ادفع هذه بسكينتها الى فلان فقال لى وقد دفع الى بطيخة كانت أحلى من الشهد المذاب ياأبا عباد بم تستدل على حمق الرجل قلت ياأمير المؤمنين أما عند الله فعلامات كثيرة وأما عندى فاذا رأيت الرجل يحب الشاهلوج ويبغض البطيخ علمت انه أحمق قال وهل تعرف صاحب هذه الصفة قلت نعم ياأمير المؤمنين الرستمي أجدُ من هذه صفته قال فدخل الرستمي على أمير المؤمنين فقال له المأمون ماتقول في

البطيخ الرمشي قال يا أمير المؤمنين يفسد المعدة ويلطخها ويرقها ويُرخي العصب ويرفع البخار الى الرأس قال لم أسألك عن فعله انما سألتك أشهيٌّ هو قال لا قال فما تقول في الشاهلوج قال سماه كسري سيد أجناسه قال فالتفت المأمون اليّ وقال الرجل الذي كما في حديثه أمس من تلامذة كسرى في الحمق .. قال ودخل أبو طالب صاحب الطعام على المأمون وكان أحمق فقال كان أبوك يا أبا خيراً لنا منك وأنت يا أبا ليس تعـدنا ولا تبعث الينا ونحن يا أبا تجارك وجيرانك قال فجعل المأمون لايزيده على التبسم .. قال وقال مروان بن الحكم لرجل انى أظنك أحمق فقال ظنٌّ أو يقين قال بل ظن فقال أحمق مايكون الشيخ اذا استعمل ظنه .. ومما قيل فيهم من الشعر

يا ثابتَ العقل كم عاينتَ ذا حمقٍ ... ألرزْقُ أغرَى به من لازم الجرْب

وانى واجدٌ في الناس واحدةً ... الرزْقُ أرْوَغُ شيء عن ذوي الادب

وخصلةً ليسَ فيها من يُخالفني ... الرزْقُ والنوكُ مقرونان في سبب

.. ولآخر

أرَى زَمناً نَوْكاهُ أسعدُ أهله ... على أنه يشقى به كل عاقلٍ

مَشي فوقهُ رِجلاهُ والرأسُ تحته ... فكبَّ الأعالي بارتفاع الأسافلِ

.. ولآخر

رأيتُ الدهرَ بالأحرار يكبو ... ويرفعُ رُتبةَ القوْم اللئامِ

كأنَّ الدهرَ موْتورٌ حقودٌ ... يُطالبُ ثأرَهُ عند الكرام

.. ولآخر

كم منْ قويٍّ قويٍّ في تقلُّبه ... مهذَّب اللبِّ عنهُ الرزقُ منحرفُ

ومن ضعيف ضعيف العقل مختلطٍ ... كأنه منْ خليج البحر يغترفُ

محاسن مضاحيك وألقاب

ـ قال كان اسم الأقيشر المغيرة بن الأسود وكان يغضب اذا دُعيَ بالاقيشر فمرَّ ذات

يوم بقوم من بني عبس فقال بعضهم ياأقيشر فنظر اليه طويلا وهو مغضب ثم قال

أتدعوني الأُقيشرُ ذاكَ إسمي ... وأدعوكَ ابن مطفئةِ السراجِ

تناجي خِدنَها بالليـل سرًّا ... وربُّ الناس يعـلم من تناجي

فسمي ذلك الرجل ابن مطفئة السراج وبذلك يعـرف ولده الى اليوم .. قال وكان المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل عامل الحجاج على الكوفة وكان يلقب أبا صفية فاستعدت امرأة على زوجها فأتاه صاحب العدوى عند المساء فأعلمه فقال نعم اغدو معها فبات الرجل يقول لامرأته لو قد أتيت الأمير لقات أبا صـفية انها تفعل كذا وكذا فيأمر من يوجعك ضرباً وجعل يكرر عليها بأبي صـفية فحفظت الكنية وظنت انها كنيته فلما تقدمت اليه قالت أصلحك الله أبا صفية فقال لها أبو عبـد الله عافاك الله فأعادت فقال لها أبو عبد الله وأعادت فقال يافاسـقة أظنك ظالمة خذ بيدها الخبيثة وحكم للزوج عليها .. وولى يوسف بن عمر رجلا من بني سُليم يلقب بأبي العاج وكان يغضب منه فقدم اليه رجل خصماً له فقال ياأبا العاج فقال أبو محمد يابن البظراء فقال أتقول هـذا لأمي وقد حججتْ قال لايمنعها ماقلت من الحج

فن منه في الطمع

قيل لاشعب أي شيء بلغ من طمعك قال ناديت بصبيان ولعوا بي فقلت لهم لأنحيهم عن نفسي ان في دار بني فلان عرساً وهناك نثار فولوا عني مبادرين وجعلت أشـتد معهم طمعاً في النثار .. قال وكان في دار بعض جيرانه عرس فتجوع ولزم منزله طمعاً في ان يدعى فلما تعالى النهار وجاع ولم يُدعَ قال قبح الله هذا الخبز وقام الى طعام له فقدمه وجعل يأكل فسمع وقع الباب فقال من هذا قال من دار العروس قال اصـبر فديتك ودخل الخلاء فرمى بجميع ماكان أكله وغسل فمه وخرج اليه فقال تقول لك مولاتي أعيرونا الهاوون ساعةً فقال مُرْ فأمك وأم مولاتك زانية يابن الفاعلة .. وقيل له هـل رأيت اطمع منك فقال نعم مررت وصـديق لي بدير فتنازعنا كلاماً فقال لي

صديقي أيرُ الراهب في إست أم الكاذب فخرج الينا الراهب وقد أنعظ وهو يقول من الكاذب منكما بأبي وأمي أنتما

فن منه آخر

مرّ ضريرٌ على رجل بصير فقال أين الطريق فقال البصير خذ يمنة فأخذ يمنة فسقط في بئر فقال البصير انا لله غلطت أردت ان أقول يسرةً فقلت يمنــة فقال الضرير من أسفل البئر ويحك أهذا من الغلط الذي يستقال ٠٠ قال وقيل للعلاء بن عبد الكريم بكم اكتريت الدار فقال بدينارين وطعامهما قالوا ويلك وما طعامهما فقال صاحب الدار يأكل معي كلما أكلت ٠٠ قال وسمع اعرابي إماما يقرأ إنا أرسلنا نوحا الى قومه فأرتج عليه فجعل يردّد الآية فقال ياهذا ان لم يذهب نوح فأرسل غيره ٠٠ قال وشرب اعرابي وعلى يساره ابن له فسقاه فقال له جليسه السنة ان تسقي من عن يمينك قال قد علمت ولكنه أحب اليّ من السنة ٠٠ قال وقيل لابن رواح الطفيلي كيف ابنك هذا قال ليس في الدنيا شيء مثله سمع نادبة خلف جنازة وهي تقول واسيداه يذهب بك الى بيت ليس فيه ماء ولا طعام ولا فراش ولا وطاء ولا غطاء ولا سراج ولا ضــياء فقال ياأبه يذهبون به الى بيتنا ٠٠ وقال بعضهم جاء جماعة من أصحاب مَزْيد اليه فقالوا قم بنا نتنزّه فانه يوم طيب فقال هو يوم أربعاء قالوا فان فيه وُلد يونس بن متى عليه السلام فقال بأبي وأمي صلى الله عليه لاجرَم انه التقمهُ الحوت قالوا نُصر فيه رسول الله صلى عليه وسلم قال أجلْ ولكن بعد إذ زاغت الأبصار وبلغت القــلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ٠٠ قال ووقع بين رجل ومزيد كلام فقال له الرجل أتكلمني وانا نكت أمك فرجع مزيد الى أمه فقال ياأمه أتعرفين فلاناً قالت أى والله أبو عيلة فقال ناكك شهد الله أسألك عن اسمه وتأتيني بكنيته ٠٠ وكان الحارث بن قيس الفزاريّ شيخاً أعمى وكان له ابن شيعي وابنة حرورية وامرأة ترى رأي المعتزلة وكانوا جلوساً معــه فقال بيده عليهمْ وجمعهم ثم قال ان الله جــلّ وعزّ يحشرني واياكم يوم القيامة طرائق

قدداً •• وقال الجاحظ قيل لرجل طويل اللحية مالك لاتأخذ من لحيتك قال لأصون بها عرضى فان الناس يقولون انظر الى لحيته كأنها طارة وخلق الله هذه اللحية ولحيته كأنها جوالق ولا بارك الله فى هذه اللحية فما لى أعرض لشئ يصون عرضى •• وحدّث رجل من عامر بن لوي قال كان صبي ممنا ترك له أبوه غنما وعبيدا فخرج يوما فنظر الى جارية في خبائها فهويها ومال الى أمها وسألها ان تزوّجها منه فقالت حتى أسأل عن أخلاقك فسأل عن أكرم الناس اليها فدُلّ على شيخ كان معروفاً بحسن المحضر فأتاه وسلم عليه وقال ماجاء بك فاخبره فقال لاعليك فان العجوز غير خارجة من رأيي فامض الى منزلك وأقم يوما أو يومين ومُر بغنمك ان تُساق ونادِ فى أهلك أمّا من أراد ان يحلب فليأتنا ودعنى والأمر فشاع الخبر فخرجت العجوز مع من خرج والشيخ مع القوم فنظر الى الشاب وقد كانت العجوز أخبرته بشأنه فقال هو هو فقالت نعم قال لقد حرّمت حظك قالت اني أريد ان أسأل عن أخلاقه قال أنا ربيته قالت فكيف لسانه قال خطيب أهله والمتكلم عنهم قالت فكيف سماحته قال ثمال قومه وربيعهم قالت فكيف شجاعته قال حامى قومه والدافع عنهم قال فطلع الفتى فقال أما ترين ماأحسن ماأقبل ماانحنى ولا انثنى فلما قرب سلّم فقال ما أحسن ماسلّم ماحار ولا ثارَ ثم استوى جالساً فقال ماأحسن ماجلس ماركع ولا عجز قالت أجل فذهب يتحرّك فضرط فقال الشيخ ما أحسن والله ماضرط ما أطنها ولا أغنها ولا نفخها ولا بربرها ولاقرقرها فنهض الفتي خجلا فقال الشيخ ما أحسن والله مانهض ما اختل ولا انفتل العجوز أجل والله فصح به وردُّه فوالله لزوّجناه ولو خرئ

محاسن المزاح

قيل أهدى نعيمان الأنصارى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جرّة عسل وكانت فيه دُعابة وكان اشتراها من اعرابي بدينار وأتى بالاعرابي الى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له خذ الثمن من ههنا فلما قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين

نسائه قال له الاعرابي اعطني يارسول الله ثمن العسل فقال عليه الصلاة والسلام هذه إحدى هنات نعيمان وسأله لم فعلت فقال أردت ان أبرّك يارسول الله ولم يكن معي شيء فتبسم رسول الله صلي الله عليه وسلم وأعطي الاعرابي حقه •• وعن الهيثم قال قدم تميم الداري من الشام وكان تاجراً فأتاه نعيمان وقال له هل لك فى غلام تاجر له فضل ودين قال وكيف لى به قال انه ان علم ببيعنا إياه لم تنتفع به ولكن انطلق معي حتى أريكهُ فانه عندنا بمنزلة الولد قال فأدخله المسجد وأراه سويبط بن عبد العزّي فنظر اليه تميم فأعجبه فقال بكم قال بمائة دينار قال هي لك فأخذ منه المائة الدينار فلما حضر شخوصه أتى نعيمان فقال الغلام فمضي معه الي المسجد وقال دونك الغلام فجاء تميم وسويبط يصلى فصلى الى جانبه ركعتين ثم قال له خفف فخفف وقال له ماحاجتك قال قد باعك أهلك منى قال وأى أهلي فارتفع الكلام بينهما حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ماشأنكم قال تميم يارسول الله باعنيه أهله فقال صلى الله عليه وسلم انى لأظن ان نعيمان صاحبه علىّ به فلما جاء قال له ويحك ماهذه قال بأبى أنت وأمي يارسول الله تزوجت امرأة ولم يكن عندى نفقة ولا صداق أدفعه اليها ولم أجد الا مارأيت فتبسم رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال لتميم هي لك عندنا •• وذكروا ان نعيمان مرّ ذات يوم بمخرمة ابن نوفل الزهرى الضرير فى المسجد فقال له مخرمة خذ بيدى حتى أبول فأخذ بيده حتي اذا كان فى أقصى المسجد قال له اجلس فجلس يبول فصاح به الناس ياأبا المسور إنك فى المسجد قال ومن قادنى قالوا نعيمان قال والله لأضربنه بعصاي هذه ان وجدته فأتاه نعيمان وقال له ياأبا المسور هل لك في نعيمان قال نعم قال فأخذ بيده حتى أوقفه على عثمان بن عفان وهو خليفة وتنحّى عنه فعلاه بعصاته ضرباً فصاح به الناس ضربت أمير المؤمنين قال ومن قادنى قالوا نعيمان قال لاجرم لا تعرّضت له أبداً

محاسن مزاح الشعراء

قيل دخل أبو دُلامة على المهدى فسلم ثم قعد وأرخى عيونه بالبكاء فقال له مالك

قال ماتت أم دلامة فقال انا لله وانا اليه راجعون ودخلت له رقة لما رأى من جزعه فقال له أعظم الله أجرك ياأبا دلامة وأمر ان يعطي الف درهم وقال له استعن بها فى مصيبتك فأخذها ودعا له وانصرف فلما دخل الي منزله قال لأم دلامة اذهبي فاستأذني على الخيزران فاذا دخلت عليها فتباكي وقولي مات أبو دلامة فمضت واستأذنت على الخيزران فأذنت لها فلما اطمأنت أرسلت عينها بالبكاء فقالت لها مالك فقالت مات أبو دلامة فقالت انا لله عظم الله أجرك وتوجعت لها ثم أمرت لها بألفي درهم فدعت لها وانصرفت فلم يلبث المهدي ان دخل على الخيزران فقالت ياسيدي أما علمت ان أبادلامة مات قال لا ياحبيبتي انما هي امرأته أم دلامة قالت لا والله الا أبو دلامة فقال خرج من عندي الساعة آنفاً فقالت خرجت من عندى الساعة وأخبرته بخبرها وبكائها فضحك وتعجب من حيلهما ٠٠ قال وكان أبونواس ولعاً بأبى عبيدة معمر بن المثنى التيمى فكتب على اسطوانة في مسجد بمقدار قامة وبسطة

صلى الالهُ على لوطٍ وشيعتهِ أبا عبيدة قل بالله آمينا

فانتَ عندى بلا شكٍّ بقيتهم منذ احتلمت وجاوزت الثمانيا

فقال لكيسان ويحك أما رأيت هذا الفاجر وما صنع قم بنا نحكه لئلا يراه الناس فبرك أبو عبيدة وركبه كيسان ليحكه فلما ثقل عليه قال له أوجز فقال له كيسان قد بقى لوط فقال عجل حكّه فهو المعنى وعليه تدور فضحك ٠٠ وذكروا انأبا الشمقمق دخل على أمير المؤمنين موسي الهادى فقال له أنت الذى تقول

انأمين الله موسى الذى لا يشترى المِدحَةَ بالدّين

أيا أمينَ الله والمصطفى دُقّ ثنايَاى بألفينِ

فقال موسى اجلدوا بظر أمهذا بألفين فقال أبو الشمقمق واستها بألفين فضحك وقال واستها بألفين ٠٠ قال وكانجميل بن محفوظ يلىأرّجان وأبو دهمان يلى نيسابور فزارهما أبو الشمقمق فأساء اليه جميل وأحسن اليه أبو دهمان فقال

رأيتُ جميلَ الأزد قد حقّ أمه فناك أبو دهمان أم جميل

واجتمعا بعد ذلك عند يحيي بن خالد يتناظران فى حساب فأربي جبل على أبي دهمان فقال له أبو دهمان احفظ الصور الذي جعله بيني وبينك أبو الشمقمق فضحك يحيي حتى استلقى على قفاه وفحص برجليه

تم ولله الحمد أولا وآخراً طبع كتاب [المحاسن والمساوى] وذلك في غرة شهر صفر الخير سنة الف وثلاثمائة وخمسة وعشرين هجرية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية ٠٠ وكان ذلك في مطبعة السعادة الكائنة بجوار ديوان المحافظة بمصر

فهرس الجزء الثاني من كتاب المحاسن والمساوى للبيهقي

(تم الفهرس)